Abdulcelil TURAN
Yenidoğan Mh. 41. Sk. No: 7
Daire: 4 Zeytinburnu - İST.

تفسير

فتح الرحمن

ملخص من تفاسير القرآن

كتبه

قاري محمد بن نياز قاري
المقرئ في تحفيظ القرآن وتعليم القراءة
في ديار بالياركندمن ولاية التركستان الشرقي

الجزء الثاني

(سورة الأنبياء - سورة الناس)

مكتبة دار الإيمان
المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مكتبة دار الإيمان
هاتف: ٨٢٢٥٨١٧ - فاكس: ٨٢٦٢٨٥٦ - ص.ب: ٢٥١٤٥
المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

Abdulcelil TURAN
Yenidoğan Mh. 41. Sk. No:7
Bağcılar - Zeytinburnu - İST.

سـورة الأنبـيـاء

آياتها مئة واثنا عشر آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ ﴾، أي: قرب للناس وقت حساب أعمالهم وهم في شهوات أنفسهم غافلون عن محاسبة أعمالهم يوم القيامة، معرضون عن التذكير والموعظة.

﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ ﴾ ما يأتيهم من تذكير وموعظة أو أمر ونهي جديد من الوحي من ربهم إلّا استمعوا إليه وهم يلعبون، أي: يستهزؤون به، ساهية قلوبهم عن فهم ما نزل من الوحي في القرآن وأسرّوا النجوى بينهم، أي: تحادثوا متناجين فيما بينهم بالتكذيب وهم الذين أشركوا بالله، فقالوا: ما هذا إلّا بشر مثلكم ـ يعنون محمدًا عليه الصلاة والسلام ـ والذي جاء به هو السحر، فكيف تأتون إليه وتتبعونه، وأنتم تعقلون وتبصرون؟!

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٤ ﴾ قل لهم يا محمد: ربـي يعلم بأقوال العباد في السماء والأرض، لا يخفى عليه

شيء من شأن خلقه، وهو سبحانه وتعالى سميع بأقوالكم عليم بما في ضمائركم.

﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ قال تعالى بحرف الإضراب: بل قال هؤلاء المشركون بالقرآن أنه أخلاط أحلام منامية، بل قالوا: افتراه محمد من عنده، بل محمد شاعر نظمه وسطره في ورق، فإن كان محمد صادقًا في دعواه فليأتنا بآية، أي: معجزة كما أُرْسِلَ الأوّلون، أي: السابقون من الرسل كموسى عليه السلام وغيره.

قال تعالى: ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ لم يؤمن قبل مشركي مكة من أهل قرية أهلكناهم بعد إرسال الآيات إليهم فهل مشركو مكة يصدقون بالمعجزات؟! استفهام للاستبعاد والإنكار لاقتراحهم.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ ردّ الله على قول مشركي مكة (ما هذا إلاّ بشر مثلكم): وما أرسلنا قبلك يا محمد إلاّ رجالاً من البشر لا الملائكة نوحي إليهم ليبلغوا أمرنا إلى قومهم، فاسألوا أيها المشركون علماء أهل التوراة والإنجيل إن كنتم لا تعلمون أن الرسل من البشر أو من الملائكة.

﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾ وهذه الآية رد على مشركي مكة أيضًا: وما جعلنا الرسل والأنبياء أجسادًا كالملائكة لا يأكلون الطعام ولا يشربون، وما كانوا خالدين في الدنيا، إذ لهم أجل

مسمى هم بالغوه، وإذا بلغ أجلهم يقبض أرواحهم قابض الروح كسائر البشر.

﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ وقد أوفينا بما وعدنا للرسل والأنبياء بالنصر على أعدائهم فأنجيناهم والمؤمنين معهم من العذاب المدمر وأهلكنا المكذبين برسلهم في العذاب.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش كتابًا بلغتكم فيه ذكركم وشرفكم، أفلا تعقلون تلك النعمة العظيمة وتؤمنون بما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام.

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ وكم كسرنا وأهلكنا من أهل القرى وقطعناهم ولم يبق أحد منهم إذ كانوا كافرين بربهم ومكذبين رسلهم وظالمين أنفسهم بكفرهم فأوجبوا العقوبة عليهم، ثم أنشأنا، أي: أحدثنا بعد هلاكهم قومًا آخرين سكنوا في ديارهم. وكفار قريش مثلهم، إن لم يؤمنوا بما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام وذلك على الله يسير.

﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ فلما رأوا بحاسة بصرهم واستشعروا نزول العذاب عليهم إذا هم فجأة يركضون محاولين الهرب من ديارهم، فقال الملائكة: لا تهربوا منها وارجعوا إلى ما تنعمتم وبطرتم فيه ومساكنكم، لا نجاة لكم من عذاب الله، حيث كنتم يدرككم، لعلكم تسألون عما نزل بكم من العقوبة فتخبرون به لما فعلتم من الكفر بربكم والتكذيب برسلكم وفي الآية استهزاء وتقريع وتوبيخ ثم تجازون يوم الحساب الجزاء الأوفى.

﴿ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَـٰهُمْ حَصِيدًا خَـٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ ولما عرفوا وتيقنوا أنهم هالكون في العذاب قالوا: يا حسرتنا إنا كنا ظالمين لأنفسنا. فما زالت تلك الكلمات يرددونها حسرة وندامة حتى جعلناهم كزرع محصود ميتين في ديارهم بالعذاب.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ وما خلقنا السماء والأرض وما فيهما من المخلوقات عبثًا وباطلاً بل تنبيهًا لهم وليستدلوا على أن لها خالقًا، وكمال قدرتنا على إيجاد المخلوقات من العدم.

﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ ولو أردنا أن نتخذ ولدًا وصاحبة لاتخذناه من عندنا إن كنا فاعلين، وما كنا فاعلين. وفي الآية رد على اليهود والنصارى وعلى بعض قريش. إذ يزعم اليهود أن عزيرًا ابن الله ويزعم النصارى أن عيسى ابن مريم ابن الله، وخزاعة وكنانة من قريش يزعمون أن الملائكة بنات الله، فتعالى الله عما يصفون.

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ بل: حرف إضراب. إنما نرمي بالحجة الواضحة والبرهان الحق على الباطل فيدحضه ويضمحل فإذا أباطيلهم ذاهبة لا تأثير لها بشيء ولكم عذاب شديد أيها المشركون بما تكذبون على الله وتصفونه به من المحال كاتخاذ الولد وغيره.

﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ ولله من في السموات

والأرض خلقًا وملكًا وعبيدًا، من عنده، أي: الملائكة لا يستكبرون عن عبادة ربهم ولا يعيون أو يتعبون ولا يملون فهم يسبحون الله ليلاً ونهارًا على الدوام، لا يفترون، أي: لا يضعفون أو يسأمون عن التسبيح والتحميد والتكبير.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ هل اتخذ هؤلاء المشركون من الأرض، أي: من حجارة الأرض وخشبها، يصنعون أصنامًا يزعمون أنها آلهة يعبدونها، فهل أصنامهم قادرون أن يحيوا الموتى؟! وفي الآية توبيخ وتبكيت على المشركين وفي الآية نفي لأن تَقْدِر أصنامهم على الإحياء.

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ لو كان في السماء وفي الأرض آلهة غير الله معبودون لحصل فيهما الفساد والخراب بسبب فساد التدبير والنزاع الواقع بين الآلهة في الإرادة، فسبحان الله رب العرش وتنزه عما يصفه المشركون بأن له شريك أو ولد، إذ هو الواحد الأحد والمحيي والمميت.

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ فالله جلَّ شأنه لا يُسأل عما يفعل لأنه جل وعلا خالق كل شيء ومالكه، كيف يشاء يفعل، ويحكم ما يريد، والخلق يسألون عن أعمالهم ودينهم.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ استفهام للتعجب والإنكار: هل اتخذ هؤلاء المشركون غير الله آلهة؟! ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ إن كنتم صادقين في زعمكم. وقل لهم يا محمد: ﴿ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ﴾ هذا القرآن فيه ذكر من آمن به واتبعني وذكر من قبلي من الأمم الماضية. ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن القرآن حق من الله ومحمد عليه الصلاة والسلام مرسل إليهم من الله، وهم معرضون عن الإيمان بالقرآن والتصديق برسالة محمد عليه الصلاة والسلام وذلك من شقاوتهم وسوء حظهم.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ وما أرسلنا قبلك رسولاً من الرسل إلاّ نوحي إليه ليبلغ العباد أنه لا إله إلاّ الله فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا. فأدلة العقل والنقل شاهدة على أنه لا شريك له.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ قال المفسرون: كانت قبيلة خزاعة تزعم أن الملائكة بنات الله، فنزّه الله نفسه عمّا يزعمون، بل الملائكة عباد مكرمون عند الله ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ لا يسبقون الله قولاً وعملاً فلا يقولون ولا يتكلمون إلاّ بما يأمرهم، وهم بأمر الله يعملون ولا يخالفونه أبدًا.

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يعلم الله ما عملوا من خير وشر وما لم يعملوا وسيعملوا، ولا يقدرون على الشفاعة لأحد يوم القيامة إلاّ لمن رضي الله عنهم، وهم أهل شهادة أن لا إله إلاّ الله؛ وشفاعة الملائكة بالاستغفار للمؤمنين وهم ـ أي: الملائكة ـ من خشية ربهم خائفون على الدوام:

﴿۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (ومَنْ) شرطية: فالذي يدعي من الملائكة أو من غيرهم أنه إلـه من دون الله فذلك الطاغي، ونجزيه جهنم. ومثل ذلك الجزاء نجزي المشركين بربهم.

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ أولم يعلم الذين كفروا بربهم أنّه خلق السموات والأرض بعضهما على بعضٍ طبقة واحدة، أي: مرتوقتين، ففتقنا السماء سبع طبقات وكذا الأرض سبع طبقات، وقيل: كانت السماء لا تمطر والأرض لا تنبت نباتًا فأوحى الله إلى السماء أن تمطر، والأرض أن تنبت، فأمطرت السماء ماء على الأرض وأنبتت الأرض نباتًا. وجعل الله حياة كل إنسانٍ وجنٍ وحيوانٍ بالماء، وهم يشاهدون ذلك، أفلا يؤمنون بعظمة قدرة الله؟!! ألا يزالون يجحدون؟! ـ الاستفهام للتوبيخ والتبكيت ـ أما آن أن يؤمنوا؟!

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ وجعلنا على الأرض جبالاً ترسي الأرض وتثبتها عن الاضطراب حتى تسكن فلا تميد ليتم القرار على ظهرها من المخلوقات. وجعلنا في الأرض أو الجبال طرقًا واسعة ومسالك وممرات بعيدة، وسبيلاً: جمع سبيل: هي الطريق القريب؛ لعلهم يمشون فيها ويهتدون إلى مقاصدهم.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ وجعلنا السماء الدنيا كما تشاهدونها سقفًا محفوظًا، أي: من أن يقع ويسقط على الأرض، وقيل: محفوظًا بالرجوم والشهب من الشياطين واستراق السمع من أخبار السماء. ومع ذلك فكفار مكة عن آيات السماء معرضون لا يؤمنون بقدرة خالقها ولا يتأملون فيها.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ وهو الله الذي خلق الليل والنهار ليسكن عباده في الليل بالنوم ويسعون

لمعاشهم في النهار، وخلق الشمس والقمر لمصالح العباد، وكل من الشمس والقمر يسيران من مطلعهما إلى مغربهما وكذا النجوم والكواكب السيارة في سماء الدنيا وفي ذلك آيات دالات على كمال قدرة الله لقوم يتفكرون في صنع خالقها.

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ أي: وما جعلنا لأحد من البشر الخلود في الدنيا من قبلك، فإن مت أنت يا محمد هل هؤلاء المشركون لا يموتون؟! بل كلكم تموتون، ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ كل ذات نسمة ذائقة الموت، والمراد هنا نفس الإنسان على الخصوص ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ونختبركم بالمصائب وبالشدة والرخاء، والحلال والحرام وتصيبكم الأمراض في بدنكم والهلاك في أموالكم وأولادكم فننظر هل تصبرون أو لا تصبرون؟ ونختبركم بالصحة في البدن وسعة الرزق ودوام الراحة هل تشكرون الله بطاعته أو تبطرون وتكفرون نعم الله؟ واعلموا أنكم إلينا ترجعون بأعمالكم وتحاسبون عليها وتجازون بها.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ وإذا رآك يا محمد المشركون فإنهم لا يتعاملون معك معاملة الود، ما يتخذونك إلاَّ سخريًا واستهزاء، ويشيرون إليك قائلين: أهذا الذي يذكر آلهتكم بالسوء؟ ثم وصفهم مع ذلك أنهم بذكر الرحمن، أي: بالقرآن هم كافرون. وهذه رد وإنكار على كفار قريش لقولهم: لا نعرف الرحمٰن إلاَّ رحمٰن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب.

قال تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ خلق الإنسان مطبوعًا على العجلة فلا يصبر. وقد قال كفار قريش: متى يأتينا الانتقام من الله؟ فجاء الجواب من الله: سأريكم انتقامي منكم فلا تستعجلون، أو سأريكم الآيات الدالة على صدق رسالة محمد ﷺ وما جعله له من العاقبة الحميدة والنصر عليكم، وقد انتقم الله منهم في الدنيا كيوم بدر فقُتل سبعون وأُسِرَ سبعون، والباقون هربوا إلى مكة منهزمين مخذولين، ثم فتح الله على رسوله ﷺ مكة. وللكافرين في الآخرة عذاب مقيم.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ ويقول المشركون للمؤمنين: متى هذا الوعد الذي يعدنا محمد، أي: يوم القيامة، أخبرونا عنه إن كنتم صادقين؟

قال تعالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ جواب (لو) محذوف، أي: لو عرف الذين كفروا الوقت الذي لا يستطيعون أن يمنعوا العذاب عن وجوههم بالنار ولا عن ظهورهم والوقت الذي لا ينصرون فيه من عذاب الله لما استعجلوا هذا العذاب ولما أقاموا على الكفر، أو لآمنوا، قال تعالى: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ بل تأتيهم ساعة العذاب والقيامة فجأة فتحيرهم وتفجأهم فلا يستطيعون دفعها عن أنفسهم ولا صرفها عن ظهورهم، ولا هم يمهلون ويؤخرون عن وقت العذاب.

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ في الآية تسلية للنبي ﷺ: ولقد استهزأت الأمم الطاغية

السابقة برسلهم، ولم يؤمنوا برسالة رسلهم، وكذبوهم من قبل مجيئك يا محمد بالرسالة إلى قومك، فحاق العذاب المعجل على الذين استهزؤوا برسلهم جزاءً على استهزائهم برسلهم.

﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين بانتقام الله: من يحفظكم بالليل وأنتم نائمون، وبالنهار وأنتم منصرفون في طلب معاشكم وغيره من حاجاتكم؟ من يحفظكم من عذاب الرحمٰن؟ ويأتي جواب التوبيخ لهم: بل هم في غفلة عن ذكر ربهم معرضون ولاهون.

﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ هل لهؤلاء المشركين آلهة من غيرنا تمنعهم من عذابنا؟!! سؤال فيه إنكار لذلك، ويأتي الجواب: إن هذه الآلهة التي يدعونها من غير الله وزعموا أنهم ينصرونهم. فهؤلاء لا يستطيعون نصر أنفسهم من عذابنا ولا هم منا يُمنعون ولا عن العذاب يجارون، فكيف ينصرون عابديهم؟!

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ بل متعنا هؤلاء المشركين وآباءهم بسعة الرزق حتى طال الزمان لهم، وهم مغترون في سعة الرزق، وظنوا أن النعمة التي هم فيها لا تزول عنهم. ثم وبخهم بسؤال منكرًا عليهم ظنهم واغترارهم: أفلا يرى هؤلاء المشركون كيف نأتي أرضهم بتسليطِ وظهورِ النبي ﷺ والمؤمنين عليها أرضًا بعد أرض، وفتحها بلدًا بعد بلد مما حول مكة؟! فتنقص أرض بلادهم من أطرافها،

أفهم الغالبون أم نحن؟ استفهام للتعجب والتسفيه على أن المشركين لا يفقهون شيئًا.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ قل لهم يا محمد: إنما أخوِّفكم من عذاب الله بالأمر الذي أوحى الله إليّ، لا من عند نفسي، ولكنكم لا تسمعون تذكيري ونصيحتي كما لا يسمع الصم للدعاء إذا ما يُخَوَّفون ويهددون. وفي الجملة الأخيرة أبلغ تهديد وتبكيت للمشركين.

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾، أي: ولئن أصابتهم نفحة، أي: عقوبة قليلة من عقوبات ربك تنبيهًا لهم ليقولن: يا هلاكنا ويا حسرتنا إنا كنا ظالمين أنفسنا بالشرك والكفر بربنا والعصيان لأمر الله.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾، أي: ونضع الموازين العادلة لأهل يوم القيامة لوزن أعمال العباد، الحسنات في كفة والسيئات في كفة فلا تظلم نفس بوزن أعمالها شيئًا يسيرًا، لا ينقص من إحسان محسن ولا يزاد في إساءة مسيء، وإن كان عمله قدر مثقال حبة من خردل أتينا بها في الميزان، وكفى بنا حاسبين لأعمال جميع العباد بأسرع وقت.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ ولقد أتينا موسى وهارون الفرقان، أي: التوراة، فيه الحكم الفصل يفرق بين الحق والباطل وبين المحق والمبطل، وطريق الهداية والضلالة، وكان ضياءً،

أي: نورًا وذكرًا للمتقين. ثم وصفهم: الذين يخافون ربهم على الدوام وهم لا يرونه رأي العين وهم من قيام يوم القيامة وشدائد أهوالها خائفون لا يطمئنون.

﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ وهذا القرآن فيه تذكير وموعظة لمن يتذكر ويتعظ به، مبارك لمن آمن به، أنزلناه على لسانكم يا أهل مكة عربيًّا، أفأنتم جاحدون بعد وضوح العلم به.

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ ولقد آتينا إبراهيم رشده، أي: هداه وصلاحه من قبل بلوغه وهو صغير، وكنا به عالمين أنه يليق بالرسالة والنبوة.

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ فاذكر حين قال إبراهيم عليه السلام وهو صغير لأبيه وقومه، ما هذه الصور التي أنتم مقيمون على عبادتها؟ قاله على جهة الإنكار ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ أي قالوا: نحن عبدناها تقليدًا لأسلافنا.

﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ قال إبراهيم عليه السلام: لقد كنتم أنتم وأسلافكم في خطأ ظاهر لا يخفى على العاقل؛ أن معبودكم لا يتكلم ولا يسمع الخطاب، إنها جمادات تصنعونها وتزعمون أنها آلهتكم!!.

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ قال قومه: هل جئت إلينا بالرسالة حقًّا من ربك أم أنت من اللاعبين بنا وتمازحنا؟

فأجاب بحرف الإضراب على بطلان عبادتهم بالأصنام وأنه ليس بمازح أو لاعب.

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ قال إبراهيم عليه السلام: بل ربكم المعبود الحق القائم بتدبيركم، هو رب السموات والأرض الذي خلقهن وما فيهن من المخلوقات وأنا على ذلك الذي ذكرت لكم من الشاهدين.

﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ وقيل: كان عيد لهم يجتمع الناس فيه، وقال أبوه آزر: يا إبراهيم لو خرجت معنا يعجبك عيدنا، وقال إبراهيم عليه السلام في نفسه سرًا: تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تُولُّوا عني مدبرين. فسمع رجل واحد من القوم مقاله. واحتال إبراهيم في التخلف بقوله: يا أبت (إني سقيم) لا أستطيع أن أمشي معكم. فتركه، ولما ذهبوا إلى عيدهم دخل البيت الذي فيه أصنامهم ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ فكسر الأصنام كلها إلاّ أكبر الأصنام تركه، فعلق الفأس على عنق أكبر الأصنام، وقال: لعلهم إذا رجعوا من عيدهم إلى أصنامهم فنظروا إليها فيرجعوا إلى دين إبراهيم عليه السلام، أو لعلهم يرجعون في تكسيرها إلى كبيرهم فيحتاروا ويرجعوا إلى الحق.

ورجعوا من عيدهم ودخلوا إلى أصنامهم ورأوهم متكسرين: ﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ قالوه على جهة البحث عنه والإنكار ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ هذا جواب السؤال السابق: قالوا ـ والمقصود واحد ـ: سمعنا ولدًا يذكر أصنامنا بالذم ويسبهم يقال اسمه إبراهيم، هو الذي فعل هذا بآلهتنا ﴿ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ قالوا ذلك كراهة أخذه من غير بينة فأرادوا أن يراه الناس ليكون حجة عليه ويعرفون أنه فعله. ولما جاؤوا به ﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ

فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ وفي كلام إبراهيم عليه السلام تعجيز وتبكيت للقوم، وخرج قوله مخرج التعريض بهم، إذ كيف يعبدون من لا يجيب ولا يدافع عن نفسه؟!! فتحيروا وعجزوا عن الإجابة.

﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ رجع بعضهم إلى بعض رجوع المنقطع عن البرهان، وتفطنوا إلى حجة إبراهيم واعترفوا بظلمهم، ولكن عادوا إلى جهلهم وعنادهم فقالوا: لقد علمت يا إبراهيم أن هؤلاء الأصنام لا ينطقون ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ قالها إبراهيم عليه السلام قاطعًا لما يهذون به ومفحمًا لهم ثم قال بكلمة التأفيف والتحقير: أف، أي: قبح ونتن لكم ولأصنامكم التي تعبدونها من دون عبادة الله، وأصنامكم لا تنفعكم شيئًا إن عبدتموها ولا تضركم إن تركتم عبادتها لأنها جمادات، وأنتم تصنعونها بأيديكم تتخذونها معبودة، ولأيّ حجة ودليل تعبدون الأصنام من دون عبادة الله؟! أفلا تعقلون يا قوم!؟ استفهام للتعجب والتسفيه.

ولما عجزوا عن الجواب ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ قالوا: احرقوا إبراهيم واجمعوا الحطب لإحراقه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين لما قلنا. ولما جمعوا الحطب وأشعلوا النار من كل جوانب الحطب اشتعلت النار وقيدوا يدي إبراهيم عليه السلام وأقعدوه بالمنجنيق ليرموه في وسط النار، وجاء جبريل عليه السلام سائلاً له هل لك حاجة أقضيها؟ قال إبراهيم عليه السلام: أما أنت لا، ولما سأله: هل

لك سؤال من ربنا؟ قال: علمه بحالي يغنيني عن سؤالي، هو حسبي ونعم الوكيل.

قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ قال المفسرون: لما رموا إبراهيم عليه السلام في النار أمر الله النار أن تكون بردًا وسلامًا، أي: جعل فيها بردًا يرفع حرّها، ثم جعل حرًّا يرفع بردها، فصارت سلامًا عليه، قالوا: ولو لم يقل بردًا وسلامًا، لكان بردها أشد عليه من حرّها، ولو لم يقل على إبراهيم لكان بردها باقيًا إلى الأبد. وبقي إبراهيم عليه السلام في الموضع الذي ألقي فيه سبعة أيام ثم خرج وهو يدوس على النار ونمرود وقومه ينظرون إليه فأنجاه الله من كيدهم فجعلهم من الأخسرين في صنعهم، وسلط الله على نمرود وقومه أصغر خلقه بعوضة أكلت لحومهم وشربت دماءهم. ودخلت بعوضة في منخره حتى وصلت إلى دماغه، وكان أكرم الناس عليه الذي يضرب رأسه بمرزبة من حديد، فتعذب وقومه حتى ماتوا. وهذا ما لخصته من أقوال المفسرين.

قال الله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾: ونجينا إبراهيم ولوطًا ابن أخي إبراهيم عليهما السلام من نمرود وقومه إلى الأرض التي باركنا فيها، وهي بيت المقدس بارك الله فيها وما حولها للعالمين. وروي أن إبراهيم عليه السلام نزل في بيت المقدس في فلسطين ولوط عليه السلام في المؤتفكة التي تبعد من فلسطين مسيرة يوم وليلة، وأكثر أنبياء بني إسرائيل من أولاد يعقوب عليه السلام من فلسطين.

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ ووهبنا لإبراهيم إسحاق ابنًا من صلبه، ويعقوب ابن إسحاق ذرية، أي: حفيدًا لإبراهيم، وكل هؤلاء جعلنا من عبادنا الصالحين.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ وجعلناهم أئمة وقدوة يقتدي الناس بهم، ويرشدون الناس ويهدونهم إلى الإيمان بالله وحده بأمر الله لا من عندهم. وأمرنا لهم بالوحي، أن يقوموا بفعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وهاتان داخلتان في قوله تعالى: (فعل الخيرات) ولكن خصهما بالذكر لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية والزكاة أفضل العبادات المالية ثم ذكر أنهم كانوا لنا مخلصين في عباداتهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ وآتينا لوطًا النبوة والحكمة أو الحكم يحكم بين الناس بالحق والعلم، أي: الفهم السديد، ونجّيناه من القرية التي كان أهلها يعملون عمل الخبائث، لا يعملها غيرهم، إنهم كانوا قومًا خارجين عن طاعة الله وطاعة نبيهم لوطًا عليه السلام. وأدخلنا لوطًا في رحمتنا وهو مرحوم في الدنيا والآخرة إنه من عبادنا الصالحين المقربين إلينا. وقد تقدمت قصة قوم لوط عليه السلام في سورة هود.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ ومن قبل هؤلاء الأنبياء المذكورين أرسلنا نوحًا إلى قومه

ليدعوهم إلى الإيمان بوحدانيتي في ذاتي وصفاتي، فعتوا وتكبروا ولم يؤمنوا إلاَّ قليل هم أهل السفينة، فدعانا لإهلاكهم فاستجبنا له دعاءه فنجيناه ومن آمن به من الكرب العظيم وهو الغرق في ماء الطوفان، ونصرنا نوحًا ومن آمن به على القوم الذين كذبوا برسلنا، لأن تكذيب رسول واحد هو تكذيب جميع الرسل لأن دعوتهم واحدة، إنهم كانوا قوم سوء، أي: مرتكبين لأعمالٍ سيئة، فأغرقناهم أجمعين في ماء الطوفان ولم يبق منهم أحد ولا أثر لهم.

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ﴾ دخل رجل عند داود عليه السلام يشتكي أنه دخلت غنم قوم في زرعه ليلاً فأفسدت زرعه، فحكم داود عليه السلام على صاحب الغنم أن يعطي غنمه لصاحب الزرع، فخرجا ودخلا عند سليمان عليه السلام، فسأل عن حكم داود عليه السلام فأخبراه، فقال سليمان عليه السلام: لعل الحكم غير هذا انصرفا معي، فأتى أباه فقال: يا نبي الله، إنك حكمت بكذا وكذا، وإني رأيت ما هو أرفق بالجميع، قال: وما هو؟ قال: ينبغي أن تدفع الغنم إلى صاحب الحرث فينتفع بألبانها وأصوافها، وتدفع الحرث إلى صاحب الغنم ليقوم عليه، فإذا عاد الزرع إلى حاله التي أصابته الغنم فيه في السنة المقبلة، رد كل واحد منهما ماله إلى صاحبه، فقال داود عليه السلام: وفقت يا بني، لا يقطع الله فهمك، وقضى بما قضى سليمان. وذلك قوله تعالى: (ففهمناها سليمان).

قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ وكل واحد آتينا حكمًا ليحكم بين الناس بالحق وعلمًا لمعرفة أحكام الله وعلم الاجتهاد في أحكام الشريعة.

﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾، أي: جعلناها بحيث تطيعه إذ أمرها بالتسبيح فكان يمر بالجبال وهو يسبِّح فتجاوبه بالتسبيح، وإذا فتر هو أمرها فتسبِّح حتى يشتاق، وإذا تلى الزبور لحسن صوته وقراءته ولبهجته تقف الطيور في الجو تسبح، وداود عليه السلام يسبح تسبيحهما، وكنا قادرين، أي فالله قادر على تسخير الجبال والطيور على استماع قراءة داود وفهم أمره لها فتسبح معه.

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ وعلمنا داود صناعة دروع من حديد، يلين الحديد بيده بإذن الله، كيف يشاء يصنعه سلاحًا لتحفظوا أنفسكم من أسلحة أعدائكم، فهل أنتم شاكرون هذه النعمة.

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ وسخرنا لسليمان الريح الشديدة الهبوب تجري بأمره لينًا إلى الأرض التي بارك الله فيها، وهي بيت المقدس.. باركنا فيها وما حولها من العيون والأشجار والزروع بأصنافهما، وكنا بكل شيء عالمين ولإيجاده قادرين، أو بكل شيء عملناه عالمين بتدبيره.

﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ وسخرنا لسليمان من الشياطين من يغوصون في البحر ويخرجون له الجواهر البحرية كاللؤلؤ والمرجان وحجر الماء والعنبر ويعملون له عملاً غير ذلك كالأبنية العالية وغيرها مما يعجز الإنسان عن عمله، وكنا لهم حافظين، أي: لأعمالهم وطاعتهم لسليمان.

﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

واسمع يا محمد قصة نبي الله أيوب حين دعا ربه أني مسني الضر في بدني فأصابتني الأمراض وأنت أرحم الراحمين، ارحمني بالشفاء من مرضي، قال المفسرون: ابتلاه الله بفقد أمواله فصبر، وبفقد أولاده فصبر، وابتلاه في بدنه من الأمراض فصبر عليه إلى أن أجرى الله التضرع إليه على لسانه بالخشوع والإنابة: أني مسني الضر في بدني وقد عجزت، وأنت أرحم الراحمين فارحمني.

قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ فاستجبنا دعاءه فكشفنا الذي عليه من مرض يوجعه وآتيناه أهله، أي: أحيينا أولاده بأعيانهم، وآتيناه مثلهم معهم رحمة من عندنا. وقصة أيوب تذكرة وعبرة للمؤمنين المخلصين عبادتهم لله تعالى. وقيل: إن أيوب عليه السلام مكث في مرضه ثمان عشر سنة.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ وإسماعيل بن إبراهيم الخليل وإدريس بن شيث بن آدم وذا الكفل، أي: صاحب الحفظ لأمر الله وطاعته ــ ويروى أقوال في سبب تسميته بذي الكفل، منها: أنه تكفل على نفسه بعدم معصية الله فوفى بذلك ــ وكل هؤلاء الذين ذكرناهم من عبادنا الصابرين في طاعة ربهم وأدخلناهم الجنة برحمتنا، إنهم من عبادنا الصالحين.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ

ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ اسمع قصة ذا النون يا محمد، هو يونس ابن متى، حيث خرج من قومه مغاضبًا لهم، لما تكبروا عن الإيمان بالله وكذبوه وأذوه، فظن، أي: أيقن يونس أن لن يضيق الله عليه من أجل تكبر قومه عن الإيمان بالله فخرج منهم بغير أمر من الله وذهب إلى البحر وركب السفينة فوقفت السفينة، وقال الملاح: في السفينة رجل أَبِق، أي: هارب من سيده، فاقترع فخرجت القرعة على يونس، فأخذه الملاح فألقاه في البحر، فابتلعه الحوت، ومكث في بطن الحوت أربعين يومًا ــ كما قال المفسرون ــ وهو ينادي ربه بالاستغاثة والتضرع في الظلمات في بطن الحوت، وهي: ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وظلمة الغم، ينادي: أن (لا إله إلاَّ أنت) المعبود الحق (سبحانك)، أي: تنزيهًا لك من جميع أوصاف النقائص، (إني كنت من الظالمين) حيث خرجت بغير إذنك من قومي ولم أنتظر أمرك، فاستجاب الله دعاءه وأمر الحوت أن يلقيه، فألقاه إلى شاطىء البحر. . . سيأتي تمام القصة إن شاء الله في سورة الصافات.

ثم ذكر تعالى أنه مثل ذلك الإنجاء ينجي الله المؤمنين من الغم والكرب إذا استغاثوا بالله.

قال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ واذكر يا محمد قصة زكريا حيث نادى ربه: يا رب لا تتركني وحيدًا بغير ذرية ولا وارث، وأنت خير من يبقى بعد كل من يموت، وغيرك يفنى، وأعلم أنك لا تضيع دينك، فأجاب الله دعاءه قال:

(ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه)، أي: زوجته إذ كانت عاقرًا لا تلد. وقال ابن عباس: سيئة الخلق فأصلح الله عقرها وخُلُقها فصارت حسنة الخلق. إن الأنبياء المذكورين كانوا يسارعون في طاعة الله وامتثالاً لأمر الله وفي كل أعمال الخير، ويدعون الله راغبين رحمة ربهم وخائفين من عذابه، وكانوا خاشعين لله تعالى وخاضعين لأمر الله.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ بعد ذكر زكريا ذَكَرَ مريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام وهي التي أحصنت، أي: حفظت فرجها من الفاحشة ولم تتزوج فأرسل الله إليها جبريل بأن ينفخ فيها فنفخ في جيب درعها فحملت بأمر الله بعيسى عليه السلام. وإضافة الروح إليه تعالى تشريف لمريم. وجعلنا شأن مريم وابنها عيسى حكمة عجيبة، إذ حملته بغير رجل، آية دالة على كمال قدرة الله للناس أجمعين. وبيان قصتها تقدم في سورة مريم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ إن هذا الدين الذي عليه الأنبياء هو دينكم، أي: دين واحد من لدن آدم إلى يوم القيامة، وجميع الأنبياء والرسل دعوتهم واحدة إلى توحيد الله، والإيمان به واجب، وأنا ربكم يا ناس فاعبدوني وأخلصوا العبادة لي ولا تشركوا بـي شيئًا.

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ وتفرق الناس في أمر دينهم واختلفوا على أديان شتى فمنهم من تهودوا وخالفوا نبيهم، ومنهم من تنصروا وخالفوا على نبيهم، ومنهم من بقوا على مجوسيتهم لا دين لهم حقًّا ولا باطلاً، لا يعرفون شيئًا من الأديان. قال تعالى: وكل

هؤلاء راجعون إلينا نحاسبهم ونجازيهم على دينهم وأعمالهم، فجزاؤهم جهنم إلَّا المسلمين جزاؤهم الجنة.

قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ ومن يعمل من الأعمال الصالحات وهو مؤمن بالله وحده فلا نجحد له عمله ولا نترك ثواب عمله، وإنا له كاتبون، أي: حافظون لعمله، وثواب عمله، ولا نضيع أجر العاملين.

قال الله تعالى: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ وحرام على أهل قريةٍ أهلكناهم ودمرنا ديارهم بكفرهم بربهم وتكذيبهم رسلهم وحكمنا عليهم أنهم لا يرجعون إلى الدنيا. في الآية قطع طمع المجرمين من الرجوع إلى الدنيا.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ في هذه الآية تأكيد واستبعاد لعدم رجوع الهالكين إلى الدنيا وقت فتح سد إسكندر لمنع يأجوج ومأجوج، وإذا فتحت السد في وقت قدره الله ويأجوج ومأجوج ينسلون من كل جوانب السد ويخرجون ليفسدوا الناس. تقدم تفسيرها في سورة الكهف وخروجهم من السد أحد أشراط قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ واقترب الوعد لقيام الساعة فإذا هي قائمة تشخص أبصار الذين كفروا لقيامها، ويقولون يا ويلنا ويا حسرتنا قد كنا في الدنيا في غفلة من هذا الشأن، بل كنا ظالمين على أنفسنا بالتكذيب بإخبار الرسل عن قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ إنكم أيها المشركون وآلهتكم التي تعبدونها من دون عبادة الله حطب جهنم، توقد نارها بكم أنتم ومعبودكم، داخلون فيها، مقيمون فيها أبدًا.

قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ لو كانت آلهتهم آلهة حقًّا ما دخلوا جهنم، وكل منهم في جهنم مخلدون إلى الأبد.

﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ لأهل النار زفير وشهيق ــ هما صوتان يخرجان من المنخرين ــ من شدة الحزن والألم، وهم في جهنم لا يسمعون شيئًا مما يسرهم أو من عذاب الآخرين، من أنينهم وشهيقهم، فيظن كل واحد أنه لا يُعذب أحد غيره؛ لأنهم يحشرون صمًّا وبكمًا وعميًا عن الآخرين.

ثم يذكر سبحانه وتعالى شأن المؤمنين في الآخرة، وهذه سنته في كتابه العزيز ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ إن الذين سبقت لهم منا العناية والهداية ووفقوا للإيمان بالله وحده ووفقوا للأعمال الصالحات، أولئك عن عذاب جهنم مبعدون وفيما لا يسمعون صوت اشتعال النار ولا يشمون ريحها، وهم في الجنة متنعمون فيها وفيما اشتهت أنفسهم من الحور العين والمطاعم والشراب دائمون مقيمون في الجنة على الأبد.

﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ لا يُحزن أهل الجنة الفزع الأكبر، وهو أهوال يوم

القيامة، لأن الكافرين والمنافقين حين يبعثوا من قبورهم يفزعوا أشد الفزع، والمؤمنون آمنون منه، وتتلقاهم ملائكة الرحمة ويهنؤونهم: هذا يومكم الذي كنتم توعدون في حياتكم الدنيا في كتاب الله وعلى لسان نبيكم.

﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ يوم القيامة نطوي ــ أي بأمر الله تطوي الملائكة السماءَ كطي الصحف على الكتب ــ ونَحشر الناس عراة حفاة غرلاً كما خلقناهم أول خلقتهم، نعيدهم إليها وكان ذلك وعدًا علينا لا محالة.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ ولقد كتبنا في الزبور، أي: الكتب التي أنزل الله على الأنبياء، (من بعد الذكر) في اللوح المحفوظ، إن أرض الجنة يرثها عبادي المؤمنين الصالحون. وهذا قول ابن عباس وغيره من المفسرين.

﴿ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ إن في هذا القرآن المذكور من الوعد والوعيد والتذكير والموعظة لكفاية لقوم عابدين لله وحده.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ وما أرسلناك يا محمد بالرسالة إلاَّ رحمة للناس، فمن آمن بـي وبك فبشره بالجنة، ومن كفر بـي وبك تنذره من عذابـي المعجل عليه في الدنيا وبعذاب الآخرة، ليتوبوا عن كفرهم وعصيانهم. وهذا الإنذار رحمة لهم فإن آمنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيئًا وتابوا عن عصيانهم فازوا بالجنة، وإلاَّ عليهم عذاب دائم في جهنم. والله المستعان في فهم معاني عبارة كتابه.

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم

مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين إنما يوحى إليّ لتبليغ رسالته إليكم وغيركم من الناس كافة، أنما إلـٰهكم المعبود الحق إلـٰه واحد، وغيره باطل، فهل أنتم أيها المشركون مستسلمون لأمر ربكم وتؤمنون به وتتركون عبادة غير ربكم.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ فإن أعرضوا عن الاستسلام لأمر ربهم وتعنتوا، فقل لهم: أعلمتكم على بيان أمر ربكم، وبلغته إليكم جميعكم على سواء، فلم أخفه على أحد منكم، وما أدري، أقريب أم بعيد ما توعدون من العذاب، فالعلم عند الله.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ إن الله يعلم الجهر من الكلام، ويعلم ما تكتمون في ضمائركم، ويعلم خائنة الأعين وما في الصدور ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾ ولا أدري، لعل تأخير العقاب عنكم امتحان لكم، فتتمتعون في حياتكم إلى أجل معين عليكم، ولا محال من عذاب الله عليكم.

ثم قال الله تعالى تعليمًا لنبيه ﷺ: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ قال بصيغة الخبر، والمراد الأمر: أي قل. ويدل على ذلك قراءة نافع. قل يا محمد: رب احكم وافصل بيني وبين هؤلاء المشركين بالعدل، وربنا الرحمٰن لعباده هو المستعان على ما تصفون ربكم به من الأوصاف الباطلة.

الحمد لله، تمّت سورة الأنبياء بعون الله.

* * *

سورة الحج

آياتها ثمان وسبعون آية، وهي مكية

وقال الخازن: غير ست آيات من قوله: (هذان خصمان...) إلى قوله: ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ وقيل مدنية لأن بعض آياتها نزلت في المدينة، وعند الجمهور أنها مكية مدنية.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ (١)﴾ يا أيها الناس احذروا عقاب ربكم ولا تخالفوا أمره ونهيه. ثم خوفهم بما يأتي عليهم من أشراط قيام الساعة: إن زلزلة الساعة شيء عظيم. الزلزلة هي تحرك الأرض حركة شديدة بأمر الله. وقيل: هي قبيل قيام الساعة حتى تلقي ما في بطنها من الكنوز الدفينة. وحتى يقول الإنسان: ما لها؟! مستعجبين من حالها.

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ (٢)﴾ ويوم ترونها، أي: الزلزلة أو يوم قيام الساعة تغفل من شدة الذهول كل مرضعة عن رضيعها، وتضع كل ذات حمل ما في بطنها من

شدة الخوف والفزع، وترى يا محمد الناس سكارى من الحيرة والدهشة سلبت عقولهم وما هم بسكارى بشرب الخمر. ثم يوضح أن هناك ما هو أعظم من هول الزلزلة، هو العذاب في جهنم: ولكن عذاب الله شديد للكافرين والمنافقين والعاصين إن لم يتوبوا عن عصيانهم ولم ينزجروا عنها.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ ﴾ ومن الناس من يجادل في صفات الله وفي كتابه وفي البعث للحشر والحساب والجزاء ومجادلته بغير علم، وقيل هو النضر بن الحارث وكان كثير الجدال على المؤمنين، ويقول: إن الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، ولا بعث ولا نشور بعد الموت.

﴿ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤ ﴾ قُضي على الشيطان أن من اتبع إغواءه ووسوسته يضله عن طريق الهداية إلى الجنة ويدله إلى طريق عذاب السعير.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ ﴾ يخاطب الله منكري البعث للحساب والجزاء: إن كنتم في شك من البعث بعد الموت للحساب والجزاء فإنا خلقناكم، أي: خلقنا أباكم آدم من تراب، ونفخنا الروح فيه، ثم خلقنا ذريته من نطفة، أي: من قطرة مني، منه، ثم صيرنا النطفة علقة، وهي الدم الجامد، في أرحام الأمهات، ثم صيرنا العلقة مضغة، وهي لحمة قليلة قدرُ ما يمضغ، وهذه الأطوار تستغرق

أربعة أشهر، ثم إما أن تكون المضغة مخلقة بنفخ الروح فيها أو لا تكون مخلقة، فالمخلقة تامّة الخلق، وغير المخلقة، السقط الذي لم تنفخ فيه الروح ولم تكتمل أعضاؤه، وذلك لنبين لكم كمال قدرتنا بتصريفنا أطوار خلقكم، وفعلنا ذلك لنقر في الأرحام ما نشاء فيتم حملهم إلى أجل مسمى للوضع، ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم طفلاً رضيعًا لا تشعرون شيئًا من حياة الدنيا حتى تبلغوا أشدكم في قوة الجسم والعقل. ومنكم من يُتوفّى قبل الأشد صغيرًا، ومنكم من يُرد إلى أرذل العمر، أي: إلى شيخوخة في سن كبير فتعجزون عن قضاء حاجاتكم. ثم ذكر علة ذلك: لكي لا يعلم الذي بلغ عمره إلى حالة الشيخوخة من بعد ما علم من العلوم خلال حياته من طفولته فيميز ويعقل الأشياء إلى شيخوخته شيئًا آخر، وهو العجز في البدن وعن الحركة، وبعض الناس يحدث في عقله خرف، وكل ذلك لحكمة منه جلت قدرته ودقت حكمته.

ثم يذكر سبحانه وتعالى دلائل أخرى على كمال قدرته على البعث ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾ وترى يا محمد الأرض جامدة يابسة فإذا أنزلنا عليها ماء المطر اهتزت وارتفعت وأنبتت من كل صنف بهيج يسر الناظر إليها ويستحسنها فكذلك يبعث الله الناس.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ لما ذكر افتقار الموجودات إليه سبحانه، وأنه هو الذي خلق الإنسان من تراب أول مرة ثم خلق منه ذرية ثم أماتهم بعد تمام آجالهم، وإنزال ماء المطر على أرض يابسة وإنبات النباتات بأصنافها، نبه سبحانه وتعالى إلى أن الله هو خالق كل

شيء هو المستحق لعبادة العباد له وأن كل ما سواه وإن كان موجودًا حقًّا فإنه لا حقيقة له من نفسه لأنه مسخر لله، والحق الحقيقي هو الله ذو الوجود المطلق، هو الذي يحيي الموتى من قبورهم إحياء للحشر إلى الحساب والجزاء، وإنه قادر على إيجاد كل شيء وإفنائه، وهو القادر على كل ما أراد ومنها التي ذكرها الله من الدلائل على كمال قدرته جلّ وعلا، لتعلموا أن قيام الساعة آتية لا محالة ولا شك في وقوعها، إن الله يبعث من في القبور، وتكرار ذكر إحياء الموتى من القبور للتأكيد.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ﴾ نزلت الآية في النضر بن الحارث وعقبة ابن أبي معيط وأبي جهل. قال تعالى: ومن الناس من يجادل في قدرة الله على كل شيء، وذلك الإنكار للبعث وتكذيبهم بإخبار رسول الله بالبعث والحساب بغير علم ولا إرشاد من الله ولا كتاب فيه ذكر ينير لهم الحق من الباطل. ثاني عطفه، أي: صاحب البدعة الذي هو لاوٍ عنقه تكبرًا وإعراضًا عن الحق والإيمان بالله وحده وعن التصديق بإخبار رسول الله ويسعى ليضل الناس عن دين الله، له في الدنيا خزي، وقد حقق الله وعيده عليهم فقد قتلوا يوم بدر وسحبت جسمانهم إلى القليب وألقوا فيها، ونذيقه يوم القيامة في جهنم عذاب الحريق الدائم.

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾ ذلك العذاب في الدنيا ثم الآخرة إذا دخل النار، بما قدمت يداك أيها الكافر المعاند من المعاصي والكفر. وذكر اليدين لأن كل الكسب باليدين وهما اللتان تفعلان وتبطشان. وإن الله ليس بظلام للعبيد، لا يعذب أحدًا بظلم إلاَّ بذنبه.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ ومن الناس من يعبد الله على حرف، قال الحسن البصري رحمه الله: هم المنافقون يظهرون بلسانهم الإيمان وبقلوبهم كفر، ويصلون مع المؤمنين وقلوبهم لاهية، ومراؤون للمؤمنين. ومعنى على حرف، أي: على طرف أو شرط لا من كل قلبه فإن أصابه خير، أي: غنيمة من الكفار أو سعة في رزقه وصحة في بدنه أو زيادة في الولد اطمأن وفرح، وإن أصابته فتنة، أي: مصيبة ومرض في بدنه أو هلاك في أمواله وأولاده رجع عن دينه إلى الشرك، ويتشاءم من دين الإسلام، فهذا خسر في حياته الدنيا، وفي الآخرة له العذاب الشديد، فذلك هو الخسران الواضح الظاهر لا يخفى على العاقل.

﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾ عبَّر بصيغة المفرد وأراد به الجمع لأن المشركين والكفار كثير، والمعنى: يدعون ويعبدون أصنامًا دون عبادة الله وهي لا تستطيع الإضرار بهم إن تركوا عبادتها، ولا تستطيع نفعهم بشيء لأنها جمادات لا حياة ولا شعور لها، ذلك، أي: تلك العبادة للأصنام هو الخطأ الظاهر، البعيد عن الرشد والهداية إلى الصواب.

﴿ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ يدعون ويعبدون أصنامًا ضرّها أقرب من نفعها. إذ يزعمون أن عبادتهم الأصنام تنفعهم يوم القيامة، فرد الله عليهم أن ضرر عبادتهم لها أقرب مما يزعمون من نفع أصنامهم بالشفاعة لهم يوم القيامة إذ لا يستطيعون الشفاعة، ثم قبح الله عليهم وعلى أصنامهم: لبئس الناصر ولبئس العشير، أي: لبئس

الناصر المزعوم ولبئس المصاحبة والتقرب إليهم بالمحبة فسيكون مصيرهم جهنم وبئس القرار. والله المستعان على فهم عبارات كتابه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ لما ذكر حال المشركين والمنافقين والشياطين، ذكر حال المؤمنين في الآخرة: إن الله يدخل المؤمنين به وحدَه، والذين عملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمره يدخلهم جنات تجري من تحت أشجار بساتينها وقصورهم فيها مياه الأنهار، يتنعمون فيها على الأبد، إن الله يفعل ما يريد لا راد لحكمه ولا مانع لفضله. يثيب من يشاء ويعذب من يشاء، فللمؤمنين الجنة بحكم وعده الصدق وللكافرين النار بما سبق من عدله.

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ من كان يظن أن لن ينصر الله محمدًا نبيه ﷺ لإعلاء دينه في الدنيا والانتقام من أعدائه الكافرين في الآخرة فليمدد بسبب، أي: بوسيلة وحيلة أو حبل يصل بها إلى السماء، ثم ليقطع النصر عليه إن تهيَّأ له، فلينظر، هل يذهبن كيده الذي كاد وحيلته التي احتال بها ما يغيظه من نصر محمد ﷺ؟! وهذا الاستفهام عن الوصول إلى السماء على سبيل الاستهزاء بالمشركين.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ وهكذا أنزلنا القرآن على محمد فيه آيات واضحات معانيها. وإن الله يهدي إلى الرشد والهداية إلى طاعته من يشاء من عباده، فهو الهادي لا هادي سواه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ إن الذين آمنوا بالله وحده وبمحمد ﷺ وهم أمة محمد عليه الصلاة والسلام، والذين هادوا، هم المنتسبون إلى ملة موسى عليه السلام، والصابئين هم قوم يعبدون الكواكب، والنصارى هم المنتسبون إلى ملة عيسى عليه السلام، والمجوس هم عبدة النار وقالوا: إن للعالم أصلين، نور وظلمة، والذين أشركوا هم عباد الأصنام والأوثان من العرب وغيرهم، إن الله يفصل: يقضي ويحكم بينهم، أي: بين المؤمنين والفرق الضالة الخمسة، فيدخل الجنة المؤمنين برحمته، ويدخل الفرق الضالين جهنم بعدله. إن الله على كل شيء من أحوال خلقه شاهد وعالم بهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ ألم تر، أي: ألم تعلم يا محمد بوحينا إليك أن الله يسجد له من في والسموات وهم الملائكة ومن في الأرض وهم المؤمنون والمخلوقات الأخرى، (والشمس والقمر والنجوم) خصها الله بالذكر لأن بعض المشركين كانوا يعبدون الشمس، وبعضهم يعبد القمر والنجوم، ولو أنهن معبودة حقًّا لما سجدن لله تعالى. وفيها تعريض بالمشركين، وكذلك الجبال والشجر والدواب، وسجدتهن انقيادهن لأمر الله. وكثير من الناس، أي: يسجدون لله، منهم من يسجد طوعًا وهم المؤمنون، وكثير من يسجد كرهًا. وكثير من الناس وجب عليهم العذاب بكفرهم بربهم وعصيانهم برسلهم، ومن يجعله الله مهانًا في الدنيا والآخرة وفي أعين الناس فما له من مكرم، أو المعنى: ومن يهن الله

في عذاب جهنم فما له من ناصر يخلصه من عذاب جهنم، إن الله يفعل ما يشاء لا راد لحكمه وقضائه.

﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ هذان الفريقان المتخاصمان في دين ربهم، فريق المؤمنين يريدون نصرة دين الله وتعزيزه، وفريق الكافرين يريدون إطفاء نور الإيمان وتضعيف أهله، والمعنى الآخر: فريق المؤمنين وفريق اليهود والنصارى يختصمون، ويقول المؤمنون نحن أولى وأقرب إلى الله، وفريق اليهود والنصارى يقولان ويدعيان كل واحد منهم: نحن أولى وأقرب إلى الله.

فحكم الله بينهن بقوله: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ ﴾. فالذين كفروا بربهم وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الكريم قطعت لهم ثياب من نار جهنم يصب من فوق رؤوسهم عذاب الجحيم، يذاب بعذاب الجحيم ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء مع الجلود من شدة الحرارة.

﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾ ولأجل أهل النار مقامع من حديد كالسوط كلما أرادوا أن يخرجوا من جهنم من ألم وغم أعيدوا فيها بالضرب والإهانة بالمقامع. ويقال لهم ذوقوا عذاب الحريق.

وبعدها يذكر سبحانه وتعالى شأن المؤمنين في الجنة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ إن الله يدخل الذين آمنوا بالله وحده وصدقوا برسالة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام

وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله يدخلهم الله جنات تجري من تحت أشجارها وقصورهم مياه الأنهار، وأهل الجنة يزينون بأساور من ذهب ولؤلؤًا، ولباسهم فيها الحرير. قال عليه الصلاة والسلام: من لبس الحرير والذهب في الدنيا فقد حرمهما في الجنة.

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾، أي: وهُدِي المؤمنون وأرشدوا إلى القول الطيب قيل هو كلمة الشهادة والتسبيح والتهليل والتكبير، وأهدوا إلى طريق محمود هي طريق دين الإسلام التي توصلهم إلى الجنة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ عاد بالكلام إلى المشركين حيث صدوا رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام عام الحديبية: إن الذين كفروا بربهم وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام ويمنعون المؤمنين من آداء مناسك عمرتهم، وذلك عام الحديبية ويمنعونهم من الدخول إلى المسجد الحرام الذي جعلناه منسكًا ومعبدًا للمسلمين، سواء المقيمون والخارجون من الآفاق، لا فرق في الحرمة فيه بين هؤلاء وهؤلاء.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ ومن يرد في أرض الحرم بقصد فعل يميل فيه إلى الظلم لغيره أو المعصية فيصيد في الحرم أو يقطع الشجر والدخول إليه بغير إحرام، نذقه في الآخرة من عذاب أليم، أي: موجع. وفي الآية تحذير للمسلمين عن الاعتداء على الناس بظلم وعن هتك حرمات المسجد الحرام وعن ارتكاب

المعاصي فيه؛ لأن الذنوب فيه تضاعف كما يضاعف ثواب الأعمال الصالحة، وفي معنى الآية أقوال للعلماء.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ ورد أنه في أيام الطوفان درس موضع البيت وانمحى ومن ثم أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يبني مكانه بيتًا، وإبراهيم لا يعلم مكانه فيبعث الله ريحًا فكشفت عن أساس آدم عليه السلام، وقيل: أرسل الله سحابة، فأظلت السحابة على مكان البيت وأنطق الله السحابة قالت: يا إبراهيم ابن البيت على قدر ظلي وحذائي، ثم قال محذرًا له عن الشرك: أن لا تشرك بي شيئًا من غيري، فأخلص العبادة لي وطهر بيتي من عبادة الأوثان والأقذار للطائفين بالبيت والمقيمين حوله والمصلين فيه.

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾. لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت أمره الله أن ينادي في الناس لحج بيته الحرام، وقال إبراهيم عليه السلام: يا رب! وما يبلغ صوتي إليهم؟ قال الله تعالى: عليك النداء وعليّ الإبلاغ، فصعد إبراهيم عليه السلام على جبل أبـي قبيس فنادى بأعلا صوته: أيها الناس إن الله أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار، فحجّوا، فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء: لبيك اللهم لبيك. وفي رواية عن رسول الله قال إبراهيم عليه السلام: قد فرض الله عليكم حج بيته الحرام فحجوا إليه.

قوله تعالى: ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾، أي: يأتوك الناس ماشين بأرجلهم وراكبين على بعير أو خيل ضامر، أي: هزيل من بعد السفر والتعب أو غير ذلك من المركوب يأتين من كل طريق بعيد، ليشهدوا فيحضروا منافع دينية ودنيوية تنفع لهم، وليذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم عند الذبح من بهيمة الأنعام وهن البعير والبقر والضأن والمعز، فكلوا منها، أي: من ذبحكم الذي ذبحتموه ذاكرين باسم الله، وأطعموا الشديد الفقر، لأن الفقراء أولى من غيرهم بالإطعام، ولحوم النسك والأضحة جائز أكلها لغني وفقير.

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ وبعد الذبح، ليقضوا، أي: ليزيلوا أوساخهم بحلق شعر رؤوسهم أو التقصير، والحلق أولى، ورمي الجمار وغيرها، وما أوجبوا على أنفسهم من نذور العبادات البدنية والمالية ليؤدوها، وليطوفوا طواف الإفاضة بالبيت العتيق، وبهذا الطواف يتم نسك الحج ويتحلل الحاج من كل محرم عليه في إحرامه. وإنما ذكر الله إيفاء النذر قبل ذكر طواف الإفاضة للاهتمام كيلا يتساهل الحاج في أدائه.

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ ﴾ ذلك البيان والتذكير لمن يعظم حرمات الله في إحرامه، وتعظيم المحرمات في إحرامه، وإيفاء النذر إنما هو خير له عند ربه ثوابًا.

﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ وأحل الله لكم أيها المسلمون أكل لحوم الأنعام وشحومها إلاَّ ما تلي عليكم في سورة

المائدة، حرمت عليكم إلى قوله: ﴿وما أكل السبع إلاَّ ما ذكيتم وما ذبح على النصب﴾.

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ فاجتنبوا أيها المسلمون كل الرجس والرجس هو كل قذر، ثم بين: من الأوثان وغيرها. كما واجتنبوا قول الكذب وشهادة، الكذب، حنفاء، أي: مائلين ومنقادين لأمر الله غير مشركين به أحدًا، أي: يكون انقيادكم لأمر الله مخلصًا له لا خوفًا من غيره.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ ومن أشرك بالله غيره في عبادته فهو يوم القيامة كإنما سقط من السماء فتخطفه الطير، فتمزق لحمه، أو تعصف به الريح الشديدة ترميه في مكان بعيد. وهذا تمثيل وتعريض بالمشركين.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ (ذلك) إشارة إلى ما سبق ذكره من أحكام الحج والهدي، والتحذير من الشرك وقول الزور لمن يتذكر ويعظم أوامر الله وعلامات دينه فإن تعظيمها من تقوى القلوب، والإضافة للقلب لأنه محل التقوى. قال النبي ﷺ: «التقوى ها هنا»، وأشار إلى قلبه، لا بتزيين الأعمال وقلبه فاسد كأعمال المنافقين.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ لكم أيها الحجاج منافع كثيرة في هداياكم من البدن تحملون أثقالكم وتركبون عليها وتشربون ألبانها إلى أجل مسمى هو يوم النحر، العاشر من ذي الحجة، إلى ثالث أو ثاني عشر من ذي الحجة، ثم محلها إلى مكة أو منى يعني

مكان النحر وجاء بذكر البيت العتيق لأن حرمة أرض الحرام من أجل البيت العتيق.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ ولكل ملة شرعنا لهم منسك الذبح ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام هي الإبل والبقر والضأن والمعز، فليذبحوا على اسم الله.

﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ﴾، أي: استسلموا وانقادوا لأمره فمعبودكم هو إله واحد ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ وبشر يا محمد المطيعين لأمر الله بالجنة، ثم فسر شأنهم: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ هم الذين إذا ذكر الله لهم وجلت واضطربت قلوبهم من خشية الله، والصابرين على ما أصابهم من المصائب ابتلاء من الله، والمقيمين الصلاة على أوقاتها ومما رزقناهم من سعة المال ينفقون في سبيل الله.

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ والبدن: هي الإبل، جعلناها لكم أيها المسلمون من أعلام ومناسك دين الله، لكم فيها خير في الدنيا والآخرة، في الدنيا تنتفعوا منها، وفي الآخرة تنالوا ثوابها، إذا أهديتم للحج وأطعمتم لحومها للفقراء والمساكين، فاذكروا اسم الله عليها عند ذبحها، صواف، أي: قد صفت قوائمها معقولة إحدى رجليها، فإذا سقطت على جنبها ميتًا فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر المتعفف والسائل، الفقير والزائر وهكذا سخرناها لكم لعلكم تشكرون نعم الله لكم.

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ وفي الآية إبطال أعمال المشركين الذين كانوا يذبحون هداياهم ويلطخون دماءها على الأحجار التي نصبوها حول الكعبة، ويزعمون أنها قربة لله تعالى. فنهى الله المسلمين عن فعل ذلك، ومعنى الآية: لن يصعد إلى الله، أي: لن يقبل لحوم ذبيحتهم ولا دماءها، ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصل إلى الله الأعمال التي عملها المسلمون بالامتثال لأمر الله وتمسكًا بسنة رسول الله، لا رياء ولا سمعة، خالصًا لله تعالى، مثل ذلك التذليل للبدن جعلها لكم منقادة، لتكبروا الله على ما أرشدكم وهداكم إلى أداء نسك حج بيته، وبشر يا محمد المخلصين أعمالهم لله تعالى بالجنة.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ إن الله يدفع بأس المشركين وكيدهم عن المؤمنين وينصر المؤمنين على أعدائهم المشركين، إن الله لا يحب كل خائن في أمره وطاعته، وكثير الكفر بنعمة الله.

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ قيل: إنها أول آية نزلت لقتال المشركين، والمعنى: أذن للمؤمنين أن يقاتلوا المشركين بسبب أنهم ظلموا في مكة وأذوهم المشركون، ثم وعد الله المؤمنين وإن الله على نصر المؤمنين لقادر بغير قتال، ولكن أراد الله جهد المؤمنين ليعظم أجرهم عند الله، وأذن الله لهم بالهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة، وهاجروا وأمنوا من أذى المشركين، ثم ذكر علة أذاهم وهجرتهم من مكة: الذين أخرجوا من ديارهم مكة لأنهم يقولون: ربنا الله لا غيره وغيره، باطل.

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ ولولا دفع الله بتسليط أهل الحق على أهل الباطل وأهل الإيمان على أهل الكفر لهدمت صوامع وهي معابد الرهبان، وبيع هي معابد النصارى، وصلوات هي مصلى اليهود، (ومساجد يذكر فيها اسم الله) ومساجد فيها يَذْكُرُ المؤمنون اسم الله كثيرًا، وذكر مساجد المؤمنين تشريفًا للمؤمنين لأن المؤمنين يداومون على ذكر الله ويستقيمون على طاعة الله.

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ ولينصرن الله من ينصر دينه وأولياءه المؤمنين على أعدائهم الكافرين والظالمين. إن الله لقدير على كل شيء، عزيز، أي: غالب في أمره على خلقه.

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ يذكر هنا صفة من صفات الذين ينصرون الله، فهم: المهاجرون والأنصار الذين أخرجوا من ديارهم مكة إن مكناهم في ديارهم مكة أو هي على العموم ويراد بها الخلفاء الأربعة فإذا مُكِّنوا أقاموا الصلوات الخمس بالجماعة وآتوا زكاة أموالهم وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر. وإلى الله مرجع كل أمور الخلق، وهو يحاسبهم عليها.

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ في الآية تسلية للنبي ﷺ: وإن يكذبك يا محمد قومك فقد كذَّبت قبلهم قوم نوح نبيهم نوحًا، وكذبت عاد نبيهم هودًا، وكذبت ثمود

نبيهم صالحًا، وقوم إبراهيم كذبوا نبيهم إبراهيم، وقوم لوط كذبوا نبيهم لوطًا، وأصحاب مدين هم قوم شعيب كذبوا نبيهم شعيبًا، وكذب فرعون وقومه موسى بعد ظهور المعجزات، فأمهلت للكافرين بربهم والمكذبين نبيهم في طغيانهم وعصيانهم ليعظم إجرامهم ثم أخذتهم بالعذاب المستأصل فكيف كان عذابي عليهم، نكير؟؟ أي: شديد ينكر عليه أو يغير منكرهم. وفي الآية أيضًا تعريض وتنبيه لمشركي مكة.

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ فكم من قرية من القرى أهلكنا أهلها وأهلها ظالمون لأنفسهم بالكفر والطغيان فقراهم خاوية، أي: ساقطة على الأرض مدمرة، وكم من بئر معطلة، لا أحد حولها يشرب ماءها، وكم من قصور مشيدة بناؤها معطلة لا ساكن فيها.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ أفلم يسيروا، أي: كفار مكة في أرض من قبلهم من المكذبين أنبياءهم وكيف أهلكناهم ودمرنا ديارهم فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويعتبروا وآذان يسمعون بها الزواجر والمواعظ؟! فإنها لا تعمىٰ أبصار العينين ولكن تعمى بصيرة القلوب التي في الصدور.

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ ويستعجل هؤلاء المشركون بالعذاب المعجل عليهم، لا محالة العذاب واقع عليهم، إذا جاء أجل مسمى للعذاب، ولن يخلف الله وعده فإذا وعد أنجز، وقد أنجزه الله لهم يوم بدر، قتلوا سبعون

وسحبوا موتاهم إلى القليب وألقوهم فيها، وأسروا سبعون وكتفوا أيديهم وساقوهم إلى المدينة مخذولين، وإن يومًا من استطالة العذاب عليهم عند ربك يا محمد كألف سنة مما تعدون من سنوات الدنيا، فكيف يستعجل هؤلاء المشركون لعذاب الآخرة؟!

قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ وكم من أهل قرية أمهلت لأهلها مع عتوهم في طغيانهم وهم ظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي، ثم أخذتهم بالعذاب المستأصل ودمرت ديارهم، وإليّ مصيرهم يوم القيامة للحساب والجزاء. وفي الآية زجر وتقريع لكفار قريش.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾ قل يا محمد لكفار قريش: يا أيها الناس إنما أنا لكم منذر ظاهر، أي: مخوف من عذاب الله إذا لم تؤمنوا به وحده ولم تتركوا عبادة الأصنام، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ فالذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات في حالة إيمانهم بالله لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم في جنات النعيم ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ والذين سعوا لإبطال أحكام آيات كتابنا معاندين ويزعمون أنهم يفوتون من عذابنا أولئك أصحاب الجحيم سيدخلون في عذاب مقيم.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ وما أرسلنا من قبلك يا محمد في الأيام الخالية من رسول ولا نبي إلّا إذا تمنى، أي: قرأ وتلا شيئًا ألقى الشيطان في أمنيته بالوسوسة،

فيبطل الله ويزيل ما يلقي الشيطان في نفس رسوله، ثم يثبت الله آياته الدالة على كمال قدرة الله ووحدانيته في ألوهيته وربوبيته، والله عليم بأحوال خلقه حكيم فيما صنع وحكم على خلقه.

ثم ذكر علة ذلك ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ ليجعل الله الوسوسة التي يلقيها الشيطان فتنة وبلية للذين في قلوبهم نفاق وشبهة لدين الإسلام وأهله المؤمنين والقاسية قلوبهم التي لا تلين للتذكير والموعظة وهم المشركون والكافرون وإنهم لفي خلاف وعصيان ومشاقة لله ورسوله، أي: لفي ضلال بعيد عن الرشد والهداية إلى الإيمان.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ وليعلم الذين أوتوا العلم من المؤمنين ويصدقون الذي أحكم من آيات القرآن هو الحق من ربك فيوقنوا به فتسكن وتطمئن به قلوبهم، وإن الله لهادي الذين آمنوا بربهم صدق الإيمان إلى صراط مستقيم إلى رضوان الله حتى يأتيهم اليقين.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ ولا يزال الذين كفروا بالله وبرسوله في شك من القرآن والدين إلى أن تأتيهم ساعة الموت فجأة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم، أي: لا يعقبه يوم بعده.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ الملك يوم القيامة لله الواحد القهار لا منازع له، يحكم بين

الخلائق بالعدل. ثم بين الفريقين ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٥٦﴾ فالذين آمنوا بالله وحده وآمنوا بكتبه المنزلة للرسل وعملوا الأعمال الصالحات لله تعالى امتثالاً لأمر الله وأمر رسوله هم يوم الآخرة في جنات النعيم متنعمون فيها على الأبد ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٥٧﴾ في الآخرة لا نجاة لهم منها أبدًا.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨﴾ والذين هاجروا، أي: تركوا أموالهم وديارهم في سبيل مرضاة الله ثم جاهدوا في سبيل الله وقتلوا شهداء أو ماتوا على فراشهم في دار هجرتهم، سوف يرزقهم الله رزقًا حسنًا في الجنة، وإن الله لهو خير من يرزق ويكرم الضيف.

﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ۝٥٩﴾ ليدخلن الله المهاجرين لله ولرسوله والمجاهدين في سبيله مكانًا عاليًا. في الجنة ويرضون بما رزقهم من نعيم الجنة وإن الله لعليم بمن يرزقه من نعيم الجنة حليم لا يعجل العقوبة لمن عصى أمره ليتوبوا ويعفو عنهم.

﴿۞ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٦٠﴾ قال ابن كثير في تفسيره: نزلت الآية في سرية من أصحاب رسول الله لقوهم جماعة من المشركين لليلتين بقيتا من محرم وأراد المشركون أن يقاتلوا، وقال المسلمون: هذا الشهر الحرام لا يحل فيه القتال، ولم يرض المشركون إلاَّ قتالهم فبغوا على المسلمين فقاتلوهم وانتصر المسلمن على المشركين. ولكن حصل في نفس المسلمين شيء. ومعنى الآية: ذلك الأمر الذي قصصنا عليك والجزاء والانتصار على من

عاقب، أي: فإنه من جازى بمثل الذي جوزي به ثم بغي عليه بالظلم لينصرنه الله، إن الله لعفو عن المظلوم غفور لذنوبه.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ﴾ ذلك النصر للمظلوم هو بأن الله قادر عل كل شيء، ومن قدرته يدخل الليل في النهار صيفًا وينتقص الليل، ويدخل النهار في الليل شتاء وينتقص النهار، وهذا أمر مشاهد لا يخفى على العاقل، وإن الله سميع لأقوال خلقه بصير بما في ضمائرهم وأعمالهم.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ ذلك البيان عن قدرة الله بأن الله هو الإله الحق وذو الحق وأن ما يعبد المشركون من دون عبادة الله هو الباطل وعبادة المشركين باطلة وإن الله هو العلي على كل شيء، الكبير من كل شيء.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ استفهام للتقرير، وفيه دليل على كمال قدرته تعالى ألم تعلم أيها المخاطب أن الله أنزل من السماء ماء مطر فتصير الأرض مخضرة بالزروع والعشب، وأن الله لطيف بعباده، خبير بأحوالهم، يرزقهم على قدر مقدر لهم ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾ وإن الله هو الغني عن خلقه، وهم الفقراء إليه، وهو المحمود في الأزل.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ ألم تعلم أيها المخاطب أن الله سخر لكم جميع ما في الأرض من الأنعام لركوبكم

في البر ومن الأشجار والزروع وسخر لكم السفن لركوبكم في البحر تجري بأمر الله وأنتم آمنين فيها من الغرق، ويمسك السماء أن تسقط على الأرض إلاَّ بإذنه ومشيئته، إن الله بالناس لرؤوف رحيم، حيث هيأ لكم جميع ما تحتاجون إليه في حياتكم لمصالحكم فيجب عليكم الشكر لله تعالى.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾﴾ وهو الله الذي أوجدكم من العدم للدنيا، وأنتم تعيشون فيها إلى تمام آجالكم، ثم يميتكم إلى يوم بعث الخلائق من قبورهم للحساب والجزاء، إن الإنسان لجحود لآلاء ربه. والمراد بالإنسان: الكافرون بربهم والجاحدون لنعمائه.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٦٧﴾﴾ قال النسفي: نزلت في مجادلة المشركين مع أصحاب رسول الله وقولهم أنتم تأكلون ما قتلتم بأيديكم ولا تأكلون ما قتله الله؟ يعنون به الميتة بغير ذبح، قال تعالى: لكل نبـي وأمته شرعنا لهم منسكًا، أي: شرعًا هم عاملون به فلا ينازعنك أحد يا محمد في أمر الذبائح وفيما شرع إليك ولا تلتفت إلى منازعتهم، وادع الناس إلى الإيمان بالله وحده ولا يشركوا به شيئًا، ولا تبال منازعتهم ومعاندتهم لك ولأصحابك، إنك يا محمد لعلى دين مستقيم إلى رضى ربك لا عوج فيه.

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ وإن جادلك المشركون في أمر الذبح وغيره وكل ما يخالف حكم شريعة الله فقل لهم يا محمد: الله أعلم بما تعملون من الأمور المخالفة لشريعة الله، الله يحكم بالعدل ويفصل بينكم وبين

المؤمنين يوم القيامة فيما كنتم فيه في حياتكم الدنيا تختلفون، وتعرفون حينئذ الحق من الباطل.

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ استفهام للتقرير، أي: فاعلم أن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، يعلم الذي في السماء والأرض، إن تلك الإحاطة بالأشياء بعلمه مكتوب في اللوح المحفوظ، إن ذلك على الله سهل، لأن كل المخلوقات وحركاتها وسكناتها محاطة بعلمه.

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ ﴾ ومع ما سبق تقريره على ألوهية وربوبية الله، يعبد هؤلاء المشركون ـ من دون عبادة الله ـ مَنْ لم ينزل الله بعبادته حجة، وهي الأصنام التي ليس لهم بحقيقتهما علم، إنما يقلدون لأسلافهم، وليس للمشركين بربهم من مانع من عذاب الله يوم القيامة.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾ وإذا تتلى على المشركين آيات كتابنا واضحات معانيها تعرف يا محمد في وجوه الذين كفروا بها الإنكار عليها، يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل لهم: أفأنبئكم بشر من صنيعكم؟؟ فإن لكم عذاب النار وعدها الله للذين كفروا بربهم وبكتابه، وبئس المرجع لهم ولا نجاة لهم منها أبدًا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ

ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ يا أيها المشركون ضَرَب الله لكم مثلاً لما تعبدون من الأصنام من دون عبادة الله فاستمعوا له، ثم وصف الله معبودهم: إن الذين تعبدونهم من دون عبادة الله لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابًا، ولو اجتمع جميع الأصنام لخلقه لا يستطيعون شيئًا، لأنهم جمادات، وإن يبتلع الذباب شيئًا مما بين أيديهم من الطعام لا يستطيعوا ردّه من الذباب. ضعف الطالب وهم الأصنام والمطلوب هم الذباب. وهذا مثل ضربه الله لعابدي الأصنام.

﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ وما عظموا الله حق تعظيمه، حيث جعلوا لله أندادًا من الأصنام الحقيرة الضعيفة في ذاتها. فإن الله قوي في ما يَصْنَعُه عزيز في أمره لخلقه.

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ في هذه الآية رد على الذين أنكروا رسالة رسول الله: إن الله يختار من الملائكة رسلاً لإنزال الوحي إلى رسله من البشر ليبلغوا عباده من الأوامر والنواهي، إن الله سميع لأقوالهم بصير بما يفعلون من خير أو شر.

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ ﴾ الله يعلم ما قد عملوا من الأعمال والأقوال وما لم يفعلوا وسيفعلوا، وكل في علمه، وإلى الله ترد أمور الخلائق فيحاسب عليها ويجازيهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ يا أيها المؤمنون بالله وحده اركعوا واسجدوا سجود العبودية لله وصلوا الصلوات الخمس على أوقاتها، وداوموا على عبادة ربكم، واعملوا أعمال الخير من صلة الأرحام والأيتام والفقراء لعلكم تفوزون بجنات النعيم.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ وجاهدوا أيها المؤمنون في طاعة الله حق طاعته، هو اختاركم من بين الأمم وفضلكم عليهم، ورسولكم أفضل الرسل، وما جعل عليكم في دينكم من ضيق ولا كلفكم ما لا تطيقونه، إنما أمركم على وسع طاقتكم من الأوامر، دينكم دين أبيكم إبراهيم عليه السلام، الزموه واستقيموا عليه، فإبراهيم سماكم المسلمين من قبل مجيئكم للدنيا.

وهذا التفضيل على الأمم والاستقامة في دين الله ليكون رسولكم محمد عليه الصلاة والسلام شهيدًا لكم عند الله يوم الأشهاد أنكم قد حفظتم دين الله وامتثلتم بأوامره واجتنبتم نواهيه واتبعتم سنة رسولكم، وتكونوا شهداء على الأمم السابقة التي قد بلغت رسلهم أوامر الله ونهتهم عن نواهيه، بعضهم أطاعوا رسولهم وبعضهم ما أطاعوا وخسروا بل كذبوا، فأقيموا الصلاة على أوقاتها مع المحافظة على شروطها وأركانها وسننها على قدر استطاعتكم، وآتوا زكاة أموالكم على مصرفها، واعتصموا في كل أموركم بكتاب الله لا تخالفوه، هو سبحانه وتعالى مولاكم، أي: يتولى أموركم، فنعم المولى ونعم النصير في الدنيا والآخرة.

الحمد لله، تمّت سورة الحج بعون الله.

* * *

سورة المؤمنون

آياتها مئة وثمان عشرة آية، وهي مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ قد أفلح، أي: فاز المؤمنون ببغيتهم وهي الجنة ولقاء ربهم فيها، ثم يذكر وصفهم: الذين هم في صلاتهم خاشعون لله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ والذين هم عن محل اللغو والهزل وأهلها معرضون ولا يسمعون كلامهم ولا يجلسون معهم ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ والذين هم لزكاة أموالهم مؤدون ويعطونها للفقراء والمساكين والأيتام الذين ليس لهم مال يعيشون به.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ يصف رجال المؤمنين بأنهم حافظون لأنفسهم عن الزنا والفاحشة إلاَّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فمن ابتغى غير ذلك فهم متجاوزون حد الشريعة وهاتكون حرمة الله.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾ والذين هم لأماناتهم، جمع أمانة وهي التي عاهد الله عليهم بحفظها من عمل أو قول، وكذا إذا

ائتمنهم إنسان من الودائع أو كلام فلا يغشّون أحدًا ولا يغدرون، فيحفظونها عليهم، ولعهدهم كذلك يحافظون ولا يخونون.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ وهذه آخر ما يذكر من صفاتهم هنا: وهم الذين يحافظون على الصلوات الخمس المكتوبة مع المحافظة على شروطها وأركانها وسننها ولا يهملونها عن وقتها ويصلونها مع الجماعة. الله سبحانه وتعالى ذكر في أول السورة خشوعهم في الصلاة.

وبعد ذكر أوصافهم في طاعة الله ذكر اهتمامهم ومحافظتهم على آداء الصلاة بواجباتها، ثم وعد الله لهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ أولئك المتصفون بتلك الأوصاف المذكورة هم الوارثون منازل أهل النار التي خصصت لهم في الجنة لو آمنوا، ثم بين بقوله: الذين يرثون الفردوس، ومقامهم في جنة الفردوس، وهبها الله لهم بأعمالهم المحمودة، وأما وراثتهم لجنة أهل النار فهو تفضلاً من الله لهم. وقال الخازن والنسفي: قال عليه الصلاة والسلام: «ما منكم من أحد إلاَّ له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى: ﴿أولئك هم الوارثون﴾، وجنة الفردوس أعلى الجنان، قال عليه الصلاة والسلام: «فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجير أنهار الجنة»، فهم فيها مقيمون أبدًا بنعيم سرمدي.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا

﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ ولقد خلقنا أصل الأنسان آدم من سلالة من طين قد سلت تربته من كل نوع من طين، في لغة بني تميم التراب يقال طينًا، ثم جعلناه، أي: صيرنا التراب نطفة في صلب آدم وإذا جامع زوجته نزلت تلك النطفة في رحم الزوجة في قرار مكين، أي: حريز من إصابة الأذى، ثم صيرنا النطفة علقة وهي الدم الجامد فصيرنا العلقة مضغة هي مثل لحم ممضوغ، ثم صيرنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا، وكل مرحلة من هذه تأخذ أربعين يومًا كما ورد في الحديث يقال: طورًا هي ثلاثة أطوار ثم أنشأناه خلقًا آخر وهو نفخ الروح فيه، وإذا نفخ فيه تحرك في بطن الأم، ويرزقه الله في بطن أمه إلى وقت الولادة، فتبارك الله أحسن الخالقين، فتعالى الله في صنعه وقدرته وحكمته في خلق آدم من تراب ثم خلق ذريته من ماء مهين، هو سبحانه وتعالى أحسن وأحكم في صنعه من المصوّرين إذ لا خالق إلاّ هو الله.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ ثم إنكم أيها الناس بعد تمام آجالكم في حياتكم الدنيا لميتون، أينما تكونوا يدرككم الموت ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾، أي: تبعثون من قبوركم أحياء وتحشرون للحساب والجزاء.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾، أي: ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس السموات السبع بعضها فوق بعض، وقيل طرايق، جمع طريق، هي مطلع الملائكة وهبوطهم منها، وما كنا عن أحوال الخلق غافلين، بل نحن عالمون بهم نحفظهم وندبر أمرهم.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ في الآية وعيد وتقريع لكفار قريش وغيرهم من الكافرين: وأنزلنا من السحاب ماء لمصالحكم وعلى حاجتكم، فأسكناه، أي: جعلناه في الأرض مستقرًّا لتنزعوه بالعمل من الآبار لتشربوا وتسقوا زروعكم ومواشيكم، وإنا على إذهابه بالتغوير في قعر الأرض لقادرون، فاشكروا الله حتى لا يذهبه.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ وأنبتنا لكم بهذا الماء أشجار بساتينكم من نخيل، جمع نخل، يعني: بأصنافها، وأعناب، جمع عنب، يعني: بأصنافها، لكم في بساتينكم فواكه كثيرة بأصنافها، ومنها تأكلون، والرطب والعنب وسائر الفواكه صيفًا، والتمر والزبيب شتاءً.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ وأنشأنا لكم بالماء شجرة هي شجرة الزيتون جعل الله أول نشأتها في طور سيناء وما حوله وهو جبل كلم الله عنده موسى عليه السلام، وهي تنبت ثمارها بالدهن وهو الزيت، صالح للإدام ودهن البدن، وإنما سماه الله صبغًا إذا غمس فيه الخبز يلونه، وهو أشهى للأكل.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ وإن لكم أيها الناس في الأنعام وهي الإبل والبقر والمعز والغنم لعبرة لمن يعتبر ويتأمل بها، نسقيكم مما في بطونها لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين، ولكم في الأنعام منافع كثيرة، فتجعلون من أوبارها وأصوافها ملابسكم، وتجعلون أشعار الغنم مفارشكم لبيوتكم، ومن لحومها تأكلون، وعلى الإبل تحملون أثقالكم في أسفاركم

وتركبون عليها، وعلى السفن في البحر تحملون أثقالكم وتركبون عليها في أسفاركم البحرية. وفي الآيات المتقدمة ذكر سبحانه وتعالى امتنانه على الإنسان، وهذه النعم توجب الشكر لله الواحد المنان.

قال تعالى متحدثًا عن السابقين: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ وأرسلنا نوحًا إلى قومه بالرسالة ليبلغ إليهم أمري فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، ليس لكم من إله غيره، وعبادة غيره شرك وباطل، أفلا تخافون عقوبته؟! استفهام للتحذير والتعجب من فعلهم.

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ وقال أشراف قوم نوح عليه السلام: ليس هذا إلاَّ بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم بدعواه إلى الإيمان به، ولو شاء الله إرسال رسول إلينا لأنزل ملائكة بالرسالة ليبلغ أمره إلينا، ما سمعنا بما يدعونا إليه في أسلافنا الأولين.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ ما هو إلاَّ رجل به جنون فانتظروا حتى يزول جنونه أو يموت ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾ قال نوح عليه السلام: يا رب انصرني عليهم بإهلاكهم بسبب ما كذبوني به فأجاب الله دعاءه.

قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ فأمرنا نوحًا عليه السلام بالوحي بأن اصنع السفينة بنظرنا وإشرافنا وإلهامنا لتصنع الفلك، فإذا جاء

أمرنا بإنزال العذاب عليهم وعلامته خروج الماء من التنور أوحينا إليك لحمل من آمن بـي وبرسالتك، فأدخل في السفينة من كل نوع من الحيوانات زوجين اثنين ذكرًا وأنثى كيلا ينقطع نسلها، وأهلَكَ، والمراد من أهل من آمن به، إلاَّ من سبق عليه القول لإهلاكه كابنه، ولا تخاطبني، أي: فلا تسألني الشفاعة في الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والتكذيب بك إنهم مغرقون بماء الطوفان وهذا ما حصل لابنه.

﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ فإذا استويت أنت ومن معك راكبين في السفينة، قل: الحمد لله الذي نجانا من الكافرين بربهم ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ وقل يا نوح إذا أردت الخروج من السفينة: يا رب أنزلني ومن معي منزلاً مباركًا لا يأتينا السوء منه، وليكون لنا بركة في أرزاقنا وذرياتنا، وأنت يا رب خير المنزلين.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ إن في ذلك الإغراق لمن كفر بنوح، وإنجاء من آمن به من الغرق لآيات دالات على كمال قدرتنا، وقد كنا مختبرين الأمم السابقة كما اختبرنا قوم نوح عليه السلام.

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ ثم خلقنا من ذرية أهل السفينة خلقًا آخرين، وهم عاد قوم هود عليه السلام ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ فأرسلنا في قوم عاد رسولاً منهم هو هود عليه السلام فقال لقومه: أن اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، ليس لكم من إلـه غير الله، هو المعبود الحق، أفلا تخافون عقابه إن عبدتم غير خالقكم؟!.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ وقال الأشراف من قوم هود، الذين كفروا بربهم وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم، أي: وسعنا أرزاقهم في حياتهم الدنيا فبطروا وطغوا وكفروا بربهم وكذبوا بأخبار لقاء يوم القيامة، قالوا: ما هذا، يعنون هودًا عليه السلام، إلاَّ بشر مثلكم يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون، ولئن أطعتم له أطعتم بشرًا مثلكم، إنكم إذًا لخاسرون في اتباعكم له.

﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ استفهام للإنكار، قالوا منكرين للبعث: أيعدكم هود أنكم إذا متم وصرتم ترابًا وعظامًا لمبعوثون من قبوركم أحياء؟! ﴿ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ بعيد بعيد ما توعدون.

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ ليست الحياة بعد الموت إلاَّ حياتنا في الدنيا نموت ونحيا في الدنيا وما نحن بمبعوثين من قبورنا.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ ولما يئس هود عليه السلام من إيمانهم وعرف إصرارهم على كفرهم ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ قال هود عليه السلام ملتجأ إلى ربه: يا رب انصرني عليهم بسبب ما كذبوني، فأجابه تعالى: لدعائه ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾، أي: عما قليل من الزمن ليصيرن نادمين لكفرهم وطغيانهم.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ

أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ فأمر الله جبريل عليه السلام فصاح عليهم، وأمر الأرض فرجفت بهم، فأخذتهم الصيحة الشديدة من فوقهم، وتقطعت قلوبهم ورجفت الأرض من تحتهم، ودمرت ديارهم، فجعل الله جسمانهم غثاء كغثاء السيل وهو الزبد الطافي فوق الماء، لا ينفع بشيء، فبعدًا من رحمة الله للقوم الكافرين بربهم. وبعد هلاكهم خلقنا أقوامًا آخرين وأسكناهم في ديارهم.

﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ ما تسبق من أمة كافرة لربهم ومكذبة لنبيهم عن وقت هلاكها ولا يتأخرون عنه، وكل شيء في علم الله مقدر.

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ وبعد هلاك قوم عاد أرسلنا رسلنا مترادفين لتبليغ أمرنا إلى الأمم، كلما جاء أمة رسولها فكذبوه ولم يصدقوا برسالة الله، فأتبعنا بعضهم بهلاك بعد هلاك، أمة بعد أمة، وجعلنا شأن هلاكهم وكفرهم أحاديث لتقرأ، فيتذكر مَنْ بعدهم ويعتبر. فبعدًا عن رحمة الله لقوم لا يؤمنون بربهم، ويجحدون نعماء الله.

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ وبعد ذهاب القرون السابقة أرسلنا موسى وأخاه هارون بمعجزات وحجة ظاهرة هي العصا واليد البيضاء وغيرهما من المعجزات، وسبق ذكرها وتفسيرها في سورة الأعراف، أرسلناه إلى فرعون وأشراف قومه، ليطلقوا معهم بني إسرائيل يصدقوا برسالة موسى عليه السلام ولم يصدقوا بالمعجزات، فاستكبروا عن الإيمان بالله، وكان

فرعون وملائه قومًا عالين جبارين على بني إسرائيل، ظالمين عليهم، ومصرين على كفرهم وظلمهم لبني إسرائيل.

﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ فقالوا منكرين لرسالة موسى عليه السلام: أنصدق لموسى وهارون وهما بشر مثلنا، وقومهما بنو إسرائيل لنا طائعون في خدمتنا كالعبيد.

﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ فكذبوا رسولنا موسى وهارون واستمروا على كفرهم، والظلم لبني إسرائيل، واستحقوا عقابنا، فأهلكناهم في البحر، فكانوا جميعهم من المغرقين، ولم ينج منهم أحد.

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ ولقد أتينا موسى التوراة لكي يهتدي به بنو إسرائيل إلى الرشد والهداية إلى شرائع دين الله ويعملوا بما فيه من الأوامر ويجتنبوا النواهي.

﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴿٥٠﴾ ﴾ وجعلنا عيسى ابن مريم وأمه مريم آية دالة على كمال قدرتنا؛ لأن عيسى خلق من غير نطفة أب. مثله كآدم فآويناهما، أي: جعلنا منزلهما ومقرهما إلى أرض مرتفعة مستوية ذات معين، أي: يجري فيها ماء العيون وهي بيت المقدس.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ يخاطب الله كل نبي في زمانه، يا أيها الرسل: كلوا من الرزق الحلال واعملوا عملاً صالحًا، إني بما تعملون عليم، ولا تخالفوا أمري. والخطاب للرسل، لأنهم يبلغون أمر الله لأمتهم.

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ وإن هذه الطريقة التي أنتم فيها وهي دين واحد وملتكم واحدة فلا تختلفوا فيه، وأنا ربكم فاتقوني ولا تخالفوا أمري. وقد بلغ الرسل أممهم ذلك.

وبعد ذهاب الرسل ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ فتفرقوا في أمر دينهم فرقًا، فاليهود تفرقوا وحرفوا ما في التوراة، وكذا النصارى، كل فرق منهم يدّعون أنهم على الحق ويفرحون بما عندهم، وفي الآية تسلية للنبي محمد ﷺ.

﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ فاتركهم يا محمد إن لم يقبلوا تذكيرك في جهلهم وضلالتهم إلى أن يأتيهم عقابي أو الموت وأنا أحاسبهم وأجازيهم.

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ في الآية وعيد لكفار قريش: أيظن هؤلاء المشركون أن الذي نعطيهم من مال واسع وبنين، ونسارع ونعجل لهم الخيرات هو ثواب لهم؟! لا إنما هو استدراج لهم، ولكن لا يشعرون بذلك فهم في غمرتهم غافلون.

وبعد ذكر غفلة الكافرين في حياتهم يذكر سبحانه وتعالى تيقظ المؤمنين وانتباههم في مخافة الله، وهذه سنة الله في كتابه العزيز ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ يخبر سبحانه وتعالى عن أوصاف المؤمنين: إن المؤمنين الصادقين هم من خشية ربهم خائفون، والمعنى هم على الدوام على خشية من عقاب الله، وهم الذين بآيات ربهم يوقنون ولا يشكون فيها أبدًا، وهم الذين بعبادة ربهم موحدون لا يشركون معه غيره أبدًا ويتحذرون

من الشرك وأعماله، وهم الذين يؤتون زكاة أموالهم لا يبخسون منها ومع ذلك فقلوبهم وجلة فيها خوف من أنه لا تقبل أعمالهم ولا يرجعون إلى ربهم بالرضا أولئك يسارعون في الأعمال الخيرية إن كانت بدنية أو مالية وهم لأعمال الصالحات يسابقون ولا يهملونها.

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾، أي: لا نكلف أحدًا إلاَّ على قدر طاقة نفسه، مثلاً إن لم يقدر أن يصلي قيامًا فله أن يصلي قاعدًا، وإن لم يستطع استعمال الماء في الوضوء أو في الغسل فله أن يتيمم بصعيد طاهر، وغير ذلك من الرخص، وعندنا كتاب في اللوح المحفوظ ينطق بالحق من أعمال العباد، وهم لا يظلمون في جزاء أعمالهم.

﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ ولكن قلوب الكافرين في غفلة وجهالة من تذكير القرآن، ولهم أعمال، أي: خطايا لا بد أن يعملوها من دون الحق، من غير أعمال المؤمنين، هم لها عاملون على هوى أنفسهم. وقيل غير ذلك.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ إلى أن أخذنا متنعميهم وأغنيائهم بالعذاب المعجل عليهم. وقيل: إن ذلك يوم بدر؛ إذا هم يصيحون بالاستغاثة ويجزعون من الألم.

﴿ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ يقال لهم لا تصيحوا ولا تستغيثوا اليوم، إنكم أيها المجرمون لا تمنعون من عذابنا.

﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ يعاتب الله عليهم: قد كانت آياتي تتلى عليكم وتذكركم

فكنتم على أعقابكم ترجعون، ولا تقبلونها، متكبرين عن استماع تلاوة القرآن، سامرين في الليل حول الكعبة، تهجرون القرآن والنبي ﷺ والمؤمنين وأنتم تتسامرون بأحاديث أسلافكم.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تذكير القرآن ومواعظه، وقد خوطبوا به فأنكروه وأعرضوا عنه، إنه منزل بلسانهم فيا أسف على جهلهم وسوء حظهم، بل جاء القرآن من الله فيه ما لم يأت به آباؤهم الأولين.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أم لم يعرفوا رسولهم محمدًا أنه أمين وصدوق في كل شأنه من صغره؟! فهم له منكرون؟! يقولون فيه أنه ساحر كاهن مجنون؟!

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ أم يقول هؤلاء المشركون أن محمدًا به جنون؟! قال تعالى ردًّا عليهم بحرف الإضراب بل جاء محمد بالحق من أمر ربه، بالرسالة، لا شك فيها، ولكن أكثر قريش هم المشركون، وللحق كارهون، تعنُّتًا وعنادًا.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ قال: ولو اتبع الحقُّ الذي جاء محمد به أهواءهم أو موافقًا لرغباتهم الفاسدة لفسد أهل السموات السبع والأراضين السبع ومن فيهن من المخلوقات عن النظام الذي شرع الله لهم، بل أتينا بما فيه ذكر شرفهم وعلو نسبهم، والرسول محمد منهم، والقرآن أنزل على لسانهم، ومع ذلك فهم عن ذكر أوصافهم معرضون، ولم يصدقوا برسالة محمد وبالقرآن الكريم؛ وذلك من شقاوتهم الأزلية.

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ أم تسألهم يا محمد أجرًا على تبليغ أمري إليهم؟! أنت لا تسأل منهم شيئًا، فثواب ربك خير لك من حطام الدنيا وهو الله خير المعطين.

﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ ﴾ وإنك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين إلى طريق مستقيم، إلى دين الحق الذي يوصلهم إلى جنات النعيم.

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ وإن الذين لا يؤمنون بالبعث من قبورهم أحياء ولا يصدقون بالحساب والجزاء عن طريق الحق، لعادلون إلى الباطل.

﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ ولو رحمنا هؤلاء المشركين في الدنيا وكشفنا الذي بهم من ضر وجدب وقحط لتمادوا واستمروا في طغيانهم وضلالتهم يعمهون، أي: يترددون ويتخبطون لاهون.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ ولقد أخذ الله المشركين بالمصائب كالقحط والجوع، فما خضعوا لربهم وما كانوا يتضرعون إليه خاشعين، وذلك تماديًا وعنادًا.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ واستمروا على شركهم وطغيانهم، حتى إذا فتحنا عليهم بابًا ذا عذاب شديد إذا هم متحيرون في العذاب آيسون من كل خير وفرج وقيل: هو عذاب بدر، وقيل الجوع والقحط سبع سنين.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ يُعرِّفُهم هنا كمال قدرته وكثرة نعمه:

وهو الله الذي جعل لكم السمع لتسمعوا به الخطاب، والأبصار لتبصروا بها آيات الله وتستدلوا بها على كمال قدرة الله، والأفئدة، جمع فؤاد، وهو القلب محل العقل والبصيرة لتعقلوا وتبصروا الحق من الباطل وتتأملون في صنع الله. ولكنكم قليلاً ما تشكرون على تلك النعم، والقليل كالعدم. وهو الله الذي خلقكم من نفس واحدة من نفس آدم ثم أنشأكم وبثكم في الأرض، تعيشون فيها إلى أجل مسمى لكم، وتموتون وتقبرون فيها، وتبعثون منها أحياء يوم البعث إلى الله فتحشرون للحساب والجزاء.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

وهو الله الذي يحيي الخلائق ويرزقهم في حياتهم ويميتهم عند تمام آجالهم للموت، وله تصريف اختلاف الليل والنهار صيفًا وشتاء، فينقص الليل في الصيف ويطول النهار، ويطول الليل في الشتاء وينقص النهار، أفلا تعقلون بتلك الدلائل كُنْهَ وكمال قدرة خالقها وربوبيته ووحدانيته الذي هو الله لا إلـه غيره، وغيره مخلوق ومقهور تحت قهره.

وقال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ بل قال كفار مكة منكرين للبعث مثل ما قال الأولون من المنكرين للبعث قالوا: أإذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا في القبر أإنا لمبعوثون أحياء من قبورنا؟ قالوا تلك المقالة استهزاء واستبعادًا للبعث. وفي الآية تعيير لهم.

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ قال كفار مكة: لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا الذي وعدنا محمد من قبل وَعْدِ محمد، ما هذا إلاَّ أساطير الأولين تقوّلها محمد علينا.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ قل لهم يا محمد: لمن الأرض ومن فيها من المخلوقات إن كنتم تعلمون من هو مالكها ومتصرفها ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ ولا بد أن يقولوا ذلك فقل لهم: ألا تعتبرون وتتأملون فيها أن من قدر على الخلق ابتداء قادر على إحياء الموتى؟ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ قل يا محمد لهم: من خالق السموات السبع ومن فيهن من المخلوقات وخالق العرش العظيم؟ سيقولون: الله خالقها ومالكها. فقل لهم: أفلا تخافون من عذابه حيث تجعلون له شريكًا وجعلتم له ما تكرهون فادعيتهم أن الملائكة بنات الله؟! إلى غير ذلك.

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ قل لهم يا محمد: من بيده ملكوت، أي: ملك كل شيء ــ زيادة الواو والتاء للمبالغة ــ وهو يجير من استجار به ولا يجار عليه، أي: لا يغاث أحد من عذابه؛ لأنه هو المالك يوم القيامة وغيره مقهور تحت قهره وأمره، (إن كنتم تعلمون)، أي: تعلمون الأمور والحقائق سيقولون: لله، أي: نعبد الله ونصرف العبادة له. قل لهم يا محمد: فأنى تسحرون، أي: كيف تخدعون وتصرفون عن طاعته وتوحيده، وتدّعون له بدعوى كاذبة؟ والاستفهامات الثلاثة للتبكيت والتوبيخ.

فرد الله عليهم بحرف الإضراب ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾ بل جئناهم بالصدق، وإن المشركين لكاذبون في دعواهم أن الملائكة بنات الله وله شريك.

ثم أكد الرد عليهم: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ ما اتخذ الله ولدًا من الملائكة ولا من البشر؛ لأن الله واحد في ذاته وصفاته، ليس كمثله شيء، وما كان معه من إلـه غيره، إن كان إلـه غيره لذهب كل إلـه بما خلق، وتنازعا الملك، ولعلا بعضهم على بعض بالسلطة مثل ملوك الدنيا، هو الله الواحد عالم الغيب والشهادة، لا يخفى عليه شيء من شأن خلقه، فتعالى الله عما يشرك المشركون.

ثم علم الله نبينه ما يدعو به: ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ قل يا محمد: يا رب، إن تريني من العذاب الموعود عليهم فأخرجني منهم ولا تجعلني في العذاب مع القوم الظالمين لأنفسهم بالشرك بربهم والعصيان لأمره. كان رسول الله ﷺ يعلم أن الله لا يجعله مع القوم الظالمين إذا نزل بهم العذاب ولكن الله عز وجل علمه هذا الدعاء ليعظم أجره وليكون دائم الذكر لله عز وجل.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ وإنا على أن نريك يا محمد ما نعد أعداءك المشركين لقادرون، ولكن نؤخر العذاب لحكمة منا فلا تستعجل واصبر وقد أراه الله فيهم الجوع والسيف ونجاه منهم.

ثم أمر بالصفح ومكارم الأخلاق خاصة في الأمة ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾. ادفع يا محمد بالخلق الحسن الخلقَ السيء فلا تقابلهم بالمثل، نحن أعلم بما يصفون الله من الشرك والتكذيب. وقال بعض المفسرين: هذه الآية منسوخة بآية القتال.

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ الشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾

وهذا تعليم من الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام الاستعاذة: وقل يا محمد: أعتصم بك يا رب من نزغات الشياطين ووسوستهم وأعتصم بك يا رب أن يكونوا معي في أموري، أو يحضروني بسوء.

ثم عاد الله بالكلام إلى ذكر الكفار والمشركين: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ إنهم مصرون على شركهم وعصيانهم وتكذيبهم برسول الله حتى إذا جاء أحدهم ملك الموت وأعوانه لقبض روحه تيقن أنه على ضلال وعاين الملائكة تقبض روحه قال: يا رب ردوني إلى الحياة الدنيا، لعلي أعمل عملاً صالحًا امتثالاً لأمرك فيما ضيعت من عمري. إنما عبر بصيغة الجمع إجلالاً لله تعالى حين لا ينفع إجلالهم. فرد الله عليه بكلمة الردع ﴿ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ كلا لا رجوع لهم إلى الدنيا، إنها كلمة يقولونها تحسُّرًا وندامة، ومن ورائهم برزخ يمنعهم من العودة إلى يوم يبعثون أحياء من قبورهم ويحشرون للحساب والجزاء.

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ المراد بهذا النفخ، النفخة الثانية وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إن النفخة الأولى للموت، فصعق كل من في السموات ومن في الأرض فماتوا في الحال فعندئذٍ لا أنساب بينهم ولا يتساءلون، والنفخة الثانية للبعث فإذا هم قيام من قبورهم أحياء يتساءلون عن شأنهم وذلك قبل الحشر للحساب، فإذا جاؤوا عند موقف الحساب يحاسبون وتوزن أعمالهم.

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ فمن ثقلت حسناته، أي: رجح وزن أعماله الصالحة على سيئاته فأولئك هم الفائزون بالجنة

يتنعمون إلى الأبد ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ ومن خفت موازين أعماله بالكفر بربه وبارتكاب المعاصي فأولئك الذين غبنوا أنفسهم في حياتهم الدنيا وهم في عذاب جهنم مقيمون على الأبد، تلفح، أي: تحرق وجوههم حرارة النار، وهم فيها كالحون، أي: متغيرو الوجوه ومقبوحو المنظر.

ويعاتب الله عليهم ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ ألم تُقرأ عليكم آيات كتابي بالتوضيح والبيان، فكنتم تكذبون رسلي ولم تصدقوا بها؟! الاستفهام للتوبيخ والتشنيع.

﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ قالوا: يا ربنا غلبت علينا شقاوتنا الأزلية من لذات وأهواء وكنا في الدنيا قومًا ضالين عن طريق الهداية إلى طريق الكفر والضلالة. وبعد اعترافهم بكفرهم وضلالتهم التجأوا إلى الله سائلين: يا ربنا أخرجنا من عذاب جهنم لنعمل عملاً صالحًا ونؤمن بك، فإن عدنا إلى الكفر والمعاصي فإنا ظالمون لأنفسنا مرة ثانية.

﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ قال الله ردًّا عليهم: اخسؤوا فيها، أي: ذلوا وأخضعوا في نار جهنم مهينين ولا يرفع العذاب عنكم، ولا تكلموني في الاستغاثة من العذاب فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ قيل: نزلت الآية في فقراء من أصحاب رسول الله كبلال وعمار بن يسار وصهيب، وكان كفار قريش يستهزؤون بهم. ومعنى الآية: إن الأمر والشأن أنه كان جماعة من عبادي المؤمنين يقولون: يا ربنا آمنا

بك فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا في شأننا كله وأنت خير الراحمين، ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ فاتخذتم يا كفار قريش فقراء المسلمين سخريًا تسخرون وتستهزؤون بهم حتى أنساكم اشتغالكم بهم ذكري وكنتم عليهم تضحكون، فاليوم يوم جزائكم في عذاب جهنم.

قال تعالى: ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ إني جزيتهم اليوم جزاء حسنًا بسبب ما صبروا على أذاكم، إنهم هم الفائزون بنعيم جنات النعيم، وأنتم دائمون في عذاب الجحيم.

وقال الله للكفار ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ قيل: هذا السؤال في القبور، وقيل: في عرصات القيامة أو في النار: كم مكثتم في حياتكم الدنيا من عدد السنين؟! قالوا: لبثنا في الدنيا يومًا أو بعض يوم؛ ظنوا قلة حياتهم في الدنيا من طول يوم القيامة وأهوالها وعذابهم في جهنم، فأنساهم شدة العذاب ما كانوا فيه من الدنيا أو استقصروا مدة لبثهم في الدنيا مسرورين مقارنة بالعذاب والهول في الآخرة، ثم قالوا: فاسأل العادين في الحساب إذ لا نعرف باليقين.

﴿ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ قال تعالى: ما لبثتم في الدنيا إلاَّ قليلاً لو أنكم تعلمون قدر مكثكم في الدنيا. وذلك أن المكث في الدنيا محدود، وفي الآخرة مستمر فيستشعرون طوله.

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ أفحسبتم وظننتم أيها المشركون أنما خلقناكم عبثًا لا لحكمة منا للعبادات وتكاليف الأوامر وأنتم تلهون وتأكلون وتشربون كالبهائم لا حساب عليكم ولا جزاء، وإنكم إلينا لا ترجعون بأعمالكم؟!

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ﴾ من أن يخلق شيئًا عبثًا، هو ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ المالك لكل شيء بالحق لا إله غيره، هو خالق العرش. ثم وصف نفسه بالكريم لأنه يكرم المؤمنين في الدنيا والآخرة ويهن الكافرين والمشركين والمنافقين في عذاب جهنم.

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ ومن يدع مع الله إلـهًا غيره ويعبده لا حجة له عليه فإنما حسابه عند ربه فيحاسبه عليه يوم القيامة ويعاقبه إن الشأن لا يفلح الكافرون من عذاب الله.

بدأ الله السورة بـ ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ وختمها بـ ﴿لا يفلح الكافرون﴾ ثم أمر نبيه محمدًا ﷺ بالاستغفار تعليمًا لأمته ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ وقل يا محمد يا رب اغفر ذنوب أمتي وارحمهم وأنت خير الراحمين.

الحمد لله، تمّت سورة المؤمنون بعون الله.

* * *

سـورة النـور

آياتها أربع وستون آية، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ ﴾ هذه السورة أنزلناها وأوجبنا عليكم أيها المؤمنون العمل بما فيها من الأحكام، وأنزلنا فيها آياتٍ بيناتٍ واضحاتٍ معانيها في أحكام التشريع لعلكم تتذكَّرون وتتفهَّمون ما فيها من الأوامر والنواهي.

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ﴾ فاجلدوا أيها الحكام الزانين غير المحصنين، فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، وإن كان أحدهما محصنًا يرجم، والثاني غير محصن يجلد مائة جلدة ويغرب عن بلده سنة. وقيل: المرأة لا تغرب، وبدل التغريب يكون الحبس لها. وإن كانا محصنين يرجمان ولا تأخذكم في عقوبتهما رحمة في حكم شريعة الله فتخففوا الضرب أو تنقصوا من العدد أو تعطلوا الحد إن كنتم تؤمنون بأحكام الله؛ لأنها واجبة عليكم، وليحضر وقت عذابهما جماعة من المؤمنين ليكون زجرًا لغيرهما وزيادة للإهانة لهما.

﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ قيل: نزلت الآية في أناس من فقراء المسلمين من المهاجرين، وكان في المدينة نساء بغايا من عهد الجاهلية وكن مخاصيب بالكسوة والطعام، فرغب الفقراء نكاحهن، واستأذنوا من رسول الله ﷺ، فنزلت الآية تنهاهم عن زواجهن صيانة لهم. وبين في قوله أنّ الزاني لا يتزوج إلاَّ زانية مثله في القبح والخبث أو يتزوج مشركة، والزانية لا يتزوجها إلاَّ زان مثلها في القبح والخبث أو مشرك؛ لأن المشرك والمشركة لا دين لهما ولا يعرفان أحكام شريعة الله؛ فيعيشون في الدنيا كالبهائم. وحُرِّم ذلك على المؤمنين، ويجب عليهم أن يتزوجوا من المؤمنات العفيفات، وإن لم يقدر أحد على زواج المؤمنة فله أن يصوم ويصبر إلى أن ييسر له الله.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ والذين يقذفون، أي: يتهمون المحصنات زورًا بالزنا، ثم لم يأتوا بأربع رجال عادلين يشهدون على صحة قذفهم فاجلدوهم أيها الحكام، كل واحد ثمانين جلدة، وهي الضرب بالسوط عقوبة لهم، ولا تقبلوا شهادتهم أبدًا، وهم ساقطون عن العدل والصدق، وأولئك هم الخارجون عن طاعة الله لإتيانهم بالقذف والاتهام الكاذب للبريء. إلاَّ الذين تابوا من قذفهم للبريء، وأصلحوا شأنهم بالصدق والأمانة فاقبلوا شهادتهم؛ فإن الله غفور لذنوبهم، رحيم بعباده المؤمنين.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ والذين

يقذفون زوجاتهم بالزنى ولم يكن لهم شهداء ليشهدوا على صدق اتهامهم لزوجاتهم بالزنى إلاَّ أنفسهم، فشهادة الرجل أربع شهادت بالله، أي: يحلف بالله: إنه لمن الصادقين في قذفه، وفي الشهادة الخامسة يقول: إن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين في قذف زوجته. ﴿ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾ ويدفع عن الزوجة المقذوفة العقوبة بأن تشهد أربع شهادات، تحلف بالله: إنه لمن الكاذبين، وفي الشهادة الخامسة تقول: إن غضب الله عليها إن كان زوجها من الصادقين. هذه هي الملاعنة، وبعدها تقع الفرقة بينهما، وإن ولدت فلا ينسب ولدها لزوجها.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ ولولا فضل الله عليكم ورحمته أيها المسلمون لعجل عليكم العقوبة بسبب معاصيكم، ولكن الله تواب، أي: قابل لتوبة المذنب، حكيم فيما شرع لكم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ هذه الآية والتي بعدها من الآيات نزلت في تبرئة أم المؤمنين، عائشة رضي الله عنها، مما اتهمت به من الزنا بعد غزوة بني المصطلق. وقد أخرج البخاري في صحيحه وغيره من أصحاب السنن والتفسير من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع [بين نسائه] فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه. قالت: فأقرع بيننا في غزوة غزاها [هي غزوة بني المصطلق] فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أنزل الحجاب، فأنا أُحمل في هودجي وأُنزل فيه. فسرنا حتى إذا فَرَغ

رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقَفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت. . . فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فإذا عقد لي. . . قد انقطع، فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه. وأقبل الرهط الذين يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري. . . وهم يحسبون أني فيه [حيث كانت جارية حديثة السن خفيفة اللحم، فحملوا الهودج على البعير وساروا]، تقول: فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع. . فأممت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني. . . فبينا أنا جالسة. . . فنمت. وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش، فأدلج. . . فرأى سواد إنسان. . . فعرفني. . . فاستيقظت باسترجاعه، حين عرفني فخمّرت وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فركبتها، فانطلق يقود بي راحلته حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك. وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول. فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً، والناس يُفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك. . . ولا أشعر بالشرِّ حتى خرجت بعدما نقهت، فخرجت مع أم مسطح قِبَل المناصع وهو متبرزنا، . . . فأقبلت أنا وأم مسطح قِبَل بيتي وقد فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ قالت: أي هنتاه! أو لم تسمعي ما قال؟. . . قلت: وما قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي. . . ودخلت بيتي، ودخل علي رسول الله ﷺ ـ تعني سلم ـ. . . فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟. . . فأذن لي رسول الله ﷺ. فجئت أبوي، فقلت لأمي: يا أمتاه، ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله

قلّما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلاَّ أكثرن عليها. قالت: فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدث الناس بهذا؟!... فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم. فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبـي طالب، وأسامة بن زيد رضي الله عنهما... يستأمرهما في فراق أهله. قالت: أما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله،... فقال: ...أهلك وما نعلم إلاَّ خيراً. وأما علي بن أبـي طالب فقال: ... لم يضيق الله عليك، والنساء كثير... فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فسألها... قالت: لا والذي بعثك بالحق إن رأيتُ عليها إلاَّ أمراً أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله. فقام رسول الله ﷺ على المنبر وقال: ... من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه أهل بيتي... فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. فقام سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج،... فقال لسعد: كذبت... لا تقتله ولا تقدر على قتله... فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا، وسكت. قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم... قالت: فأصبح أبواي عندي... قالت: فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلَّم ثم جلس... وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأننا. قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: أما بعد، يا عائشة فإنه قد بلغني عنك... فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبـي إليه... قالت: فلما قضى مقالته قلص دمعي... فقلت: إني والله لقد علمت، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم... والله يعلم أني

بريئة... فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. قالت: ثم تحوَّلت فاضطجعت على فراشي... فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد... حتى أُنزل عليه... فلما سرِّي عن رسول الله ﷺ سُرِّي عنه وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها: يا عائشة، أمّا الله عز وجلّ فقد برّأك... وأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ...﴾ العشر آيات كلها...» إلخ. ويمكن مراجعة القصة في تفسير الخازن بتفصيل. ونعود إلى تفسير الآيات:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ إن الذين بهتوا عائشة الصديقة رضي الله عنها بأسوء الكذب والبهتان وهي بريئة منه لا تحسبوه يا آل أبـي بكر ويا أيها المؤمنون شرًّا لكم، بل هو خير لكم. قال العلماء: والخير فيه خمسة: نزلت الآيات في براءتها، وتتلى إلى يوم القيامة، ولها ولأهلها ثواب عظيم، وموعظة وعبرة للمؤمنين، والانتقام من الباهتين المفترين ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ لكل إنسان من المفترين جزاء على قدر ما اكتسب من إثم افترائه، والذي تولى إشاعة البهتان وتعظيمه له عذاب عظيم في جهنم، وهو عبد اللهبن أبـي ابن سلول رئيس العصبة التي أشاعت أكاذيبه في الناس في حق عائشة البريئة رضي الله عنها.

قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ هلا حين سمعتم أيها المؤمنون ذلك البهتان في حق عائشة البريئة مما بهتوه وكذبوه عليها هلاَّ ظننتم خيراً؟! يجب أن يظن المؤمنون والمؤمنات في أنفسهم خيرًا في حق عائشة، ولا يشكوا في براءتها. وكان خيراً لهم لو قالوا: هذا الذي افتراه المنافقون كذب ظاهر. ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ هلا جاء هؤلاء المنافقون على

صدق افترائهم وبهتانهم على الصديقة عائشة بأربعة شهداء عادلين؟! وحيث لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله وعند المؤمنين هم الكاذبون أبدًا.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ هذا امتنان من الله جلّ وعلا على أهل الإفك والذين صدقوهم: ولولا تفضل الله عليكم بإمهال العقوبة عنكم في الدنيا لتتوبوا عن جريمتكم ويغفر لكم ذنوبكم في الآخرة فيما خضتم فيه فلولا فضل الله لأصابكم عذاب عظيم. وفي الآية ترغيب للتوبة الصادقة.

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ حيث تتلقون القول بألسنة بعضكم البعض وتتكلمون بأفواهكم كلامًا ليس لكم بصحته علم حقيقي، وتحسبونه سهلاً لا إثم فيه، ولكنه هو عند الله إثم عظيم يوجب العقاب الشديد.

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ هلا حين سمعتم أيها المؤمنون القول بالافتراء على عائشة البريئة قلتم: ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا الكذب والبهتان عليها، سبحانك يا ربنا، هذا الذي يقوله المنافقون بهتان عظيم على عائشة البريئة، ونحن لا نصدقه!.

﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ يعظكم الله بالتذكير، وينصحكم أيها المؤمنون؛ لكيلا تعودوا لمثل هذا البهتان والقذف أبدًا، وابتعدوا عن استماعه إن كنتم مؤمنين بالله وحده، ولا تخالفوا ما أمر الله به ونهى عنه. فالله يبين لكم أحكام آيات كتابه، لتعملوا بها. والله عليم بما شرع لكم، وحكيم في أمره فيه، وذلك لحكمة منه لصالحكم في الدنيا والآخرة.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ إن المنافقين الذيت يحبون أن ينتشر اسم القبيحة والقذف بالزنا في حق الذين آمنوا بالله وحده صِدْقَ الإيمان بربهم وهم بريؤون عنها إن هؤلاء المنافقين لهم عذاب أليم، بإيجاب حد القذف عليهم بالجلد، وإن لم يتوبوا بعد ذلك لهم عذاب شديد في جهنم أبدًا، والله يعلم بما في قلوب المذيعين اسم الفاحشة في الناس، وأنتم لا تعلمون أيها المؤمنون فساد قلوبهم.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ لعجل لكم العقوبة في الدنيا أيها المسيئون ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ لعباده المؤمنين برحمته، يؤخر العقوبة عنهم ليتوبوا عن ذنوبهم فيغفر لهم.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وحده لا تتبعوا إغواء الشيطان وتزيينه الفاحشة، ومن يتبع إغواء الشيطان وتزيينه فليحذر؛ فإنه يأمر من اتبع طريقته بالأعمال الفاحشة والمنكرة في شريعة الله.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ ولولا فضل الله عليكم أيها المؤمنون ورحمته ما طهر منكم أحد من ذنوبه، ولكن الله يطهر من يشاء من عباده، فيوفقه بالتوبة الصادقة، فيتوب إلى الله فيغفر له، والله سميع لأقوالكم، عليم بما في ضمائركم وما تعملونه.

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ قيل: نزلت الآية في أبـي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان أبو بكر

الصديق رضي الله عنه ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته له، وكان مسطح قد دخل مع أهل الإفك في شأن عائشة البريئة رضي الله عنها فأقسم أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق عليه بعد الذي قال في عائشة. وقطع عنه إنفاقه، فأنزل الله الآية: أنه لا يحلف أولوا الفضل من المال والسعة في الرزق من المسلمين أو يقصروا في أن يؤتوا ذوي القرابة والمساكين وفقراء المهاجرين تقرباً في مرضاة الله مما رزقهم الله. ثم أمرهم بالعفو والصفح عن إساءتهم، قال: وليعفوا عنهم إساءتهم وليصفحوا، أي: وليعرضوا عنهم ولا يؤاخذوهم. ثم نبه بحرف التنبيه: ألا تحبون أن يغفر الله لكم ذنوبكم بسبب عفوكم عنهم؟! والله غفور لمن عفا عمن أساء إليه رحيم بعباده المؤمنين. ولما نزلت هذه الآية، قال أبو بكر: بلى والله، إنني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ إن الذين يقذفون المحصنات العفيفات الغافلات اللاّتي لم يخطر ذلك بقلبهن ـ هؤلاء القاذفون ـ أُبعدوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب عظيم في جهنم. قال ابن عباس: هذه اللعنة على من قذف إحدى زوجات رسول الله ﷺ فليست له توبة، وأما من قذف غيرهن فقد جعل الله له توبة.

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ يوم القيامة ينطق الله ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم فتشهد عليهم بما كانوا يعملون من خير أو شر.

﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ يوم القيامة

يوفيهم الله جزاءهم بالحق لا ظلم عليهم، ويعلمون عندئذ أن الله هو الحق بالحكم المظهر على الباطل، لا يخفى عليه شيء من أعمال الناس.

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ هذه الآية آخر آية نزلت في براءة عائشة الصديقة رضي الله عنها، والمعنى: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء وكذا: الطيبون الطاهرون للطيبات العفيفات والطيبات العفيفات للطيبين الطاهرين. أولئك الموصوفون بالطيب من الرجال والنساء مبرؤون مما يقول أهل الإفك والبهتان. لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم في جنات النعيم أبدًا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ بعد أن ذكر الله قذف المحصنات والعقوبة على القاذفين، وضع الله دستوراً لإبعاد الشبهات، فنهى الله المؤمنين عن الدخول في بيوت الناس فجأة قبل الاستئذان من أهل البيت، والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بالله وحده لا تدخلوا بيوتاً غير بيت أهليكم فجأة حتى تستأذنوا. فإن أذن لكم بالدخول فادخلوا وسلموا على أهل البيت، ذلك الاستئذان والتسليم خير لكم من الدخول بغتة لعلكم تذكرون آداب الدخول إلى بيوت الناس وتعملون بما أرشدتكم به.

﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ فإن لم تجدوا في البيوت أحدًا فاصبروا فلا تدخلوا حتى يؤذن لكم بالدخول، وإن قيل لكم ارجعوا ليس في البيت رجال فارجعوا ولا تقفوا عند الباب، ورجوعكم أطهر لكم من الريبة، والله بما تعملون عليم لا يخفى عليه صنيعكم.

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ليس عليكم إثم ولا حرج أن تدخلوا بيوتًا لا يسكن فيها أحد، هي خالية، ولكم فيها متاع وحاجة فتدخلوا على قدر حاجتكم لا على الدوام، وقيل: هي البيوت التي بنيت على الطريق للمسافرين وقفًا لله تعالى، وقيل: البيوت التي في القرى والمدن ليس فيها أحد ولا أمتعة لأحد فيها، فلكم أن تدخلوا فيها. وأصل النهي عن الدخول في بيوت فيها نساء، والله يعلم ما تظهرون وما تخفون، احذروا أيها المسلمون من مخالفة أمر الله.

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ قل يا محمد للمؤمنين أن يغضوا من النظر بأبصارهم إلى ما لا يحل لهم النظر إليه من النساء، ويحفظوا فروجهم من الحرام، ذلك الحفظ بغض البصر عن الأجنبيات وحفظ الفرج من الحرام أطهر لهم وأبعد عن الوقوع في الجريمة الكبيرة، قال عليه الصلاة والسلام: «النظر سهم من سهام الشيطان»، لأن النظر أول الدواعي للزنى، وأما نظرة الفجأة التي وقعت على أجنبية بغير إرادة النظر مرة واحدة فهي عفو، وإذا ردد النظر إليها مرة ثانية فعليه إثم، وكذا الحكم على النساء، والله خبير بما يصنعون. وفي هذه الجملة تنبيه للمؤمنين أن الله عالم بما يفعلون فيحاسبهم.

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ في هذه الآية

الكريمة ذكر الله جميع ما يحرم النظر إليه، قل يا محمد للنساء المؤمنات العفيفات الحرائر أن يغضضن أبصارهن ولا ينظرن لغير المحرم لهن، ويحتجبن عن غير المحرم لهن، ويحفظن فروجهن عن الحرام، ويسدلن خُمرهن على صدورهن، ولا يظهرن زينتهن. اختلفت أقوال العلماء في الزينة، والمراد من الزينة أولاً الوجه، وبعدُ: ما يتزين النساء من الأساور والخواتم والقلائد والخلخال. وأما ما لا يمكن ستره وهي الثياب والجلباب والخمار وهي التي تستر النساء بهن وجهها وبدنها، وهذه لا بأس فيها. ثم استثنى الله من يحل لها إظهار زينتها أمامهم من الرجال: إلاَّ لأزواجهن أو آباء أزواجهن أو أبنائهن أو أبناء أزواجهن من زوجة أخرى، وهي مثل الأم أو إخوانهن من أب أو من أم أو من كليهما أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن من المسلمات ــ لا يحل كشف وجهها للمشركات والكافرات ــ أو ما ملكت أيمانهن بالشراء أو بالوراثة بغير شريك فيه، أو التابعين كالعبيد والخدم غير أولي الحاجة، وكبير السن أو البلهة أو العجّز في بدنهم، أو الطفل الذين لن يستطيعوا التمييز والظهور على عورات النساء.

﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ قال ابن عباس: كانت النساء إذا مشت تضرب رجلها على الأرض ليسمع الرجال صوت خلخالها فنهى الله عن ذلك، وأمرهن أن لا يضربن بأرجلهن إذا مشين في السوق ليظهرن ما يخفين من زينتهن، فهذا حرام عليهن. ثم أمر الله جميع المؤمنين بالتوبة عما أسلفوا من كشف العورات والنظر إلى الأجنبية، قال: وتوبوا إلى الله جميعًا عما أسلفتم أيها المؤمنون لعلكم تفوزون بسعادة الدارين.

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ وزوِّجوا الأيامى ــ جمع أيم، وهو من لا زوج له أو لها من المسلمين ــ وزوجوا الصالحين من عبيدكم وإمائكم من الأحرار، إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله، والله واسع التفضل لمن يشاء، عليم بمصالح العباد.

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ وليستعفف عن الحرام ويصبر الذين لا يجدون مالاً لصداق نكاح المرأة حتى يغنيهم الله من فضله.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ ﴾ والذين يطلبون المكاتبة لفك رقبتهم من العبودية من سيدهم فكاتبوا لهم أيها الأسياد إن علمتم فيهم أمانة لأداء دينهم وخيراً، فأعطوا أيها المسلمون لهؤلاء المكاتبين من مال الله الذي أعطاكم ليكون عونًا لهم لفك رقبتهم.

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ عن جابر وابن عباس رضي الله عنهما قالا: نزلت الآية في عبد الله بن أبـي ابن سلول رئيس المنافقين، كانت له جاريتان يجبرهما على الحرام والكسب بالزنى، فأتيتا إلى رسول الله فاشتكتا سيدهما عبد الله بن أبـي ابن سلول فأنزل الله الآية: ولا تكرهوا فتياتكم أيها السادة على الفاحشة إن أردن العفة تحصنًا لدينهن لتبتغوا حطام الدنيا بإكراههن على الزنا، فإن أجرهن سحت لكم وهتكٌ لحدود الله. ومن يكرههن على الفاحشة فجزاء الإكراه عذاب شديد لكم وإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم لهن.

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ولقد أنزلنا إليكم أيها المؤمنون آيات واضحات لبيان أحكام دينكم، وضربنا مثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة لتتعظوا بها وذكرى للمتقين الذين يخافون الله.

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ الله منور ومدبر وهادي السموات السبع والأرض وما فيهن. وقيل: السماء بالملائكة والأرض بإرسال الرسل إلى عباده ليدعوهم إلى توحيد الله وينهوهم عن الإشراك بالله ويأمروهم بطاعة الله. مثل نوره في قلوب المؤمنين كمشكاة في سراج، السراج في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من زيت شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، أي: لا توجد تلك الشجرة في شرقي مكة ولا غربها، يكاد زيتها يضيء من صفائه ولو لم تمسه النار، نور على نور، أي: كنور المصباح والزجاج، يهدي الله لنوره من يشاء من عباده، والله بكل شيء عليم، أي: يهدي الله للإيمان به من عباده فيهتدوا إلى صراط مستقيم، إلى مرضاة الله، والله جل شأنه عليم بكل شيء وعلمه محيط بكل شيء. وفي معنى هذه الآية اختلفت أقوال العلماء.

﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ قال ابن عباس: أمر الله أن تبنى المساجد وأن يرفع بناؤها ويصلي المسلمون فيها ويذكرون اسم الله بالغدو والآصال، أي: صلاة الفجر صباحًا والظهر والعصر بعد زوال الشمس على وقتهما والمغرب بعد غروب الشمس والعشاء بعد زوال الشفق.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾، أي: من المؤمنين رجال لا تشغلهم أشغال الدنيا عن ذكر الله، وهم دائمون على ذكر الله بألسنتهم وفي قلوبهم، ويصلون الصلاة المكتوبة على وقتها ويحافظون عليها ويؤتون زكاة أموالهم للفقراء والمساكين ولا يبخسون فيها ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ هؤلاء الرجال المستقيمون في طاعة الله يخافون أهوال يوم القيامة لأن فيها تتقلب قلوب أهل المحشر من شدة الفزع، وتشخص أبصارهم مخافة من عذاب الله فاستقاموا في طاعة الله ليثيبهم أحسن ما عملوا في حياتهم الدنيا، ويعتقدون أن وعد الله حق بإضافة الجزاء على حسنات المؤمنين بعشر أمثالها، ويزيد الله لهم حسنات على حسناتهم من فضله، والله يرزق من يشاء بغير حساب أعمالهم، إنه تعالى جواد كريم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ ثم ضرب الله مثلاً لأعمال الكافرين، والمعنى: والذين كفروا بربهم، ولكن أعمالهم فيها خير، فهذه الأعمال كسراب في أرض بقيعة، أي: واسعة في الفلاة في الظهيرة، يحسبه العطشان من بعيد حين يراه ماء، حتى إذا جاء حيث يظن الماء لم يجد شيئًا من أثر الماء، وكذلك الكفار يجيئون يوم القيامة لم يجدوا من أعمالهم شيئًا، فوفى الله حسابهم لهم والله سريع الحساب، وحساب أهل المحشر كحساب رجل واحد.

ثم ضرب الله مثلاً آخر: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ

لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ والمعنى: أعمال الكفار مثل ظلمات في بحر عميق القعر، يغشاه موج، ومن فوق الموج موج يتلاطم، ومن فوق الموج سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج الكافر يده من ظلمات البحر لا يكاد يراها لأن الظلمات قد تراكمت عليه، وهذه الظلمات مَثَلٌ على ظلمة الكفر وظلمة الكلام وظلمة العمل. وحاصل المعنى: أن الكافرين بعيدون من رحمة الله في الدنيا والآخرة، لا نجاة لهم من ظلمات العذاب في جهنم. ومن لم يجعل الله له نورًا في قلبه يهتدي به إلى الإيمان بربه فما له من نور أبدًا، فهو لا يزال في الكفر والضلالة حتى يموت كافرًا بربه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ ألم تعلم يا محمد أن من في السموات من الملائكة وغيرهم ومن في الأرض من المؤمنين وغيرهم من الخلق يصلون لله ويسبحون الله، والطير صافات باسطات أجنحتهن في الهواء، وكل من الملائكة والمؤمنين والمخلوقات الأخرى قد علم صلاته وتسبيحه على وجه التكليف لهم، والله عليم بما يفعل عباده، لا يخفى عليه شأنهم.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ ولله ملك السموات والأرض وما فيهن من الخلائق خلقًا وملكًا وعبيدًا، وإلى الله مرجع جميع الخلائق للحساب والجزاء.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ ألم تر يا محمد أن الله يسوق سحابًا متقطعًا إلى حيث يشاء، ثم يجمعه فيكون متراكماً بعضه على بعض، حتى ترى المطر يخرج من خلال هذا

السحاب. ويُنَزِّل من السماء من جبال فيها من بردٍ برداً مثل الثلج، فيصيب به، أي: بالبرد ما يشاء ومن يشاء فيضرّ بزرعه وثمره مثلاً، ويصرفه عن من يشاء، وذلك لحكمة منه جلت قدرته. يكاد سنا برقه، أي: ضوء النار التي تخرج من تلاطم السحاب قبل نزول المطر في حالة نزوله تذهب بالأبصار التي تنظر إليها. يقلب الله الليل والنهار، أي: يصرف الله الليل والنهار بالتعاقب، وهذا كقوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ إن في ذلك المذكور من كمال قدرة الله لعبرة لأولي الأبصار، والأبصار جمع بصيرة، وهي بصيرة القلب.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ والله خلق كل المخلوقات التي تدب في الأرض من ماءٍ، ثم ذكرها: فمنها من يمشي على بطنه كالحية وبعض الحشرات الأرضية، ومنها من يمشي على رجلين كالأنسان والطيور، ومنها من يمشي على أربع أرجل كالأنعام والبهائم والسباع. يخلق الله ما يشاء، إن الله على إيجاد كل شيء وإفنائه قادر ولا يعجزه شيء، كل تحت قهره وسلطانه.

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ لقد أنزلنا إليكم آيات محكمات واضحات معانيها، وفيها بيان أحكام دينكم، والله يهدي من يشاء من عباده إلى الرشد، والهداية إلى طريق مستقيم إلى دينه الحق، وهو دين الإسلام.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ويقول المنافقون بألسنتهم؟ آمنا بالله وبالرسول، وأطعنا بما أُمِرْنا. ولكن بعد ذلك تتولى جماعة من المنافقين عن إقرارهم

بالإيمان. وليس أولئك المعرضين عن حكم الله ورسوله بمؤمنين حقًّا، لأنهم يظهرون الإيمان بألسنتهم ولكن قلوبهم مغلقة بالكفر. وقيل: نزلت الآية في بشر المنافق، إذ كانت بينه وبين اليهود خصومة في أرض، وقال اليهود: نتحاكم إلى محمد فقال بشر المنافق: إن محمداً يحيف علينا ولكن نتحاكم إلى كعب بن الأشرف ــ وهو من علماء اليهود ــ فأنزل الله ردًّا على المنافقين هذه الآيات ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾، يعني: وإذا دعي هؤلاء المنافقون إلى حكم الله والرسول عليه الصلاة والسلام ليحكم بينهم بحكم الله، إذا جماعة من المنافقين يعرضون عن حكم الله ولا يقبلون حكم رسول الله، وإن يكن الحكم لهم وفي صالحهم جاؤوا طائعين لحكم رسول الله.

وقال تعالى: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ أفي قلوبهم مرض؟! أي كفر ونفاق، أم يشكون في القرآن ونبوته عليه الصلاة والسلام؟ أم يخاف هؤلاء المنافقون أن يظلمهم الله ورسوله في الحكم؟ ثم أجاب: بل أولئك المنافقون هم الظالمون لأنفسهم في إعراضهم عن حكم رسول الله، والاستفهامات الثلاثة للتوبيخ والذم عليهم، أي: هم كذلك.

ثم بيَّن الله عز وجل موقف المؤمن الحقيقي من الاحتكام إلى الله ورسوله فقال: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ جاء الكلام بكلمة الحصر للتأكيد: إنما كان قول، أي: جواب المؤمنين حقاً، إذا دعوا إلى حكم الله ورسوله ليحكم بينهم بأن يقولوا: سمعنا وأطعنا لحكم رسول الله. ثم بين مصيرهم: وأولئك هم الفائزون بسعادة الدارين. ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ يعني: ومن يطع الله ورسوله في كل أمرهم ويخافون من عذاب الله على ما مضى من ذنوبهم ويتحذرون من مخالفة أمر الله ورسوله، فأولئك هم الفائزون برضا ربهم وفي الآخرة مقرهم في جنات النعيم.

﴿ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾ وحلف هؤلاء المنافقون بالله غاية أيمانهم المغلظة: لئن أمرتهم بالخروج إلى الجهاد مع المسلمين ليخرجن، قل لهم يا محمد: لا تحلفوا، فطاعتكم وقولكم معروف لنا، تقولون بألسنتكم وقلوبكم كاذبة. إن الله خبير بما تعملون في ظاهر الحال ويعلم تكذيبكم في قلوبكم.

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ قل لهم يا محمد: أطيعوا الله باتباع أوامره وترك المعاصي بإخلاص النية، وأطيعوا أمر رسول الله بالتمسك بهديه، فإن أعرضوا عما بلغتهم من أمري إليهم فليعلموا أنما على الرسول ما حُمِّل عليه من إبلاغ أمري إلى قومه، وعليكم أيها المشركون ما حمِّلتم من الأوامر، وإن تطيعوا لأمر رسولي تهتدوا إلى دين الحق، وما على الرسول إلاّ إبلاغ أمري الواضح في ظاهر الحال، وما هو مكلف لهداية قلوبهم.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ وَعَدَ الله المؤمنين الصادقين بإيمانهم وعملوا للأعمال

الصالحات امتثالاً لأمر ربهم ــ وعدهم ليستخلفنهم في الأرض ويجعلهم خلفاء من بعد آبائهم، كما استخلف الذين من قبلهم على ديار الكفار ــ يتصرفون في ديار الكفار آمنين ــ وليمكنن لهم أمر دينهم بأن يظهروه ويعملوا به كما أوجب الله عليهم، هذا الدين الذي ارتضاه الله لهم وهو دين الإسلام، وغيره باطل. وليبدلن لهم حالهم من بعد خوفهم أمنًا، أي: وليغيرن شأنهم الذي كانوا خائفين من أعدائهم حتى صاروا آمنين؛ ليعبدوني ولا يشركون بـي شيئًا، ومن كفر بعد ذلك التفضل والسعة في دينهم فأولئك هم الفاسقون، أي: الخارجون عن طاعة ربهم العاصون لربهم.

ثم بين مظهر الدين الحق: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ وصلوا الصلوات الخمس المكتوبة عليكم أيها المؤمنون، محافظين على شروطها وأركانها وعلى أوقاتها مع الجماعة، وأدوا زكاة أموالكم بغير بخس لمستحقيها، وأطيعوا رسول ربكم إليكم فيما أمركم به وما نهاكم عنه لعلكم ترحمون في الدنيا والآخرة.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾ في الآية تسلية للنبـي ﷺ، أي: لا تظن يا محمد أن الذين كفروا برسالتك فائتين من عقابنا في أرضنا في حياتهم الدنيا، وفي الآخرة مرجعهم ومقرهم نار جهنم، وبئس المرجع والمقر.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ يا أيها المؤمنون الأحرار

ليستأذنكم الذين ملكتم بملك يمين حين الدخول إليكم، والذين لم يبلغوا الحلم، أي: لم يبلغوا سن الاحتلام ــ هو اثني عشر سنة من عمرهم ــ ولا يميزون الشهوة للنساء، ليستأذنكم هؤلاء ثلاث مرات، أي: يمنع دخولهم عليكم ثم في هذه الأوقات الثلاثة إلاَّ بإذن منكم: من قبل صلاة الفجر لأن فيه وقت نومكم وراحتكم، وحين تضعون ثيابكم للقيلولة من بعد الظهر لراحة أبدانكم من تعب أشغالكم، ومن بعد صلاة العشاء لنوم طويل في الليل. تلك الأوقات الثلاثة عورات، أي: ستر لكم من دخول الأطفال دون الحلم أو الأجنبي إليكم إلاَّ بالإذن، ليس عليكم ولا عليهم إثم في غير هذه الأوقات الثلاثة بالدخول إليكم، طوافون، أي: يدخلون طائفين عليكم، لأن هؤلاء عبيدكم وهؤلاء أطفالكم، وبعضكم على بعض، كمثل ذلك البيان والتعليم يبين الله أحكام شريعته فتأدبوا في عشيرتكم، والله عليم في ما أمركم به حكيم في تدبير أمر خلقه.

﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ وإذا بلغ الأطفال الأحرار من المسلمين سن الاحتلام، فعليهم أن يستأذنوا للدخول على أهليهم في أيّ وقت كان كما استأذن الذين من قبلهم للدخول في بيت غير محارمهم، كمثل ذلك البيان والتعليمات يبين الله لكم من آيات كتابه، والله عليم بمصالحكم حكيم في تدبير أمر خلقه.

﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ والقواعد جمع قاعد، أي: النساء اللاتي لا يطمعن بالزواج لكبر سنهن فليس عليهن إثم أن يضعن ثيابهن مثل الجلباب والرداء أمام الرجال غير

المحارم غير مظهرات بزينتهن، وإن يستعففن من كشف ما أبيح لهن هنا أمام الرجال غير المحارم خير لهن من الريبة، والله سميع بأقوالكم عليم بما في ضمائركم.

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ قال المفسرون في سبب نزول الآية خمسة أقوال، منها: أنها نزلت في أناس من الأنصار، كانوا إذا حضر الطعام عندهم لا يأكلون، وينتظرون الضيف أو من يشارك في أكل الطعام حتى يشبع ويتحرجون، فانزل الله الآية لرفع الحرج عنهم فرخص لهم أن يأكلوا مجتمعين أو متفرقين. وروي أنه كان بعض أصحاب رسول الله إذا غزا مع رسول الله أو مع سرية، وإن لم يكن له أهل في البيت وضع مفتاح البيت عند أصحاب الأعذار كالأعمى والأعرج والمريض وكانوا يأمروهم أن ويأكلوا من بيوتهم ولكنهم يتحرجون أن يأكلوا من طعام البيت فرخص الله لهم أن يأكلوا من طعام هؤلاء المذكورين في الآية أو البيت الذي أعطاهم أهله مفتاحه ليراقبوه، أو من بيوت أصدقائكم، ليس عليكم إثم ولا حرج أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين. فإذا دخلتم بيوتًا ليس فيها أحد فسلموا على أنفسكم يعني قولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، تحية وسلاماً من عند الله مباركاً طيباً لكم من

الثواب، مثل ذلك البيان يبين الله لكم أيها المؤمنون ايات كتابه وما شرع لكم من الآداب لعلكم تعقلون وتتمسكون بها.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ والمعنى: إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله وحده وصدقوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، وإذا كانوا مع رسول الله على أمر جامع، أي: على أمر ذي شأن يحتاج إلى اجتماعهم ــ وكان عليه الصلاة والسلام يشاور أصحابه ــ هؤلاء المؤمنون الذين يلتزمون صحبة رسول الله ﷺ ولا يذهبوا من عنده حتى يستأذنوه ﷺ لقضاء حاجاتهم، فيأذن لهم رسول الله، فيقضوا حاجاتهم ويرجعوا عند رسول الله ﷺ. ومدح الله شأنهم: إن الذين يستأذنونك يا محمد أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله صدق الإيمان، فإذا استأذنوك لقضاء حاجاتهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله فيما قصروا في أمر دينهم، إن الله غفور لذنوبهم رحيم بعباده المؤمنين. وفي الآية تعريض بالمنافقين لأنهم لا يستأذنون رسول الله ويذهبون إلى أشغالهم أو يتركون مجلس رسول الله ﷺ ولا يهتمون بأمر رسول الله.

قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾ كان أهل البادية إذا أتوا عند رسول الله فيقولون: يا محمد، ــ رافعين أصواتهم يدعونه كدعاء بعضهم بعضًا ــ فنهاهم الله عن إساءتهم الأدب في دعائهم له ﷺ، فلا تنادوا رسول الله باسمه يا محمد مثل دعاء بعضكم بعضًا

يا فلان باسمه، بل نادوا: يا رسول الله، ويا نبي الله، بالتعظيم والتوقير وهناك معنى آخر أقرب: أي: لا تجعلوا دعوة رسول الله لكم كدعوة أحدكم للآخر، فلا تبطئوا بالإجابة له إذا دعاكم كما يبطىء أحدكم في إجابة الآخر، ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ قد علم الله المنافقين الذين يخرجون من الجماعة واحدًا بعد واحدًا تستُّرًا من المؤمنين لواذًا، أي: يخرجون في الخفية. وفيها كشف لشناعة المنافقين، ثم قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ فليحذر الذين يخالفون أمر رسول الله أن تصيبهم فتنة وبلاء في الدنيا أو يصيبهم عذاب مؤلم في جهنم.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ قال بحرف التنبيه: ألا إن لله جميع ما في السموات والأرض خلقًا وملكًا وعبيدًا، قد يعلم الله ما أنتم عليه من الإيمان الصحيح والنفاق والأعمال، ويوم القيامة يرجع جميع الخلائق إلى الله فيخبرهم الله بما عملوا، فيحاسبهم ويجازيهم. والله بكل شيء من أحوال الخلائق عليم، لا يخفى عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء.

الحمد لله، تمّت سورة النُّور بعون الله.

* * *

سورة الفرقان

آياتها سبع وسبعون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾، أي: تعاظم الله وتكاثر خيره على عباده، الذي نزل القرآن الفارق بين الحق والباطل والمحق والمبطل على عبده محمد عليه الصلاة والسلام ليكون لعالم الإنس والجن منذرًا، أي: مخوفًا من عذاب الله إن لم يؤمنوا بأنه الإله المعبود وحده. ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الذي له ملك السموات السبع والأراضين السبع ومن فيهن من الخلائق، ولم يتخذ ولدًا من خلقه كما زعم اليهود والنصارى والمشركون؛ لأن الصاحبة والولد لا يجانسه، تعالى عن ذلك، ليس كمثله شيء ولم يكن له شريك في إيجاد ملكه ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ وحده ﴿ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾، أي: فقدر لكل شيء أجلاً مقدرًا.

﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ واتخذ هؤلاء المشركون غير الله آلهة يعبدونها من الأصنام التي لا تستطيع أن تخلق شيئًا

وهم مخلوقون، أي: مصنوعون بأيدي عابديهم من خشب أو حجر، ولا يملكون لأنفسهم جلب نفع ولا دفع ضر عن أنفسهم، ولا يملكون موتًا، أي: لا يستطيعون أن يميتوا أحدًا وهم في ذاتهم جمادات لا شعور لهم، ولا يملكون نشورًا للخلائق من القبور، وفي الآية أبلغ تبكيت وتوبيخ للمشركين.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤﴾ وقال كفار قريش: ما هذا القرآن إلَّا كذب افتراه محمد من عند نفسه، وأعان محمدًا في افتراء هذا الكتاب قوم آخرون من أهل الكتاب، فرد الله عليهم: (فقد جاؤوا) بهذا البهتان (ظلمًا وزورًا)، أي: وكذبًا حيث قالوا: إن محمدًا يتلقى من العجم، والقرآن عربي، ولسان محمد عربي، وهذا أمر بعيد عما يزعمون. ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾ وقال كفار قريش، وقيل القائل هو النضر ابن الحارث وأتباعه قالوا: إن هذا القرآن أساطير الأولين، كتبها الأولون فهي تقرأ على محمد صباحًا ومساءً ليحفظها؛ لأنه لا يكتب. ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦﴾ قل لهم يا محمد: إن الذي أنزل هذا القرآن هو الذي يعلم السر من أحوال الخلق في السموات والأرض، إنه كان غفورًا لمن تاب عن كفره وعصيانه رحيمًا بعباده المؤمنين.

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ۝٨﴾ وقالوا إنكارًا لرسالة رسول الله: ما لهذا يزعم أنه رسول الله إلينا، ويأكل الطعام مثلنا

ويمشي في الأسواق لطلب معاشه، هلا أنزل إليه ملك فيكون معه ويساعده في تبليغ أمر الله، ويخوفنا عن عذاب الله؟ لم يكن ذلك له، أو يلقى إليه كنز من السماء ليتوسع في الرزق، أو يكون له بستان يأكل من ثماره؟! وقال الظالمون من كفار قريش: ما تتبعون أيها المؤمنون بمحمد إلاَّ رجلاً مسحورًا، أي: قد سحر في عقله ويزعم أنه رسول الله.

فرد الله عليهم ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ انظر يا محمد لهؤلاء المشركين كيف ضربوا تلك المقالة الشنيعة الكاذبة مثل أمثال خيالية لا وجود لها، فضلوا بها عن طريق الهداية إلى الضلالة، فلا يجدون سبيلاً إلى الرشد والهداية. ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ ﴾ تعاظم وكثرت بركته الذي إن شاء جعل لك من ذلك الذي ذكره المشركون خيرًا منه، جنات تجري من تحتها، أي: من تحت أشجارها وقصورها مياه الأنهار، ويجعل لك قصورًا مشيدة. وفي الآية تسلية له ﷺ.

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ قال: بل كذبوا بقيام الساعة للحساب والجزاء، وهيأنا لمن كذب بقيام الساعة نارًا مسعرة، أي: شديدة الحرارة ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ إذا رأت جهنم هؤلاء المشركين من مسافة بعيدة سمع المشركون صوت اشتعال نارها تغيظًا عليهم وزفيرًا لأهل جهنم.

﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾ وإذا ألقي أهل جهنم في جهنم في مكان ضيق ليشتد عليهم العذاب والحزن مقرنين، أي: مصفدين

بالسلاسل، دعوا في ذلك الحال ثبورًا، أي: يا ويلاه ويا هلكاه، وقال خزنة النار: لا تدعوا ثبورًا واحدًا ولكن ادعوا ثبورًا كثيرًا، إذ لا فائدة لكم في استغاثتكم اليوم.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أذالك العذاب في جهنم خير أم جنة الخلد التي وعدها الله لعباده المتقين؟ كانت تلك الجنة للمتقين في طاعة ربهم جزاءًا ومرجعًا ومقرًّا لهم على الأبد، ولهم فيها ما يشاؤون من الحور العين والقصور والأثمار، مقيمين فيها أبدًا، كان ذلك الوعد على ربك وعدًا مسؤولًا، أي: مطلوبًا؛ فإن المؤمنين سألوا الله في الدنيا إنجاز وعده لهم، إنه لا يخلف الميعاد، إذا وعد أنجز.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ يوم القيامة نحشر المشركين والذين يعبدونهم من الأصنام فيقول الله للأصنام: أأنتم أضللتم عن عبادتي هؤلاء أم هم أخطؤوا عن طريق الحق إلى طريق الضلالة؟ قالوا: تنزيهًا لك أن نعبد غيرك، ما صح ولا ينبغي لنا أن نتخذ عابدين لنا من الناس من أولياء ولكن متعتهم وأسلافهم في حياتهم الدنيا بالصحة وسعة الرزق حتى نسوا تذكيرك والمواعظ وغفلوا عن طاعتك وعبدوا غيرك، وكانوا في سابق علمك قومًا هالكين في عبادة غيرك، والله سبحانه وتعالى أنطق ما يعبدون فشهدوا على عابديهم بالحق.

ثم يخاطب الله عابدي الأصنام ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ فقال تعالى: فقد كذبوكم أيها المشركون بما تزعمون أنهم آلهة، فما يستطيعون اليوم صرفكم عن عذاب الله ولا نصرًا لتخفيف العذاب عنكم. ثم حذر الله المؤمنين: ومن يظلم فيشرك بالله من المسلمين نذقه عذابًا عظيمًا في الآخرة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾، الآية رد على قولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ فأجابهم: وما أرسلنا من قبلك من المرسلين إلى قومهم إلاَّ أنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة وابتلاء، أتصبرون أيها المؤمنون في ابتلاء الله لكم أم لا؟ وكان ربك يا محمد بصيرًا بأحوال عباده لا يضيع أجر صبرهم.

﴿۞ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾: وقال الذين لا يخافون لقاء عذابنا: هلا أنزل الله علينا الملائكة، ليصدقوا برسالة محمد، أو نرى ربنا عيانًا فيخبرنا أن محمدًا صادق برسالته إليكم منه، لقد استكبروا عن التصديق برسالة محمد عليه الصلاة والسلام فيما بينهم وعتوا عتوًّا كبيرًا، أي: تكبروا تكبرًا عظيمًا.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ يوم يرى المشركون الملائكة ينزلون إليهم لقبض أرواحهم، فيقولون لهم:

اليوم لا بشارة للمشركين بعفو الله وغفرانه، ويقولون لهم: حرام ومحرم عليكم الجنة، لا تشمون ريحها، إنها للمؤمنين بالله وحده، الذين لا يشركون به شيئًا.

قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ وقدمنا، أي: أتينا، إلى ما عمل هؤلاء المشركون من أعمال البر والخير فجعلنا أعمالهم مثل هباء منثور في الهواء لا ثواب لهم في الآخرة.

﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ لما وصف الله أصحاب الجحيم وأعمالهم، وصف أصحاب الجنة، قال: أصحاب الجنة يوم القيامة خير مقامًا وأفضل منزلاً من الكفار والمشركين، وأحسن قيلولة في راحتهم في الجنة.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾ ويوم القيامة تشقق السماء الدنيا عن الغمام وتنزل الملائكة من السماء تنزيلاً، أي: فوجًا بعد فوج إلى الأرض ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الملك: كل شيء في الكون حق ثابت يوم القيامة للرحمٰن، وكان ذلك اليوم عسيرًا على الكافرين.

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ ويوم القيامة بعض الكافرين والمشركين، حين يروا أهوالها يعضوا أيديهم تحسُّرًا وندامة عما فاتهم من الإيمان بالله وحده والأعمال الصالحات، يقولون: يا ليتنا اتخذنا مع رسول الله سبيلاً إلى رضى ربنا.

﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ جاء بالذكر بصيغة المفرد، والمراد

منه عامة أهل النار. يقول أهل النار وهم في عذاب جهنم تحسُّرًا وندامة: يا ويلتي، ليتني لم أتخذ فلانًا صديقًا، لقد أضلني عن الإيمان بالله وحده وبالقرآن الكريم بعد إذ جاءني به الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان الشيطان للإنسان الذي أغواه في الدنيا عن طريق الهداية إلى طريق الكفر والضلالة بالوسوسة وتزيين الفساد، حين حكم الله عليه بالخلود في جهنم، كان الشيطان للإنسان خاذلاً لا يستطيع منعه من عذاب جهنم.

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ هذا إخبار لشكاية رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام قومه قريش قال: يا رب، إن قومي قريشًا لم يؤمنوا بالقرآن، ولم يعملوا بما في القرآن من الأوامر، بل خالفوه وتركوه وراء ظهورهم ولم يلتفتوا إليه.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ في الآية تسلية للنبي ﷺ، أي: كما جعلنا لك أعداء من قومك جعلنا لكل نبـي أعداء من مجرمي قومهم، فاصبر يا محمد على أذاهم وامض في تبليغ أمري، وكفى بربك يا محمد هاديًا إلى الإيمان بـي وبك، ونصيرًا لك على أعدائك.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ وقال كفار قريش: هلا أنزل على محمد القرآن جملة واحدة بغير تفريق؟ فأجاب الله على اقتراحهم: أنه أنزل القرآن كمثل ذلك الإنزال متفرقًا على حسب الوقائع والحوادث، لنثبت ونقر به فؤادك يا محمد؛ لكي تحفظه، ورتلناه ترتيلاً، أي: أنزلناه على تمكّث من غير عجلة كي لا يثقل عليك وعلى أصحابك.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ ولا يأتيك هؤلاء المشركون بمثل ليوقعوا الشبهة في شأن رسالتك وفي القرآن الكريم إلاَّ جئنا لك يا محمد بالحجج الواضحة، فتبطل أمثالهم، وتثبت أمرك، وجئناك بما هو أحسن تفسيرًا وبيانًا.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ هؤلاء المشركون يساقون ويسحبون على وجوههم إلى جهنم، أولئك أسوأ مكانًا في جهنم وأخطأ طريقًا في حياتهم الدنيا حيث توصلهم إلى جهنم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾، أي: ولقد آتينا موسى التوراة فيها أحكام شريعته، وجعلنا معه أخاه هارون معينًا له في تبليغ أمر ربه؛ فقلنا إذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا ـ وهي الآيات التسع وقد سبق تفسيرها في سورة الأعراف ـ فلم يصدقوا، فأهلكناهم إهلاكًا تامًّا في الغرق.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ وأهلكنا قوم نوح عليه السلام بالطوفان لما كذبوا رسولهم نوحًا عليه السلام، أغرقناهم بالطوفان ـ جاء بالذكر بصيغة الجمع؛ لأن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل؛ لأن دعوتهم واحدة ـ جعلنا قصتهم لمن بعدهم عبرة ليعتبروا بها، وينزجروا عن التكذيب على رسول الله، واعتدنا، أي: هيأنا للظالمين أنفسهم بالكفر بربهم والتكذيب على رسول الله، هيأنا لهم عذابًا مؤلمًا في جهنم، سيذوقونه على الأبد.

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ ﴾ أهلكنا عادًا بريح شديدة، وهم قوم هود عليه السلام. وثمود أهلكناهم بالصيحة، وهم قوم صالح عليه السلام. وأصحاب الرس، وهم قوم أرسل إليهم شعيبًا عليه السلام، فكذبوا شعيبًا، وهم ساكنون حول البئر غير مطوية فانهارت عليهم وخسفت ديارهم بهم، وقرونًا، أي: وأهل قرون بين هؤلاء كثيرًا.

﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾ وكل هؤلاء المذكورين بيّنا لكم قصصهم لتعتبروا بهم وكل هؤلاء أهلكناهم إهلاكًا عن آخرهم لم يبق أحد منهم.

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ ولقد مر كفار قريش على القرية التي أهلك الله أهلها بالحجارة التي أنزلت من السماء مثل المطر على رؤوسهم، وآثارهم باقية، أفلم يكون هؤلاء يرونها في أسفارهم إلى الشام، فيعتبروا بها؟ بل كانوا لا يخافون البعث من قبورهم للحساب والجزاء وتلك القرية هي قرى قوم لوط عليه السلام.

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ ﴾، أي: وإذا رآك يا محمد هؤلاء المشركون فإنهم لا يتخذونك إلاّ هزوءًا وسخريًا، ويقولون منكرين لرسالتك: أهذا الذي بعث الله إلينا رسولاً؟ ويقولون ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ إن محمدًا قرب أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا، لولا أن ثبّتْنا على عبادتها. فرد الله بالوعيد عليهم: سوف يعلم هؤلاء حين يرون العذاب الموعود لهم مَنْ أخطأ طريقًا، هم أم محمد؟

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ أرأيت يا محمد الذي اتخذ إلـٰهه على هوى نفسه ــ كان المشركون يعبدون صنمًا وإذا رأوا أحسن منها مصنوعًا عبدوها وتركوا الأول ــ أفأنت يا محمد تكون عليهم حفيظًا لتحفظهم من عبادة غير الله؟ أتحسب أن أكثرهم يسمعون تذكيرك وموعظتك أو يعقلون ما أنزلنا إليهم من الآيات الدالات على وحدانيتنا في أولوهيتنا وربوبيتنا؟ بل هم كالأنعام، لا يعقلون شيئًا من أمر الدين، بل هم أضل وأخطأ طريقًا من البهائم، ما عليك إلَّا إبلاغ أمري إليهم.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ ألم تنظر يا محمد إلى قدرة ربك كيف مد الظل إذا طلعت الشمس، وظل ضوءها على الجبال والبنيان والأشجار، مد ظل تلك الأجرام إلى جهة الغرب، كلما ارتفعت الشمس إلى قيامها يقصر الظل، وبعد الزوال يمتد فَيْء الأشياء وظلها إلى الشرق، ويعرف منه وقت صلاة الظهر والعصر، ولو شاء ربك يا محمد لجعل الظل ثابتًا لا يزيد ولا ينقص، ثم جعلنا الشمس على الظل دليلًا؛ ليظل أجرام الأشياء على الأرض، ثم قبضنا الظل قبضًا يسيرًا، أي: شيئًا فشيئًا حتى غروب الشمس؛ وذلك ليعرف الناس أوقات النهار.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ وهو الله الذي جعل لكم الليل مثل اللباس، تستترون بظلمته وترتاحون عن أشغال النهار، وجعل النوم راحة لأبدانكم. وجعل النهار نشورًا، أي: وقتًا لانتشاركم لطلب معاشكم وحاجاتكم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ وهو الله الذي يرسل الرياح بشارة قبيل نزول رحمته ـ وهي المطر ـ ، وسمى الله ماء المطر رحمة لأن كل ذي نسمة حياتها به. ثم بيَّن: وأنزلنا من السحاب ماء طهورًا، أي: طاهرًا في ذاته ومطهرًا لغيره، أي: صالحًا للشرب وتطهير البدن من الجنابة وتطهير الثياب من النجاسة، ولنحيي به أرضًا يابسة من قحط الماء بالنباتات والزروع، ونسقي بالماء مما خلقنا أنعامًا وسائر الحيوانات البرية، وأناسي، أي: أناسًا كثيرًا؛ لأن كثيرًا من أهل البادية حياتهم في البر والأودية، وهم محتاجون إلى ماء المطر، حتى أبيارهم إذا لم ينزل المطر غزيرًا يغور الماء منها.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ ولقد صرفنا المطر من بلد إلى بلد آخر ليتذكروا بينهم نعمة الله، فأبى أكثر الناس أن يتذكروا نعمة الله، (إلاَّ كفورًا)، أي: جحودًا لنعمة الله.

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ ولو أردنا إرسال رسول في كل قرية (منذرًا)، أي: مخوفًا من عقاب الله إن لم يؤمنوا بالله وحده لأرسلنا، ولكن أرسلناك كافة للإنس والجن إظهارًا لشأنك عند الله وليعظم أجرك عندنا، فلا تطع يا محمد آراء الكافرين وجاهدهم بتذكير القرآن ومواعظه جهادًا بالغًا لا تفتر به.

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ وهو الله الذي خلق الماء العذب صالحًا للشرب، وخلق الماء المالح غير صالح للشرب، ويدخل الماء العذب في ماء البحر

المالح ولا يختلطان بقدرة الله، وجعل بينهما حاجزًا وحجرًا محجورًا، وهذا تأكيد لعدم اختلاطهما، وقد شاهد الناس في بحر البصرة يصب عليه ماء الفرات ودجلة وكذا يصب ماء نهر الأردن في بحر لوط في الغور، وكذا كل نهر يدخل في البحر، فماء النهر يدخل فيه ويجري، سبحانه جلت قدرته. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ وهو الله الذي خلق من النطفة بشرًا، إنسانًا ذا نسب، وهم القرابة، ذو نسب وصهر أو قرابتهم بالزواج من غير نسبهم، وكان ربك يا محمد قادر على ما يشاء.

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ ثم بعد كل ما سبق ذكره من النعم على البشر يعبد هؤلاء المشركون غير الله الذي لا ينفعهم ولا يضرهم لأنهم جمادات مصنوعة من خشب أو من حجر، يعبدونها طائعين للشيطان، وكان الكافر بربه معينًا للشيطان في كفره.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ ﴾ وما أرسلناك يا محمد إلاَّ مبشرًا بالجنة لمن آمن بي وحدي ولا يشرك بي شيئًا، ومنذرًا من عقابي لمن كفر بي. ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: لا أسألكم على تبليغ أمر ربي إليكم من أجر، ولكن أسألكم الإيمان بالله وحده، من شاء منكم أن يتخذ إلى رضا ربه طريقًا فليستقم في إيمانه بالله وحده.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ

ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ واعتمد في جميع أمورك يا محمد على الحي الذي لا يموت، هو حي لا حي قبله ولا حي بعده، هو حسبك في كل حالك وناصرك على أعدائك، وسبح بحمده، أي: قل (سبحان الله والحمد لله) على ما أنعم عليك، وكفى بربك بذنوب عباده خبيرًا هو يحاسبهم ويجازيهم. هو الله الذي خلق السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن من الخلائق في ستة أيام ثم استوى على العرش ـ سبق تفسير استوى على العرش في سورة الأعراف ـ الرحمٰن بدل من (الذي) أو هو الرحمٰن بجميع خلقه، فاسأل بما اشتبه عليك من خلق السموات والأرض خبيرًا، الخبير ـ هو الله ـ في كل شيء.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ وإذا قيل لمشركي مكة: اسجدوا للرحمٰن، قالوا تعنُّتًا وإنكارًا: وما الرحمـٰن؟! أنسجد لما تأمرنا بالسجدة له؟ فكأنهم يقولون: لا تسجدوا للرحمن وزادهم نفورًا، أي: كراهة وبعدًا عن الإيمان بالله وحده.

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ تعاظم وكثرت بركته في خلقه، هو الذي جعل في السماء بروجًا وهي منازل الكواكب السيارة وجعل في سماء الدنيا سراجًا، أي: جعل الشمس سراجًا تضيء النهار، وجعل قمرًا في الليل منيرًا لأهل الأرض.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وهو الله الذي جعل الليل والنهار يخلف بعضه بعضًا لمن فات عليه من الطاعات في النهار فله أن يدركها في الليل وقت الفراغ من العمل، أو أراد العبادة في الليل من النوافل شكرًا لله تعالى.

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ ﴾ وعباد الرحمٰن الذين يمشون على الأرض هونًا بالسكينة، لا تبخترًا في مشيتهم ولا تكبُّرًا على خلق الله، وإذا خاطبهم السفهاء بالسفاهة والغلظة بالقول قالوا قولاً سلامًا عن الإساءة إليهم.

﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ ﴾ وهم الذين يبيتون في الليل يصلون لربهم ساجدين وقائمين بطول القيام والركوع والسجود ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾ وهم الذين يقولون: يا ربنا اصرف عنا عذاب جهنم، إن عذابها كان لازمًا على الكافرين بك غير مفارق عنهم، إن جهنم ساءت لأهلها مقرًّا ومقامًا إلى الأبد.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ وهم الذين إذا أنفقوا على أهليهم لم يسرفوا، أي: لم يتجاوزوا عن حد المعروف، ولم يقتروا، أي: ولم يضيقوا على أهلهم بالإطعام والملابس، وكان إنفاقهم على أهليهم بين ذلك وسطًا عدلاً.

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ وهم الذين يتحذرون عن عبادة غير الله ولا يعتقدون أن مع الله إلـٰهًا آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلاَّ بالحق الذي ثبت قتلها بحكم الشرع، ولا يزنون ويتحذرون عنه وعن دواعيه ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ ومن يفعل تلك الجرائم أو إحداها يلق جزاءً سيئًا لتلك الجرائم يوم القيامة.

﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ يزاد له العذاب

أضعافًا ويخلد في عذاب جهنم مهانًا ذليلاً على الأبد ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ إلاَّ من تاب إلى الله عن تلك الجرائم توبة صادقة وأيقن أن الله يتقبل توبته وعمل عملاً صالحًا لله تعالى امتثالاً لأمر الله وتمسكًا بسنة رسول الله، فأولئك يبدل الله مكان سيئاتهم حسنات. والمعنى يكفِّر الله سيئاتهم بحسناتهم، وكان الله غفورًا لمن تاب عن ذنوبه رحيمًا بعباده المؤمنين. فيذكر الله هنا صفات المؤمنين والتأبين.

ثم يقول: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾ ومن تاب عن ذنوبه وأصلح شأنه بالأعمال الصالحات واستقام فيها فإنه يرجع إلى الله مرجعًا مرضيًا عند ربه ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ والذين لا يشهدون شهادة الزور ويتحذرون عنها وإذا مروا بمجالس اللغو واللعب مروا معرضين عنها محافظين على كرامتهم وشرفهم ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾ والذين إذا ذكروا بتذكير آيات ربهم ومواعظها لم يخروا عليها صمًّا وعميانًا، أي: لم يكون خرورهم صمًّا وعميانًا، بل استماعهم للتذكير استماعًا واعيًا، ومعتنين في قلوبهم للاستماع.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ هذه آخر صفة عباد الرحمن، أي: هم الذين يقولون راجين من الله يا ربنا هب لنا من زوجاتنا وذرياتنا قرة أعين تَسْكُنْ بهم أعيننا وتطمئن قلوبنا بصلاحهم على طاعتك، واجعلنا لعبادك الخاشعين إمامًا بتذكير آيات كتابك ومواعظه فيقتدوا بنا.

ثم وعد الله لهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦ ﴾ أولئك العباد يجزون في الجنة غرفة عالية مزخرفة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد، ويتلقاهم الملائكة بالتحية والسلام مقيمين فيها بنعيم سرمدي، وحسنت لهم مقرًّا وإقامة فيها إلى الأبد.

﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ٧٧ ﴾ الآية موجهة إلى كفار قريش، قل لهم يا محمد: لا يبالي ربي بكم بتعجيل العذاب عليكم لولا دعاؤكم مضطرين وقت حاجاتكم إلى الله، فقد كذبتم رسولي محمدًا، فيوم القيامة يكون تكذيبكم برسولي محمد (لزامًا) مصدر بمعنى مفعول، أي: ملزومًا عليكم.

الحمد لله، تمّت سورة الفرقان بعون الله.

* * *

سورة الشعراء

آياتها مئتان وسبع وعشرون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ۝١﴾ تفسير الحروف المقطعة سبق في أول سورة البقرة ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ هذه آيات السورة آيات القرآن المبين، أي: الواضحة معانيه وأحكامه التشريعية للمسلمين.

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ في الآية تسلية للنبي ﷺ بأسلوب خاص: لعلك مهلك نفسك لعدم إيمان قومك بك من أن لا يكونوا جميعهم مؤمنين؟! فلا تحزن لامتناعهم عن الإيمان بوحدانيتي وبرسالتك.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾ إن نشأ إيمانهم ننزل عليهم من السماء معجزة تجبرهم على الإيمان بي فتظل أعناقهم لآيات الله (خاضعين)، أي: منقادين، ولكن سبقت في علمنا شقاوتهم فلا تحزن عليهم وأرح نفسك بالصبر لتبليغ أمري إليهم.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥﴾ وما يأتيهم من ذكر جديد من عند الله إلاّ كانوا معرضين عن التصديق به مستهزئين عليه

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ فقد كذبك قومك يا محمد فسوف يأتيهم أخبار أو نتيجة ما كانوا به يستهزؤون، بك وبما أنزل إليك.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ أولم ينظر هؤلاء الكفار إلى الأرض اليابسة وقد أنزلنا ماء المطر، كم أنبتنا به في الأرض من أصناف من زروع وعشب ذي بهجة حسنة.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ إن في ذلك، أي: في إنزال الماء من السحاب وإنبات الزروع والعشب من الأرض اليابسة لآية، أي: لعبرة لمن تأمل فيه، وما كان أكثرهم مؤمنين بكمال قدرة الله ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ وإن ربك يا محمد لهو العزيز في أمر خلقه الرحيم لعباده المؤمنين.

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾ وحين نادى ربك يا محمد نبيه موسى عليه السلام في الطور بأن: ائت القوم الظالمين، وهم قوم فرعون، وبلغ أمري إليهم: ألا يتقون؟! أي: ألا يخافون عقابي لمن كفر بي وعصى أمري وكذب رسولي؟!

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ قال موسى عليه السلام: يا رب، إني أخاف أن يكذبوني في رسالة أمرك إليهم، ويضيق صدري من تكذيبهم إياي فلا ينطلق لساني في النطق، وأخي هارون أفصح مني فأرسله مُعينًا لي.

﴿ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾ ولقوم فرعون عليّ ذنب بقتل قبطي، فأخاف أن يقتلوني قصاصًا لقتل قبطي منهم.

﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ (كلا) ردع عن خوفك يا موسى، لن يستطيعوا أن يقتلوك، فاذهب أنت وهارون إلى فرعون وأنا معكم بالنصر والحفظ من شرِّهم، إنا معكم نسمع ما تبلغ من أمري وبما يجيب لكم، فأتيا فرعون فقولا: إنا رسول ربك يا فرعون. فأرسل معنا بني إسرائيل ليعبدوا ربهم في بيت المقدس ولا تعذبهم في الأعمال الشاقة عليهم.

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ قال فرعون منكرًا تبليغ رسالة الله إليه وتهديدًا لموسى عليه السلام: ألم نربك يا موسى في بيتنا وليدًا صغيرًا، ومكثت في بيتنا من عمرك سنين؟! ـ قيل: عاش موسى عليه السلام في بيت فرعون ثلاثين عامًا، حتى قيل: ابن فرعون ـ ثم قال له فرعون: وفعلت فعلتك التي فعلت من قتل القبطي، ومخالفتك لنا، وأنت من الجاحدين لنعمتي عليك.

﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ قال موسى عليه السلام: إن فعلتها ـ تلك الفعلة ـ خطأً وأنا من الجاهلين، إذ أردت تأديبه فقط، فمات.

﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ فهربت منكم حين أردتم أن تقتلوني مقابل قبطي قتلته خطأً لا عمدًا، وغبت عنكم عشر سنين في مدين عند شعيب عليه السلام فزوجني بنته ورجعت بأهلي إلى مصر، فوهب لي ربي النبوة والحكمة، وجعلني رسولاً أبلغ أمره إليكم، وأنا عند الله من عباده المرسلين إلى عباده؛ لتبليغ أمره إليهم، ودعوتهم إلى توحيد الله وعبادته.

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (وتلك نعمة)، أي: تربيتك لي والتي تمنها عليّ إنما هي نقمة؛ لأنك جعلت قومي بني إسرائيل عبيدًا لك ولقومك، تعذبونهم بأعمال شاقة عليهم وأنا أتحزن من تعبهم رحمة بهم.

ثم أراد فرعون أن يسأل عن رب العالمين، ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾، أي: أيّ شيء هو رب العالمين، سأل عن ماهية ما لا ماهيّة له، فأجابه بما يرد عليه من مصنوعاته ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ قال موسى عليه السلام: هو خالق السموات السبع والأراضين السبع وما بينهن من الخلائق، هو يحيي ويميت وأنتم تشاهدون ذلك، إن كنتم يا فرعون والملأ تتأملون في ذلك توقنون وتؤمنون برب العالمين، فعندئذ تحير فرعون وعجز عن الجواب ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ قال فرعون لمن حوله من أشراف قومه مستعجبًا ومعجِّبًا لهم: ألا تسمعون ما يقول موسى؟ أنا أسأل عن ربه، وهو يجيب عن مظاهر مخلوقاته! ونحن لا نعتقد هذا الذي يذكر موسى.

وزاد موسى عليه السلام بالحجة والبيان ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ هذا رد على دعوى فرعون أنه رب أهل مصر، قال موسى عليه السلام: هو خالقكم وآبائكم الأولين من لدن آدم عليه السلام، هو يحييكم في الدنيا إلى تمام آجالكم ثم يميتكم وتفنوا من الدنيا كما كان آباؤكم الذين مضوا قبلكم.

﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ قال فرعون: إن موسى يزعم أنه أرسل إليكم من ربه، وإنما هو لمجنون، نسأل شيئًا فيجيب جوابًا لا نريده، قد اختل، في عقله جنون.

ولما عرف موسى عليه السلام بلاهتهم وجهلهم ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ قال موسى عليه السلام: هو خالق مشرق الشمس والقمر ومغربهما وما بينهما من الخلائق إن كنتم تتأملون فيها وتعقلون.

وعندما عجز فرعون عن الجواب رجع إلى استعلائه وتعنته ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ قال فرعون: لئن اتخذت يا موسى إلـهًا غيري لأجعلنك في السجن فتكون فيه مع المسجونين ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ فرد عليه موسى عليه السلام: أولو جئتك بمعجزة ظاهرة تعرف بها صدقي أتسجنني أم تصدق بها؟!

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ قال فرعون: فأت بما تقول حتى نرى إن كنت يا موسى من الصادقين في دعواك ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فألقى موسى عليه السلام عصاه إلى الأرض فصارت حية عظيمة ظاهرة في أعين القوم وهي تتحرك، فأقبلت إلى فرعون وفزع فرعون وقومه، وناشد فرعون بالذي أرسله أن يأخذها بيده فأخذها موسى عليه السلام بيده فانقلبت عصا. ثم طلب فرعون آية أخرى فنزع موسى عليه السلام يده من جيبه فإذا هي بيضاء لها شعاع مثل شعاع الشمس للناظرين إليها.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ قال فرعون متعنتًا لمن عنده من أشراف قومه: (إن هذا) يشير إلى موسى عليه السلام (لساحر عليم) في سحره ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ قال فرعون لملائه: يريد موسى أن يخرجكم بسحره من أرضكم مصر ويستولي على

ديارکم فبأي شيء تشيرون عليّ وأنا أفعله ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ قال الملأ: أخر أمرهما وأرسل إلى مدائن مصر من يجمع السحرة فيأتوك بكل ساحر عليم، أي: ماهر بسحره ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾﴾ فجمع السحرة من كل بلد وأتى بهم المرسلون إلى ميقات يوم معلوم، وهو يوم الزينة، وقت الضحى ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ وأمر فرعون الناس أن يجتمعوا وقت الضحى يوم الزينة فاجتمعوا فيه، وقالوا: (لعلنا)، أي: كي نتبع السحرة إن كانوا هم غالبين موسى.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾ فسألوا الأجرة إن هم تغلبوا على موسى ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ قال فرعون مجيبًا على سؤالهم: نعم نعطيكم أجرًا جزيلاً، وإنكم عندي لمن المقربين في مجلسي.

ولما اجتمع الناس والسحرة بحبائلهم وعصيهم قالوا: يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾﴾ قال لهم موسى عليه السلام: ألقوا ما أنتم ملقون من حبالكم وعصيكم ﴿ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ فألقوا ما معهم وقالوا ـ يقسمون على زعمهم ـ أنهم الغالبون على موسى. وامتلأت الساحة حيات، وخيل للناس إنها حيات حقيقة، فأوجس موسى في نفسه، فأوحى الله إليه أن ألق عصاك ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾ فألقى موسى عليه السلام عصاه على الأرض فإذا هي صارت حية عظيمة حقيقية تبلع ما صنع السحرة بالكذب، وتعجب الناس مما شاهدوا من معجزات الله التي أكرم بها موسى عليه السلام.

﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ فخر السحرة ساجدين لله وقالوا: آمنا بما شاهدنا من معجزات موسى وبرب العالمين رب موسى وهارون.

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ قال فرعون للسحرة: آمنتم لموسى قبل الاستئذان مني وآذن لكم أن تؤمنوا به؟! إذن فإن موسى لهو كبيركم الذي علمكم علم السحر، فلسوف تعلمون عقابي لكم. ثم بين نوع عقابه لهم: لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، أي: لأقطعن يدكم اليمنى من الكوع ورجلكم اليسرى من الكعب ولأصلبنكم في جذوع النخل حتى ينظر الناس إليكم.

﴿ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ قالوا: لا ضرر، ولا نبالي عقابك لنا؛ إنا إلى ربنا راجعون عن الشرك ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ إنا نرجو أن يغفر لنا ربنا خطايانا فيما مضى من عمرنا لأنا كنا أول المؤمنين بما شاهدنا من معجزات موسى.

﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ وأمرنا إلى موسى أن أسر بعبادي بني إسرائيل ليلاً إلى جهة البحر؛ إن فرعون وقومه يتبعونكم.

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾، أي: جامعين الناس ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ قال فرعون: إن هؤلاء قوم قليلون وإنهم لنا لمغضبون، وإنا لجميع حاذرون منهم.

قال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ فأخرجنا فرعون وقومه من بساتينهم وفيها ماء عيون

يجري خلال أشجارها وكنوز من ذهب وفضة وقصور حسنة، كذلك يفعل الله بمن عصاه، فالأمر كما وصفنا، وأورثناها لبني إسرائيل، وذلك بعد غرق فرعون وجنده.

﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ فلحق فرعون وقومه موسى وبني إسرائيل وقت شروق الشمس ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ فلما دنا فرعون وقومه إلى جمع موسى وبني إسرائيل، ويرى بعضهم بعضًا، قال قوم موسى عليه السلام. إنا لمدركون، أي: يدركنا فرعون وقومه فيقتلوننا. ولكن موسى عليه السلام يُثَبِّتُهُم ﴿ قَالَ كَلَّآ ﴾ (كلّا) للردع على خوفهم، لن يستطيعوا أن يدركونا ولا يقتلوكم ﴿ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ إن معي ربي سيهديني —وأنتم معي— إلى طريق النجاة من شر أعدائنا. وبتلك البشارة سكنت نفوسهم واطمأنت.

قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ وأمرنا موسى بالوحي أن اضرب بعصاك البحر، فضرب البحر فصار ماء البحر منفلقًا اثني عشر فرقًا على عدد الأسباط، وظهر تراب الأرض ودخل موسى وقومه غير خائفين حتى خرجوا إلى البر سالمين، ودخل فرعون وقومه حتى دخلوا عن آخرهم فأمر الله الماء أن يلتحم فالتحم الماء فأغرق فرعون وقومه، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ ولما غرقوا جميعهم قال بعض بني إسرائيل: ما مات فرعون. فأمر الله ماء البحر أن يلقي جسم فرعون إلى مرتفع في شاطىء البحر، فنبذ الماء جسمه الميت إلى شاطىء البحر فنظروا ورأوا فرعون ميتًا واطمأنوا.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ إن في تلك القضية التي ذكرناها لعبرة لمن يتأمل ويعتبر بها، وما كان أكثر الناس بمصدقين. وقيل: وما كان أكثر قوم فرعون بمؤمنين إلاّ السحرة وامرأة فرعون آسية وحزقيل وامرأة أخرى. وإن ربك يا محمد لهو العزيز بالانتقام من أعدائه، الرحيم بالنصرة لأوليائه.

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ واقرأ عليهم خبر إبراهيم عليه السلام حيث قال مختبرًا أباه آزر وقومه: ما هذا الذي تعبدون؟ قالوا: نعبد أصنامًا فنظل على عبادتها مقيمين.

﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ قال إبراهيم عليه السلام على سبيل التبكيت والتجهيل: هل يسمع أصنامكم حين تدعونهم أو ينفعونكم بالرزق أو يضرونكم إن تركتم عبادتها.

﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ ونحن اقتدينا بهم فعبدناها.

﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ قال إبراهيم عليه السلام: هل ترون ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأولون، من دون عبادة ربكم، بغير حجة، على هوى أنفسكم، فإن ما تعبدون من دون الله وآبائكم وأنتم عدو لي، لا أتبعكم؛ ولا أعبد شيئًا إلاّ رب العالمين ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ وصف هنا ربه بصفات الكمال، قال: ربي الذي خلقني فهو يهديني إلى دينه الحق، الذي فيه رضاه، وهو الذي

يرزقني فيطعمني ويسقيني في حياتي، الدنيا وإذا مرضت فهو يشفيني، وهو الذي يميتني عند تمام أجلي من حياتي ثم يحييني للبعث والحساب، والذي أرجو أن يغفر لي خطيئتي يوم الحساب والجزاء برحمته.

وبعد أن أجابهم جوابًا مقنعًا توجه إلى ربه بالدعاء ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ يا رب هب لي الفهم الصحيح حتى لا أخطىء في عبوديتك، وحكمة في كلامي، وألحقني في جملة عبادك الصالحين ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ لسان صدق، أي: الثناء الحسن، وقد تقبل الله دعاءه وجعل ذكره في كل لسان ذكرًا حسنًا إلى يوم الدين، ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ واجعلني ممن يرث جنة النعيم، ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ فدعا لأبيه، وكان ذلك قبل أن يتبين له أنه عدو الله، ولما تبين له تبرأ منه. ثم قال: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ قال إبراهيم عليه السلام: ولا تخزني، ولا تفضحني يوم يبعث الخلائق من قبورهم للحساب والجزاء، ذلك اليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا أصحاب، إلَّا من أتى يوم الحساب أمام الله بقلب سليم عن الشرك والكفر والنفاق والكبر والحسد.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ وقربت الجنة لعباد الله الخائفين من عقابه اللذين امتثلوا في حياتهم لأوامره؛ ليروها قبل دخولهم فيها فيحصل لهم السرور والاطمئنان.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ وأظهرت الجحيم للضالين عن طاعة ربهم والكافرين به؛ ليروها قبل دخولهم فيها ليزداد حزنهم، ويعاتبهم: ﴿وَقِيلَ

لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ أين الذين كنتم تعبدونهم من دون عبادة الله، هل يستطيعون أن يدفعوا عقاب الله عنكم، أو يستطيعون لأنفسهم شيئًا من الدفاع لعذاب الله؟!

﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ وألقوا على رؤوسهم منقلبين في الجحيم، العابدون والمعبودون وأتباع إبليس، أجمعون، وهم في الجحيم يتخاصمون، وذلك قوله تعالى مخبرًا عن حالة أهل الجحيم ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾، أي: قال أهل الجحيم وهم في الجحيم يتخاصمون ويلوم بعضهم بعضًا، فقال العابدون للمعبودين تالله إنا كنا في حياتنا الدنيا لفي خطأ ظاهر في عبادتنا لغير الله ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ حيث كنا نعدلكم برب العالمين، وفي قولهم تعريض وإنكار على أصنامهم، وما أضلنا عن طريق الحق إلاَّ المجرمون المشركون المعاندون لدين الله، فما لنا من شافعين ينقذونا من عذاب الله، ولا صاحب حميم يحمينا من عذاب الله. ثم قالوا متمنين الرجوع إلى الدنيا: فلو أن لنا الرجوع إلى الدنيا مرة أخرى فنعبد ربنا ونكون من المؤمنين العابدين لربهم. وهذا آخر كلامهم، لا فائدة لهم من تمنيهم وحسرتهم، إنما الدنيا دار العمل والآخرة دار الجزاء.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ إن في ذلك النبأ من نبأ موسى مع فرعون ونبأ إبراهيم مع قومه لعبرة لمن يتأمل ويعتبر، وما كان أكثر الناس بمصدقين، ولكنك يشكون فيها. وإن

ربك يا محمد لهو العزيز في الانتقام من أعدائه الكافرين والمشركين والمنافقين، الرحيم لعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة.

ثم ذكر قصة أخرى عن السابقين فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ كذبت جماعةُ قومِ نوح عليه السلام رسولهم نوحًا عليه السلام، إنما جاء بالذكر بصيغ الجمع لأن تكذيب رسول واحد تكذيب جميع الرسل؛ لأن دعوتهم واحدة. حيث قال نوح عليه السلام: ألا تخافون عقاب الله في عبادتكم للأصنام؟ إني لكم رسول من ربكم، أمين في تبليغ أمره إليكم، فخافوا عذاب الله وأطيعوا أمري.

قال نوح عليه السلام: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾ وما أسألكم لتبليغ أمر ربـي إليكم من أجر، إن أجري إلاَّ على رب العالمين، هو يثيبني، فخافوا الله يا قوم وأطيعوا أمري تسلموا من عقاب الله.

﴿ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ فردوا عليه منكرين دعوته: أنصدق لك يا نوح فيما تقول، ونحن نشاهد أن أتباعك هم الأرذلون؟! أي: سخيفو العقل والضعاف.

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ فأجابهم: ما عندي علم بما كانوا يعملون في ضمائرهم، إنما أمرتهم أن يؤمنوا بالله فآمنوا به، وما حسابهم إلاَّ على ربـي، هو يحاسبهم لو تعقلون ذلك، وما أنا بطارد المؤمنين من عندي

متبعًا هواكم ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ ما أنا إلاَّ مخوِّفٌ من عذاب الله إن لم تؤمنوا به وحده.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ قال قومه الكافرين: لئن لم تترك دعوتك لنا يا نوح لتكونن من المرجومين بالحجارة، نقتلك أو نطردك عنا وعن ديارنا.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ فتوجه نوح إلى الله عزَّ وجلّ: يا رب، إن قومي كذبوني ولم يصدقوني فيما بلغت من أمرك، فاحكم بيني وبينهم حكمًا عدلاً، ونجني ومن معي من المؤمنين من شر هؤلاء الكفرة. وتقبل الله دعاءه، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ فأنجينا نوحًا ومن معه من المؤمنين في السفينة، محمّلةً من الإنسان والحيوانات، ثم أغرقنا في ماء الطوفان الكافرين بعد حمل المؤمنين في السفينة، فهلك الكافرون في الغرق والمؤمنون نجوا من الغرق سالمين.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾ تقدم تفسيرها في قصة موسى وإبراهيم ونوح عليهم الصلاة والسلام في نفس السورة.

ويذكر الله هنا خبر عاد فقال: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾﴾ كذبت قبيلة عاد المرسلين. واستعمل صيغة الجمع لأن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل، لأن دعوتهم واحدة. حيث قال لهم هود عليه السلام: ألا تخافون عقاب الله لعبادتكم الأصنام؟ إني لكم يا قومي رسول أمين، أي:

صادق في تبليغ أمر ربي إليكم، فخافوا عذاب الله وأطيعوا أمري تنجوا من عذاب ربكم.

﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ تقدم تفسيرها في قصة نوح عليه السلام.

قال هود عليه السلام لأشراف قومه منكرًا ما يصنعون: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ أتبنون بكل مكان مرتفع على طرق مشهورة آية، أي: بناية ظاهرة لينظر الناس إليها أو تشرفوا على الناس منها فتعبثون وتلهون فيها؟ وتتخذون المباني كالحصون أو مصانع الماء تحت الأرض لعلكم تخلدون في الدنيا ولا تموتون أبدًا ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ ﴾ وإذا أخذتم أو ضربتم أحدًا أخذتم بطش الجبارين بالظلم والاعتداء بغير رحمة ولا مروءة البشرية، فاتقوا الله يا قومي ولا تخالفوا أمره وأطيعوني فيما أمرتكم تنجوا من بطش الله، إن بطش الله لشديد.

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ ﴾ واتقوا الله الذي أعطاكم من أنواع الخيرات وأنتم تعلمون ذلك. ثم بين: أعطاكم أنعامًا، هي الإبل والبقر والغنم، ويدخل فيها الخيل والبغال والحمير. وأعطاكم بنين كثير ذكورًا وإناثًا، وجناتٍ وعيون، أي: بساتين فيها عيون يجري ماؤها خلال أشجارها، وهذه النعم توجب شكرها لربكم، فلا تكفروا بخالقها لكم، ولا تكفروها نعمة من ربكم ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾ إني أخاف عليكم عذاب الله في يوم القيامة، وشأنها عظيم.

فأجابه قومه ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ قال قومه: سواء تذكيرك ووعظك علينا وعدمهما، لا نطيعك، ما هذا الذي تذكرنا وتعظنا به إلاَّ خُلُقُ الأولين، أي: عاداتهم وشأنهم وخرافاتهم أو أنه من اختلاف وافتراء الأولين، وما نحن بمعذبين كما تزعم أنت يا هود.

قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾ فكذبوا رسولهم هودًا عليه السلام فاستحقوا عقابنا فأهلكناهم، وكان هلاكهم بريح صرصر عاتية، أي: شديدة الهبوب والبرد سلطها الله عليهم ماتوا فيها ولم يبق أحد منهم.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ ﴾ تقدم تفسيرهما في نفس السورة وتكرارها للتنبيه لمن يستمع ويتعظ.

ثم ذكر خبر ثمود فقال: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ ﴾ ومعنى هذه الآيات قد تقدم، وكررت لتنبيه المستعمين والمستمعين ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ تقدم معناها في نظيرها.

قال صالح عليه السلام: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ أتظنون يا قوم أن تُتْركوا في الدنيا آمنين عن الموت والمصائب، في بساتين، وعيون نابعة من بساتينكم، وأنواع الزروع، ونخل طلعها هضيم، أي: رطبها لين وتنحتون من الجبال بيوتًا لتسكنوا فيها في الشتاء فارهين، أي: متعجبين بصنيعكم ومفتخرين على الناس؟!

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ فاتقوا عذاب الله وأطيعوني فيما أمرتكم تنجوا من عذاب الله، ولا تطيعوا أمر المتجاوزين المجرمين عن حد العبودية، هم الذين يفسدون عباد الله في الأرض بالتآمر عليهم، ولا يصلحون أنفسهم ولا غيرهم.

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ قال قومه: إنما أنت يا صالح من المسحورين في عقلك، ما أنت إلاّ بشر مثلنا، لا نصدق دعواك، فأت بمعجزة من ربك تدل على صدق رسالتك إن كنت من الصادقين فيما تزعم أنك رسول الله إلينا. وروي لما اقترح قومه آية وهي ناقة حاملة، عندئذ جاء جبريل عليه السلام قال: فاسأل ربك يعطيك. فسألَ اللَّهَ الناقةَ، فخرجت من صخرة وبركت أمامهم.

﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ ﴾، قال لهم صالح عليه السلام: هذه ناقة، لها شرب ماء يومًا ولكم شرب ماء يومًا معلومًا، ولا تصيبوها بسوء فيأخذكم عذاب عظيم. وكانوا يشربون ألبانها يوميًا ويكفي لجميع القوم بقدرة الله وبركته، وحسدوا وطغوا، فأرسلوا أشقاهم: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ ﴾ فعقرها أشقاهم فصاروا نادمين على ما فعلوا، فأخذهم عذاب الله، وهو الصيحة الطاغية، فماتوا كلهم في ديارهم جاثمين على ركبهم، ما استطاعوا أن يتحرّكوا عن أماكنهم ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ﴾ سبق تفسيرها في نظيرهما.

ثم يخبر عن قوم لوط فقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ كذبت جماعة لوط عليه السلام رسولهم لوطًا عليه السلام حيث قال لقومه: ألا تخافون عقاب الله وتنتهوا عن فعلتكم الخبيثة، وكانت فعلتهم أنهم يأتون الرجال دون النساء. ثم قال لهم: إني لكم رسول صادق من ربكم وأنصحكم بما فيه صلاحكم، فاتقوا الله وأطيعوا أمري فتسلموا من عقاب الله ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ تقدم تفسيرها في نظيرها.

وقال لوط عليه السلام منكرًا ومهددًا لهم ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ أتأتون يا قوم الذكور بفعلة خبيثة في عالم الإنسان، البهائم لا تفعلها، وتتركون ما خلق الله لكم من زوجاتكم وأصلحه لكم من الفروج، فتركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال؟!! بل أنتم قوم متجاوزون حدود الله، وهاتكون حرمته ومستحقون عقاب الله.

ولم يقبلوا نصيحته وتمردوا في عصيانهم: ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ فقالوا: لئن لم تنته من تقبيحك وتسفيهك لنا وكره ما نريده لنخرجنك من ديارنا، لتكونن من الذين أخرجوا قبلك من ديارهم.

﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ قال لوط عليه السلام: إني لعملكم هذا الخبيث ـ وهو إتيان الرجال ـ لمن المبغضين، والقلى هو: حرارة القلب من الغضب.

ثم توجه إلى ربه بالدعاء: ﴿ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ يا رب نجني ومن آمن بـي من عقوبة ما يعمل هؤلاء المجرمون. فأجاب الله دعاءه

قال: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝١٧٠ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ۝١٧١﴾ فنجاه الله ومن معه إلَّا امرأته التي كانت كافرة، وهي مع الباقين في الهلاك.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝١٧٢﴾، أي: أهلكناهم مع ديارهم، لم يبق من أثرهم إلَّا ماء نابع مالح يسمى اليوم بحر لوط بين فلسطين والأردن ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝١٧٣﴾ وأرسلنا عليهم حجارة على رؤوسهم كالمطر فساء مطر الحجارة هذه على القوم الذين كذبوا رسولهم لوطًا ــ وقد تقدمت قصة لوط مع قومه في سورة هود مفصلة ــ ، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٤ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٧٥﴾ تقدم تفسيرهما في نظيرهما وتكرارها للتنبيه.

ثم يذكر قصة أصحاب الأيكة: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧٦ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٧٧ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٧٨ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٧٩﴾ كذب قوم الأيكة رسولهم شعيبًا عليه السلام. قيل: الأيكة اسم الشجر الملتف، سمي بلدهم باسم الشجر؛ لكثرته والتفافه فيها. فاذكر حيث قال لهم شعيب عليه السلام: ألا تخافون عذاب الله بتطفيف الكيل والميزان؟ إني لكم رسول أمين من ربكم، فاتقوا عقاب الله، وأطيعوا أمري، ولا تكذبوني فتسلموا من عذاب ربكم. ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٠﴾ سبق تفسيرها.

﴿۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ۝١٨١ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۝١٨٢ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝١٨٣﴾ قال شعيب عليه السلام: أوفوا الموزون بالكيل والميزان، وزنوا بالميزان والكيل المستقيم، أي: العدل، ولا تكونوا من الباخسين حقوق الناس ولا تسعوا في أهل الأرض بالإفساد. وكانت عادتهم أنهم ينهبون من يمر في بلدهم من الأجانب

ويقطعون الطريق وقال: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ واتقوا عقاب الله للعاصين أمره، هو الذي خلقكم والأمم الأولين قبلكم.

فلم يقبلوا نصيحته ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ قالوا: إنما أنت يا شعيب من المسحورين، قد سحرت في عقلك، وما أنت إلاَّ إنسان مثلنا، وما نظنك إلاَّ من الكاذبين، لا نصدقك بما تدعونا إليه. ثم قالوا: فأسقط علينا قطعًا من العذاب من السماء إن كنت من الصادقين في دعواك.

﴿ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ قال شعيب عليه السلام: ربي أعلم بما تعملون من تطفيف الكيل والميزان وقطع الطريق فيجازيكم. ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾ فكذبوا شعيبًا ولم يرتدعوا عن أعمالهم السيئة والخيانة في حقوق الناس، فأخذهم الله بالعذاب الحار يوم الظلة. وقال المفسرون: أرسل الله إليهم السحابة أيام الحر أظلتهم حتى اجتمعوا كلهم تحت السحابة فأرسل الله عليهم نارًا فأحرقتهم. قال تعالى: إن عذابهم كان مثل عذاب يوم عظيم شديد الحرارة ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾ تقدم تفسيرهما في نفس السورة.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ وإن هذا القرآن الكريم لمنزل من رب العالمين، نزل به جبريل عليه السلام الأمين بوحي الله وألقاه على قلبك يا محمد لتحفظه بلسان عربي بيِّن معانيه؛

لتكون من المنذرين عباد الله من عذابه إن لم يؤمنوا به وحده، وإن ذكر القرآن وأحكامه لفي كتب الأنبياء والمرسلين.

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ استفهام للتقريع، أو لم يكن لهؤلاء المعرضين من كفار مكة عما يأتيك يا محمد من ذكر ربك دلالة على أنك رسول رب العالمين وأن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بني إسرائيل؟! فهم يجدون ذكرك وذكر القرآن في كتبهم التي يدرسونها، أوليس يكفيهم هذا ليصدقوا؟!

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ قال تعالى: ولو نزلنا هذا القرآن على لسان بعض الأعجمين فقرأه على كفار مكة ما كانوا به بمصدقين، ويقولون ما فهمنا ليس على لغتنا، أو المعنى: لو نزلنا القرآن على بعض الأعجمين ــ جمع عجم، وهو من لا يفصح بالعربية ــ فقرأ القرآن على كفار مكة ما كانوا بالقرآن بمصدقين، ويقولون: يلحدون لسانه، ليس بفصيح بالعربية.

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ مثل ذلك أدخلنا التكذيب والكفر بالقرآن الكريم في قلوب المجرمين، لا يؤمنون بالقرآن حتى يروا العذاب الشديد من شقاوتهم الأزلية، فيأتيهم العذاب فجأة وهم لا ينتبهون نزول العذاب عليهم لفرط غفلتهم ﴿فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ فيقول كفار مكة هل نحن مؤخرون عن العذاب؟! قال تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ هل يستعجل بعذابنا هؤلاء المجرمون؟!

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ أخبرني يا محمد، إن متعناهم في حياتهم سنين وهم

يتمتعون في صحة ورفاهة في عيشتهم، ثم جاءهم العذاب بغتة، قد كانوا يوعدون به، ما أغنى عنهم الذين يتمتعون به من سعة الرزق والصحة؟! ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾ قال تعالى: وما أهلكنا من أهل قرية من القرى إلاَّ أرسلنا إليهم منذرين من عذابنا إن لم يؤمنوا بوحدانيتنا؛ وإرسال الرسول إليهم ليكون تذكرة وحجة عليهم، وما كنا ظالمين في تعذيب قوم إلاَّ بكفرهم وعصيانهم.

ثم رد الله على قول كفار قريش، إن القرآن ليس من عند الله، تلقاه محمد من الجن والشياطين، فأنزل الله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ قال تعالى: وما تنزلت الشياطين بالقرآن، بل نزل به الروح الأمين على قلب محمد عليه الصلاة والسلام بأمر ربه. ولا يصح، ولا يمكن للشياطين إنزاله، ولا يقدرون أبدًا، إن الشياطين عن السمع لمطرودون برجم الملائكة لهم بالشهب.

﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ ولا تدع يا محمد مع الله إلـهًا آخر فتكون من المعذبين في نار جهنم. خاطب الله نبيه محمدًا ﷺ تنبيهًا له، والنهي يسري لأمته ﷺ.

ثم أمر الله نبيه أن يخوف أقاربه من عذاب الله إن لم يؤمنوا بالله وحده: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية وقد ذكرها المفسرون كابن كثير وغيره، وأذكر منها: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما أنزل الله عز وجل: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى: «يا صباحاه»، فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني لؤي، أرأيتم لو

أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟» قالوا: نعم، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلاَّ لهذا؟ وأنزل الله ﴿تبت يدا أبـي لهب وتب﴾.

وورد في رواية أخرى أنه ناداهم فلما اجتمعوا: قال: «يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئًا، ويا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا.

ومعنى قوله ﷺ لا أغني عنكم من الله شيئًا، أي: لا أستطيع أن أدفع عنكم من عذاب الله شيئًا، اشتروا أنفسكم بالإيمان بالله وحده ولا تشركوا به شيئًا وبالأعمال الصالحات التي أمركم الله بها.

ثم قال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ وخفض الجناح عبارة عن التواضع، أي: ألن الكلام بالرحمة واللطف لمن آمن بك واتبع سنتك من الذين آمنوا بقلوبهم وأظهروا بألسنتهم. وبهذا القيد خرج المنافقون، وهم الذين أظهروا الإيمان بلسانهم وفي قلوبهم كفر وعناد للمسلمين.

﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ فإن عصوك يا محمد ولم يقبلوا إنذارك فقل لهم: إني بريء مما تعملون من أعمال الشرك والكفر.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ واعتمد يا محمد على العزيز القاهر لأعدائك، الرحيم بك وبالمؤمنين، الذي يراك حين تقوم من نومك إلى الصلاة

وتقلبك مع المصلين لآداء الفريضة، إنه تعالى هو السميع لأقوالكم العليم بما في ضمائركم.

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يزعمون أن القرآن ينزل به الشياطين عليك: هل أخبركم على من تنزل الشياطين؟ تنزل الشياطين على كل كذاب أثيم، أي: بالغ بالكذب، وهم الكهنة، يلقي الشياطين شيئًا مما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة، وأكثر كلامهم كذب.

﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ والآية رد على زعم أن محمدًا شاعر، والشعراء ـ جمع شاعر ـ، يتبعهم الضالون وهم السفهاء، ألم تر يا محمد أن الشعراء في كل واد يهيمون، المعنى: أنهم يأخذون في كل فن من فنون الكلام من اللغو والكذب وغير ذلك، فيمدحون بالباطل ويذمون بالباطل، ويقولون فعلنا، وهم لم يفعلوا. ثم استثنى منهم ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ إلاَّ الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله، وذكروا الله كثيرًا لا يشغلهم شيء عن ذكر الله ﴿ وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ وانتصروا على المشركين الذين هجوا رسول الله والمؤمنين من بعد ما ظلموا، وسيعلم الذين ظلموا المسلمين بهجوهم، أيّ مرجع يرجعون إليه، إن شاء الله، فالمؤمنون المخلصون مرجعهم الجنة والكافرون الظالمون مرجعهم عذاب جهنم.

الحمد لله، تمّت سورة الشعراء بعون الله.

* * *

سورة النمل

آياتها ثلاث وتسعون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓ﴾ تقدم الكلام على هذه الأحرف في أول سورة البقرة ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ آيات هذه السورة آيات القرآن، في كتاب اللوح المحفوظ، وهو كتاب واضح في أحكامه وقصصه ومواعظه وأمثاله، ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾، أي: هاديًا إلى دين الحق ومبشرًا بالجنة للمؤمنين الذين يصلون الصلوات المكتوبة محافظين على شروطها وأركانها وسننها مع الجماعة على أوقاتها، ويؤتون زكاة أموالهم للفقراء والمساكين، وهم بيوم القيامة يوقنون ولا يشكون في وقوعها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤﴾ إن الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب يوم القيامة زيّنا لهم أعمالهم السيئة حسنة بنظرهم فهم يتيهون ويلهون في عصيانهم.

ثم توعد الله عليهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥﴾ أولئك الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم لاهون في هوى

أنفسهم لهم أشد العذاب في الدنيا والآخرة وهم يوم القيامة هم الأخسرون في عذاب جهنم.

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ وإنك يا محمد تتلقى القرآن بالوحي من لدن حكيم في صنعه عليم في تدبير أمر خلقه.

ثم يذكر الله من قصص الأنبياء السابقين مذكرًا ومسليًا لنبيه محمد ﷺ فقال: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ لما رجع موسى عليه السلام بزوجته من مدين إلى مصر فأخطأ الطريق في ليلة مظلمة، فآنس وأحس موسى أنه يرى نارًا من جانب الطور من بعيد، فقال لزوجته: إني آنست، أي: رأيت نارًا ـ وهذا يعني وجود أناس هناك ـ سأذهب إليها وآتيكم من عندها، أي: من أصحابها بخبر للطريق، أو آتيكم بشعلة مقتبسة في رأس العود لعلكم تستدفؤون. وكان سفرهم في أيام الشتاء.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ فلما جاء موسى عليه السلام حيث رأى النار نودي من جانب الطور يا موسى إنه بورك من في النار ومن حولها. قيل: هم الملائكة نزلت تحية لموسى عليه السلام، ثم نزه الله نفسه عن الشبه للخلق: وسبحان الله رب العالمين.

﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ قال تعالى: يا موسى إني أنا الله العزيز الحكيم، وألق عصاك، فألقاها، فرآها موسى عليه السلام كأنها حية تتحرك، فخاف موسى عليه السلام وأعرض مدبرًا عنها ولم

يلتفت وراءه. قال تعالى: يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون، إنك من المرسلين فلا تخف ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾ لكن من ظَلَمَ فإنه يخاف، ومن ظلم وعصا ثم تاب عن ظلمه وعصيانه وعمل عملاً حسنًا بعد عمله السوء فإني غفور رحيم لعبادي المؤمنين.

ثم قال تعالى مخاطبًا موسى عليه السلام: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ أدخل يدك في جيب قميصك ثم أخرجها تخرج بيضاء نقية ولكن هذا البياض من غير برص، وهذه آية من جملة تسع آيات اذهب بها إلى فرعون وقومه، أرشده إلى الصلاح؛ إنهم كانوا قومًا خارجين عن طاعتنا وظالمين لبني إسرائيل.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ فلما جاء موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه بالمعجزات الظاهرات، (مبصرة)، أي: واضحة وبيّنة على أعينهم قالوا: هذا سحر ظاهر، وجحدوا بها بألسنتهم وأنكروها ولكنهم كانوا قد أيقنوا وعلموا في أنفسهم أنها حق وجحودهم بها كان ظلمًا وتكبرًا، فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المفسدين في أرض الله، سيكون عاقبة أمرهم في الهلاك في البحر في الدنيا والإحراق في نار جهنم في الآخرة. وفي ذكر هذه القصة تقريع لكفار قريش.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ ولقد أعطينا داود وابنه سليمان علمًا، هو علم

النبوة وفهم منطق الطير وسائر الحيوانات، وزاد لسليمان تسخير الريح والشياطين والجن، وقد قالا على ذلك: قال الحمد لله الذي فضلنا بالنبوة والعلم على كثير من عباده المؤمنين.

ثم قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ وورث سليمان النبوة والملك والحكمة من أبيه داود عليهما السلام دون أولاده الآخرين، وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ولدًا، وقال سليمان عليه السلام: يا أيها الناس، أُعطينا فهم منطق الطير وسائر الحيوانات، وأوتينا من كل شيء نحتاج إليه، إن هذا التفضل لنا من الله لهو الفضل الظاهر، ويجب الشكر علينا لله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ وجُمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير، فكلهم يُحبسون ويمنعون في مكان خاص يحبس أولهم على آخرهم فلا يتفرقون ولا يتقدم في السير أحدهم على الآخر، وعلى الفرق نقباء يراقبونهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ حتى إذا أتوا، أي: سليمان وجنوده، على وادي النمل، وهو على طريق الحجاز من الطائف اليوم وهو معروف بوادي النمل، وقيل: بالشام. قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم حتى لا يحطمكم، أي: يدوسكم سليمان وجنوده وهم لا يدرون بكم فتقتلون، وسمع كلامها سليمان عليه السلام فتعجب من انتباهها.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

ولما سمع سليمان عليه السلام كلامها تبسم ضاحكًا ضحكًا خفيفًا لا يشعر من حوله وقال: يا رب أوزعني، أي: ألهمني الشكر؛ لأن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل عملاً صالحًا ترضى عنه، وأدخلني برحمتك في جملة عبادك الصالحين.

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ وتفقد سليمان عليه السلام الطيور وبحث عما فقد منها فقال: ما لي لا أرى الهدهد مكانه خال، أم كان من الغائبين؟ ثم توعده ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ اللام توطئة للقسم، والله سأعذبه عذابًا شديدًا أو لأذبحنه أو ليأتيني بحجة واضحة عن سبب غيابه.

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ فلم يلبث الهدهد إلاَّ يسيرًا حتى جاء عند سليمان عليه السلام فسأله سليمان عن أمره. فقال: أحطت بما لم تحط به يا نبي الله، وجئتك من سبأ بخبر يقين، أي: صحيح، وسبأ اسم بلد في اليمن.

﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ قال الهدهد: إني رأيت امرأة تملك سبأ، وأهل سبأ على طاعة ملكتهم، وأوتيَتْ من كل شيء تحتاج إليه من أسلحة الحرب والمال والجنود، ولها عرش عظيم، أي: كرسي عظيم مزخرف. وقيل: كان كرسيها من الذهب مكلل بالجواهر النفيسة.

﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ورأيتها وقومها يسجدون للشمس من دون أن يسجدوا لله، إذ زين لهم الشيطان أعمالهم الشركية فصدهم

الشيطان عن سبيل دين الحق فهم لا يهتدون إلى دين خالقهم ولا يعبدون الله.

ثم قال الهدهد متعجبًا ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ فصدهم الشيطان لئلا يسجدوا لله. وعلى قراءة بالتخفيف: ألا يسجد هؤلاء لله؟ وقيل: هَلَّا يسجدوا لله؟ الذي يخرج المطر الذي في السماء وينزل إلى الأرض ونبتت به النباتات والزروع، ويعلم ما تخفون من أعمالكم وأقوالكم ونياتكم ويعلم ما تظهرون؟! الله لا إلـه إلَّا هو المعبود الحق خالق العرش العظيم.

فما كان موقف سليمان عليه السلام من ذلك؟! ﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ قال سليمان عليه السلام: سننظر، أصَدَقْتَ في خبرك أم كنت من الكاذبين؟ ثم كتب كتابًا إلى بلقيس ملكة سبأ وختم عليه خاتمه ثم قال للهدهد ﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ قال المفسرون: فأخذ الهدهد الكتاب وجاء إلى سبأ فرفرف فوق رأس بلقيس تنبيهًا لها، فألقى الكتاب في حجرها، ثم تولى عنها إلى قريب منها لينظر شأنها، فأخذت بلقيس الكتاب ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ قالت ملكة سبأ بلقيس: يا أيها الملأ ــ وهم أشراف قومها ــ، إني ألقي إليّ كتاب حسن في مضمونه: إنه من سليمان، وإن فيه: بسم الله الرحمٰن الرحيم ــ في أول الكتاب ــ، وقال: أن لا تعلوا، أي: لا تتكبروا ولا تتعاظموا عليّ، وأتوني مستسلمين لأمري.

ثم استشارت قومها: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾، أي: أشيروا عليّ في أمري هذا؛ ما كنت حاكمة وفاعلة أمرًا حتى تحضروا أنتم فيه فيكون بحضوركم ومشورتكم ﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ قال الملأ: نحن أولو قوة في المال والعدة، وأولو غيرة وشجاعة في الحرب، والأمر راجع إليك فانظري أيّ أمر تأمريننا ونحن مستعدون تحت أمرك.

﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ قالت بلقيس: إن الملوك إذا دخلوا قرية بالعنوة والغلبة خرّبوها وجعلوا أشراف أهلها أذلاء وأهانوهم بالقتل والأسر، ثم أكدت كلامها: مثل ما قلت لكم يفعلون ليستقيم لهم الأمر. ومعنى كلامها: أنها حذرتهم من مسير سليمان إليهم ودخوله بلدهم. ثم أشارت عليهم ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ وإني مرسلة بهدية عظيمة تليق بسليمان وقومه، وأنا ناظرة بماذا يرجع المرسلون بالخبر، هل يقبلها أم يردها؟!

﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ فلما جاء رسول بلقيس بالهدايا الفاخرة وضعها عند سليمان عليه السلام، قال سليمان منكرًا: أتمدونني بمال من حطام الدنيا لا حاجة لي بها، فالذي أعطاني الله إياه من النبوة والحكمة والعلم الكثير والملك الواسع خير مما آتاكم من حطام الدنيا ومزخرفاتها، ولكن أنتم تفرحون بالهدايا والمفاخرة وكثرة المال. أما أنا فلا.

ثم قال للرسول: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ قال سليمان عليه السلام: ارجع بهداياكم إلى ملكة سبأ

بلقيس وملأها، فلنأتينهم بجنود شديدي البطش والقوة لا يستطيعون قتالهم ولنخرجنهم من ديارهم أذلاء، ثم بين: وهم مهانون محتقرون مدحورون، ولا نبالي، فرجع الرسول إلى بلقيس بالخبر والهدايا فأخبرها الخبر قالت: قد عرفت أنه ليس بملك يفرح بالهدية، وما لنا طاقة بقتاله، ثم أرسلت رسولاً إلى سليمان بكتاب: إني آتيكم بملأ منقادين إلى أمرك فبما تأمرني من أمر دينك؟! ثم ارتحلت في اثني عشر ألف من القادة. وكان سليمان عليه السلام يتتبع أخبارها ومسيرها ونزولها من الجن كل يوم وليلة، فلما علم باقترابها أقبل على قومه: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾، فسألهم: من يأتيني بعرشها التي حفظته في بلدها، قبل أن تصل إلي وقومها مستسلمين، أي: منقادين لأمري ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ قال عفريت ــ أي المارد القوي ــ من الجن، أنا آتيك به يا نبـي الله قبل أن تقوم من مجلس قضاء حكمك، وإني على حمل العرش قادر، وأمين على ما فيه من الجواهر المرصعة عليه، فقال سليمان عليه السلام: أريد أسرع منه ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ﴾ قال أكثر المفسرين: هو آصف بن برخيا هو الذي عنده علم من كتاب الله، يحفظ اسم الله الأعظم، إذا دعا عبد به استجاب الله، وقال لسليمان: يا نبـي الله مد طرف عينيك إلى منتهاها وأنا آتيك بالعرش قبل أن يرجع طرفك فدعا الله باسمه الأعظم فأمر الملائكة أن يحملوا عرش بلقيس أمام سليمان ففعلت الملائكة ووضعوه أمام سليمان عليه السلام.

﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ فلما رأى سليمان عليه

السلام العرش أمامه قال: هذا من فضل ربي ليختبرني أأشكر بذلك الفضل أم أكفر؟ ومن شكر نعم الله وإحسانه فإنما ثواب شكره لنفسه، ومن جحد نعم الله وطغى فإن ربي غني عن شكره، كريم، يرزق من كفر به في الدنيا ولكن يجازيه في الآخرة.

وأراد سليمان عليه السلام أن يختبر بلقيس ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾ قال لمن حوله: غيّروا أوصاف عرشها وهي النقوش والجواهر المرصعة عليه، ننظر أتعرف عرشها أم تكون من الذين لا يعرفون أموالهم بتغير بعض أوصافه من بلاهتهم؟! فغيّروا بعض أوصافه.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ فلما جاءت بلقيس عند سليمان عليه السلام، قيل لها: أهكذا عرشك قالت: كأنه هو، ولم تقل هو، شبهته بعرشها وذلك من حسن أدبها ورجاحة عقلها. قيل: ثم قالت: وأوتينا العلم بقدرة الله وبصحة نبوتك من قبل هذه الآية وهي: تغيير أوصاف العرش، وكنا مسلمين منقادين لأمرك، وقيل: هذا من كلام سليمان، أي: وأوتينا العلم بإسلامها قبل مجيئها ومسلمين لأمر الله والأول أوجه.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾ هذا قول سليمان عليه السلام، أي: أنها منعها ما كانت تعبد دون الله من قبلُ عن الإسلام هي وقومها، إنها وقومها كانوا من قوم كافرين بربهم.

وسمع سليمان عليه السلام أن في ساقيها شعر، وأمر الصانعين من الجن أن يصنعوا صرحًا من الزجاج فوق الماء أمام القصر فصنعوا فلما

جاءت ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ فلما رأت بلقيس الصرح حسبت أنه ماء غدير، وكشفت عن ساقيها لتخوض فيه، فنظر سليمان عليه السلام إلى ساقيها لا شعر فيهما، قال سليمان عليه السلام: إنه ــ أي الصرح ــ مصنوع من زجاج صافي.

وعندئذ علمت أنها على خطأ عظيم، فبادرت بالتوبة والاعتراف على ما كانت عليه من خطأ في عبادة غير الله: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ قالت بلقيس: يا رب، إني ظلمت نفسي في ما مضى من عمري بعبادة غيرك، وها أنا قد أسلمت بإرشاد سليمان لله رب العالمين. وقيل: تزوجها سليمان عليه السلام.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ قال تعالى: ولقد أرسلنا إلى قوم ثمود أخاهم ــ أخ بالنسب لا بالدين ــ صالحًا ليبلغ أمري إليهم، قال: أن اعبدوا الله وحده ما لكم من إلـه غيره، فإذا هم صاروا فريقين: فريق مؤمن مع صالح عليه السلام، وفريق كافر به، وهما يختصمان في الدين.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ قال صالح عليه السلام للقوم الكافرين: لأي وجه تستعجلون بالعقوبة عليكم قبل أن تطلبوا من الله الحسنة بالإيمان به؟! هلاَّ تستغفرون عن شرككم وكفركم بالتوبة والإنابة إليه، لعلكم ترحمون وتنجون من عذاب الله؟!

﴿ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ قالوا: تشاءمنا بك يا صالح، وبأتباعك المؤمنين؛ وكانوا على قحط من

المطر والجدب وجاعوا. قال صالح عليه السلام: طائركم، أي: نصيبكم عند الله لا عندي، بل أنتم قوم تُفتنون، أي: تختبرون، وتبتلون بالطاعة والمعصية، وبالخير والشر، أو تصرفون عن دينكم بإغواء الشيطان وطاعتكم للشيطان.

﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ وكان في مدينة صالح عليه السلام تسعة رجال من أبناء أشراف القوم يسعون بالفساد والإفساد في المدينة ولا يصلحون شأنهم.

﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ قال بعضهم لبعض: تحالفوا بالله لنقتلن صالحًا وأتباعه في الليل ثم لنقولن لولي المقتول ما شهدنا مقتله وأتباعه في القتل، وإنا لصادقون فيما نقول.

قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ ودبروا مكرًا لقتل صالح وأتباعه، ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون. قال ابن عباس: إنهم هجموا على دار صالح وأتباعه بالسيوف ليقتلوهم فأرسل الله إليهم الملائكة ترمي عليهم الحجارة فماتوا كلهم ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ فانظر يا محمد كيف كانت عاقبة مكرهم لقتل صالح وأتباعه، إنا أهلكناهم بالحجارة ليلاً، وقومهم أجمعين بالصيحة.

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ قال تعالى: فتلك البيوت المنحوتة في الجبال فارغة من أهلها وهم هلكوا بالصيحة العاتية بسبب إشراكهم بالله وتكذيبهم صالحًا إن

في ذلك الانتقام من القوم الظالمين لعبرة لقوم يسمعون قصتهم ويشاهدون بيوتهم في الحجر ويعلمون أن الله عزيز ذو انتقام.

﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ قال تعالى: وأنجينا الذين آمنوا بالله وحده وصدقوا رسولهم صالحًا من العذاب المدمر وكانوا يخافون الله على مخالفة ما أمر به وما نهى عنه.

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ اسمع قول لوط، حيث قال لقومه الفجرة: أتفعلون الفعلة الفاحشة وأنتم تعلمون قبحها ببصيرة قلوبكم؟ ثم قال مبينًا فعلتهم، منكرًا لها، مهددًا لهم: إنكم لتأتون الرجال في أدبارهم لقضاء شهوتكم من دون زوجاتكم التي أباح الله لكم بنكاح شرعيّ؟! بل أنتم قوم تجهلون عاقبة فعلتكم الخبيثة، ليس لكم عقل سليم.

﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ فما كان جواب قومه إلَّا أن قالوا: اخرجوا لوطًا ومن آمن به من قريتكم إنهم قوم يتنزهون وينكرون ما نفعل.

قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ فأنجينا لوطًا ومن آمن به من العذاب إلَّا امرأته قدرنا وحكمنا عليها أنها مع الهالكين الباقين في العذاب، وأنزلنا عليهم حجارة مثل المطر، تصيب رؤوسهم وتخرج من أدبارهم، فماتوا جميعهم فبئس مطر العذاب عليهم.

ثم أمر الله رسوله محمدًا ﷺ أن يحمد الله ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ قل يا محمد: الحمد لله على إنعام الله عليك من نعمه، وسلام على عباده الذين اختارهم من الأنبياء أو الصالحين أو أصحابك أو الذين آمنوا بالله ووحدُّوه. ثم نبه المشركين وبكَّتهم بقوله: هل الله خير، وهو الخالق المبدع كل شيء، هو المعبود الحق، أم أصنام الذين يعبد المشركون ويصنعونهم بأيديهم ويتخذونهم آلهة؟! ويا عجب على بلاهتهم!

ثم ذكر الله ما يدل على كمال قدرته وعظم شأنه بالاستفهامات التقريرية ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ وكأنه يقول: هل الأصنام خير أم مَن خلق؟! أي الله، الذي خلق السموات السبع والأراضين السبع وما بينهن من الخلائق وأنزل من السماء ماء مطر، (فأنبتنا به) في قوله هذا تصريف الكلام من الغيبة إلى التكلم للتأكيد، أي: وأنبت بالماء حدائق ذات منظر حسن يسر الناظر إليها، وما كان لكم أيها الناس استطاعة أن تنبتوا شجرها وزروعها، ثم وبخ فعلهم الإشراكي بسؤال تعجبي: أتعبدون إلـهًا غير الله؟!! ثم وصفهم بأنهم قوم يعدلون عن الحق إلى غيره.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ الله الذي خلق الأرض مستقرة وثابتة لسكانها وجعل في حفظها أنهارًا يسيل ماء المطر فيها وجعل عليها جبالاً رواسي كيلا تضطرب الأرض بسكانها وجعل بين البحرين حاجزًا، أي: جعل بين ماءين حاجزًا، هذا عذب وهذا مالح، وماء العذب

يدخل من النهر في ماء البحر لا يختلط بعضه في بعض مع المماسَّة. وهذا من مظاهر قدرة الله على عباده، ومن أراد أن يشاهد ليذهب إلى البصرة ويصب ماء الفرات ودجلة والورد على بحر الخزر وماء نهر الأردن يصب في بحر لوط.

ثم ينكر سبحانه وتعالى على المشركين ويبكتهم: أإلـه مع الله غيره، لا إلـه يعبد إلاَّ هو المعبود الحق وغيره باطل، بل أكثرهم قوم لا يعلمون، بل أكثر الناس لا يعلمون معبودهم الحق ويعبدون الأصنام جهلاً وتأسيًا بأسلافهم.

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ استفهام للتقرير، الله الذي يجيب المضطر المُلِحَّ بالدعاء إلى ربه إذا دعا ربه ويكشف السوء الذي أصابه عنه، وجعلكم أيها الناس تخلفوا بعد موت آبائكم مكانهم بالوراثة، ثم أنكر على المشركين وبكتهم: أإلـه مع الله غيره؟! لا معبود غير الله، وغيره باطل، قليل ما تذكرون قدرة الله ونعمائه، لو تذكرتم وتعمدتم ما عبدتم غيره.

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ استفهام للتقرير، الله الذي يرشدكم إلى مقاصدكم في ظلمات البر في القفار والبحر بالنجوم ليلاً وهو الذي يرسل الرياح مبشرة قبل نزول رحمته، أي: ماء المطر، ثم أنكر على المشركين وبكتهم: أإلـه مع الله غيره؟! تعالى الله عما يشرك المشركون.

﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ استفهام للتقرير، هو الله الذي أنشأ الخلق،

ويحييهم إلى تمام آجالهم، ويعيدهم إلى التراب، وهو الله الذي يرزقكم بإنزال المطر من السماء، وأنبت الزروع والعشب لكم ولأنعامكم بماء المطر، ثم أنكر على المشركين وبكتهم: أإلـٰه مع الله غيره؟! قل لهم يا محمد: هاتوا حجتكم إن كنتم صادقين في زعمكم إن مع الله إلـٰهًا آخر نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾

وقيل: نزلت الآية في المشركين وقد سألوا عن قيام الساعة، وأيّ مكان يبعث فيه الخلائق؟! قال تعالى: قل لهم يا محمد لا يعلم علم الغيب من في السموات السبع من الملائكة ومن في الأرض من الإنسان والجن إلاَّ الله وحده، نفى علمها عن غيره، وما يشعرون في أيّ مكان وأيّ وقت يبعث الخلائق.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾، لكن انتهى علمهم في الآخرة وعجزوا عن معرفة وقتها، وقيل: (بل)، بمعنى (هل)، أي: هل تدارك علمهم قيام الساعة؟! ثم نفى زعمهم بحرف الإضراب بل هم في شك من قيام الساعة: بل هم من قيامها عمي البصيرة، لا إيمان لهم بقيام الساعة، وسؤالهم عنها تعنُّتًا، وقلوبهم منكرة لها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ وقال الذين كفروا بربهم وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبقيام الساعة متسائلين: أإذا متنا وكنا ترابًا في الأرض وكذا آباؤنا الذين مضوا من قبلنا أإنا لمخرجون من قبورنا أحياء؟! لقد وُعِدْنا هذا من قبل محمد، ما شهدنا إلى الآن هذا، ما هذا الوعد للبعث إلاَّ أساطير الأولين كتبوها ومحمد نقل عنها ويخوفنا.

قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ قل لهم يا محمد: سيروا في أرض السابقين المكذبين رسلهم، فانظروا إليها كيف كان عاقبة المجرمين فيها، أهلكناهم ودمرنا ديارهم، فاعتبروا بها، وفي الآية تعريض وتقريع لكفار قريش لينزجروا عن إشراكهم بالله وتكذيبهم برسول الله.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ وفي الآية تسلية لرسول الله: ولا تحزن يا محمد ولا تأسف عليهم إن لم يؤمنوا برسالتك ولا تكن في حرج في صدرك مما يمكرون بك.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾﴾ ويقول المستهزؤون بوعد رسول الله بالعذاب الموعود عليهم: متى يأتينا العذاب الذي وعدتمونا إن كنتم صادقين في قولكم.

﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ قل لهم يا محمد: عسى أن يكون قرب وعدنا لكم بعض الذي تستعجلونه، وقد حل عليهم يوم بدر وقتلوا وأسروا، والباقون هربوا إلى مكة منهزمين مخزيين.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾ وإن ربك يا محمد لذو تفضل على الناس بتأخير العقوبة عنهم، ولكن أكثر المشركين لا يشكرون بذلك من غلبة جهلهم وغرورهم بنعمة الله لهم، وتلك النعم كانت استدراجًا لهم، وإن ربك ليعلم ما يخفون في صدرهم من الكفر والعناد لرسول الله والمؤمنين وما يظهرون من مجاملة ومداهنة لرسول الله والمؤمنين.

﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾ قال تعالى: وما من شيء في السماء ولا في الأرض إلاَّ مكتوب في اللوح المحفوظ، وعلمه جلّ وعلا يحيط كل شيء.

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ قال تعالى: إن هذا القرآن المنزل على محمد يبين على بني إسرائيل أكثر الذي في أمر دينهم يختلفون حتى صاروا فرقًا كثيرة ويطعن بعضهم بعضًا، وإن القرآن لهدى ورحمة للمؤمنين الذين آمنوا به وعملوا بما فيه من الأوامر واجتنبوا النواهي.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ إن ربك يا محمد ليحكم بين بني إسرائيل بالعدل يوم القيامة وهو العزيز الغالب لا يرد أمره، العليم بأحوال خلقه لا يخفى عليه شأنهم، فتوكل يا محمد على الله في كل شأنك ولا تبالي شناءة أعدائك إنك يا محمد على الدين الحق الظاهر على الأديان الباطلة.

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ إنك لا تُسمع في دعوتك يا محمد موتى القلوب وهم الكفار الذين ختم الله عليهم الكفر، ولا تسمع الذين أصابهم الصمم عن الدعاء إذا ذهبوا عنك مدبرين، وما أنت يا محمد بهادي العمي المستقرين في ضلالتهم عن ضلالتهم، فإنهم مختوم بالشقاوة والضلالة عليهم، لا تكلف نفسك هدايتهم، إذ إنه لا يسمع دعوتك إلاَّ من يصدق بآياتنا، فهم مستسلمون لدعوتك وإرشادك، وهم الذين كتب الله لهم السعادة.

﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ وإذا وقع حكم العذاب على الكافرين في آخر الزمان أخرجنا دابة لفتنتهم من الأرض تكلم الناس بلسان الحال ويفهم الناس كلامها فتقول: ألا لعنة الله على الظالمين، كانوا بخروجي لا يوقنون، وأنا آية من آيات الله. وأورد الخازن الأحاديث بوصفها، والحاصل أن خروجها من أشراط قيام الساعة.

قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ ويوم القيامة نحشر من كل أمة جماعة ممن يكذب بأخبار رسلنا إليهم بآيات كتابنا فهم يجمعون ويساقون إلى الموقف للحساب وحكم الجزاء عليهم.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ حتى إذا جاؤوا موقف الحساب والسؤال قال تعالى مهددًا عليهم: أكذبتم بآياتي قد بلغها إليكم رسلي، ولم تحيطوا بحقيقتها علمًا صحيحًا؟! بأيّ شيء تعملون في الكفر والشرك؟! وهذا أبلغ تبكيت عليهم.

﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ وثبت حكم العذاب عليهم بسبب كفرهم وشركهم بالله فهم لا يستطيعون أن يتكلموا من شدة الدهشة والخوف وقيل ختم الله على ألسنتهم.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ استفهام للتقريع والتوبيخ، ألم ينظر هؤلاء المشركون بنظر التأمل والاعتبار، كيف جعلنا الليل ليسكنوا فيه ويرتاحوا من تعب الأشغال في النهار وجعلنا النهار مبصرًا يرون كل شيء أمامهم

بضوء الشمس ويشتغلون بالاكتساب لمعاشهم، أفلا يشكرون الله بتلك النعم؟! إن في ذلك المذكور في الآية لعبر لقوم يوقنون بها.

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ قيل: النفخة ثلاثة: الأولى للنزع، والثانية للصعق والموت، والثالثة للبعث من القبور أحياء. قال الله تعالى: ويوم ينفخ في الصور، وقيل: قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام بأمر الله يفزع ويدهش من في السموات من الملائكة ومن في الأرض من الخلائق إلاَّ من شاء الله، وقيل: هم الملائكة الأربع جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وحملة العرش وحور العين، ومن أهل الأرض الأنبياء والشهداء والصالحون، وفي النفخة الثانية يموت كلهم إلاَّ من شاء الله وفيه كلام طويل ــ راجع تفسير الخازن ــ وفي النفخة الثالثة يقومون أحياء وينتظرون لأمر الله، يقال: هلموا إلى ربكم، وكل من في السموات والأرض يأتون الله صاغرين طائعين لأمر الله.

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ وترى يا محمد في النفخة الأولى الجبال تحسبها ثابتة وهي تسير مثل سير السحاب، صنع الله الذي أحكم وأتقن كل شيء إنه تعالى خبير بما تفعلون فيحاسبكم ويجازيكم.

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ من جاء يوم القيامة بالأعمال الصالحات فثواب أعماله أكثر منها، أي: بعشر أمثالها، وهم من فزع يوم القيامة آمنون، ومن جاء بالكفر والشرك بالله فيلقون على وجوههم

في نار جهنم، ويقال لهم: ما تجزون إلاَّ بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا.

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ قل لهم يا محمد: إنما أمرت أن أعبد الله رب هذه البلدة، أي: مكة التي حرمها، أي: جعلها حرامًا لا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها، وأما سفك الدم بغير حق والغارات حرام في كل مكان وإن كانا في الأرض الحرام يضاعف العذاب على فاعلها، ولله ملك كل شيء خلقًا وعبيدًا وملكًا، وأمرت أن أكون من المسلمين المنقادين لأمره، وأمرت أن أقرأ القرآن لكم وأبين لكم معانيه وأحكام العبادات والمعاملات، فمن اهتدى بتذكيري وإرشادي فإن ثواب هدايته لنفسه، ومن ضل عن طريق الهداية فجزاء ضلالته عليه، فقل لهم: إنما أنا من المنذرين من عذاب الله إن لم تؤمنوا بالله وحده ولم تصدقوا برسالتي من الله إليكم.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ وقل لهم يا محمد: الحمد لله الذي وفقني بأداء تبليغ أمره إليكم وقد بلغتكم ولم تقبلوها، فهو سيريكم آياته، أي: علامات يوم القيامة، وقيل: في الآخرة، وقيل غير ذلك فتعرفونها، وما ربك يا محمد بغافل عما تعملون، وهم مستحقون بعقابي. وفي آخر الآية وعيد لكفار قريش.

الحمد لله، تمَّت سورة النمل بعون الله.

* * *

سورة القصص

آياتها ثمان وثمانون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ۝١﴾ سبق تفسير مثل هذه الأحرف في أول سورة البقرة ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ (تلك) إشارة إلى آيات هذه السورة. (آيات القرآن المبين)، أي: يبين فيه أحكام التشريع في العبادات والمعاملات ويذكر فيه الوعد والوعيد والقصص.

﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣﴾ (نتلوا عليك) يا محمد من خبر (موسى) عليه السلام (وفرعون) بالصدق، لا شك فيها لتقرأها (لقوم يؤمنون) بأخبار القرآن ولا يشكون فيها.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾ (إن فرعون علا) وطغى في أرض مصر، (وجعل أهلها شيعًا) متفرقة، (يستضعف طائفة) هم بنو إسرائيل، (يذبح أبناءهم) ويبقي النساء للخدمة، إن فرعون كان من المفسدين في أرض مصر. وبسبب ذلك أراد الله أن ينجي الناس من إفساده:

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال تعالى: ونريد أن نعطي قصور فرعون وقومه وبساتينهم إلى بني إسرائيل، الذين استضعفهم فرعون وقومه في الخدمة والإهانة عليهم في أرض مصر، ونجعلهم قادة وهداة في دين الله، فنجعلهم الوارثين في أملاك أعدائهم، ونمكن بني إسرائيل في أرض مصر.

ورأى فرعون في نومه أن نارًا خرجت من بيت المقدس أحرقت مصر والقبط ولم تؤثر على بني إسرائيل، فحكى فرعون ما رآه على المنجمين والكهان، فقالوا: يولد مولود في بني إسرائيل هلاكك وزوال ملكك في يده، فأمر فرعون أن يقتل كل مولود ذكر في بني إسرائيل، ومن ذلك الوقت قُتِّلوا إلى أن بعث الله موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه. وسيأتي تمام القصة في نفس السورة.

﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ ونريد أن نرى فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يتحذرون من بني إسرائيل، خائفين من زوال ملكهم وهلاكهم بيد رجل منهم والذي هو موسى عليه السلام.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ قال تعالى: (وأوحينا) وقال المفسرون: أي: قذفنا بطريق الإلهام في قلبها أن أرضعي ابنك فإذا خفت على ابنك من قتل فرعون فاجعليه في الصندوق فألقيه في ماء النيل ولا تخافي عليه من الغرق، ولا تحزني على فراق ابنك؛ إنا رادوه إليك

حتى تطمئني وجاعلوه رسولاً لتبليغ أمري إلى فرعون وقومه، إنه من عبادنا المرسلين إلى أممهم. ففعلت كما ألهم الله لها وهي مطمئنة.

﴿فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ فبعْد أن وضعته في صندوق ووضعته في الماء، دخل الصندوق في جدول من النيل إلى بستان فرعون، ورأى الخدم الصندوق فأخذوه، فأخبروا فرعون، وأمر بفتحه ففتحوه فإذا بصبي وضيء الوجه، فأراد فرعون أن يقتله، فقالت امرأته آسية: لا تقتلوه؛ عسى أن ينفعنا في الخدمة أو نتخذه ولدًا. فتركه.

وهكذا دبَّر الله حياة موسى عليه السلام في حجر فرعون وآسية تحاميه؛ ليكون لفرعون وجنوده عدوًّا وحزنًا لهم، قال تعالى: ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ في عملهم باستعباد بني إسرائيل، وقتلهم أولادهم، وقيل: في صنعهم لتربية موسى، حيث سيكون عدوًّا لهم، وهم لا يشعرون ذلك.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ وصار فؤاد أم موسى فارغًا من الحزن والجزع لفراق ابنها، إن كادت لتظهر موسى أنه ابنها لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين بوعد الله هو قوله تعالى: ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ وقالت أم موسى لأخت موسى: اتبعي الصندوق إلى أين يذهب الصندوق فأتيني

بالخبر، فأخذت تمشي في جانب النيل، ورأته دخل من جدول إلى بستان فرعون، وبصرت بموسى عن بعيد وهم لا يشعرون بها.

وأمر فرعون بالمرضعة لترضع موسى فجاؤوا بها، ولم يقبل موسى ثديها ولم يرضعها وتحيّروا في شأن الطفل.

قال تعالى: ﴿ ۞وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ ومنعنا موسى أن يقبل ثدي المراضع قبل المجيء بأمه. والخدم يجسون المراضع، وأقبلت أخت موسى ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ في إرضاعه وتربيته، فدلتهم على أمه، فأمر فرعون أن يأتي بها فجاءت فأرضعته فقبل ثديها، وتعجَّب فرعون وقال: إن الطفل لم يقبل ثدي المراضع، كيف قبل ثديك؟ قالت: إني امرأة طيبة الرائحة ولبني طيب لم أعطي لبني لصبي إلاَّ قبله، فدفع الطفل لها من يومها فأخذت الطفل فرجعت به إلى بيتها، وقيل: إنَّ فرعون كان يأتيها بالهدايا النفيسة فرحًا وسرورًا أنَّ الطفل قبل ثديها. وهذا تحقيق لوعد الله لها.

قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ فرجعنا موسى إلى أمه كي تقر عينها به ولا تحزن لفراق ابنها ولتعلم أن وعد الله حق. ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ويرتابون بوعد الله.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

ولما بلغ موسى من عمره ثلاثًا وثلاثين سنة، وقيل: أربعين سنة، واستكمل عقله وقوة بدنه آتيناه الحكمة في كلامه، وعلمًا وفهمًا في تبليغ ما أمر الله به وما نهى الله عنه إلى فرعون وقومه، وكمثل ذلك العطاء لموسى نجزي عبادنا المخلصين في طاعتنا.

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ ودخل موسى عليه السلام مدينة مصر وقت الظهر والناس قائلون على راحتهم، فوجد فيها رجلان يقتتلان بالضرب وأحدهما من بني إسرائيل والثاني من القبط.

﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ فطلب الرجل الإسرائيلي منه العون على عدوه القبطي وأن يخلِّصه من شر القبطي، (فوكزه)، أي: فضرب موسى بيده القبطي فقضى عليه، وما أراد موسى قتله إنما أراد دفعه عن الرجل الإسرائيلي فمات الرجل القبطي، وقال موسى عليه السلام: هذا من عمل الشيطان إنه عدو ظاهر على عباد الله.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ قال موسى عليه السلام: يا رب إني ظلمت نفسي بقتل قبطي بغير حق فاغفر لي، فغفر الله له، إنه هو الغفور الرحيم لعباده المؤمنين.

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ قال موسى عليه السلام: يا رب بما أنعمت عليّ بمغفرتك ذنبي فلن أكون بعدُ عونًا لأحد من المجرمين. وهذا عهد عليه.

﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ فأصبح موسى عليه السلام في المدينة التي قتل رجلاً قبطيًّا فيها يترقب، أي: ينتظر ماذا يكون عليه الأمر من قوم القتيل، خائفًا منهم، فإذا الذي طلب النصرة من موسى على عدوّه القبطي فقتله موسى عليه السلام بغير إرادة لقتله يستصرخه، أي: يطلب النصرة على

قبطي آخر، قال موسى عليه السلام للرجل الإسرائيلي: إنك لغويٌّ ظاهر في الخصومة، أمس قاتلت رجلاً واستنصرتني عليه فضربتُهُ بيدي فمات، واليوم تقاتل رجلاً آخر تستنصرني عليه، تريد أن توقعني في خطأ أيضًا.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ فلما أراد موسى عليه السلام أن يأخذ بالقوة الرجل القبطي وهو عدو لموسى والرجل الإسرائيلي قال الرجل القبطي: يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت رجلاً قبطيًّا بالأمس؟! لا تريد يا موسى إلاَّ أن تكون جبّارًا في أرض مصر، وما تريد أن تكون من المصلحين بين عباد الله.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ وجاء رجل من شيعة موسى، قال ابن عباس: هو مؤمن آل فرعون الذي آمن بعدُ بموسى وهو من أقصى مدينة مصر، جاء يسعى ويسرع، قال: يا موسى إن فرعون أمر ملأه أن يقتلوك قصاصًا عن القتيل، فاخرج من المدينة واخْفِ نفسك عنهم إني لك من الناصحين، أي: من الصادقين في خبرهم وكلامهم.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ فخرج من مدينة مصر خائفًا ينتظر أنَّ عدوّه يدركه، ثم التجأ إلى ربه قال: يا رب نجني من القوم الظالمين.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ ولما توجه جهة مدين قال: عسى ربي أن يهديني إلى طريق توصلني إلى ما أريد من النجاة من أعدائي. وقيل: بين مصر ومدين ثمانية فراسخ، ولم يكن معه زاد ولا مركب.

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ ولما وصل موسى عليه السلام إلى بئر مدين وجد عليها جماعة من أهلها يسقون غنمهم ومواشيهم ووجد من دونهم، أي: من سواهم وقريبًا منهم امرأتين تمنعان غنمهما وتكفانه ليفرغ الناس وتخلو البئر، خائفتين من الاختلاط بالرجال. قال موسى عليه السلام: ما خطبكما وشأنكما؟ قالتا: لا نسقي غنمنا حتى ينصرف الرعاء من حول البئر ثم نسقي غنمنا، وأبونا شيخ كبير السن لا يستطيع العمل.

عند ذلك سقى موسى لهما غنمهما ثم تولى إلى ظل شجرة، فقال: يا رب، إني جائع أحتاج إلى طعام إني لما أنزلت إلي من خير فقير، فالخير هو الطعام.

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ فجاءت إحدى المرأتين تمشي على حياء، قالت: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت غنمنا. فمشى معها، فقال: امشي خلفي دليني على الطريق، فلما جاء موسى عند شعيب عليه السلام وقص عليه ما جرى بينه وبين فرعون وملائه وخروجه من مصر خائفًا منهم قال شعيب عليه السلام: لا تخف أنت في ملكنا نجوت من القوم الظالمين.

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ قالت إحدى بنتي شعيب عليه السلام: يا أبت استأجره إن خير من

استأجرت القوي في العمل الأمين لأهلك؛ لأنها عرفت لما نزع الماء من البئر قوته، وعرفت أمانته بقوله لها امشي خلفي، كي لا يقع نظره عليها.

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ قال شعيب عليه السلام: إني أريد أن أزوّجك إحدى بنتي هاتين أيّتهما شئت على شرط أن تكون أجيرًا ثمانية سنين ترعى غنمي فإن زدت سنتين في الخدمة وأتممت عشرًا والزيادة فمن مروّتك وإحسانك، وما أريد أن أكلفك بزيادة سنتين، وستجدني إن شاء الله من الصالحين في حسن الصحبة والوفاء بما قلت.

فقال موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨﴾: ذلك العهد الذي بيني وبينك لا نخالف عليه، أيّما الأجلين الثمانية أو العشر قضيته فلا مطالبة عليّ بالزيادة. ثم أشهد الله على العهد الذي بينه وبين شعيب عليه السلام: والله على العهد الذي بيني وبينك شهيد.

وقال شعيب عليه السلام: ادخل في هذا البيت خذ منه العصا واخبط أوراق الشجر للغنم. وقيل: تلك العصا من الجنة لما هبط آدم عليه السلام إلى الأرض كانت هذه العصا معه، وبعد آدم في أيدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى انتهت إلى شعيب ومنه في يد موسى، هي العصا التي جعلها الله معجزة لموسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ

لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ فلما أتم موسى عليه السلام عشر سنين واستأذن شعيبًا ليذهب بزوجته إلى مصر فأذن له، وسار بزوجته ومن معه من الأهل متوجِّهًا إلى مصر، وقد أخطأ الطريق في الليل، ورأى موسى عليه السلام نارًا ذات ضوء من جانب الطور فقال لأهله: امكثوا، أي: ابقوا ههنا إني أبصرت نارًا من بعيد، سأذهب إليها لعلي آتيكم من عندها بخبر عن الطريق أو جذوة، أي: شعلة من النار في رأس العود، لعلكم تستدفؤون بها. وكان سفرهم في أيام الشتاء.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ فلما جاء موسى عند النار نودي من جانب الواد الأيمن عن مقام موسى في البقعة المباركة ــ جعلها الله بركة فيها ــ نودي: أن يا موسى، إني أنا الله رب العالمين، وأن ألق عصاك إلى الأرض فألقاها. فلما رآها موسى عليه السلام وهي تتحرك كأنها حية حقيقةً أعرض موسى عنها خائفًا ولم يلتفت إليها. قال تعالى: يا موسى أقبل إليها ولا تخف منها إنك من الآمنين من كل سوء.

﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ قال تعالى: ادخل يدك يا موسى في جيب قميصك ثم أخرجها تخرج بيضاء من غير برص، يتلألأ نور ضيائها، واضمم يديك إلى صدرك من الخوف يذهب عنك الرعب وتسكن نفسك: (فذانك) إشارة إلى العصا واليد البيضاء برهانان من ربك لصدق رسالتك، اذهب إلى فرعون، وملائه: وهم أشراف قوم فرعون، فبلغ أمري إليهم وأنذرهم من

عذابـي، إنهم كانوا قومًا خارجين عن طاعة ربهم ومصرِّين على الكفر والطغيان.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ قال موسى عليه السلام: يا رب، إني قتلت نفسًا بغير حق، خطأ، إن جئت إليهم فأخاف منهم أن يقتلونني ولا يفهمون كلامي، وأخي هارون هو أفصح بيانًا مني فأرسله معي معينًا يبين لهم كلامي يصدقني، أي: يؤيدني، إني أخاف أن يكذبوني.

فأجاب الله رجاءه: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ قال تعالى: سنقويك بأخيك هارون ونجعل لكما غلبة وتسلُّطًا على فرعون وقومه، فلا يصلون إليكما بسوء، بآياتنا التي أعطيناكما، أنتما ومن اتبعكما بالإيمان بربهم الغالبون على أعدائكم.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ فلما جاءهم موسى بآياتنا، أي: بمعجزات، هي: العصا واليد البيضاء للدلالة على صدق رسالته قالوا: ما هذا التي جئتنا بها إلاَّ سحر مفترى، افتريتها أنت يا موسى، وما سمعنا بهذا في ذكر آبائنا الأولين.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ وقال موسى: إني أعلم بمن جاء بالهدى من عند الله ومن تكون له حسن عاقبة الدار (إنه) ـ الضمير للشأن ـ لا يفلح الظالمون بالكفر والطغيان على الناس.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ وقال فرعون: يا أيها الملأ، ما علمت لكم من إلـٰه غيري. ثم أمر هامان أن يجعل لبنًا مطبوخًا بالنار ويبني له قصرًا عاليًا، قال فرعون: لعلي أطلع إلى إلـٰه موسى وأعرف حاله، وإني لأظن موسى من الكاذبين في زعمه أن له إلـٰهًا غيري. وبعدما تكمَّل بناء الصرح جاء جبريل عليه السلام بأمر الله فضرب الصرح بجناحه فتقطع الصرح بثلاث قطعات، قطعة سقطت على معسكر فرعون فمات من العسكر ألوف، وقطعة سقطت في البحر وقطعة سقطت في المغرب وخاب وخسر الطاغي.

﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ وتكبر وتعاظم فرعون وقومه عن الإيمان بموسى عليه السلام وتجبَّروا هو وقومه في أرض مصر بالباطل وظنوا أنهم لا يرجعون إلينا للحساب والجزاء.

﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ قال تعالى: فأخذنا فرعون وقومه عقوبة عليهم فألقيناهم في ماء البحر فأغرقناهم عن آخرهم، فانظر يا محمد ما قصصنا لك ببصيرة قلبك، كيف كان عاقبة الظالمين على أنفسهم بالكفر بربهم والطغيان على خلق الله.

﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ وجعلنا فرعون وقومه وأمثالهم قادة يدعون الناس إلى ما يوصلهم إلى نار جهنم، وذلك إمهالاً لهم واستدراجًا لهم، ويوم القيامة لا يمنعون من عذاب الله وهم مخلدون فيه على الأبد.

﴿ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ وألحقنا فرعون وقومه اللعنة والطرد في هذه الدنيا، ويوم القيامة هم من المطرودين من رحمة الله، ومسوَّدة وجوههم.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ قال تعالى: ولقد آتينا: أنزلنا على موسى التوراة من بعد ما أهلكنا أهل القرون السابقة قبله، وجعلناها بصائر لبني إسرائيل، فيتَّعظوا، وهدى من الضلالة إلى دين الحق ورحمة لهم لعلهم يتذكرون عاقبة الأمور، ويؤمنون بالله وحده، ويستقيمون في إيمانهم.

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ وما كنت يا محمد بجانب الغربـي من جبل الطور حين أعطينا موسى النبوة وأرسلناه إلى فرعون وقومه، وما كنت من الحاضرين في ذلك المقام تذكره في نفسك، ونحن أخبرنا لك يا محمد من أخبار ما يغيب عن علمك لتعتبر بها. ولتكون عبرة لقومك.

﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ﴾ ولكنا خلقنا أممًا بعد موسى فتطاول عليهم عمرهم ونسوا أوامر الله في مغامرتهم والتهائهم في عيشة واسعة، وحرفوا أوامر الله في التوراة والإنجيل، وأرسلناك لتجدد دينهم على وفق ما أمر الله به وتذكرهم بأخبار الأمم السابقة ليتعظوا بها.

﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ وما كنت يا محمد مقيمًا في أهل مدين تعرف قصة موسى وشعيب وابنتيه، ولكنا كنا مرسلين، أي: ولكنا أرسلناك إلى قومك ولكافة الناس لتبلغ أمري إليهم، فأخبرناك بها لتتلوها على أهل مكة، وتبين آياتنا.

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ وما كنت يا محمد حاضرًا بجانب الطور حين نادينا موسى، ولكن أخبرناك بها رحمة لك من ربك فأوحينا لك وعلمناك قصة موسى وتكليم الله له بغير واسطة؛ لتنذر قومًا ما أرسلنا إليهم من رسول من قبلك لعلهم يتذكرون فيخافون عاقبة أمرهم، ويتعظون بما وعظتهم وينزجرون عن الشرك والكفر بربهم.

﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ ولولا أن تصيبهم مصيبة بسبب ما عملوا من أعمال الكفر والشرك والمعاصي فيقولوا يا ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع تذكير آياتك ونعمل بها ونكون من عبادك المؤمنين بك وبكتابك ومصدقين برسولك، فإرسالك إليهم حتى لا يكون لهم حجّة على الله يوم الحساب.

قال الله تعالى معلّلاً عن تمنيهم الكاذبة: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ﴾ فلما جاءهم محمد بالرسالة لا شك فيها من عندنا قالوا تعنّتًا وعنادًا: هلا أوتي محمد مثل ما أوتي موسى: العصا واليد البيضاء لنصدق رسالته من ربه.

فرد الله عليهم: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ قال تعالى: أولم يكفر اليهود بما أوتي موسى من المعجزات من قبل اقتراح كفار مكة، قالوا، أي: كفار مكة: سحران، يعني: القرآن والتوراة تعاونا. ثم قالوا: وإنا بكل القرآن والتوراة كافرون، لا نصدقهما.

والله أعلم بما هو الصواب إذ اختلفت أقوال المفسرين فيها.

قال تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ قل لهم يا محمد فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى من القرآن والتوراة وأصلح بالتمسك به منهما إن كنتم صادقين في زعمكم وتعنتكم. والأمر فيها للتعجيز والتبكيت.

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ فإن لم يستجيبوا لسؤالك لهم بإتيان كتاب من عند الله فاعلم يا محمد أنما يتبع هؤلاء أهواء أنفسهم، ولا أحد أضل وأخطأ ممن اتبع هواه بغير دليل ولا إرشاد من الله، إنَّ الله لا يهدي إلى طريق الهداية والرشد القوم الظالمين على أنفسهم بالكفر والعصيان.

﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ قال تعالى: ولقد وصّلنا، أي: أتبعنا لكفار قريش قصص الماضين للتنبيه والتذكير والموعظة في القرآن لعلهم يتذكرون ويتعظون ويجتنبون الشرك والكفر بالله الواحد في ذاته وصفاته.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ الذين آتيناهم التوراة والإنجيل من قبل القرآن وآمنوا بها حق الإيمان ولم يبدلوا بها هم بالقرآن يصدقون ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ وإذا يتلى عليهم القرآن قالوا آمنا به، إن القرآن حق من كلام ربنا، إنا كنا من قبل نزوله على محمد عليه الصلاة والسلام مؤمنين به قد علمنا ذكره في التوراة والإنجيل.

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ أولئك الذين يؤتون ثوابهم مرتين، أي: يؤتون ثواب إيمانهم بأنبيائهم وكتابهم وثواب إيمانهم برسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الكريم وبما صبروا على أذى أعدائهم الكافرين، وهم يدفعون الخصلة السيئة بالخلق الحسن، يعني: لا يقابلون من أذاهم بالمثل، ولا يزيدون عليه، بل يعاملون بالمعاملة الحسنة، فيلين قلب المسيء عليهم، ومما رزقناهم من سعة المال ينفقون للفقراء والمساكين وذوي الحاجة.

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ وإذا سمع المؤمنون من المشركين الشتم والطعن في دينهم أعرضوا عن الشتم بالمثل، وقالوا: لنا أعمالنا وديننا ولكم أعمالكم ودينكم، سلام عليكم، أي: بيننا المتاركة لا نبتغي ولا نريد مصاحبة الجاهلين. وقيل: نسخت الآية بآية القتال.

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ قال المفسرون: نزلت في أبـي طالب عم رسول الله ﷺ حين احتُضر، إذ دخل عليه رسول الله ﷺ وعرض عليه كلمة التوحيد فقال: «أي عم قل: لا إلـه إلاَّ الله، كلمة أحاج لك بها عند الله».

وكان عنده أبو جهل وعبد الله بن أبـي أميَّة، فقال أبو جهل: أترغب عن ملَّة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة. حتى قال أبو طالب آخر ما كلَّمهم: على ملَّة عبد المطلب. فقال رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرنَّ لك ما لم أنه عنك».

فأنزل الله: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين. . .)، وأنزل هذه الآية. . . إنك لا تقدر يا محمد أن تهدي من أحببت إيمانه ولكن الله يهدي من يشاء إلى الإيمان به، وهو سبحانه وتعالى أعلم بمن يهتدي إلى الإيمان به.

﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ وقال كفار قريش إن اتبعنا هدايتك وإرشادك يا محمد نخاف أن يخرجنا العرب من أرضنا مكة. فردَّ الله عليهم: أو لم نمكن لهم بلدهم حرمًا آمنًا من الغارات والاعتداء وهم آمنون مطمئنون في بلدهم مكة؟ يجلب إلى بلدهم ثمرات كل صنف من الفاكهة رزقًا لهم من عندنا؟ ولكن أكثرهم لا يعلمون تلك النعم ومنها الأمن في بلدهم. وغيرهم يتقاتلون، وتسفك الدماء، وينهب بعضهم بعضًا.

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ قال تعالى: وكم منْ أهلِ قرية كثيرة وسَّع الله رزقهم، فكفروا بربهم وبطروا في معيشتهم، فاستحقوا عقاب الله فأهلكهم الله ودمر ديارهم، فتلك ديارهم مخربة لم يُسكن فيها من بعد هلاكهم، إلاّ المسافرون قليلاً يرتاحون ثم يرتحلون عنها، وكنا نحن الوارثين ديارهم وأملاكهم، لم يخلف في مساكنهم أحد. وفي الآية تخويف لكفار قريش.

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ قال تعالى: وما كان ربك يا محمد مهلك أهل القرى ـ جمع قرية ـ حتى يبعث إلى عاصمة قراها

رسولاً يتلو عليهم آياتنا ويخوفهم عقاب الله ويأمرهم بالإيمان وحده وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن لم يطيعوا رسولهم أهلكناهم ودمرنا ديارهم، ثم قال تعالى: وما كنا مهلكي أهل القرى إلاّ بسبب أنَّ أهلها ظالمون أنفسهم فاستحقوا عقابنا.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ قال تعالى: والذي أوتيتم أيها الناس في هذه الدنيا من أيّ شيء من نعيمها فهو متاع الحياة الدنيا، تتمتعون به في حياتكم الدنيا، وزينتها تتزينون وتفاخرون بها ثم أنتم وهي إلى الفناء. والنعيم الذي عند الله هو خير لكم وأبقى أفلا تعقلون أيها المخاطبون؟! أنتم مغرورون بحياتكم الدنيا وتنسون آخرتكم.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ قال تعالى: أفمن وعدنا له وعدًا حسنًا بإيمانه وطاعته، فهو يصيبه ويدركه في الجنة، كمن متعناه متاع الحياة الدنيا؟! فهم يتمتعون فيها ولا يبالون عاقبة أمرهم وبعد فنائهم من الدنيا ويوم القيامة هم من المحضرين إلى نار جهنم.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ ويوم القيامة ينادي الله المشركين فيقول جلّ شأنه: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنها آلهتكم، لتنفعكم يوم القيامة؟! ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ قال الذين وجب عليهم حكم العذاب وهم رؤساء الضلالة: يا ربنا، هؤلاء الذين أغويناهم عن طريق الهداية إلى طريق الضلالة كما ضللنا، وهم اتبعونا، اليوم تبرأنا إليك يا ربنا ممن كانوا يقتدون بنا أو يعبدونا. فيتبرَّأ بعضهم من بعض.

﴿ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ وقيل لهم ادعوا آلهتكم فاستغيثوا للنجاة من عذاب الله. ولم يستجيبوا لهم. ولما رؤوا العذاب تمنوا أنهم كانوا في حياتهم الدنيا يهتدون إلى الإيمان بالله وحده ولا يشركون به شيئًا.

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ ويوم القيامة ينادي الله المشركين فيقول الله: ماذا أجبتم رسلي حين دعوكم إلى الإيمان بـي وحدي وأن لا تشركوا بـي شيئًا؟ فلم يستطيعوا الجواب من الدهشة والحيرة.

﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ فخفيت عليهم الأخبار والأجوبة لفرط دهشتهم وحيرتهم من أهوال يوم القيامة، فهم لا يستطيعون إجابة ولا أن يسألوا مستفسرين بعضهم بعضًا.

﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ فأما من تاب عن شركه بالله قبل موته، وآمن بالله وحده وعمل عملاً صالحًا امتثالاً لأمر الله فعسى أن يكون من الفائزين بالجنات النعيم.

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ وربك يا محمد يخلق ما يشاء، هو الخالق المطلق لا غيره، وغيره مخلوق له، تحت قهره وسلطانه، ويختار من عباده للرسالة والنبوة، ما يصح للخلق اختيار وإرادة، إنما الإرادة والمشيئة له جلّ وعلا، سبحان الله تعالى عما يشركون المشركون.

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ وربك يا محمد يعلم ما يخفون في صدورهم وما يظهرون بألسنتهم وهو يحاسبهم فيجازيهم.

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ وهو الله لا إلـه إلاَّ هو المعبود الحق له الحمد والثناء في الدنيا والآخرة وله الحكم في عباده، وإليه ترجعون أيها العباد بأعمالكم وتحاسبون وتجازون عليها.

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۖ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين المعاندين لك: أخبروني، إن جعل الله عليكم الليل سرمدًا، أي: دائم الظلمة إلى يوم القيامة، من هو إلـه غير الله يأتيكم بنور تبصرون به؟ أفلا تسمعون تذكيرنا وتفهمون؟!

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين المعاندين عليك: أخبروني، إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا، أي: دائم النهار إلى يوم القيامة، من هو إلـه غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه وترتاحون بنوم طويل؟ أفلا تبصرون آيات الله وكمال قدرته؟!

﴿ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ ومن رحمة الله أن جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بنوم طويل ويزول تعبكم من أشغالكم في النهار، وجعل لكم النهار ضياء بالشمس لتبتغوا من فضل الله بالتجارة والصناعة والزروع، فيجب عليكم أن تشكروا الله على تلك النعم.

﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ ويوم القيامة ينادي الله المشركين فيقول: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم يشفعون لكم من عذابنا.

﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ وأخرجنا من كل قوم شهيدًا يشهد عليهم ـ هو نبيّهم ـ فقلنا لهم: هاتوا حجتكم تثبت عبادتكم لغيري. فلا حجة لهم ولا جواب، فيحنئذ علموا أن الدين الحق والحجة الثابتة لله، وعندئذ غاب عنهم معبودهم من أصنامهم، الذي كانوا يزعمون أنه ينفعهم عند الله.

﴿ ۞ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ قال تعالى: إن قارون كان من بني إسرائيل. تطاول وتكبر عليهم بكثرة أمواله، وقال تعالى: وآتيناه من الكنوز، أي: من أصناف الأموال، لكل صنف كنز ما إن مفاتيح الكنوز ليثقل حملها ـ لكثرتها ـ بالجماعة القوية، حيث قال قومه ناصحين له: لا تفرح، إن الله لا يحب الفرحين، أي: لا تعلو على الناس بالتكبر والبطران إن الله لا يحب المتكبرين والبطرين في عيشتهم.

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ اطلب فيما رزقك الله من سعة الأموال الدار الآخرة وأحسن وتصدق للفقراء وذوي الحاجة ولا تنس نصيبك من الدنيا الفانية لآخرتك الباقية وأحسن وتصدق في سبيل الله كما أحسن الله إليك لتشكر الله، وأنت نسيت شكر الله وتطاولت وتكبرت وتفاخرت على الناس، لا تبغ الفساد في أهل الأرض إن الله لا يحب المفسدين في أهل الأرض. ولم يقبل نصيحتهم.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ﴾ قال قارون: إنما أوتيت هذا المال

على علم عندي ــ هو علم الكيمياء وعلم التجارة، وقيل: كان يصنع بالنحاس ذهبًا وبالرصاص فضة، وذلك سبب لكثرة أمواله ــ فرد الله عليه ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ استفهام للتوبيخ والتقريع، أو لم يعلم قارون في التوراة وهو يقرأ قصص الأولين أن الله قد أهلك مَنْ قَبْلَ قارون من الأمم الطاغية، من أهل القرون الماضية، مَنْ هو أشد قوة في البدن، مثل قوم عادٍ، وأكثر جمعًا من المال من قارون حين أهلكهم الله، ما نفعهم مالهم ولا قوتهم، إن الله عزيز في الانتقام من الطاغين المتكبِّرين، ولا يسأل المجرمون عن ذنوبهم حين أراد الله إهلاكهم، إن الله عالم بحالهم وهم مستحقون العقاب.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ فخرج قارون في زينته على قومه بني إسرائيل ذات يوم، وقيل: خرج قارون راكبًا على بغلة شهباء عليها سرج أحمر من أرجوان ومعه أربعة آلاف ــ من مقاتل وخادم ــ ومعهم ثلاث مائة جارية بيضاء. فقال الذين يريدون زينة الدنيا في حياتهم متمنين الزينة التي عند قارون: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون من حظوظ الدنيا وزينتها إنه لذو حظ عظيم، أي: لذو نصيب عظيم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا الصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ وقال الذين أوتوا علم التوراة والفهم لعبارة التوراة وعاقبة الأمور: ويلكم، ثواب الله خير وأبقى لمن آمن بالله وحده وعمل عملاً صالحًا لله تعالى، وما يلقاها، أي: الجنة. إلاَّ الصابرون في طاعة الله.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا

كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ قال تعالى: فخسفنا بقارون وبداره وكنوزه الأرض، فما كان له من جماعة ينصرونه وينقذونه من عذابنا، وما كان قارون من المنتصرين لأنفسهم. وقال في تفسير النسفي: أمر موسى عليه السلام بإخراج الزكاة من أموالهم، وصالح مع قارون على إخراج الزكاة عن كل ألف دينار دينارًا وعن كل ألف درهم درهمًا، وبخل قارون على ذلك، وامتنع من إخراجها، فقام قارون في جمع من بني إسرائيل فقال: إن موسى يريد أن يأخذ أموالكم، قالوا: أنت كبيرنا فماذا تأمرنا ونحن في طاعتك، فقال قارون: نسلط على موسى فلانة البغية ترميه على نفسها، فوافق من حوله من بني إسرائيل، فجعل لها طنًّا من ذهب على أنها ترميه بالزنا، وقام موسى عليه السلام يوم عيدهم فقال: من سرق قطعنا يده ومن قذف جلدناه ومن زنا إن كان محصنًا رجمناه وغير محصن جلدناه، وقال قارون: وإن كنت أنت؟ قال موسى عليه السلام: وإن كنت أنا؟ فقال قارون: يزعم بنو إسرائيل أنك فجرت بفلانة، فأَحْضَرَها، فناشدها موسى عليه السلام بالذي فلق الحجر وأنزل التوراة أن تصدقي، قالت: جعل لي قارون جعلاً أن أقذفك على نفسي، فخر موسى عليه السلام ساجدًا وهو يبكي: يا رب إن كنت رسولك، فاغضب لي. فأوحى الله إلى موسى إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فمُرها، فقال موسى عليه السلام: يا بني إسرائيل من كان مع قارون فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزلوا جميعهم إلاَّ رجلين بقيا مكانهما مع قارون، ثم قال موسى عليه السلام: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب، فقال: خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط، فقال: خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق، وهم يتضرعون إلى موسى عليه السلام بالرحم وموسى لا يلتفت إليهم، وقال: خذيهم

فانطبقت الأرض عليهم. فأوحى الله إلى موسى: استغاثوا بك مرارًا ما رحمتهم لو سألوني مرة واحدة لرحمتهم. ثم قال بعض بنو إسرائيل: إنما أهلكهم ليرث ماله، فدعا موسى، فخسف الله الأرض بداره وكنوزه.

﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ ولما شاهدوا هلاك قارون وصاحبيه صار الذين تمنوا منزلة قارون بالمال والزينة بالأمس القريب يقولون ندمًا وأسفًا لما قالوا من التمني: ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده امتحانًا، ويضيق على من يشاء ابتلاء، وذلك لحكمة منه جلّ وعلا، لولا أن منّ الله علينا برحمته لخسفت الأرض بنا، ويكأنه لا يفلح الكافرون بربهم.

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ قال تعالى: تلك الدار التي سبق وصفها مرارًا، وهي الجنة نجعلها لعبادي الذين لا يريدون تكبرًا ولا علوًّا على عباد الله ولا فسادًا وإفسادًا في أرض الله وحسن العاقبة للمتقين في طاعة الله.

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ من جاء يوم القيامة بالأعمال الحسنة فله خير من أعماله التي عملها في الدنيا، أي: يضاعف له بعشرٍ من مثلها من الثواب، ومن جاء يوم القيامة بالأعمال السيئة فلا يجزى إلاّ مثلها، فلا يزاد الجزاء على مثلها، وذلك تفضل من الله على عباده المؤمنين.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ ﴾ إن الله وعد نبيه محمد ﷺ حين خرج من مكة

مهاجرًا إلى المدينة المنورة قال: إن الذي أنزل القرآن عليك وفرض العمل بما فيه من أحكام التشريع لرادك إلى مكة فتفتحها، قل لهؤلاء المشركين الذين قالوا إنك يا محمد لفي ضلال مبين: ربـي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال ظاهر وستعلمون أيها المشركون.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ وما كنت يا محمد تطمع أن يوحى إليك القرآن ولا تعطى إليك الرسالة، ولكن رحمة من ربك إليك فأرسلك إلى كافة الإنس والجن وخاصة لقومك، فلا تكونن عونًا للكافرين ولا تفتر بمجاملتهم ومداراتهم معك، احذر منهم.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ في الآية تحذير النبي ﷺ: ولا يصرفنك المشركون يا محمد عن العمل بالحُكم بآيات كتاب الله بعد إذ نزلت إليك لتعمل بها وتبلغ الأوامر إلى قومك وادعهم إلى توحيد ربك في ذاته وصفاته ولا تكونن موافقًا على آراء المشركين واحذر من الموافقة على آرائهم الفاسدة.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ ولا تعبد غير الله إلـهًا آخر، لا إلـه يعبد إلاَّ الله المعبود الحق، وعبادة غيره باطلة وشرك بالله، كل من في السموات والأرض فان وزائل ويبقى ذاته المقدسة، له حكم القضاء بين خلقه يوم القيامة وإليه تحشرون للحساب والجزاء.

الحمد لله، تمّت سورة القصص بعون الله.

* * *

سـورة العنكبـوت

آياتها تسع وستون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ تفسير هذه الأحرف سبق في أول سورة البقرة، ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ ﴾ قال المفسرون في سبب نزولها: أن أناسًا بمكة أسلموا فآذاهم كفار مكة، ومنهم عمار بن ياسر، والمعنى: أظن الناس أن يتركوا لأن يقولوا آمنا بلسانهم وهم لا يختبرون في إيمانهم، أهم صادقون في إيمانهم أم كاذبون؟؟

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ تلك سنة الله في عباده، وقد اختبرنا الذين آمنوا برسلهم من قبل هؤلاء، فليعلمن الذي صدقوا إيمانهم وثباتهم في إيمانهم وليعلمن الكاذبين بإظهار الإيمان بلسانهم. وفي الآية الثانية تسلية وتنبيه لمن أوذوا في الإسلام وصبروا على البلاء والمحن.

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤ ﴾ أظن الذين يعملون المعاصي والكفر والشرك أن يفوتوا من عقابنا؟ بئس ما يحكمون على أنفسهم أنهم لا يعذبون، وظنهم إنكار للآخرة.

﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ من كان يطمع ويأمل حسن لقاء الله يوم القيامة فليؤمن إيمانًا صادقًا وليعمل عملاً صالحًا لله تعالى فإن وعد الله لقريب لعباده المؤمنين الصادقين فيجازيهم من جنات النعيم، والله سميع لأقوالهم عليم بما في ضمائرهم وأعمالهم فيجازيهم جزاء حسنًا في الجنة.

﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ﴾ ومن جاهد في طاعة الله وتعب وصبر فيها فإن منفعة مجاهدته في طاعة الله عائد لنفسه، يلقى ثوابها في الآخرة، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ إن الله لغني عن عبادة الإنس والجن، إنما أمرهم بالإيمان بربهم وحده لا يشركوا به شيئًا، وأمرهم بأن يمتثلوا بأوامره ويجتنبوا عن نواهيه فإذا أطاعوا فازوا بالجنة.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ قال الله تعالى: والذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله لنكفرن عنهم سيئاتهم بأعمالهم الصالحات ولنجزينهم في الجنة أحسن وأفضل من أعمالهم الصالحات التي كانوا يعملونها في حياتهم الدنيا.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ وأمرنا الإنسان وكلفناه بأن يحسن لوالديه، ويكون الإحسان بالخدمة وإنفاق المال عليهما، وباللطف بالقول والأدب معهما وإن كانا مشركين، وأنت أيها الإنسان المؤمن بربك إن كلفاك على أن تشرك بالله ما ليس لك به علم من الله فلا تطعهما لأمرهما، وصاحبهما في الدنيا معروفًا في الخدمة والعطاء واستقم في

إيمانك. إلى الله مرجعكم يوم القيامة، تحاسبون بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا. وقيل: نزلت الآية في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وحكمها عام.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾ والذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله لندخلنهم في جملة عبادنا الصالحين في جنات النعيم.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ قال تعالى: ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي من الكفار لأجل إيمانهم بالله جعل أذى الكفار كعذاب الله خائفين منهم كما يخاف المؤمنون من عذاب الله؛ لأن إيمانهم بألسنتهم وفي قلوبهم كفر فهم المنافقون. ﴿ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ ولئن جاء نصر وفتح للمؤمنين من ربك يا محمد ليقولن المنافقون: إنا كنا معكم بالعون على أعدائكم، فشاركنا بالغنائم. فردَّ الله عليهم: أوليس الله بأعلم بما في صدور العالم من الإنس والجن من إيمان ونفاق وكفر وفساد؟! ثم أكَّد علمه جلَّ وعلا في عباده ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ وليعلمن الله الذين آمنوا في قلوبهم صدق الإيمان بالله وحده، وليعلمن المنافقين الذين يظهرون الإيمان بألسنتهم، ويضمرون الكفر في قلوبهم.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ وقال الذين كفروا بربهم للذين آمنوا بالله وحده: اتبعوا ملَّتنا وطريقتنا ولنحملن خطاياكم عنكم.

فردَّ الله عليهم: وما هم بحاملين من خطايا المؤمنين من شيء إنهم لكاذبون في وعدهم.

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ وليحملن أوزارهم وأوزار من أضلوهم عن دين الله وليسألن يوم القيامة عما كانوا في حياتهم الدنيا: يفترون الكذب، وينسبون إلى الله ما ليس به علم، ويغشُّون الناس.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ولقد أرسل الله نوحًا عليه السلام إلى قومه ليدعوهم إلى الإيمان بالله وحده، فمكث فيهم تسع مائة وخمسين عامًا يدعوهم إلى توحيد الله وينذرهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا بالله وحده، فكذبوه وأصروا على عبادة أصنامهم، فاستحقوا عقاب الله فأخذهم ماء الطوفان في حالة إصرارهم على ظلم أنفسهم.

﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ فأنجينا نوحًا والذين في السفينة هم المؤمنون بالله، والمصدقون برسالة نوح عليه السلام، وهم ثمانون ذكرًا وأنثى، وجعل الله قصة أهل السفينة عبرة للعالمين من الإنس الذين سيأتون بعدهم إلى يوم القيامة ليتذكروا ويتعظوا بها.

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ وأرسلنا إبراهيم إلى قومه ليدعوهم ليؤمنوا بـي وحدي، حيث قال لقومه: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتقوا عقاب الله، ذلك الذي أرشدكم به إلى توحيد الله بعبادته خير لكم إن كنتم تخصون العبادة له جلّ وعلا.

ثم وبخهم وكشف حقيقة أصنامهم ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ قال إبراهيم عليه السلام: إنما تعبدون يا قوم غير الله أوثانًا؛ تصنعونها بأيديكم وتسمونها آلهة كذبًا وباطلاً، إن الأصنام التي تعبدون دون عبادة الله لا يملكون لكم رزقًا ولا يدفعون عنكم ضرًّا، إنهم جمادات لا شعور لهم، فاطلبوا من الله الرزق لحياتكم واعبدوا ربكم واشكروا له ما رزقكم وأنعم عليكم، وإلى الله ترجعون بأعمالكم وتحاسبون وتجاوزون عليها.

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾ وفي الآية تسلية للنبي ﷺ، فإن كذبوك يا محمد كفار قريش فقد كذب أمم من قبلك أنبياءهم فأهلكناهم، وما على الرسول إلاَّ إبلاغ أمري إلى أممهم في ظاهر الحال، وحقيقة الهداية أنها على الله لا على الرسل، وإنما عليهم إبلاغ أمر الله.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ أولم ينظر كفار مكة وغيرهم من المتعنتين كيف يبدأ الله خلق الإنسان من نطفة آبائهم في أرحام الأمهات، ويصيّرها علقة ثم مضغة ثم عظامًا ثم يكسوها لحمًا ثم ينفخ الروح فيه، فيحيا في بطن أمه إلى وقت الولادة، فيولد ويعيش إلى أجل مسمى عليه، ثم يعيده بعد تمام أجله إلى التراب، وهذه الحالات مشاهدة عند كل ذي عقل سليم، إن في ذلك الذي ذكرناه على الله يسير، أي: سهل، إنما أمره إذا أراد شيئًا فيقول له كن كذا فيكون في الحال كما شاء.

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المنكرين للبعث: سيروا في أرض المكذبين بالبعث، فانظروا كيف بدأ الله الخلق، ثم أهلكهم بكفرهم وعصيانهم، وديارهم مدمرة، وآثارها باقية، فانظروا إليها فاعتبروا بها. ثم الله يبعثهم من قبورهم أحياء خلقًا آخر للحساب والجزاء إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه إيجاد شيء وإفناؤه.

﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ يعذب الله من يشاء بعدله، ويرحم من يشاء برحمته، وإلى الله ترجعون بأعمالكم وتحاسبون عليها وتجازون ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ وما أنتم أيها الناس بفائتين في الأرض ولا الملائكة في السماء، وكلكم محاط به في علمي، وما لكم أيها الناس من ولي يتولى أموركم ولا نصير يمنعكم من عذابي إن عصيتم وكفرتم بي.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ والذين كفروا بأخبار الله التي في آيات كتاب الله من البعث والحساب والجزاء ولقاء الله، أولئك قنطوا من رحمة الله يوم القيامة، وأولئك لهم عذاب مؤلم في عذاب جهنم أبدًا.

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ولما دعا إبراهيم عليه السلام قومه إلى الإيمان بالله وحده ونهاهم عن العبادة لأصنامهم قال كبراء القوم: اقتلوا إبراهيم أو احرقوه في النار فترتاحوا منه ومن دعوته. وأتمروا بأمرهم وجمعوا الحطب وشبوا عليه النار، ولما اشتعلت النار وألقوا

إبراهيم عليه السلام بالمنجنيق في النار فأمر الله النار: كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم. وصارت النار من حول إبراهيم عليه السلام باردة وسلامة عليه، فخسر الكفار وخابوا في كيدهم لإبراهيم عليه السلام، إن في ذلك الإنجاء لإبراهيم من كيد الكافرين لعبرة وعظة لقوم يؤمنون بالله وحده ويصدقون بأخبار الله في القرآن الكريم.

﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ وقال إبراهيم عليه السلام توبيخًا لقومه: إنما اتخذتم من دون عبادة الله أوثانًا تعبدونها وتجعلون عبادتكم لها مودة ومحبة بينكم في حياتكم الدنيا، ثم يوم القيامة إذا رأيتم عذاب الله على الكافرين والعاصين يكفر بعضكم بعضًا ويلعن بعضكم بعضًا متبرئين من بعض، ومرجعكم ومقركم في نار جهنم، وما لكم من ناصر يمنعكم من عذاب الله.

﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ فصدق برسالة إبراهيم لوط، وهو ابن أخي إبراهيم، هو أول من آمن بإبراهيم، وقال إبراهيم عليه السلام: إني مهاجر إلى حيث أمرني ربي وأترك قومي المشركين، إنه هو العزيز بالانتقام من أعدائي، الحكيم في تدبير هجرتي إليه. وأمره الله أن يهاجر إلى الشام ومعه لوط وامرأته سارة، ولما وصلوا نزلوا في بر الشام ثم انتقلوا إلى فلسطين وسكنوا في الأرض المقدسة.

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ووهبنا لإبراهيم إسحاق ويعقوب

نافلة له، وهو ابن إسحاق، وقد ولد يعقوب في حياة إبراهيم عليه السلام، وجعلنا النبوة في ذرية إبراهيم، وأنزلنا الكتاب التوراة والزبور والإنجيل والقرآن للأنبياء، ومن ذرية إسحاق جميع أنبياء بني إسرائيل إلى عيسى عليه السلام، ومن ذرية إسماعيل ابن إبراهيم محمد عليه الصلاة والسلام، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. قال تعالى: وآتينا لإبراهيم أجر صبره في طاعتنا وحلمه لعبادنا في الدنيا، ولذلك يذكر كل أهل الأديان له ثناء حسنًا، وإن إبراهيم في الآخرة لمن عبادنا الصالحين في الجنة.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ وأرسلنا لوطًا إلى قومه ليدعوهم إلى الإيمان بالله وحده ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. كانوا قد ابتلوا بالفعلة القبيحة. إذ قال لوط لقومه: إنكم لتأتون الفعلة الفاحشة ما سبقكم بها من أحد في علمي من الإنسان، ثم قال مبينًا ومنكرًا فعلتهم الخبيثة: إنكم لتأتون الرجال في أدبارهم لتقضوا شهوتكم، وتقطعون الطريق لتنهبوا من يمر عليكم وتأتون في مجلسكم الفعل المنكر بغير حياء؟!

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فما كان جوابهم للوط عليه السلام إلاّ أن قالوا: ائتنا بالعذاب من عند الله الذي كنت تخوفنا به، إن كنت من الصادقين في وعدهم. فحينئذ التجأ لوط عليه السلام إلى ربه ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ قال: يا رب انصرني بما وعدت لي من إنزال العذاب على القوم المفسدين في خلقك، فأجاب دعاءه وأنجز وعده

وأرسل عليهم ملائكة العذاب، وأرسل مع الملائكة البشارة بالابن لإبراهيم عليه السلام.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ ولما جاءت الملائكة ودخلت عند إبراهيم عليه السلام لتبشره بولد، سألهم عن سبب نزولهم من عند الله؟، قالوا: إنا مهلكوا أهل هذه القرية، إن أهلها كانوا ظالمين أنفسهم بالطغيان والفساد في خلق الله. قال إبراهيم عليه السلام: إن فيها لوطًا وهو من عباد الله الصالحين. قالوا: نحن أعلم بمن في القرية من المؤمنين والمفسدين، لننجينه وأهله، هم المؤمنون، إلاَّ امرأته كانت من جملة الكافرين، وهالكة في العذاب مع الهالكين. وخرجوا من عند إبراهيم عليه السلام وذهبوا إلى لوط عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ ولما جاءت الملائكة ودخلوا على لوط عليه السلام وهم على صورة الشباب المرد ضاق صدر لوط عليه السلام وحزن خوفًا من إساءة قومه إلى ضيوفه قالوا: لا تخف نحن جئنا لإهلاك قومك المفسدين، إنا منجوك وأهلك المؤمنين من العذاب إلاَّ امرأتك الكافرة، وهي كانت من جملة الباقين في العذاب.

ثم قالوا: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾ نحن منزلون من السماء على أهل هذه القرية عذابًا بسبب

ما كانوا يفسقون في خلق الله وما استمروا فيه من الفاحشة إذا لم يقبلوا نصيحة لوط عليه السلام ولم ينزجروا عن فسقهم. ورفع جبريل عليه السلام ديارهم من تحت الأرض إلى السماء وقلبها عاليها سافلها، وهلكوا كلهم، وأرسلوا عليهم حجارة متتابعة مكتوب على كل حجر اسم من يرمى عليه. وسبق تفصيل بيان قصة لوط وقومه في سورة هود.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ ولقد تركنا من ديارهم علامة ظاهرة لقوم يمرون عليها ويتأملون فيها فيعقلون ويتعظون بما نزل على القوم المجرمين.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ وأرسلنا إلى أهل مدين أخاهم شعيبًا أخًا بالنسب لا في الدين، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا وارجوا ثواب اليوم الآخرة ولا تسعوا في الأرض مفسدين في خلق الله ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ فكذبوا شعيبًا عليه السلام واستمروا في عصيانهم وإفسادهم في خلق الله فاستحقوا عقاب الله، فأمر الله جبريل أن يصيح عليهم فصاح صيحة واحدة تزلزلت الأرض من تحتهم زلزلة شديدة فصاروا في ديارهم جاثمين على ركبهم ميتين.

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ﴾ وأهلكنا عادًا وثمود وهذه آثارهما باقية، وقد ظهر لكم يا كفار مكة حين سافرتم إلى الشام وإلى اليمن ورأيتم أماكنهم المدمرة فلم تعتبروا بها ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ وزين لهم

الشيطان أعمالهم السيئة اغتروا بها فمنعهم عن الطريق الحق ودلهم إلى الضلالة وقد كانوا مستبصرين عقلاء ولكن غلبت عليهم شقاوتهم وغفلتهم.

﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَـٰمَـٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَـٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَـٰبِقِينَ ۝٣٩﴾ وأهلكنا قارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى عليه السلام بالمعجزات الظاهرات فلم يصدقوها وتكبَّروا عن الإيمان بموسى عليه السلام وتعاظموا في أهل أرض مصر، ولكنهم ما كانوا فائتين من عذابنا.

﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ﴾ وكل هؤلاء أخذنا بذنبه لا بالظلم.

ثم ذكر نوع العذاب ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٤٠﴾ قال تعالى: هؤلاء منهم من أرسلنا عليه حاصبًا، أي: حجارة يعني أرسل الله حجارة على قوم لوط عليه السلام، سبق بيانها في نفس السورة، ومن هؤلاء من أخذته الصيحة يعني أرسل الله على قوم صالح عليه السلام الصيحة الطاغية فأهلكتهم وصاروا ميتين في ديارهم جاثمين، وكذا قوم شعيب عليه السلام. ومن هؤلاء من خسفنا به الأرض، وهو قارون وصاحبيه، وسبق بيانهم في آخر سورة القصص، ومن هؤلاء من أغرقنا من ماء الطوفان وهم قوم نوح عليه السلام، سبق تفسيرهم مكررًا، وأغرق الله فرعون وقومه في ماء البحر، وما ظلمناهم ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بالكفر بربهم وبنبيهم وبالعصيان والطغيان.

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ ضرب الله مثلاً للمشركين الذين اتخذوا أصنامهم آلهة يعبدونها لا تنفعهم ولا تمنع عنهم العذاب كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا لا يدفع عنها حرًّا ولا بردًا وإن أضعف البيوت لبيت العنكبوت، وكذا عبادة المشركين لأصنامهم لا تنفعهم ولا تمنع عنهم عقاب الله، وعاقبتهم إلى الخيبة والخسران لو كانوا يعلمون ويفهمون ما ضربنا لهم من المثل.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ إن الله يعلم الذي يعبدونه من دون عبادة الله، لا يخفى عليه ذلك، وليس معبودهم من شيء، أو المعنى: ليست عبادتهم لها بشيء، وهو الله العزيز ذو الانتقام من المشركين، الحكيم في تدبير أمر خلقه.

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ وتلك الأمثال في القرآن نضربها ونبين بضربها الأمور ليقرب على من يقرأ القرآن فهم معانيه، وما يعقل ولا يفهم هذه الأمثال إلاَّ العالمون في معاني القرآن.

﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ خلق الله السموات السبع والأراضين السبع ومن فيهن وخلق الخلائق بالحق لا بالعبث، إن في ذلك لآية دالة للمؤمنين الذين يوقنون بكمال قدرة الله ووحدانيته في ملكه.

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ داوم يا محمد

على تلاوة ما أوحي إليك من الكتاب كي لا تنسى، وصل الصلوات الخمس مع إقامة شروطها وأركانها وسننها بالخشوع والإخلاص، إن الصلواة تنهى عن الأمور الفحشاء وعن الأمور المنكرات. قال عليه الصلاة والسلام: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له. والمعنى: من لم يكن في صلاته خشوع ولا إخلاص لله تعالى ولا يحافظ على شروطها ولا يتم أركانها ولا ينتهي بها عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه. (ولذكر الله أكبر)، أي: الدوام على ذكر الله أكبر فضيلة. والمعنى: داوموا أيها المؤمنون على ذكر الله في أحوالكم كلها. والخازن أورد الأحاديث في تفسيره في فضيلة ذكر الله، (والله يعلم ما تصنعون) من الأعمال البدنية والقلبية واللسانية والمالية فيحاسب عليها ويجازيكم.

﴿ ۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ ولا تجادلوا أيها المؤمنون أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى في دعوتكم إلى الله إلّا بالخصلة التي هي أحسن للموافقة لدعوتكم فتلين قلوبهم. (إلّا الذين ظلموا منهم)، أي: استمروا على شركهم بالله وكفرهم برسالة محمد عليها الصلاة والسلام فهدّدوهم بالغلظة وأمروهم بدفع الجزية فيدفعوا الجزية بأيديهم وهم صاغرون، فإن أبوا عن دفع الجزية فانصبوا الحرب عليهم.

﴿ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ فإن قبلوا الجزية ودخلوا ذمتكم فبها، وقولوا لهم آمنا بالقرآن الذي أنزل إلينا وأنزل إليكم بأن تؤمنوا به وتعملوا بما فيه، وإلـٰهنا وإلـٰهكم واحد، ونحن المؤمنون بالله وبكتبه وبرسله ومستسلمون لأمر الله وأمر رسوله محمد عليه الصلاة والسلام.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ ومثل ذلك الإنزال لمن قبلك يا محمد أنزلنا إليك القرآن، فالذين آتيناهم التوراة ويعلمونه حق العلم والإيمان يؤمنون بالقرآن، ومن كفار مكة من يؤمن بالقرآن، هم المؤمنون من أهل مكة، وما يجحد بآيات كتابنا بعد المعرفة بها إلاَّ المصرُّون على كفرهم والمعاندون لدين الإسلام.

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ وما كنت يا محمد تقرأ الكتاب من قبل إنزال القرآن بالوحي إليك، ولا تعرف أن تكتب، ولو عرفت أن تقرأ وتكتب إذًا لشك الداعون في إبطال دينك الحق، وهم مشركو مكة.

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ بل القرآن آيات واضحات معانيه، محفوظ في صدور الذين أوتوا حفظه وفهم معانيه، بخلاف الكتب السابقة التي حرفوها بعد ذهاب أنبيائهم. وأما القرآن محفوظ من التحريف والتغيير قد ضمن الله حفظه، قال تعالى: (وإنا له لحافظون)، ولهذا ما استطاع المبطلون أن يردوا الحق، وما يجحد بآيات كتابنا إلاَّ الظالمون على أنفسهم بإصرار الكفر بربهم.

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ وقال كفار مكة: هلا أنزل على محمد معجزات من ربه لتدل على صدق رسالته إلينا كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم الصلاة والسلام، قل لهم يا محمد: إنما المعجزات عند الله، ليست

عندي، وما أنا إلَّا نذير ظاهر من عذاب الله إن لم تؤمنوا بالله وحده ولم تصدقوا برسالتي إليكم، نذير للإنس والجن كافة.

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ استفهام للتوبيخ والتقريع على جهلهم وتعنتهم: أولـم يكف هؤلاء المشركين أنـا أنزلنا عليك القـرآن بلسانهم، وأنت يا محمد تقرأ عليهم عن ظهر قلبك بالفصاحة والبلاغة كما أنزل إليك إن في ذلك الإنزال القرآن الكريم بالفصاحة والبلاغة بلسانهم لنعمة لهم وتذكرة وموعظة لقوم يؤمنون بالله وحده ويؤمنون بالقرآن الكريم إنه كلام الله.

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ قل يا محمد لهـؤلاء المشركين المتعنتين: كفى بالله شاهدًا بيني وبينكم؛ هـو يعلم أحوال مـن في السموات والأرض، وعلمه يحيط كـل شيء. أمـا الذين آمنوا بأصنامهم وعبدوها بالبـاطـل وكفروا بالله الواحـد المعبـود الحق فأولئك هم المغبونون والخاسرون لأنفسهم يوم القيامة، ولهم عذاب سرمدي.

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ ويستعجلك هؤلاء المشركون بإنزال العذاب عليهم، ولولا أجل مسمى لإنزال العذاب عليهم لجاءهم العذاب فجأة وهم لا يشعرون ولا ينتبهون له.

﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ

مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ ويستعجلونك يا محمد بالعذاب المعجل عليهم وهم لا يصدقون بعذاب جهنم، وإن عذاب جهنم لمحيط بالكافرين بربهم والمكذبين برسالة رسل الله، فيوم القيامة يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ويقول لهم خزنة جهنم: ذوقوا عذاب ما كنتم تعملون من الكفر والشرك بربكم في حياتكم الدنيا.

ثم وجه الخطاب لعباده المؤمنين، وهذه سنّة الله في كتابه العزيز: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ يا عبادي المؤمنين بي، إن كنتم في ضيق في العبودية لي في مكة فهاجروا إلى أيّ مكان يمكن لكم إظهار إيمانكم وعبادتكم، إن أرض الله واسعة فاعبدوني فيها.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ إن خفتم الهجرة إلى غير بلدكم خوفًا من الموت فكل نفس ذائقة الموت، أينما تكونوا يدرككم الموت، فلا تخافوا، فهاجروا إلى أرض واسعة لكم لعبادتي، وبعد موتكم إلينا ترجعون بأعمالكم، ونجازيكم جزاء حسنًا، وفي الآية ترغيب بالهجرة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾ والذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمرنا لننزلنهم في مكان عالي من الجنة، (غرفًا) جمع غرفة، تجري من تحت غرفهم مياه الأنهار، مقيمين فيها أبدًا، نعم الثواب ثواب العاملين في حياتهم الدنيا، الذين صبروا في طاعة الله وفي كل أحوالهم يعتمدون على ربهم.

وأمر النبي ﷺ المؤمنين بأن يهاجروا إلى المدينة، وقال بعضهم: لا دار ولا مال لنا في المدينة فأنزل الله الآية ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ تشجيعًا للهجرة: وكم من دابة ضعيفة لا تحمل رزقها، ولا تعرف الكسب لرزقها، الله يرزقها، وهي تعيش برزق الله، ويرزقكم أنتم أيها المؤمنون، فلا تخافوا الجوع والسكن، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم، فتوكلوا على الله حق التوكل.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ ولئن سألت يا محمد المشركين الجاحدين بنعم الله: من خلق السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن من الخلائق وسخر الشمس والقمر لمصالح العباد؟ فيجيبوا جواب الإقرار بذلك: ليقولن: الله، قل لهم: كيف تصرفون العبادة لغيره بالإفك؟!

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ وهذه الآية متصلة بقوله تعالى: ﴿وكأين من دابة...﴾ وفيها آية تشجيع المؤمنين للهجرة، فالله يبسط ويوسع الرزق لمن يشاء من عباده امتحانًا، ويقدر ويضيق الرزق لمن يشاء ابتلاء، إن الله عليم بكل شيء من أحوال عباده، وذلك لحكمة منه جلت قدرته.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾ وهذه الآية متصلة بقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات...﴾، وقوله: (الله يبسط الرزق) إلى آخرها، اعتراضية بينهما، يقول: ولئن سألت يا محمد المشركين: من نزّل من السماء ماء فأحيا به الأرض اليابسة من قحط الماء، وأنبت الزروع والعشب؟! فيقولون مقرين معترفين: الله. ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ قل يا محمد

لإقامة الحجة عليهم: الحمد لله، على تلك النعم، إذ يقرُّون أن الرازق هو الله ويعبدون غيره!! ويا عجب من جهلهم وبلاهتهم. ثم قال تعالى بحرف الإضراب: (بل) أكثرهم لا يعقلون الحق من الباطل ويستمرون في ضلالتهم.

﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ وما هذه الحياة في الدنيا إلاّ لعب ولهو وغرور بلذاتها، لا بقاء لها، سريعة الزوال، وإن الحياة في دار الآخرة لهي الحياة الحق، لا زوال لها، لو كانوا يعلمون ويتأملون ما بينا لهم.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ وتراهم إذا ركبوا في السفن دعوا الله خائفين من الغرق في البحر مخلصين لله تعالى إذ لا نجاة إلاّ به، فلما نجاهم سالمين إلى البر إذا هم يعودون إلى كفرهم، ويعبدون أصنامهم ويشركون بالله ليجحدوا بما آتيناهم من النعمة والإنجاء من البحر، قل لهم يا محمد: ليتمتعوا في بغيهم وعصيانهم في حياتهم الدنيا فسوف يعلمون عاقبة أمرهم لا خلاص لهم من عذاب جهنم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ أولم ينظر هؤلاء المشركون بنظر العبرة أنا جعلنا بلدهم حرمًا آمنًا من النهب والقتل والسبي، ويتخطف الناس من حولهم فلا يسلمون من الغارات والنهب والقتل، وهم آمنون عن ذلك. فهل يؤمنون بالباطل، وبنعمة الله يجحدون؟!

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ

مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ لا أحد أظلم لنفسه ممن افترى على الله كذبًا أو كذّب بالقرآن لما جاءه محمد بالحق، أليس في جهنم مقرًّا للكافرين؟ استفهام للتوبيخ والتقريع لعاقبة أمرهم.

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ والمؤمنون الذين جاهدوا أنفسهم في طلب رضى ربهم لنهدينهم إلى طرق توصلهم إلى رضواننا، وإن الله لمع المخلصين في طاعة ربهم بالعون والنصر.

الحمد لله، تمّت سورة العنكبوت بعون الله.

* * *

سورة الروم

آياتها ستون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ①﴾ سبق تفسير مثل هذه الأحرف في أول سورة البقرة، ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ③ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ④ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ⑤﴾.

قال مشركو مكة لأصحاب رسول الله ﷺ: الروم أهل كتاب، وفارس لا كتاب لهم، وفارس غلبت الروم في الحرب التي جرت بينهما، ونحن أميون لا كتاب لنا نغلبكم إذا حاربناكم. فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لا يُقِر الله أعينكم، فأنزل الله الآية لإبطال زعم كفار قريش: أي: غلبت فارس الروم في أقرب الأرض لأرض الروم، وهم، أي: الروم، من بعد هزيمتهم سيغلبون الفرس في بضع سنين، البضع ما بين ثلاث وتسع، وقد قامت الحرب في السنة السابعة وغلبت الروم فارس وانهزمت الفرس وفرح المؤمنون بانهزام الفرس. لله الأمر كله من قبل انهزام الروم وبعد انهزام الفرس. ويوم غلبت الروم على الفرس، يفرح المؤمنون بنصر الله للروم، وينصر الله من يشاء ويهزم

من يشاء وهو العزيز في تصريف أمره على خلقه، الرحيم لعباده المؤمنين.

﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ ﴾ ذلك الذي ذكرنا لكم كان وعد الله للمؤمنين، لا يخلف الله وعده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، ويستعجلون قبل إنجاز الوعد.

﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾، أي: الاكتساب لمعاشهم في التجارة والزروع والصناعة، وهم عن أمر الآخرة هم غافلون ولا يتفكرون فيها.

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۝٨ ﴾ استفهام للتقريع: أولم يتفكر هؤلاء المشركون في أنفسهم. ما خلق الله السموات والأرض وما فيهن من الخلائق إلاّ بالحق لا بالعبث، فلهم أجل مسمى ثم ينتهي وجودهم. وإن كثيرًا من الناس بلقاء ربهم لحساب أعمالهم لكافرون، أي: لجاحدون ومنكرون.

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٩ ﴾ استفهام للتقريع: أولم يسير هؤلاء المشركون في الأرض إلى الشام وإلى اليمن فينظروا آثار أقوام المكذبين برسلهم، أهلكهم الله ودمر ديارهم، فيعتبروا بها كيف كان عاقبة الذين من قبل كفار مكة، كانوا أشد قوة في أجسامهم من كفار مكة، وأثاروا الأرض، أي: حرثوها وزرعوها وشجروها وعمروها بالأبنية

المشيدة والقصور الفاخرة أكثر ما عمر كفار مكة، وجاءت رسلهم بالآيات الواضحات ولم يصدقوا بها. وأصروا على عصيانهم وكفرهم، فأهلكهم الله ودمر ديارهم وها هي آثارهم باقية، فما كان الله ليظلمهم بغير جريمة ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بالكفر بربهم والتكذيب على رسلهم والطغيان على خلق الله.

﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ وبعد ذلك نذكر أنه كان عاقبة الذين أساؤوا العمل وكذبوا رسلهم العذاب السوء في جهنم، وقيل: السوء اسم لجهنم، ولهذا أنّث اسمها؛ لأنهم كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون في حياتهم الدنيا.

﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الله بدأ الخلق بالإنشاء للوجود ثم يعيده بعد الموت إلى التراب، ثم تبعثون أيها الناس من قبوركم أحياء، ثم ترجعون إلى الله للحساب والجزاء.

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ ويوم تقوم الساعة للحساب والجزاء ييأس المجرمون من نجاتهم من عذاب الله، وتنقطع حجتهم، ولم يكن لهم من أصنامهم التي عبدوها شفعاء، وصاروا بأصنامهم كافرين فتبرؤوا منها.

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ويوم تقوم الساعة لفصل الحكم، فبعد الحكم يتفرقون أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى نار جهنم.

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ هذا بيان للفريقين: فأما الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله فهم في رياض الجنة يتنعمون بنعيمها إلى الأبد، وأما الذين كفروا بربهم، وكذبوا بأخبار رسلنا عن عذاب الآخرة، فأولئك في عذاب جهنم مخلدون على الأبد.

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ فسبحوا، أي: صلوا لله حين تمسون صلاة المغرب وصلاة العشاء وصلوا صلاة الفجر حين تصبحون. وقيل: فسبحوا الله واحمدوه حين تمسون بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء، وحين تصبحون إلى طلوع الشمس. والأول أوجه. وله يحمد أهل السموات ومؤمنو أهل الأرض وعشيًّا، أي: العصر، وحين تظهرون.

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الله سبحانه وتعالى يخرج الحي من نطفة ذكر وهي ميتة ويخرج الميت من الحي، أي: يخرج النطفة من الحيوان وقيل يخرج مؤمنًا من كافر ويخرج كافرًا من مؤمن وذلك لحكمة منه جلّ وعلا، يفعل ما يشاء، ويحيـي الأرض بماء المطر بعد يبسها من قحط المطر، كذلك تخرجون من قبوركم أحياء وتحشرون إلى الله للحساب والجزاء.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ ومن آياته الدالة على كمال قدرته أن خلق أباكم آدم من تراب وأنتم من نطفته وبعد آدم تكاثرتم بالتناسل فإذا أنتم تنتشرون في أرض الله وتعيشون في حياتكم فيها إلى أجل الموت.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ ومن آياته الدالات على كمال قدرة الله أنه خلق لكم من أنفسكم زوجات لتسكنوا إليها وتستأنسوا بها، لو جعل الله زوجاتكم من غير جنسكم لوقع التنافر والوحشة بينكم، ومن رحمته أن جعل بينكم مودة ورحمة، وهذا أمر ظاهر لا يخفى عليكم إن في ذلك الأمر من المحبة والتراحم بينهما لآيات ودلائل دالات على كمال قدرة الله لقوم يتفكرون ويتأملون فيها.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ ومن آيات الله الدالات على كمال قدرته خلق السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن من الخلائق، واختلاف ألسنتكم بلغات شتى، واختلاف ألوانكم وطبيعتكم وأجسامكم إن في ذلك لآيات دالات لمن عنده بصيرة والتفكر.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ومن آيات الله الدالات على كمال قدرته نومكم نومًا طويلاً بالليل وابتغاؤكم من فضل الله في النهار، إن في ذلك البيان والتذكير لقوم يسمعونها ويتدبرون فيها.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ومن آيات الله الدالات على كمال قدرته أنه يريكم البرق قبل نزول المطر فيه خوف للمسافرين في البر ليلتجأوا إلى كنف الجبال والمغارات وطمعًا للزارعين ليقودوا الماء إلى زروعهم وبساتينهم، وينزل من السماء ماء فيحيي به

الأرض بعد يبسها من قحط الماء وينبت به الزروع والعشب والأشجار، إن في ذلك لآيات دالات لقوم يعقلونها ويتأملون فيها.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ومن آيات الله الدالة على كمال قدرته أن تقف السماء بغير عمد وتثبت الأرض لمن عليها بغير اضطراب وذلك بأمر الله لهما، وتموتون عند تمام آجالكم إلى النفخة الأولى، ويموت كل من عليها ولا يبق فيها شيء من الحي، ثم إذا دعاكم إسرافيل دعوة واحدة في الصور نفخة واحدة للبعث من قبوركم إذا أنتم تخرجون من قبوركم أحياء تنتظرون لأمر الله.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ ولله أمر من في السموات من الملائكة وأمر من في الأرض من الخلائق، كلٌّ خاضعون ومنقادون لأمر الله.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ وهو الله الذي بدأ وأنشأ الخلائق من تراب وبعد تمام آجالهم يعيدهم إلى التراب مقبورين فيها، وإخراجكم منها أحياء أيسر وأسهل على الله، وهو القادر المقتدر على إيجاد كل شيء وإفنائه لا يعجزه شيء، ولله الوصف الأعلى في الكمال في السموات والأرض لا لغيره، وهو العزيز في أمره، الحكيم في تدبير أمر خلقه.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ ضرب الله لكم أيها المشركون مثلاً من أنفسكم، هل

لكم رغبة أن يشارككم مَنْ ملكت أيمانكم فيما رزقناكم من الأموال، فأنتم وعبيدكم فبملكية المال سواء، وتخافون أن يشاركوكم في أموالكم كخيفتكم من أن يشارككم الأحرار في أموالكم، فإذن: كيف ترضون أن تجعلوا لله شريكًا من خلقه؟! ويا أسفًا على بلاهتكم وجهلكم. مثل ذلك البيان بضرب المثل نبين الآيات الدالات على كمال قدرتنا وحلمنا لقوم يعقلون ويفهمون ويتعظون بما بينا لهم.

﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ قال الله تعالى بحرف الإضراب: بل اتبع المشركون أهواءهم في عبادتهم لغير الله بغير علم ولا حجة، وهم لا يشعرون بضلالتهم، فمن يهدي من أضل الله؟! لا أحد يهدي من أضل الله، وما لهم من ناصرين يمنعهم من عذاب الله.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ فأخلص ذاتك يا محمد لدين الله، فاستقم بما أمرك الله فيه مائلاً إليه عن الأديان الباطلة إلى دين الحق، فطرة الله التي فطر الناس عليها، أي: خِلقة الله التي خلق الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين المستقيم إلى رضوان الله، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ويغيرون بعض أحكام التشريع ولا يبالون فيها، فعاقبة هؤلاء إلى الخيبة.

﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ فأقيموا وجوهكم منيبين إلى الله بالتوبة الصادقة وإخلاص العمل به، واتقوا الله أيها المؤمنون في مخالفة ما أمر به وما نهىٰ عنه، وأقيموا

الصلوات المكتوبة على الوجه المشروع، ولا تكونوا أيها المؤمنون ممن أشرك بالله أو تكونوا معهم بالمجالسة والمحبة، واحذروا عنهم.

ثم بين ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ فلا تكونوا من اليهود والنصارى الذين تفرقوا بعد نبيهم وصاروا شيعًا، أي: أحزابًا كل حزب بما عندهم من دينهم فرحون، ويحسبون أن دينهم الذي أحدثوه أنه الحق.

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ وإذا مس المشركين ضر في أبدانهم من المرض أو الضرر في التجارة أو القحط في معيشتهم دعوا الله تائبين عن شركهم وعصيانهم ثم إذا أذاقهم منه رحمة، أي: سعة من الرزق وصحة في أبدانهم بطروا، إذا فريق منهم بربهم يشركون ويعبدون غير الله. ثم هددهم لكفرهم بنعيم الله: (ليكفروا)، أي: يجحدوا بما أتيناهم من النعيم، قل لهم يا محمد: فتمتعوا في حياتكم الدنيا فسوف تعلمون عاقبة إشراككم بالله وجحودكم بنعم الله.

﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ هل أنزلنا على المشركين حجة على صحة عبادتهم لغير الله فهو يتكلم ويشهد بما كانوا بالله يشركون؟! ليس الأمر كما يزعم المشركون، بل عبادتهم لغير الله باطلة وشرك بربهم.

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ قال تعالى: وإذا أذقنا، أي: أنعمنا على الناس رحمة، أي:

سعة في أرزاقهم وصحة في أبدانهم فرحوا وبطروا بها، وإن تصبهم سيئة، أي: مرض في أبدانهم وضيق في عيشتهم بسوء ما عملوا من العصيان والبطر إذا هم ييأسون من رحمة الله. وهذا خلاف المؤمنين الصادقين الذين هم يرجون رحمة الله عند الشدائد ويشكرون نعم الله بالطاعة والإنابة إليه.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ أولم ير هؤلاء المشركين بأعين الاعتبار أن الله يبسط الرزق لمن يشاء امتحانًا، ويضيق الرزق لمن يشاء ابتلاء، وهذان الأمران ظاهران في عباد الله؟! إن في ذلك البسط في الرزق والتضييق لعبرات ظاهرات لقوم يوقنون لقدرة الله وحكمته.

﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ في هذه الآية أمر الله نبيه ﷺ والأمر يسري على أمته ﷺ لأنه يبين ويبلغ أمته، والمعنى: فآتي ذا القرابة حقه من صلة الرحم وسد حاجاته، وكذا المساكين، وابن السبيل: هو الذي انقطع عن ماله في السفر، أعطه حتى يصل إلى أهله وماله. ذلك العطاء لمن يحتاج خير للذين يريدون رضى الله، لا سمعة ولا رياء، وأولئك هم المفلحون، أي: الفائزون بنعيم الآخرة.

﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ وما أعطيتم أيها المسلمون من ربا لأحدٍ ليزداد في اجتلاب أموال الناس فلا يزيد عند الله، يعني: لا بركة فيه، وما آتيتم من مال طاهر لا شبهة فيه للفقراء والمساكين تريدون

رضى الله فأولئك هم المضعفون في ثواب إحسانهم، والمعنى: الله سبحانه وتعالى يضاعف ثواب إحسانهم.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ وفي الآية تقريع وتبكيت على المشركين: الله الذي خلقكم من نطفة آبائكم، وبعد الولادة رزقكم إلى تمام آجالكم، ثم يميتكم وتقبرون في الأرض، ثم يحييكم للبعث فتخرجون من قبوركم أحياء وتحشرون للحساب والجزاء، هل من معبودكم من يفعل من ذلك من شيء؟! لا جواب لهم. سبحانه وتعالى عما يشرك المشركون.

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ قال تعالى: ظهر الفساد والفتن في بر الأرض والبحر، يعني: الذين يعيشون في ساحل البحر من الكافرين والعاصين بسبب ما كسبت أيدي الناس، ليذيقهم الله جزاء بعض الذي عملوا في حياتهم الدنيا لعلهم يرجعون عن معاصيهم وكفرهم ويتوبون إلى الله.

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: سيروا في أرجاء الأرض، فانظروا إليها واعتبروا بها كيف كان عاقبة الذين من قبل كفار مكة من الكافرين بربهم والمكذبين برسلهم الذين أهلكهم الله ودمر ديارهم، وآثارهم باقية، كان أكثرهم مشركين بالله في عبادة غير الله.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ فأقم وجهك، أي: فاستقم بكليتك لدين الإسلام لا تزغ عنه

أبدًا من قبل أن يأتي يوم لا مرد له، أي: لا راد لأحد من عذاب الله، ويومئذ يتفرق الناس، فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ من كفر بالله فعليه وبال كفره، ومن عمل عملاً صالحًا فجزاء عملهم لأنفسهم، فهم يوسعون مكانهم في الجنة، وذلك التوفيق بالإيمان والأعمال الصالحات ليجيزهم الله من فضله إنه تعالى لا يحب الكافرين.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ومن آيات الله الدالات على كمال قدرته أن يرسل الرياح مبشرات قبل نزول المطر ليذيقكم من رحمته من الخصب والزروع، ولتجري السفن في البحر بأمره ولتبتغوا من فضل الله بالتجارة ولعلكم تشكرون الله على تلك النعم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ولقد أرسلنا من قبلك يا محمد رسلاً إلى أممهم فجاؤوهم بالآيات الواضحات تدل على صدق رسالتهم، فجاؤوهم بها فكذب قوم منهم، فانتقمنا بالعذاب المهلك من الذين أجرموا وكذبوا رسلهم، وأنجينا رسلهم والذين آمنوا معهم، وكان وعدًا علينا نصر المؤمنين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ هذه الآية متصلة بقوله: ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح...﴾، وقوله: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً﴾ إلى آخرها اعتراضية بين الآيتين. وفي هذه الآية

زيادة البيان والإقناع لكفار مكة: هو الله الذي يرسل الرياح فتسوق الرياح سحابًا بأمر الله إلى أين يشاء الله، فيبسط السحاب في جو السماء كيف يشاء، ويجعله قطعًا متفرقًا، فترى المطر يخرج من خلال السحاب، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون بنزول المطر لزروعهم وبساتينهم ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ۝٤٩﴾ وإنهم كانوا من قبل أن ينزل عليهم المطر آيسين من المطر.

﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٥٠﴾ فانظر يا محمد إلى آثار رحمة الله بنظر العبرة، كيف يُنبت الأرض اليابسة من قحط المطر نباتًا مترعرعًا وزروعًا بهذا الماء، إن ذلك المحيي الأرض الميتة لمحيي الموتى من قبورهم للحساب والجزاء، وهو سبحانه وتعالى قادر على إيجاد كل شيء وإفنائه. وفي الآية رد على المنكرين للبعث.

﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ۝٥١﴾ قال تعالى: ولئن أرسلنا ريحًا محرقة لزروعهم فرؤوا زروعهم مصفرة من إصابة الريح لظلوا من بعد احتراق الزروع يجحدون بنعم الله، آيسون من رحمة الله. ثم نبه الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ على هؤلاء المشركين: إنهم كالموتى لا يؤثر بهم التذكير والوعظ.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡا۟ مُدۡبِرِينَ ۝٥٢ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ۝٥٣﴾ فإنك يا محمد لا تستطيع أن تسمع الخطاب الموتى فكذا موتى القلوب، ولا تستطيع إسماع الصم الدعاء وهم الخرس، إذا ولوا عنك معرضين، وما

أنت بهادي العمي في ضلالتهم عن ضلالتهم إلى الرشد والهداية، لا يسمع تذكيرك إلاَّ من يؤمن بآياتنا فهم مستسلمون لأمرك.

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ الله الذي خلقكم أيها الناس من ماء آبائكم في أرحام أمهاتكم وتنموا فيها طورًا بعد طور، وبعد ثلاثة أطوار ينفخ فيكم الروح، فتنموا في أرحام أمهاتكم إلى وقت الميلاد وتولدون طفلاً ضعيفًا لا قوة ولا شعور فيكم حتى تقوى أبدانكم وتكونوا شابًّا قويًّا في أبدانكم وعقلكم، ثم جعل الله من بعد قوتكم ضعفًا في أبدانكم وشيبة هي علامة الشيخوخة والهرم، يخلق الله ما يشاء وهو العليم في صنعه وأحوال خلقه القدير على كل شيء.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ ويوم القيامة تقوم الساعة للحساب والجزاء يحلف المجرمون ما مكثوا في الدنيا وفي القبور غير ساعة وظنوا قلة مكثهم من شدة أهوال يوم القيامة. مثل ذلك كانوا في الدنيا يصرفون الحق إلى الباطل والصدق إلى الكذب.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان به: لقد مكثتم في قبوركم إلى يوم البعث، وهذا يوم البعث، ولكنكم كنتم لا تعلمون كتاب الله وتكذبون رسولكم بما أخبر عن قيام الساعة.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾ فيومئذ تقوم الساعة للحساب وفصل الحكم، لا ينفع الذين ظلموا أنفسهم بالكفر

والمعاصي اعتذارهم، ولا هم يطلب منهم العذر، بل يختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم.

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ ولقد بينا للناس بضرب المثل في هذا القرآن من كل شيء ليقرب إلى فهمهم، ولئن جئتهم يا محمد بمعجزة كعصا موسى وناقة صالح ومائدة عيسى عليهم الصلاة والسلام ليقول الذين كفروا بربهم: ما أنتم، يعني: أنت يا محمد وأصحابك إلاّ مبطلون ديننا لا نصدقكم.

وقال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ مثل ذلك الطبع على قلوبهم يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة دين الله ويتجاهلون عنه ويكفرون بربهم.

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ فاصبر يا محمد على أذاهم وتكذيبهم لك، إن وعد الله بنصرك عليهم حق، ولا يحملنك على الخفة والقلق هؤلاء الذين لا يوقنون بقيام الساعة ولا بعذاب جهنم.

الحمد لله، تمّت سورة الروم بعون الله.

* * *

سورة لقمان

آياتها أربع وثلاثون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١﴾ سبق تفسير هذه الأحرف في أول سورة البقرة، ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ (تلك) إشارة إلى آيات هذه السورة، آيات القرآن الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه، لا يخطىء أبدًا ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ هذا القرآن هدى ورحمة للذين أخلصوا أعمالهم لله تعالى، ويصلون الصلوات المكتوبة على الوجه الأكمل، ويؤتون زكاة أموالهم للفقراء والمساكين، وهم بيوم القيامة يوقنون ولا يشكون بقيامها، وزيادة الضمير (هم) للتأكيد ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ أولئك الموصوفون بالصفات المحمودة على هدى من ربهم ثابتون عليها، وأولئك هم الفائزون بسعادة الدارين.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾ قيل: نزلت في النضر بن الحارث حليف قريش كان يتجر فيأتي بأخبار زعماء العجم وبعض قريش يشتري منه ويحدث لهم أخبار زعماء العجم ليضل الناس عن دين الله بغير علم وجهل

منهم، ويتخذ آيات الله هزوًا وسخريًا وقيل: لهو الحديث هو: الغناء وشراء المغنيات وبيعهن. فأولئك الذين يفعلون ذلك لهم عذاب مهين في الآخرة في عذاب جهنم. والعبرة بعموم اللفظ وكل غناء ولهو يلهي الناس عن عبادة الله داخل في حكم الآية.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ وإذا تتلى آياتنا على هؤلاء المشركين المعاندين لدين الإسلام أعرضوا عن استماعها كأنهم لم يسمعوها، كأنّ في آذانهم ثقلاً وصمًا، فأخبرهم بعذاب مؤلم في نار جهنم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ إن الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات لله تعالى، لا سمعة ولا رياء، وعد الله لهم وعدًا حقًّا لا خُلف فيه، وهو العزيز في أمره ووعده، الحكيم في تدبير أمر خلقه.

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ خلق الله السموات السبع بغير عمد من تحتها وأنتم ترونها بأعينكم وألقى في الأرض جبالاً رواسي لتسكن بكم، وبث فيها من كل صنف من الحيوان دابة في الأرض، وأنزل من السماء ماء فأنبت في الأرض من كل صنف حسن من الزروع والعشب ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ هذا الذي ذكرنا لكم وأنتم تشاهدونها خلق الله ﴿ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ الأمر للتعجيز، فأروني أيها المشركون أيّ شيء خلق آلهتكم من دون الله؟ ثم بكتهم وأبطل دعواهم بحرف الإضراب بل الظالمون أنفسهم بالشرك والكفر في ضلال وخطأ ظاهر.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ ولقد آتينا لقمان الحكمة في كلامه وقلنا له: أن يشكر الله، ومن يشكر لله تعالى فإنما ثواب شكره راجع لنفسه، ومن كفر بالله وجحد بنعم الله فإن الله غني عن طاعته. حميد، أي: محمود في الأزل.

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ واذكر عندما قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه وينصحه ويحذره من أعظم الذنوب: يا بني لا تشرك بالله شيئًا في عبادتك، أخلص عبادتك لله تعالى إن الشرك في عبادة الله لظلم عظيم.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ وأمرنا الإنسان وصية بالبر والإحسان إلى والديه، وأمه أحق بالبر من الأب؛ لأن الأم حملته ضعفًا على ضعف من يوم نزلت نطفة الأب في رحمها، فعانت الكثير إذ صار لها غثيان إلى أن تصير النطفة علقة ثم مضغة، وبعد تمام الأطوار الثلاثة ينفخ الروح، وبعدها ينمو الطفل ويكبر في بطن أمه، وكلما زاد وكبر في بطن أمه زاد الضعف على الأم إلى أن تضع الولد، وعليها عند وضع الولد تعب عظيم تكاد تموت من شدة الألم وأحوال الطلق، وبعد ولادة الولد عليها إرضاع ابنه عامين، وبعد عامين تفطمه، وإن أكل الطفل قبل عامين يجوز إفطامه، وبيّنا هذا الأمر للإنسان كي يشكر لربه، ويحسن لوالديه، ويعرف حق أمه وأبيه؛ لأن الأب يطعم ويكسي ويربي تربية إلى أن يبلغ الرشد، وعندئذ هو يستطيع الاكتساب ويسقط عن الأب الإطعام والكساء.

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ وإن كلفاك والداك بأقصى جهدك على أن تشرك بـي الذي ليس لك به علم فلا تطعهما بالشرك والمعاصي؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وصاحبهما في حياتك الدنيا بإيصال المعروف والبر لهما، واتبع سبيل من أطاع إليّ. ثم إليّ مرجعكم أيها الناس بعد مماتكم فأخبركم بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا، فلِمَ تخالفون حكم الله؟!.

ثم عاد بالعبارة إلى وصية لقمان لابنه، ووصية الله اعتراضية بين وصية لقمان لابنه، ووصية الله تؤيد وصية لقمان لابنه.

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ يا ولدي، إن المعصية إن تك صغيرة مثل حبة خردل فتكن في جوف صخرة صماء أو في السموات أو في جوف الأرض يأت بها الله للحساب والجزاء عليها، إن الله لطيف، أي: واصل علمه في كل شيء، خبير بأحوال خلقه.

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ يا بني صلي الصلاة المكتوبة وأقمها على الوجه المشروع في أوقاتها، وأمر الناس بالأمور المعروفة في دين الله، وانههم عن الأمور المنكرة في دين الله؛ واصبر على ما أصابك من الأذى والمحن من الناس، لا تقابلهم بالانتقام منهم؛ إن الصبر في رضاء الله من عزم الأمور، أي: من أوجب الأمور، قال تعالى: ﴿إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾.

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ ونهى لقمان ابنه وحذره عن التكبر على عباد الله وعن التبختر في المشي، قال: لا تصعر خدك، أي: لا تمل وجهك عن الناس تكبُّرًا عليهم، ولا تمشي في الأرض تبخترًا وخيلاء؛ إن الله لا يحب كل مختال متكبر وفخور على الناس، وتوسط في مشيك متواضعًا وهينًا للناس، واخفض من صوتك إذا كلمت الناس، إن أقبح الأصوات في سمع الناس لصوت الحمير مع أنه من أرفع الأصوات، ومن رفع صوته متكبرًا على الناس شبّه صوته بنهيق الحمار.

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ ﴾ ألم تروا أيها الناس أن الله سخر لكم ما في السموات: الشمس والقمر والكواكب وماء المطر؛ لمنافعكم، والذي في الأرض: الأنهار والزروع والعشب والأنعام، وأكمل نعمه ظاهرة وباطنة. قيل: النعمة الظاهرة: التوفيق على الإيمان والإسلام والصحة في البدن وسلامة الجوارح وما تفضل علينا من الأرزاق والمال، والنعمة الباطنة: ستر مساوىء الأعمال، التي لا يطلع عليها الناس، ونعمة الآخرة. والمعرفة. واللفظ أعم من ذلك.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ ومع تلك النعم فمن الناس قوم يجادلون النبي ﷺ في ذات الله وصفاته بغير علم ولا هدى من الأنبياء السابقة ولا كتاب منير يوضح لهم، ولكن جهلاً وعنادًا لدين الإسلام، وإنما تقليدًا لأسلافهم وهؤلاء هم المشركون.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ وإذا قيل لهؤلاء المجادلين اتبعوا ما أنزل الله على رسوله قالوا: بل نتبع الدين الذي وجدنا عليه أسلافنا، فرد الله تعالى عليهم: أولو كان الشيطان يدعوهم وآباءهم إلى عذاب نار مسعرة.

﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ ومن يسلم كليته إلى الله ويخلص أعماله لله وهو محسن في طاعة الله فقد اعتصم بالعهد الأوثق. لا خلف له ولا انقطاع، وإلى الله مرجع وعاقبة الأمور كلها، وهو يحاسب ويجازي صاحبها عليها.

﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ ومن كفر بالله وبرسالتك فلا يوقعك كفره في الحزن؛ إلينا مرجعهم يوم القيامة فنخبرهم بما عملوا في حياتهم الدنيا، إن الله عليم بما في صدور العباد من خير أو شر؛ نمتعهم في حياتهم الدنيا زمنًا قليلاً ثم نلجؤهم يوم القيامة إلى عذاب شديد يدخلون فيه مضطرين لا مفر لهم منه.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين: من خلق السموات والأرض؟ فيجيبون: الله، قل يا محمد: الحمد لله على إقرارهم، قال الله تعالى بحرف الإضراب: بل أكثرهم لا يعلمون من يستحق العبادة فيعبدون غير الله.

﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦﴾ ولله ما في السموات السبع والأراضين السبع خلقًا وملكًا وعبيدًا، إن الله هو الغني عن عبادة المشركين، إن عبدوا مع شركهم أو لم يعبدوا سواء؛ هو المحمود في الأزل.

وقال المشركون إن الوحي سينفد وينقطع فأنزل الله ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧﴾ ولو أن جميع ما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ والبحر يمده من بعد نفاد مائه سبعة أبحر يكتب بها، ما نفدت كلمات الله، إن الله عزيز في أمره على خلقه حكيم في تدبير أمر خلقه.

وقال المشركون: كيف يخلق الله خلقًا جديدًا في يوم واحد؟ فأنزل الله ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٢٨﴾ ما خلقكم ابتداء من العدم ولا بعثكم من قبوركم أحياء للحساب والجزاء إلاَّ كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة، إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن كذا، فيكون كما شاء في الحال، إن الله سميع بأقوالكم بصير بأحوالكم.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٩﴾ ألم تنظروا أيها المشركون المعاندون لدين الإسلام والكافرون بعظمة قدرة الله أن الله يدخل الليل في النهار صباحًا ويدخل النهار في الليل مساء، وسخر الشمس والقمر لمصالحكم؛ كل من الشمس والقمر يجريان في منازل وأجل مسمى لهما لا يدرك ولا يسبق أحدهما الآخر، وإن الله بما تعملون خبير فيحاسبكم ويجازيكم.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ ذلك الذي شاهدتموه يدل بأن الله هو الحق المعبود، وإنما تعبدون من دون عبادة الله لأصنامكم وأصنامكم باطل، وعبادتكم لها باطلة، وإن الله هو العلي الكبير في ذاته وصفاته.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾ ألم تنظر بنظر العبرة إلى قدرة الله في حمل السفن في البحر، إن السفن محملة بالركاب وأموال التجارة والأرزاق، تجري في البحر سالمة من الغرق بنعمة الله، ليريكم من آياته ومن عجائب خلق الله في البحر، إن في ذلك لآيات دالات لكل صبار على طاعة الله وشكور على نعم الله.

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ وانظر إلى حال الناس في هذه الآية: إذا غشيهم موج الماء وهم في البحر كالسحاب وقد ارتفع موج الماء فوق رؤوسهم ويخافون على أنفسهم عندئذ دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم الله إلى البر سالمين من الغرق كانوا فريقين: فمنهم ثابت على عهده، والباقون رجعوا إلى كفرهم، ودل على هذا المعنى قوله تعالى: (وما يجحد بآياتنا إلاّ كل ختار كفور)، أي: وما يجحد بآياتنا إلاّ كل غدار في عهده كفور بنعم الله. وقيل: الآية نزلت في عكرمة بن أبي جهل وأناس معه هربوا يوم فتح مكة إلى البحر وركبوا السفينة وجاءهم الموج وخافوا على أنفسهم وعرفوا أن لا نجاة لهم إلاّ بالله فدعوا الله مخلصين لله تعالى فنجاهم إلى البر سالمين، وجاء عكرمة عند النبي ﷺ فأسلم وثبت إسلامه وحَسُن، والباقون جحدوا نعم الله وغدروا في عهدهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ يخاطب الله عامة الناس: اتقوا ربكم في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه، واخشوا يومًا فيه حساب وجزاء ومغفرة وعقاب، يوم لا يجزي والد عن ولده ولا يستطيع أن يقضي حاجته، ولا ولد هو جاز عن والده، فلا يقضي حاجته شيئًا، كل يقول: نفسي نفسي، إن وعد الله حق لقيام الساعة للحساب والجزاء، فلا تغرنكم شهوات الدنيا ولذاتها في حياتكم الدنيا. ولا تركنوا إليها ولا يغرنكم بالله إغرار الشيطان وخدعه بقوله: إن الله يغفر لكم لا تخافوا، لا بعث ولا حساب إنما حياتكم حياة الدنيا، أو إغراره بتسويف التوبة وتزيين الشهوات لهم!!! والله أعلم بما هو الصواب.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ إن الله عنده علم قيام الساعة للبعث والحساب والجزاء، ويعلم نزول المطر في أيّ وقت وفي أيّ مكان، وذلك بعلمه وأمره، يعلم ما في بطن الأم من ذكر أو أنثى وسعيد أو شقي، وما يدري أحد أيّ شيء يكتسب غدًا وأيّ شيء يحدث له من خير أو شر، وما يدري أحد بأيّ أرض يموت وفي أيّ ساعة، إن الله عليم فيما قدر وحكيم خبير بأحوال خلقه.

الحمد لله، تمّت سورة لقمان بعون الله.

* * *

سـورة السجـدة

آياتها ثلاثون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ①﴾ تقدم تفسير هذه الأحرف في أول سورة البقرة، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ②﴾ هذا القرآن منزل إليك يا محمد لا شك في نزوله من رب العالمين.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ③﴾ قال تعالى بحرف الإضراب: بل يقول هؤلاء المشركون: افترى محمد هذا القرآن من عنده. ورد الله عليهم: بل هذا القرآن نزل بالحق إليك لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك يا محمد وفق لسانهم لعلهم يفهمون ويتعظون ويهتدون إلى الإيمان بالله وحده، وينزجرون عن الكفر والشرك بالله.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ④﴾ الله الذي أبدع خلق السموات السبع والأراضين السبع من غير مثال سبق وما بينهن من الخلائق في ستة أيام، مقدارها من أيام الدنيا، تعليمًا لعباده كي لا يستعجلوا في

أمورهم، إنما أمره كن فيكون كما شاء في الحال. (ثم استوى على العرش) سبق تفسيرها في سورة الأعراف. واستواؤه كما يليق بجلاله. ما لكم أيها الناس من وليّ يتولى أموركم ولا شفيع يشفع لكم من عذاب الله إن لم تؤمنوا بالله وحده، أفلا تتذكرون وتتعظون وتتأملون بها.

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ﴾ يدبر الله أمور الخلائق من عنان السماء إلى تخوم الأرض في حياتهم الدنيا، ثم تعرج أمور الخلائق إلى الله في مقدار يوم من أيام الدنيا كألف سنة مما تعدون.

﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ﴾ ذلك الخالق المدبر للأمر والموجد الأشياء من عدم هو عالِمُ الغيب والشهادة، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، هو العزيز في أمره على خلقه، الرحيم بعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، هو الذي أحسن خلق كل شيء وأتقنه، وبدأ خلق الإنسان ــ آدم ــ من طين ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ﴾ ثم جعل ذريته من ماء ضعيف ينسل من صلب آبائهم في أرحام أمهاتهم ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩ ﴾ وبعد نزول النطفة في الأرحام بعد ثلاثة أطوار صوره على أحسن تقويم، وأكْمَلَ الهيئة ونفخ فيه من روحه، وإضافة الروح لنفسه جلّ شأنه تشريفًا لآدم وذريته.

﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩ ﴾ وجعل الله لكم أيها الناس السمع لتسمعوا الخطاب به، وجعل البصر لتبصروا به،

وجعل لكم الفؤاد لتعقلوا به، وتميزوا الحق من الباطل. ولكنكم تشكرون تلك النعم قليلاً، والواجب عليكم دوام الشكر عليها لله تعالى.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠﴾ وقال المنكرون للبعث: أمن المعقول أننا إذا كنا ترابًا وخلطنا في تراب الأرض أإنا لفي خلق جديد؟! أنكروا واستبعدوا البعث. فقال الله ردًّا عليهم بحرف الإضراب: بل هم بلقاء ربهم جاحدون.

﴿۞قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١١﴾ قل لهم يا محمد: يتوفى أرواحكم عند تمام آجالكم الملك الذي وكّل لقبض أرواحكم، ثم يوم القيامة تبعثون من قبوركم أحياء وتحشرون إلى ربكم للحساب والجزاء.

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢﴾ ولو ترى يا محمد أحوال المجرمين المكذبين برسلهم يوم القيامة وهم واطؤوا رؤوسهم عند ربهم حياء وخزيًا، فيقولون: يا ربنا أبصرنا طريق الهداية وعرفنا الآن حقيقتها وسمعنا أمرك وأمر رسلك فردّنا إلى الدنيا لنعمل عملاً صالحًا حتى ترضى عنا، إنا موقنون بما شاهدنا ولا نكذب أبدًا.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣﴾ قال الله تعالى: ولو شئنا لآتينا كل إنسان هداه إلى الإيمان بي وبرسلي، ولكن وجب الحكم بمشيئة مني لأملأن جهنم من الكفرة: من الجِنّة والناس أجمعين.

﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ويقال لأهل النار تهديدًا وتوبيخًا عليهم: فذوقوا عذاب النار بسبب ما نسيتم أوامرنا وكذبتم لقاء يومكم هذا فالآن شاهدتم أنه لا مهرب ولا ملجأ لكم منه إنا تركناكم في عذاب جهنم، فذوقوا عذابها السرمدي بسبب ما تعملون في حياتكم الدنيا من الكفر والشرك والعصيان.

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ إنما يؤمن بآيات قرآننا من كانت صفتهم أنهم إذا ذكروا بآياتنا ووعظوا بها خروا ساجدين لربهم وسبحوا بحمد ربهم على نعمة الإيمان بربهم والثبات في دين الإسلام وهم لا يستكبرون عن طاعة ربهم، بل هم مستسلمون لأمر ربهم لا يزيغون عن أمر الله أبدًا.

ثم ذكر من صفاتهم أنهم: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ الآية نزلت في الذين قاموا في الليل لصلاة التهجد: تتجافى، أي: ترتفع جنوبهم عن مضاجعهم للقيام لصلاة التهجد خائفين من عذاب الله وراجين رحمة الله، ومما رزقناهم من سعة المال ينفقون لذوي الحاجة والفقراء من طيب أنفسهم لله تعالى لا سمعة ولا رياء.

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ فلا يعلم الذين قاموا في الليل لصلاة التهجد والناس نائمون على فراشهم، يخفون صلاتهم عن الناس، لا يعلمون النعم التي أخفى الله لهم في الجنة من قرة أعين كي تقر أعينهم وتسكن نفوسهم بها، وكانت تلك النعم السرمدية جزاء مقابل ما كانوا يعملون من أعمال الصالحات لله تعالى.

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ استفهام للإنكار: أفمن كان مؤمنًا بالله وحده كمن كان فاسقًا، أي: كافرًا بالله وبرسوله؟! لا يستوون في الآخرة أبدًا.

ثم ذكر مقام الفريقين ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ أما الذين آمنوا بالله وحده وصدقوا برسالة رسول الله وعملوا الأعمال الصالحات امتثال لأمر الله ومتبعًا سنة رسول الله فلهم جنات المأوى يأوون ويسكنون فيها متنعمين بنعيم الجنة على الأبد وذلك منزلاً لهم مقابل ما كانوا يعملون في حياتهم الدنيا من الأعمال الصالحات.

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ وأما الذين خرجوا عن طاعة الله وكفروا به فمأواهم، أي: مسكنهم نار الجحيم، كلما أرادوا أن يخرجوا من الجحيم من شدة الألم أعيدوا إلى قعر الجحيم، ويقول لهم الخزنة: ذوقوا العذاب الذي كنتم به تكذبون في حياتكم الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾، أي: ولنذيقنهم من المصائب والمحن في الدنيا وهذا العذاب الأدنى، الأقرب، الأصغر قبل العذاب الأكبر في الآخرة؛ لعلهم يرجعون عن كفرهم بربهم وعصيانهم ويتوبون إلى الله.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ لا أحد أظلم لنفسه ممن ذكِّر ووعظ بآيات كتاب ربه ولم يقبلها، وأعرض عنها كافرًا بها، إنا من المجرمين منتقمون بأشد العذاب.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ولقد آتينا موسى التوراة ليهدي قومه بني إسرائيل بما فيه من أحكام التشريع والتذكير والوعظ. فلا تكن يا محمد من شك من لقاء موسى ليلة الإسراء أو يوم القيامة؛ وجعلنا موسى هاديًا ومرشدًا لبني إسرائيل وجعلنا من بني إسرائيل أئمة يهدون الناس ويرشدونهم إلى دين الحق بأمرنا لما صبروا في طاعتنا وتكاليف الأمور منا عليهم، وكان هؤلاء الأئمة بآيات كتابنا يوقنون ولا يشكون فيها.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ إن ربك يا محمد هو يفصل بين المحق والمبطل، والمؤمن والكافر، يحكم بحكم العدل يوم الحساب والجزاء فيما كانوا في أمر دينهم ومعاملاتهم يختلفون.

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ أولم يتبين لكفار قريش كم أهلكنا من أهل القرون الطاغية لربهم وهم يمشون في مساكنهم في أسفارهم إلى الشام واليمن إن في تلك الديار المدمرة لعلامات باقية من آثار الأمم الطاغية، أفلا يسمعون تذكيرنا ومواعظنا؟ أهم صم؟ وفي قوله الأخير تقريع وتوبيخ لكفار قريش.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ أولم يشاهد هؤلاء المنكرون للبعث أنا نحن نسوق ماء المطر إلى الأرض اليابسة من قحط الماء فنخرج بماء المطر زرعًا وعشبًا تأكل أنعامهم من العشب ويأكلوا أنفسهم من حبوب الزرع

وثمار الأشجار المثمرة، أفلا يبصرون تلك النعم. أولم يتأملوا فيها؟ استفهام للتقريع والتبكيت.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ ويقول كفار مكة متى هذا الفتح وتنتصروا علينا إن كنتم أيها المسلمون صادقين في دعواكم؟!.

﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: يوم الفتح هو للمؤمنين على الكافرين، وللحق على الباطل، بحكم العدل ذلك اليوم لا ينفع الذين كفروا بربهم في حياتهم الدنيا إيمانهم حينئذٍ ولا توبتهم ولا هم يؤخرون من عذاب الله، فأعرض عن كلامهم وانتظر يا محمد إلى الموعد الذي لا خلف فيه وإنهم منتظرون متى يأتي الذي هم فيه يكذبون وما يأتي من حوادث الزمان على المسلمين.

الحمد لله، تمّت سورة السجدة بعون الله.

* * *

سورة الأحزاب

آياتها ثلاث وسبعون آية، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ يخاطب الله نبيه محمد ﷺ: اتق الله، أي: دوام على تقوى الله واستقم في تبليغ أمر ربك ولا تطع الكافرين والمنافقين في آرائهم الفاسدة؛ إن الله كان عليمًا بأحوال خلقه حكيمًا فيما أمر لهم وما نهاهم عنه.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ أمر الله نبيه ﷺ بالتمسك بما يوحى إليه في القرآن الكريم ويستقيم في تبليغ ما أمر به، ثم نبه عليه: إن الله كان بما تعملون خبيرًا، أنت وأصحابك، فاستقيموا في أمور الله ولا تخالفوا أمره، واعتمدوا على الله في كل شأنكم، ولا تخافوا من أعدائكم المشركين والمنافقين، وكفى بالله حفيظًا لكم.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ﴾ قيل نزلت في رجل من قريش كان يدّعي أن له قلبين، وأنه أعلم من الناس وأحفظ منهم، فرد الله عليه وأبطل دعواه.

﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾ وكان في الجاهلية إذا أراد رجل أن يطلق زوجته فيقول لها: أنت علي كظهر أمي. فأبطل الله تلك العادة الجاهلية، وسيأتي حكم الظهار في سورة المجادلة إن شاء الله. وما جعل الله من تدَّعون أنهم أبناءكم وهم ليسوا كذلك حقيقة إذ ليسوا من صلبكم، وهذا هو التبني فهذا الادعاء بالتبني إنما هو بأفواهكم، والله يقول القول الحق وهو يهديكم سواء السبيل.

ثم أمر الله عباده ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ ﴾ ادعوا من تبنيتم لآبائهم الأصل، وانسبوهم لنسبهم الحق لآبائهم الذين ولدوا من أصلابهم، فهذا هو أعدل وأصوب عند الله، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في دين الإسلام ومواليكم، أي: أصحابكم.

﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ وليس عليكم جناح أيها المسلمون فيما أخطأتم في نسبة الأبناء لغير الآباء بالتبني مقلدين لأمر الجاهلية ولكن ما قصدتم في قلوبكم بعد النهي فهذا إثم عليكم، وكان الله غفورًا لما أسلفتم رحيمًا بعباده المؤمنين.

وبعد نزول الآية قال النبي ﷺ: يا زيد أنت أخونا، وبعد ذلك قال أصحاب رسول الله: زيد بن حارث، وكان زيد قبل ذلك يدعى زيد بن محمد.

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٦﴾ ﴾ قال تعالى: النبي أولى بالمؤمنين بالمحبة والمودة والطاعة لأمره من أنفسهم ومن آبائهم وأولادهم، وزوجاته مثل أمهاتهم في تحريم نكاحهن عليهم، ويجب عليهم تعظيمهن واحترامهن كما يجب عليهم تعظيم واحترام أمهاتهم، وأولوا القرابة بالنسب بعضهم أقرب لبعض في حكم كتاب الله في التوارث من المؤمنين والمهاجرين الذين لا قرابة بالنسب، إلاَّ أن تحسنوا إلى أوليائكم معروفًا كالوصية بالمال يعطي الوارث لموصىٰ له أو يعطي في حياته لفقراء المسلمين والمهاجرين، وهذا جائز. فنسخت آية توريث المهاجرين للأنصار بهذه الآية وبآية الميراث في سورة النساء. وكان ذلك الحكم في اللوح المحفوظ مكتوبًا.

﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٧﴾ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿٨﴾ ﴾ وحيث أخذنا من النبيين ميثاقهم وهو العهد الموثق باليمين بأن يعبدوا الله وحده ويأمروا أممهم بتوحيد الله، ثم بين بعضًا منهم فقال: (ومنك) يا محمد (ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) عليهم الصلاة والسلام، وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا بما حملوا عليهم من تبليغ رسالات ربهم إلى أممهم، وذلك التبليغ إلى أممهم لإلزام الحجة على الأمم ليسأل الله يوم القيامة الصادقين عن صدقهم في إيمانهم بالله وحده وبرسالة رسلهم من الله إليهم، وأعد الله للكافرين بربهم وبرسالة أنبيائهم إليهم عذابًا مؤلمًا في جهنم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ الخطاب للنبي ﷺ وأصحابه: اذكروا نعمة الله عليكم ونصرته لكم حين جاءتكم جنود، وهم الأحزاب وكفار قريش وغطفان ويهود بني قريظة وبني النضير، تحزبوا على قتال رسول الله والمسلمين، وحفر رسول الله الخندق بين جيشه وجيش الأحزاب بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه، واشتد الخوف في أصحاب رسول الله لأن جيش رسول الله ثلاثة آلاف وعدد الأحزاب اثني عشر ألفًا، وظن المؤمنون بالله ظنونًا، وكان ظنهم لنصرة الله لهم على أعدائهم، فأنجز الله نصرته للمؤمنين، قال الله تعالى: فأرسلنا عليهم ريحًا شديدة الهبوب والملائكة لنصرة المسلمين، ولم يقاتلوا، وألقوا الرعب والقلق في قلوب الأحزاب، وكفأت الرياح خيام العدو وقدورهم واشتد عليهم البرد والرعب وصاحت الملائكة بالتكبير من جوانب معسكر العدو حتى قال رؤساء الأحزاب يا بني فلان النجاة النجاة، وانهزموا بغير قتال في المعركة إلاَّ ما كانوا يترامونه بالنبل وبالسهم بالقوس، ولما جاءت عليهم ريح وجنود لنصرة المسلمين انهزموا وهربوا. وكان الله بما تعملون أيها المسلمون في حفر الخندق والثبات حول رسول الله بصيرًا.

﴿ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ حين جاءتكم غطفان من فوق الوادي من جهة الشرق، وجاءت كفار قريش من أسفل من مكانكم من جهة الغرب، واليهود نقضوا العهد وعاونوا المشركين، وحينئذ زاغت، أي: مالت أبصار المؤمنين عن عادتها من شدة الخوف وبلغت قلوب المؤمنين إلى حناجرهم من شدة الوجل، وتظنون بالله ظنونًا، وظن المؤمنين أن الله لن ينصرهم على

أعدائهم، وظن المنافقين أن الله أخلف وعده للمسلمين، والمشركون يغلبوا المسلمين.

﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ حينئذ اختبر الله المؤمنين ثباتهم على إيمانهم وعلم المنافقين لقاء تشويشهم المؤمنين، وزلزلوا زلزالاً شديدًا كناية عن شدة الخوف.

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ وحين يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض النفاق، ما رسخ الإيمان في قلوبهم: ما وعدنا الله رسوله بفتح الشام والروم وفارس إلاَّ ليغرنا بوعده.

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ وحين قالت جماعة من المنافقين، هم عبد الله بن أبـي ابن سلول وأصحابه: يا أهل المدينة لا مقام لكم ها هنا فارجعوا إلى بيوتكم. واستأذنوا محمدًا وقولوا له: إن بيوتنا عورة، أي: خالية نخشى من السرقة والنهب، فكذب الله ادعاءهم: وليست بيوتهم بخالية، فيها أهلهم لكنهم لا يريدون إلاَّ فرارًا من عند رسول الله.

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾ ولو دخل المتحزبون إلى المدينة من أطرافها منتصرين على المسلمين ثم سألوا هؤلاء المنافقين أن يرجعوا إلى الكفر الصريح لأجابوا لهم ودخلوا الكفر. وما مكثوا في المدينة إلاَّ زمنًا قليلاً، فأهلكهم الله وذلك قد تحقق؛ قتل بني قريظة بيد المسلمين وبني النضير أجلاهم رسول الله إلى خيبر.

﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ ﴾ ولقد كان المنافقون بعد غزوة بدر لما رؤوا الغنيمة والنصرة للمسلمين في بدر عاهدوا الله إن شهدنا القتال لا نفر أبدًا، وكان ذلك العهد مسؤولاً عنهم عند الله.

﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المنافقين: لن ينفعكم الفرار من الموت من أن تموتوا على فراشكم إن هربتم منه، حيث كنتم يدرككم الموت ولو فررتم من معركة القتال؛ فالأجل مقدر عليكم أيضًا، لا ينفعكم ما تفعلون وإذًا لا تمتعون في حياتكم إلاَّ زمنًا قليلاً ثم الموت عند تمام آجالكم للحياة.

﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: من الذي يجيركم ويمنعكم من الله إن أراد بكم بلاء ومصيبة أو أراد بكم رحمة ونصرة، ولا يجدون لأنفسهم غير الله وليًا يتولى مشكلاتهم ولا نصيرًا يمنعهم من المصائب.

﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ ﴾ قد يعلم الله الذين يعوقون الناس عن الجهاد ويصرفونهم عنه، القائلين لإخوانهم المنافقين: تعالوا إلينا ولا تذهبوا إلى الجهاد، قال تعالى: ولا يأتون القتال إلاَّ قليلاً رياء وسمعة، أشحة على نصرتكم، فإذا جاء الخوف من العدو رأيتهم ينظرون إليك يا محمد تدور وتشخص أعينهم كالذي غشي عليه من سكرات الموت.

﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ فإذا ذهب خوفهم بعد معركة القتال أذوكم بألسنة حداد للأذية أشحة على الغنيمة، أولئك لم يؤمنوا بالله في قلوبهم، فأحبط الله أعمالهم من البر وإنفاق مالهم، وكان ذلك الإحباط لأعمال المنافقين والكافرين على الله سهل ولا يبالي بهم.

﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾ يحسب المنافقون أن المتحزبين على قتال رسول الله والمسلمين لم يذهبوا إلى ديارهم، والمنافقون لا يدرون أنهم قد هربوا منهزمين. وإن يأتهم الأحزاب فرضًا يكرُّون للقتال يتمنى المنافقون لو أنهم خارجون من المدينة إلى البادية ليسلموا من القتال ويسألون الناس عن أخبار المسلمين، ولو كان هؤلاء المنافقون معكم في المعركة ما قاتلوا إلَّا قليلاً رياء وسمعة ليشاركوا في الغنيمة.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ لقد كان لكم أيها المؤمنون في رسول الله أسوة حسنة، أي: اتباع به وتمسك بسنته اتباعًا حسنًا لمن كان يرجو ثواب الله ويخاف عقابه يوم الآخرة وذكر الله كثيرًا في كل حال.

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ ولما رأى المؤمنون جيش المشركين في يوم الخندق قالوا: هذا الجيش الذي أقبل إلينا، وهذا ما وعدنا الله ورسوله بأن ينصرنا الله عليهم. وما زادتهم رؤية الجيش إلَّا إيمانًا صادقًا لوعد الله وتسليمًا لأمر الله ورسوله.

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه بأن يقاتلوا ويستشهدوا في سبيل الله ووفَّوا بعهدهم، وشهد الله لهم بوفاء عهدهم قال: فمنهم من قضى نحبه، أي: عهده، فقتلوا واستشهدوا في المعركة ومنهم من ينتظر معارك القتال ليستشهدوا بها وما بدلوا من عهدهم تبديلاً. وأجرى الله العهود بين المؤمنين والمنافقين ليجزي الصادقين بصدقهم في عهدهم ويعذب المنافقين الذين نقضوا عهودهم وخالفوا أمر الله وأمر رسوله. ثم علق العذاب على مشيئته إن شاء أن يوفقهم الله للتوبة فيغفر لهم، إن الله كان غفورًا لمن تاب عن ذنوبه رحيمًا بعباده المؤمنين.

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ ورد الله الذين كفروا بربهم وتحزبوا على قتال رسول الله، وأرسل الله عليهم ريحًا شديدة العصف، وأنزل الله الملائكة يصيحون عليهم بالتكبير في جوانب معسكر المشركين، وألقوا الرعب في قلوبهم فارتجفوا ورجعوا إلى ديارهم بغيظهم لم ينالوا خير الدنيا ولا خير الآخرة، وكفى الله المؤمنين من شر أعدائهم بغير قتال، وكان الله قويًّا عزيزًا بالانتقام من أعدائه وأعداء المؤمنين.

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ وأنزل الله اليهود بني قريظة وهم من أهل التوراة وذلك لمعاونتهم لقريش ونقض عهدهم، كان عهدهم لرسول الله

أن لا يعاونوا المشركين على قتال رسول الله والمسلمين، فأخرجهم الله من ديارهم وحصونهم وقذف الله في قلوبهم الرعب والوجل، وقتل المسلمون رجالهم وأسروا نساءهم وأولادهم، وأورث الله المسلمين أرضهم وديارهم وأرضًا لم يطأها المسلمون من قبل، وهي أرض خيبر، بعد أن دخل المسلمون فيها بالعنوة والغلبة على أهلها، وكان الله على كل شيء قديرًا، لا يعجزه شيء بالانتقام من أعدائه ولنصرته للمسلمين. وإلى هنا انتهت قصة الأحزاب اختصرتها، ومن أراد السعة بتمامها فله أن يراجع تفسير الخازن، وغيره.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ سبب نزول هذه الآية أن زوجات رسول الله سألنه الزيادة في نفقات المعيشة من طعام لذيذ ولباس وغيره فأغمّه ذلك منهم وهجرهن فأنزل الله الآية: قل يا محمد لزوجاتك إن كنتن تردن لذة الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن متعة الطلاق وأسرحكن سراحًا جميلاً بغير ضرر، وإن كنتن تردن الله ورسوله ونعيم دار الآخرة فإن الله هيأ للمحسنات منكن ثوابًا عظيمًا في الجنة. وكان أزواجه ﷺ يومئذٍ تسع نسوة هنّ: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب وسودة بنت زمعة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق. وكلهن قلن: يا رسول الله نريد الله ورسوله، تبنا عما قلنا، فسُرَّ لقولهم فأنزل الله:

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ في الآية إظهار فضيلة نساء النبي ﷺ

وشرفهن على سائر نساء المسلمين، وفي الآية تحذير لنساء النبي ﷺ عن أمور الفواحش والسيئات، قال تعالى: يا نساء النبي من يأت منكن فعلةً فاحشةً ظاهرةً يضاعف لها العذاب مثل عذاب نساء المؤمنين ضعفين، وكان ذلك التضعيف على الله سهل.

﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ يخاطب الله نساء النبي ﷺ: ومن تطع منكن الله ورسوله في كل شأنها ولا تخالف عليه، وتعمل عملاً صالحًا لله تعالى، نؤتها ثواب طاعتها وعملها مضاعفين مثل أجر غيرهن، وهيأنا لها في الجنة رزقًا حسنًا.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ قال تعالى: يا نساء النبي لستن كأحد من نساء المؤمنين في الفضيلة والشرف، وأنتن زوجات رسول الله على شرط إن اتقيتن الله في مخالفة ما أمركن به وما نهاكن عنه، فلا تخضعن بالقول، أي: فلا ترققن صوتكن بالكلام حتى يستحسن الرجال صوتكن فيطمع الذي في قلبه مرض الفساد والخيانة، وقلن قولاً معروفًا، أي: قلن قولاً حسنًا لا ريبة فيه ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ والزمن بيوتكن ولا تخرجن منها لغير حاجة وبغير إذن رسول الله، ولا تظهرن للأسواق مثل نساء الجاهلية الأولى ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ وصلين الصلوات المكتوبة محافظين على إقامتها المشروعة وآتين زكاة أموالكن بغير بخس وأطعن الله ورسوله فيما أمر به وما نهى عنه، إنما يريد الله ليذهب عنكن الرجس، أي: معاصي الجاهلية

والنقائص والعيوب، أنتم يا أهل بيت رسول الله، ويطهركن طهارة خالصة من ذنوبكن.

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ واذكرن يا نساء النبي نعمة ما يوحى في بيوتكن من آيات كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتلك نعمتان، لكن فضل عظيم إن الله كان لطيفًا بكن خبيرًا بأحوالكن فاستقمن كما أمرتن.

ولما نزلت في نساء النبي ﷺ هذه الآيات قالت نساء المؤمنين: إن الله يذكر في القرآن خيرًا للرجال ونساء النبي ﷺ ولم يذكر في نساء المؤمنين شيئًا في القرآن فأنزل الله ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ إن المستسلمين لأمر الله وأمر رسوله من الرجال والنساء والمؤمنين والمؤمنات بالله وحده وبرسالة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الكريم ﴿ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴾ والطائعين والطائعات لأمر الله وأمر رسول الله ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾ في إيمانهم بالله وحده وفي معاملاتهم ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ ﴾ في طاعة الله وتكليفات الأمور في رضاء الله ﴿ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ ﴾ في عبادة الله في قلوبهم وجوارحهم ﴿ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ ﴾ بما وسع الله لهم من الأموال لذوي الحاجة والقرابة والفقراء ﴿ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ ﴾ صيام شهر رمضان وغيره من الأيام المرغب للصوم فيها ﴿ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ ﴾ عن المحرم عليهم ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ في كل أوقاتهم بلسانهم وفي قلوبهم ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم وثوابًا عظيمًا في الجنة.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ

وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ ولا يصح ولا ينبغي لمؤمن ولا لمؤمنة إذا أمر الله ورسوله أمرًا من أمور العبادات والمعاملات أن يكون لهم اختيار من رأيهم إلاَّ الاستسلام والانقياد لأمر الله ورسوله، ومن خالف أمر الله ورسوله فقد أخطأ عن طريق الهداية إلى الضلالة ضلالاً بعيدًا عن الخير كله.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ سبب نزول الآية أنه جاء زيد بن حارثة مولى رسول الله وهو يشاور رسول الله أنه يريد أن يطلق زوجته زينب بنت جحش، قال رسول الله: أمسك زوجتك والزمها واتق الله فيما أردت إياها. فأنزل الله: اذكر يا محمد حين تقول للذي أنعم الله عليه بالتوفيق للإيمان بالله وحده والإسلام والثبات في أمور دين الإسلام وأنعمت عليه بالإعتاق من العبودية عندك وتخفي في نفسك زواجها بعد تطليق زيد إن الله مظهر الذي أخفيته في نفسك يا محمد، وتخشى الناس بأن يقولوا تزوج رسول الله زوجة متبنيه والله أحق أن تخشاه، فلما قضى زيد منها وطرًا، أي: حاجته وطلقها زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في تزوج أزواج متبنيهم بعد طلاقهم، وكان أمر الله في اللوح المحفوظ لا محال مفعولاً في عباده، وقيل: وكان سبب رغبة زيد طلاق زينب وهي تطاولها عليه لشرفها وعلو نسبها. ولكن قضاء الله هو الحق ليحكم أن لا حرمة في التبني.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ ما كان على النبي من حرج ولا إثم فيما أباح الله له في التوسع في نكاح الحرائر، وكان ذلك سنة الله في الأنبياء الذين مضوا من قبل محمد رسول الله، وقيل: كان لداود عليه السلام مائة زوجة من الحرائر، ولسليمان عليه السلام ثلاث مائة زوجة من الحرائر، وكان قضاء الله قدرًا مقضيًّا لا يغير ولا يبدل. ثم أثنى على الأنبياء الذين يبلغون رسالة الله إلى أممهم ويخشون الله في كل أحوالهم ولا يخشون أحدًا غير الله وكفى بالله حسيبًا، أي: محاسبًا لأعمال خلقه.

ولما تزوج رسول الله زينب بنت جحش وقال بعض الناس: تزوج رسول الله زوجة ابنه زيد أنزل الله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم حقيقة حتى يثبت بينكم وبينه حرمة النكاح في مطلقاتكم، ولكن رسول الله إليكم وكافة للإنس والجن، وختمت النبوة به، لا نبي بعده، وكان الله بكل ما يفعل لعباده عليمًا، وهو يحاسبهم على أعمالهم وأقوالهم. إن أبناء النبي ﷺ من صلبه أربعة قد ماتوا وهم صغار لم يبلغوا الحلم: القاسم والطاهر والطيب من خديجة رضي الله عنها، وإبراهيم من مارية القبطية رضي الله عنها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وحده اذكروا الله ذكرًا كثيرًا في كل أحوالكم وسبحوا الله أول النهار وآخر النهار لأنهما أفضل أوقات النهار. وقيل: صلوا صلاة الفجر، بعد طلوع الفجر وصلوا صلاة الظهر والعصر على وقتها، وبعد غروب الشمس صلاة المغرب وبعد زوال الشفق العشاء.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ هو الله الذي يرحم المؤمنين ويوفقهم إلى طاعته ويرزقهم الاستقامة فيها، وتدعوا لهم الملائكة وتستغفر لذنوبهم، وذلك ليخرج الله المؤمنين من ظلمات الضلالة إلى نور الإيمان والطاعة، وكان الله بعباده المؤمنين رحيمًا في الدنيا والآخرة.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ تحية المؤمنين يوم يلقون الله سلام، أي: يقول الله سلام عليكم، وأعد لهم ثوابًا حسنًا في الجنة، وقيل: الملائكة يسلمون عليهم ويبشرونهم بالجنة، وأعد الله لهم ثوابًا حسنًا في الجنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا على أمتك وعلى جميع الأمم، قد بلغهم أنبياؤهم رسالة ربهم إليهم، ومبشِّرًا لمن آمن بي وحدي وصدق برسالتك بالجنة لهم، ونذيرًا لمن كفر بي وكذب برسالتك من عذاب النار في جهنم، وتدعو الناس إلى الإيمان بالله وتوحيده في ذاته وصفاته بإذنه لا من تلقاء نفسك، وسراجًا منيرًا، فمن اهتدى بهديك يا محمد فقد اهتدى إلى طريق واضح لا شبهة فيها ولا ظلمة؛ لأن إرشاده ﷺ كالشمس في رابعة النهار. ثم حذره عن متابعة آراء الكافرين والمنافقين: واترك أذاهم ولا تبال، وتوكل على الله في كل شأنك، وكفى بالله حفيظًا من شر أعدائك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ يا أيها

المؤمنون إذا تزوجتم المؤمنات ثم طلقتموهن قبل الدخول بهن ولم يتحقق الجماع فما لكم عليهن من عدة تعتدونها لبراءة الرحم، فمتعوهن متاعًا لكسوتهن، وسرحوهن سراحًا جميلاً تطيب أنفسهن عنكم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ تذكر هذه الآية ما يجوز للرسول ﷺ أن يتزوج: إنا أحللنا لك زوجاتك اللاتي تزوجتهن بصداق وهن في أمرك، وأحللنا لك ما ملكت يمينك من نساء الكفار في الحرب مما أفاء الله لك كصفية وجويرية، وأحللنا لك بنات عمك وبنات عماتك وبنات أخوالك وبنات خالاتك اللّتي هاجرن إلى المدينة متابعة لأمرك، ومن لم تهاجر إلى المدينة لا يحل لك نكاحها، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها لك يا محمد إن أردت نكاحها تزوجتها بغير صداق خالصة لك، وأما المؤمنون يتزوجوها بصداق فلا تحل إلاّ بصداق وشاهدين وولي.

﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ ﴾ قد بينا ما أوجبنا على المؤمنين في حقوق زوجاتهم وما ملكت أيمانهم من نساء الكفار في الحرب لكيلا يكون عليك حرج وضيق في أحكامهن، وكان الله غفورًا بما أسلفوا، رحيمًا بعباده المؤمنين، يرشدهم إلى ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة.

﴿ ۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ﴿٥١﴾ ﴾ وفي الآية تخيير للنبي ﷺ في

أزواجه: تؤخر من تشاء من زوجاتك عن الفراش وتقرب إلى فراشك من تشاء منهم. (ومن ابتغيت)، أي: طلبتها إلى فراشك ممن عزلت عنها فلا جناح عليك، ذلك أقرب أن تقر أعينهن ولا يحزن لفراقهن عن فراشك فيرضين بما آتيتهن من نفقة وكسوة، والله يعلم ما في قلوبكم من ميل وكراهية، وكان الله عليمًا فيما حكم لمصالحكم، حليمًا لا يعجل العقوبة عليكم.

﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾ ﴾ لا يحل لك يا محمد تزوج النساء غير زوجاتك اللاتي في أمرك، ولا أن تطلق واحدة منهن فتزوج واحدة غيرها، ولو أعجبك حسنها، إلاَّ التي ملكتها من نساء الكفار في الحرب، وكان الله على كل شيء حافظًا من أعمالكم فلا تجاوزوا عن الحد المشروع لكم أيها المؤمنون.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ ﴾ يا أيها المؤمنون لا تدخلوا بيوت النبي إلاَّ أن يؤذن لكم بالدخول إلى طعام غير منتظرين لوقت الطعام، وإذا دعيتم إلى الطعام فادخلوا، فإذا أكلتم فاخرجوا من بيته لأشغالكم، ولا مستأنسين لحديث بعضكم، ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ إن جلوسكم في بيت النبي ﷺ متحدثين كان يؤذي نبي الله فيستحي منكم أن يقول اخرجوا من البيت، والله لا يستحي بأن يقول الكلام الحق. وبعد ذلك فأنزل الله الآية للحجاب.

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ وإذا أردتم سؤال زوجات النبي ﷺ متاعًا فاسألوهن حاجتكم من وراء ستر، ذالكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن من الريبة والخواطر الشيطانية.

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٣ ﴾ وما ينبغي لكم أيها المؤمنون أن تؤذوا رسول الله بأيّ شيء ما، وهو يكره ذلك، ولا يصح لكم أن تنكحوا إحدى زوجاته من بعد وفاته أبدًا؛ لأن حرمتهن مثل حرمة أمهاتكم. إن ذلك الذي نهيناكم عنه كان عند الله ذنبًا عظيمًا لا يغفر الله لكم.

﴿ إِن تُبْدُوا شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٥٤ ﴾ إن تظهروا شيئًا من أعمالكم أو تخفوه في صدوركم فإن الله كان بكل شيء عليمًا فيحاسبكم ويجازيكم عليها.

وبعد نزول آية الحجاب قالوا: يا رسول الله نحن لنا أبناء وإخوان أنتكلم معهن من وراء حجاب؟! فأنزل الله: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ۝٥٥ ﴾ لا ذنب عليهن في ترك الحجاب لهؤلاء المحارم، ولا يكشفن وجههن لنساء الكفار فتصفهن لأزواجهن، ولا يحتجبن مما ملكت أيمانهن، واتقين الله في مخالفة ما نهى الله عنه إن الله كان على كل شيء شهيدًا لا يخفى عليه شيء من صنيعكم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾ إن الله يرحم نبيه عليه الصلاة والسلام ويثني عليه بالوصف

الجميل، والملائكة يدعون ويستغفرون لأمته يا أيها المؤمنون صلوا على نبيكم كلما ذكرتم اسمه أو سمعتم وسلموا تسليمًا. ذكر المصدر للتأكيد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ إن الذين يؤذون الله بالوصف بما لا يليق به كقول اليهود يد الله مغلولة وعزير ابن الله وكقول النصارى المسيح ابن الله ويؤذون رسوله أبعدهم الله من رحمته في الدنيا والآخرة وهيأ لهم في الآخرة عذابًا مهينًا في نار جهنم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما عملوا ولا قالوا، فقد احتملوا بهتًا وإثمًا ظاهرًا فيعاقبهم الله في الآخرة عذابًا ظاهرًا في نار جهنم هم المنافقون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ يا أيها النبي قل لزوجاتك وبناتك ونساء المؤمنين يغطين وجوههن ومحاسنهن من جلابيبهن ويتميزن بالتستر من نساء الجاهلية ذلك التستر أن يعرفن أنهن من نساء المؤمنات الحرائر فلا يؤذين، وستر الوجه كله، فقط يظهر بعض عينها اليسرى مفتوحة، بها تنظر أمامها في الطريق، وكان الله غفورًا عما سلف رحيمًا بعباده المؤمنين.

﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ

تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾﴾ لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرضُ الفساد والفجور، والمرجفون: هم الذين يسعون بإيقاع الفتنة بين المؤمنين، وهم أيضًا من المنافقين، لنسلطنك عليهم، وبعد ذلك لا يسكنون في المدينة إلاّ زمنًا قليلاً مبعدين من رحمة الله، في أيّ مكان وزمان أخذوا وقتلوا قتلاً ذريعًا لا يبقى منهم أحد، سن الله سنته في الأمم الطاغية من قبلهم. ولن تجد يا محمد لسنة الله تبديلاً. وفي الآية تسلية للنبي ﷺ: فلا تحزن يا محمد على مثل هذا فأهل النفاق والفساد موجودون في كل زمان، لا يخل منهم زمن من الأزمان.

﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ سأل اليهود النبي ﷺ عن وقت قيام الساعة، قل لهم يا محمد إنما علم وقت قيامها عند الله، هو مما استأثر الله بعلمه لنفسه، وأيّ شيء يدريك يا محمد وقت قيامها، لعل وقوعها يكون قريبًا، لا يعلمها أحد من ملك ولا نبي إلاّ الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾﴾ وأوعد الله الكافرين بربهم وبقيام الساعة فقال: إن الله أبعد الكافرين من رحمته، وهيأ لهم نارًا مسعرًا في جهنم، مقيمين فيها على الأبد، لا يجدون وليًا يتولى على نجاتهم من عذاب النار ولا نصيرًا يمنعهم من عذاب الله.

﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾﴾ يوم تتقلب وجوههم وأبدانهم في غليان النار في جهنم، يقولون حسرة وندامة: يا ليتنا أطعنا الله فيما أمرنا وأطعنا رسوله

فيما بلغنا من أمر الله. وقالوا: يا ربنا إنا أطعنا قادتنا وأشرافنا فأضلونا عن طريق الهداية إلى طريق الضلالة، فآتهم ضعفين من العذاب مثل عذابنا وأبعدهم من رحمتك بعدًا بعيدًا.

ثم حذر الله المؤمنين من أن يؤذوا رسول الله كما أذى اليهود نبيهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ روي أن موسى عليه السلام كان يستر بدنه حياء من الناس، ويقول بنو إسرائيل: في بدن موسى مرض يستحي من الناس لا يكشف بدنه، ويريدون بذلك أذية موسى عليه السلام، ويومًا اغتسل موسى عليه السلام في النهر، ووضع ثوبه على حجر، ولما فرغ من الغسل خرج من النهر وفر الحجر بثوبه بأمر الله وهو يقول للحجر ثوبي، ومر على جماعة من بني إسرائيل ونظروا إلى بدنه فما رأوا في بدنه شيئًا من برص ولا من غيره، وبدنه أحسن ما يكون، فعندئذ تيقنوا أنه ما في بدن موسى شيئًا يكره، فبرأه الله مما قالوا، وكان موسى عليه السلام عند الله ذا وجاهة وعلو قدر ومكانة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وحده اتقوا الله في مخالفة ما أمر به وما نهى عنه، وقولوا قولاً مستقيمًا للحق لا جور ولا ظلم ولا كذب فيه؛ يوفق الله لكم صالح الأعمال، ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله ولم يخالف أمر الله وأمر رسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا في الجنة.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ

وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ إنا عرضنا الأمانة: وهي تكاليف الأمور الشرعية التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فامتنعن أن يحملنها ولم يقبلنها وخفن من تحملها وحملها آدم وذريته ظالمين لأنفسهم وجاهلين عاقبة حملها. قال في الخازن: إن الله عرض الأمانة لآدم، قال: إني عرضتها على السموات والأرض والجبال فأبين، هل أنت يا آدم تقبلها؟ قال: فما هي يا رب؟ قال: هي تكاليف الأمور الشرعية، إن أحسنت فيها جازيتك جزاء حسنًا وإن أسأت فيها عاقبتك فيها. فقبل آدم عليه السلام. وقال تعالى: إن في عرض تلك الأمانة على بني آدم وحمله لها ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، كل من لم يؤمن بالله وحده وبرسوله، وليتوب الله على المؤمنين والمؤمنات الذين أدوا الأمانة، وكان الله غفورًا لذنوبهم رحيمًا بعباده المؤمنين.

الحمد لله، تمّت سورة الأحزاب بعون الله.

* * *

سورة سبأ

آياتها أربع وخمسون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾ جميع الحمد هو الثناء الجميل، يُخص لله الذي له جميع ما في السموات والأرض خلقًا وملكًا وعبيدًا، الذي يصرِّفُ الأمر كيف يشاء، وله الحمد بما أنعم على عباده في الدنيا، وفي الآخرة بما أنعم على عباده في الجنة، وهو الحكيم في صنعه وتدبير أمر خلقه، الخبير بأحوال خلقه.

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ وعلمه جلّ وعلا يحيط كل شيء، ويعلم ما يدخل في الأرض من الحبوب للزرع والدفائن والأموات، ويعلم ما يخرج منها من الزروع والنبات وماء العيون، ويعلم ما ينزل من السماء ماء المطر والبركة لمصالح خلقه، وما يعرج فيها من الأعمال الصالحات والدعوات من عباده المؤمنين، وهو الرحيم بعباده المؤمنين الغفور لذنوب التائبين.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ وقال الذين كفروا بربهم وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام وأنكروا قيام الساعة والبعث: لا تأتينا الساعة للبعث والنشور. قل لهم يا محمد: بلى وربي، لتأتينكم الساعة بغتة وأنتم لا تشعرون مجيئها، وهو سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة، لا يفوت عن علمه شيء مثل مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من تلك الذرة ولا أكبر منها، إلاّ وهو في اللوح المحفوظ مكتوب مبينًا، وذلك الحفظ للأعمال الصالحات ليجزي الذين آمنوا بالله وحده وصدقوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام جزاء مضاعفًا، فأولئك لهم مغفرة لذنوبهم ورزق حسن في دار النعيم.

﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ والذين سعوا في إبطال ورد آيات كتابنا وهم مكذبين برسالة محمد عليه الصلاة والسلام يحسبون أنهم فائتين من محاسبتنا لهم؟! أولئك لهم عذاب من أشد العذاب المؤلم.

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾ ويرى ويعتقد الذين أوتوا العلم، إما أهل الكتاب الذين أسلموا أو الصحابة، هذا العلم، الذي أنزل إليك يا محمد من ربك بالوحي هو الحق لا شبهة فيه، ويهدي ويرشد من آمن به إلى صراط الله العزيز القاهر المحمود في صنعه.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ ﴾ وقال كفار مكة لبعضهم البعض: هل ندلكم يا قوم على رجل ــ يعنون محمدًا عليه الصلاة والسلام ــ يخبركم أنكم إذا متم ودفنتم في التراب ومزقتم وصرتم ترابًا، يقول: إنكم تبعثون من قبوركم أحياء في خلق جديد!! ومقالتهم هذه سخرية واستهزاء على رسول الله.

وقال كفار مكة على الاستهزاء ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ﴾ هل افترى محمد هذا القرآن ثم ينسبه إلى الله كذبًا، أم به وجه جنون لا يشعر ماذا يقول؟! فرد الله عليهم بحرف الإضراب ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ ليس الأمر كما يزعم هؤلاء في محمد، بل الذين لا يؤمنون بقيام الساعة والبعث واقعون في عذاب الآخرة والضلال البعيد عن الحق.

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾ أفلم ينظر هؤلاء المنكرون لقيام الساعة والبعث إلى ما هو أمامهم وخلفهم من السماء التي تظللهم والأرض تحتهم، أينما توجهوا فهم محاطون بينهما، ألا يستدلون بهما على كمال قدرة خالقهما؟! وذلك الإنكار لفرط غفلتهم وعميان بصيرتهم، إن في ذلك النظر إليهما لآية دالة على كمال قدرة الله لكل عبد منيب لأمر الله. إن شئنا هلاكهم نخسف بهم الأرض كما خسفنا بقارون وصاحبيه، أو نسقط عليهم قطعًا من السماء كما أسقط على أصحاب الأيكة. ولكن نؤخر عنهم العذاب المعجل ليتوبوا عن شركهم بالله وتكذيبهم برسول الله.

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ قال تعالى ولقد آتينا نبينا داود منا فضلاً، هو: ما أوتي لداود عليه السلام من النبوة والزبور والحكم وتسخير الجبال والطيور وإلانة الحديد بيده وصنع الدروع وحسن الصوت، وقلنا يا جبال سبحي معه ورجعي صوتك كما رجع داود، وكذا يا طيور. قال ابن عباس: إذا قرأ داود عليه السلام الزبور وسبح وقفت الطيور والدواب يستمعون صوته ويبكون معه لحسن صوته، وألنا له الحديد بيده، وكان الحديد بيده كالعجين كيف يشاء يفعل به، وقلنا له أن اعمل يا داود دروعًا سابغات كاملات تقي من إصابة سلاح العدو. وقدِّر في السرد، أي: النسج وأعمله صالحًا بقدر وإحكام حيث تناسب للسن، إني بما تعملون بصير. وكان أهل بيته يساعدوه، ولهذا جاء الذكر بصيغة الجمع.

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ وسخرنا لسليمان الريح تسير معه، وجنوده، من الصباح إلى الظهر مسيرة شهر ومن الظهر إلى غروب الشمس مسيرة شهر، إلى أي مكان يريده سليمان عليه السلام، وأسلنا له عين القطر، أي: أذبنا له النحاس يجري مثل ماء العين، وقيل: كل شهر يسيل النحاس ثلاثة أيام يعمل به ما يشاء من أدوات البيت وغيرها، وسخرنا له الجن منهم من يعمل بين يدي سليمان عليه السلام كما يأمرهم عليه السلام، ومن يخالف أمر سليمان نذقه من عذاب السعير في الجحيم.

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ

ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ يعمل هؤلاء الجن لسليمان عليه السلام أيّ شيء يشاء ويأمر لهم، من: محاريب، أي: من القصور والبيوت، وتماثيل، أي: صور أيّ شيء ــ حينئذ ما كانت الصور محرمة ــ ويعملون جفان، جمع جفن، أي: قِصَعْ وجمعه قصاع، كالجواب، أي: كالحوض، وقدور راسيات، أي: ثابتات لا تتحرك لكبرها وثقلها، وقلنا يا آل داود اعملوا بطاعة الله شكرًا له بما تفضل الله عليكم من النعم. وقليل من عبادي الشكور بما أنعمت لهم.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ قال تعالى: فلما قضينا على سليمان الموت، ما دل على موته إلاّ دابة، هي السوس، أكلت من عصاه، فلما سقط سليمان ظهر للجن أن سليمان قد مات، ولو أنهم كانوا يعلمون الغيب ما مكثوا في العمل الشاق يهينهم، وهذا رد على من زعم أن الجن تعلم الغيب.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ــ سبأ: اسم القوم في اليمن من أولاد قحطان ــ ، أي: كان في موضع مساكنهم آية ظاهرة، ثم فسرها: جنتان عن يمين الوادي وشمالها معمرتان من أنواع الأشجار المثمرة والزروع. قلنا لهم: كلوا مما رزقكم ربكم واشكروا الله على ما رزقكم. إنها بلدة طيبة التربة قابلة لكل زرع. وربكم غفور لذنوبكم إن تبتم منها.

﴿ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴿١٦﴾ ﴾ فأعرضوا عن الإيمان بربهم وكذبوا رسلهم، فأرسل الله على بساتينهم سيل العرم، وقيل: هو اسم الوادي، خرج الماء العظيم من فيضان الوادي، فدخل على بساتينهم، وخربها ولم يبق شيء من تلك الجنتين، وبدل الله بجنتيهم جنتين ذواتي ثمرة مُرّة أو ذات شوك، (طرفاء) وهي: شجرة لا ثمر فيها، وشيء من سدر وهي شجرة النبق، وهو قليل ليعيشوا بها.

﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ مثل ذلك الجزاء جزيناهم بسبب كفرهم بربهم وبنعمة الله، وما نجازي بالعذاب إلاَّ كل كفور بالغ في الكفر والطغيان.

﴿ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ قال تعالى: وجعلنا بين قراهم وبين قرى الشام التي باركنا فيها قرى ظاهرة، أي: متواصلة لا يحتاج مسافر فيها لحمله طعام ولا شراب، قلنا لهم: سيروا فيها ليلاً ونهارًا آمنين من الجوع والعطش. ولم يقنعوا بتلك النعم فبطروا وافتخروا فيها.

﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿١٩﴾ ﴾ فقالوا بسبب بطرهم للنعمة وملال العافية: يا ربنا باعد بين منازلنا وارتحالنا في أسفارنا من بلدنا إلى الشام، فظلموا أنفسهم بسؤالهم، فخربنا ديارهم بسيل العرم خرابًا تمامًا ومزقناهم كل ممزق وتفرقوا في البلاد ليعيشوا فيها، فجعلنا قصتهم أحاديث يتحدث بها من بعدهم ويعتبرون فيها ويُضرب بهم المثل، إن في

ذكر تلك القصة عبرات وعظات لكل صبار في طاعة الله وبلائه شكور لنعم الله.

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾ ولقد تحقق إغواء إبليس لهؤلاء الضالين فاتبعوا إغواءه وتزيينه إلاَّ فريق كان من المؤمنين لم يتبعوا إغواء الشيطان، وما كان في قدر الله وعلمه تَسَلُّطُ للشيطان على المؤمنين إلاَّ لنعلم ظهور علمنا وقدرنا في من يؤمن بيوم القيامة وفي من هو في شك وارتياب، وربك يا محمد على كل شيء من أعمال العباد حفيظ ويحاسب على أعمالهم ويجازيهم.

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: زعمتم أن أصنامكم آلهة تعبدونها من دون عبادة الله وهم لا يملكون قدر مثقال ذرة في السموات والأرض، وما لأصنامكم فيها من شرك، وما له سبحانه وتعالى من خلقه من معين في تدبير أمر خلقه فهو الواحد الصمد.

﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ ولا تنفع الشفاعة أحدًا عند الله إلاَّ لمن أذن الله له بالشفاعة، فتنفع شفاعته، حتى إذا فزعوا ثم زال الفزع والدهشة عن قلوب أهل الموقف من المؤمنين حين سمعوا الإذن بالشافعة قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ قالوا: تصديقًا واستبشارًا: الحق، وهو العلي الكبير فوق خلقه، كيف يشاء يفعل ويحكم.

وقال المفسرون أن هذه الآية في الملائكة، فأما شفاعة الملائكة والأنبياء يوم القيامة فهي عامة في عباده المؤمنين من لدن آدم عليه السلام إلى يوم انقضاء الدنيا.

﴿۞قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ قل لهؤلاء المشركين: من يرزقكم من هذا المطر من السماء فيخرج النباتات والزروع بماء المطر من الأرض اليابسة من قحط الماء؟ فإن لم يجيبوا قل لهم: الله يرزقنا وأنتم. وإنا نحن وأنتم ليعلم الله أن أحدنا على الحق وأن الآخر على الباطل. وفيها تنبيه للكافرين.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ قل لهم: لا تُسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون من أعمال الكفر والشرك، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ قل لهم يا محمد: يجمع الله بيننا يوم القيامة في موقف الحساب، ثم يفصل بيننا بحكمه العدل، وهو الفاتح بين الحق والباطل، والمحق والمبطل، العليم بحكمه وبأحوال خلقه.

﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أروني أصنامكم التي عبدتموها وألحقتموها لله شركاء في أولوهيته، كلا، ردع على بطلان عبادتهم لأصنامهم، بل هو الله المعبود الحق، والعبادة لغيره كفر وشرك، هو العزيز في أمره لخلقه، الحكيم في تدبير أمر خلقه.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ وما أرسلناك يا محمد خاصة للعرب بل كافة للناس عربًا وعجمًا، مبشرًا لمن آمن بي وصدق برسالتك بالجنة، ومنذرًا من كفر وأشرك بي وكذب برسالتك بالنار؛ لعلهم ينزجرون عن كفرهم وشركهم ويصدقون برسالتك، ولكن أكثر الناس لا يعلمون عاقبة أمرهم، فيخوضون في الكفر والعصيان.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ويقول المشركون للنبي ﷺ والمؤمنين على وجه السخرية والاستهزاء: متى هذا الوعد الذي وعدتم لنا بالعذاب إن كنتم صادقين في وعدكم.

﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: لكم ميعاد يوم للعذاب، لا تستأخرون عن العذاب لحظة ولا تستقدمون عنه لحظة، له وقت معلوم عند الله.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ وقال الذين كفروا بربهم: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالكتب المنزلة على الرسل قبل القرآن. ولو ترى يا محمد حين الظالمون وهم موقوفون للحساب عند ربهم يلوم بعضهم بعضًا برد القول، يقول الضعفاء للذين تعاظموا عليهم لولا أنتم ما نهيتمونا عن الإيمان بالله لكنا مؤمنين بالله.

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ وقال القادة للأتباع أنحن صددناكم عن الإيمان

بالله بعد إذ جاءتكم الهداية للإيمان بالله؟ بل أنتم مجرمون من أنفسكم وليس نحن الذين منعناكم عن الإيمان بالله.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ وقال الضعفاء لقادتهم الذين كفروا بالله؛ بل مكركم علينا بالليل والنهار؛ إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له شركاء. وبعد المحاورة أسرُّوا الندامة كلهم لما رأوا العذاب، حين لا تنفع الندامة ولا الإيمان، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا بربهم وبيوم القيامة، يسحبون إلى النار ويلقون فيها، ما يجزون إلَّا بما كانوا يعملون في حياتهم الدنيا.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ وما أرسلنا في أهل قرية رسولاً يخوفهم من عقاب الله إن لم يؤمنوا بالله وحده إلَّا قال متنعِّمي أهلها في سعة الرزق والمال والجاه: إنا بما أرسلتم به إلينا كافرون لا نصدقكم. وفي الآية تسلية للنبي ﷺ؛ لأن كفار قريش كذبوه ولا يزالون يعاندونه.

﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ وقال كفار قريش بغرورهم نحن أكثر أموالاً وأولادًا من هؤلاء الضعفاء الذين اتبعوا محمدًا، ولنا شرف وعزّ وما نحن بمعذبين، إن الله أكرمنا بالمال والجاه ويكرمنا في الآخرة أيضًا.

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء امتحانًا، ويضيق على من يشاء ابتلاء، ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحكمة في ذلك.

﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾ في الآية رد على المفتخرين بالمال والأولاد، قال تعالى: وما أموالكم وأولادكم الذين تزعمون تقربكم عندنا قربى في المنزلة ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ ولكن من آمن بي وصدق برسالة رسولي وعمل عملاً صالحًا امتثالاً لأمري فأولئك لهم ثواب أعمالهم مضاعفًا في الآخرة، وهم في غرفات الجنة آمنون من كل سوء.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ في الآية وعيد لكفار قريش: ومن سعى في إبطال حكم الله في كتابه العزيز والذين يسعون في إبطال أحكامنا في كتابنا ويحسبون أنهم فائتين من عذابنا فأولئك في عذاب جهنم محضرون، أي: ملقون فيها.

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ قل لهم يا محمد: إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده امتحانًا ويضيق على من يشاء ابتلاء وذلك لحكمة منه جلت قدرته. وهذا رد على كفار قريش. ثم رغّب المؤمنين في الإنفاق، وما أنفقتم من شيء في سبيل الله فهو لله تعالى والله يخلفه، أي: يعوضه ويزيده في الدنيا ويثيبكم في الآخرة وهو خير الرازقين.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ ويوم القيامة يحشر الله المشركين الذين عبدوا الملائكة، ثم يقول للملائكة: أهؤلاء يعبدونكم في الدنيا؟ فيجيب الملائكة متبرئين منهم ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ قال الملائكة: ننزهك من أن يُعبد غيرك، فأنت المعبود الحق وأنت ولي أمرنا

من دون هؤلاء المشركين، بل كان هؤلاء المشركون يعبدون الشياطين؛ لأنهم اتبعوا إغواء الشياطين فعبدوا الأصنام وأكثر المشركين بإغواء الشياطين مصدقون ويتبعونهم.

فرد الله على المشركين ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ يخاطب الله المشركين يوم القيامة مظهرًا عجزهم: اليوم لا يملك معبود من دون الله لعابديهم نفعًا ولا ضرًّا، ونقول للذين عبدوا غير الله: ذوقوا عذاب التي كنتم في حياتكم الدنيا حين أخبرنا لكم عنها تكذبون بها.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ وإذا تتلى آيات كتابنا بينات واضحات معانيها على المشركين قالوا: ما هذا الذي يقرأ علينا إلاَّ رجل مثلكم، يريد أن يمنعنا عما كان يعبد آباؤنا، وقالوا: ما هذا القرآن إلاَّ كذب مفترى من عند محمد، وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم به محمد عليه الصلاة والسلام: ما هذا القرآن إلاَّ سحر ظاهر لا نصدقه.

﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ وما أعطينا كفار مكة من كتب يتدارسون فيها وما أرسلنا إليهم رسولاً قبلك يا محمد يخوفهم عذاب الله إن لم يؤمنوا بالله وحده.

﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ في الآية تهديد وتخويف لكفار قريش: وكذبت الأمم الطاغية رسلهم من قبل كفار قريش، وقد بسطنا لهم من سعة المال وكثرة الأولاد والقوة في أبدانهم ولكن بطروا وطغوا، وكفار قريش هم ضعاف بالنسبة

لهؤلاء؛ ما بلغوا بأموالهم وأولادهم معشار، أي: عُشر ما آتينا هؤلاء، فكذبوا رسلي ولم يصدقوا برسالتهم وبما أخبروا لهم من العذاب عليهم، فأخذناهم بالعذاب المستأصل، فكيف كان إنكاري عليهم؟ وإن لم ينزجر كفار قريش عن إشراكهم بالله وتكذيبهم لك يا محمد فهم مثل هؤلاء.

﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: إنما أعظكم وأنصحكم بخصلة واحدة، وهي: أن تقوموا لله في طلب الحق والهداية اثنين اثنين أو واحدًا أو مجتمعين، ثم تتفكروا في حال محمد فتعلموا أن محمدًا رسول من ربه إليكم، وأنتم تزعمون أن محمدًا فيه جنون كلاَّ ما بصاحبكم محمد من جنون، ما هو إلاَّ نذير لكم قبل العذاب الذي وعد الله على الكافرين والمشركين، ومحمد مشفق عليهم.

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: ما سألتكم من أجر لتبليغ أمر ربي إليكم فهو لكم، وأنا غني عنه، ما أجري إلاَّ على الله وهو يثيبني، وهو على كل شيء شهيد لا يخفى عليه من أمري وأمركم.

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: إن ربي يلقي الوحي إلى أنبيائه ويبطل الباطل بالحق الذي جاء به أنبياءه إلى أممهم وهو عالم ما يغيب عن خلقه.

﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: جاء الحق، وهو دين الله الإسلام، وأما الباطل فهو الكفر، أي: ولا يفعل الباطل شيئًا ولا يكون له ظهور أبدًا.

قال كفار قريش: أنت يا محمد قد ضللت عن دين آبائك. فأنزل الله ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠ ﴾ قل لهم يا محمد: إن ضللت عن دين آبائي فإنما أضل على نفسي لا يضر غيري، وإن اهتديت إلى دين الحق فبما يوحى إليّ من ربـي، إنه سميع لأقوالكم وقريب إلينا بعلمه وهو يحاسبنا ويجازينا.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣ ﴾ ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين حين بعثوا من قبورهم يفزعون ويخافون فلا مهرب لهم، وأخذوا إلى موقف الحساب، ثم يساقون إلى جهنم من مكان قريب. وقالوا هناك عند الفزع يوم القيامة: آمنا بالله وبرسوله، فجاء الرد عليهم: أنى لهم التناوش، أي: كيف لهم التناول، أي: قبول التوبة من مكان بعيد يعني أن التوبة والإيمان محلهما في الدنيا وهي بعيد عليهم لا عند رؤية العذاب.

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ۝٥٤ ﴾ وحجز بينهم وبين ما يشتهون وهو النجاة من النار والدخول في الجنة كما فعل بأشباههم في الشرك والكفر من قبل مشركي مكة، إنهم كانوا في الدنيا في شك مريب من الحساب والجزاء في نار جهنم، وهو أشد وأقوى أنواع الشك.

الحمد لله، تمّت سورة سبأ بعون الله.

* * *

سورة فاطر

آياتها خمس وأربعون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ (الحمد) هو الثناء الجميل والتبجيل كله لله تعالى، (فاطر)، أي: خالقهما ومبتدعهما ابتداءً على غير مثال سبق، جاعل الملائكة رسلاً بينه وبين أنبيائه. ثم وصفهم: أولي أجنحة ــ جمع جناح ــ، اثنين وثلاث وأربع، يزيد في أجسامهم وشكلهم وضخامتهم على الإنسان ما يشاء الله، إن الله على إيجاد كل شيء قادر، إنما أمره كن كذا فيكون في الحال كما شاء.

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ إن النعم التي يعطيها اللّٰهُ للناس من رحمته فلا أحد يمسكها، والنعم التي منعها الله وأمسكها فلا مرسل لإرسالها من دون الله، وهو العزيز في أمره الحكيم في إيجاد كل شيء وإفنائه وفي تدبير أمر خلقه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ يا أيها المشركون اذكروا نعمة الله

عليكم إذ خلقكم وأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات، هل من خالق لكم غير الله يرزقكم من السماء بإنزال المطر في الأرض: بإنبات الزرع والعشب، ثم نفى ذلك عن غيره: لا إله يُعبد إلاَّ هو المعبود الحق فكيف تصرفون عبادة ربكم للأصنام بالكذب.

ثم يسلي نبيه محمد ﷺ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾ وإن يكذبك يا محمد قومك فقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على أذى قومهم، واصبر أنت يا محمد على أذى قومك، وإلى الله ترجع أمور الخلق فيحاسبهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ يا أيها الناس؛ إن وعد الله ثابت للبعث والحساب والجزاء فلا تغرنكم لذة الحياة وشهواتها في الدنيا، ولا يغرنكم عفو الله عن ذنوبكم. والناس يسوفون التوبة ويصرون على المعاصي حتى يموتوا عليها، فبادروا إلى التوبة والاستغفار قبل موتكم.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ إن الشيطان لكم عدو لدود، وعداوته قديمة فاحذروا إغواءه وتزيينه، فاتخذوه عدوًّا، تعوذوا بالله منه؛ إنما يدعو أتباعه للغرور في شهوات الحياة الدنيا والمعاصي ليكونوا من أصحاب نارٍ مسعَّرة.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ الذين كفروا بربهم وباليوم الآخر لهم عذاب شديد في عذاب جهنم، والذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله لهم مغفرة لذنوبهم وثواب عظيم في جنات النعيم.

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ استفهام للإنكار، قال تعالى: أفمن زين له سوء عمله من الشيطان فرأى معصيته وإساءته لأمر الله حسنة، يعني: هو راض بها، فإن الله يضل من يشاء عن طريق الهداية إلى الكفر والضلالة، ويهدي من يشاء إلى الإيمان به والطاعة لأمره، كلاهما بمقتضى مشيئته وقدره، فلا تذهب نفسك على كفر قومك حسرات، إن الله عليم بما يصنعون فيحاسبهم ويجازيهم وإنما عليك إبلاغ أمري.

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ في الآية رد على المنكر للبعث: والله يرسل الرياح فتزعج وتجمع سحابًا وتسوقه إلى أرض ميتة يابسة من قحط المطر، فأمطر السحاب فيها، فأحيينا بماء المطر تلك الأرض الميتة بالزروع والعشب، تخضر أشجارها. مثل ذلك الإحياء يكون النشور للأموات من قبورهم أحياء يوم البعث.

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ من كان يريد العزة والشرف عند الله فليستقم بطاعة الله ولا يخالف أمر الله وأمر رسوله؛ فللّه العزة جميعًا يعز من يشاء ويذل من يشاء، وذلك لحكمة منه جلت قدرته، إلى الله يصعد الكلم الطيب: من دعاء وتلاوة القرآن وذكر اسم الله وتسبيح وتمجيد، وفي كل ورد فيه اسم الله، والعمل الصالح يرفعه الله إليه ويتقبل من صاحبه ويثيبه ثوابًا حسنًا في الجنة.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾ قال تعالى: والذين يمكرون المكرات السيئات أو يكتسبون السيئات والإشارة

هنا إلى مكر قريش حين اجتمعوا في دار الندوة يدبرون قتل رسول الله ﷺ، فهؤلاء لهم عذاب شديد في جهنم، ومكر هؤلاء المشركين هالك وزاهق؛ إذ لا يبلغ المشركون مقاصدهم بها.

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ يخاطب الله الإنسان: والله خلق أباكم آدم من تراب ثم من نطفته جعلكم أزواجًا، أي: ذكرًا وأنثى، وما تحمل من أنثى في بطنها ولا تضع حملها إلاَّ بعلمه جلت قدرته، وما يعمر من معمر عمرًا طويلاً في حياته ولا ينقص من عمر حياته إلاَّ مكتوب في اللوح المحفوظ، وبعضهم يموت طفلاً رضيعًا وبعضهم يموت شابًا قويًا وكل ذلك أمر مشاهد لا يخفى على العاقل، إذ ذلك المقدر مكتوب في اللوح المحفوظ، إن ذلك التقدير على الله سهل، إنما أمره كن كذا فيكون في الحال كما شاء. واختلفت أقوال العلماء في قوله تعالى: (ولا ينقص من عمره) والله أعلم بما هو الصواب.

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ ضرب الله مثلاً للمؤمن والكافر والصالح والفاجر: لا يستويان أبدًا عند الله، كما لا يستوي الماء العذب والماء المالح، قال تعالى: (وما يستوي البحران) ثم بين: هذا ماؤه عذب فرات سائغ، أي: سهل شرابه، وهذا ماؤه مالح أجاج لا يمكن للإنسان شربه لشدة ملوحته وزهومته. ثم ذكر الله النعمة التي تفضل على العباد: ومن كلٍّ: من البحرين تأكلون لحمًا طريًا، هو السمك، وتستخرجون منه حلية، أي: اللؤلؤ والمرجان، تلبسوها للزينة نساءكم، وترى أيها المخاطب

السفينة مع حمولتها في البحر تجري بأمر الله، مواخر ـ جمع ماخر ـ، أي: شاقة الماء في البحر؛ لتبتغوا من فضل الله في التجارة لعلكم تشكرون الله على تلك النعم.

﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ يدخل الليل في النهار صباحًا ويدخل النهار في الليل مساء، وكذا يدخل الليل في النهار صيفًا فيزيد النهار ويقصر الليل، ويدخل النهار في الليل ويزيد الليل شتاء ويقصر النهار، وسخر الشمس والقمر لمصالحكم، كلٌّ منهما يجريان من مشرقهما إلى مغربهما، وبذلك تعرفون أوائل الأشهر القمرية والفصول الشمسية، وذلك الحال دومًا على النظام الذي قدرهما إلى منتهى الدنيا، ذلك التسخير والتقدير لمصالحكم أيها الناس من ربكم، له ملك كل شيء، كيف يشاء يصرفها، وإن الذي تدعون من غير الله آلهة وتعبدونها هن جمادات تصنعونها بأيديكم، ما يملكون شيئًا ولو من قطمير، هو: القشر الرقيق الأبيض على نواة التمر، وهو أقل الأشياء.

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ وإن تدعوا أيها المشركون أصنامكم لا يسمعون دعاءكم؛ لأنهم جمادات لا شعور لهم، ولو سمعوا ـ فرضًا ـ لا يستطيعون إجابتكم، ويوم القيامة يجحدون عبادتكم إياهم، ويتبرؤون منكم. وهذا أبلغ تبكيت للمشركين، ثم قال تعالى: ولا يخبرك يا محمد هذا الخبر مثل ربك الخبير في أمور خلقه.

﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ ﴾ يا أيها الناس أنتم المحتاجون إلى الله في شأنكم، والله الغني عن العالم، المحمود في إحسانه وتفضله لعباده. ثم خاطب المشركين: إن يشأ الله أيها المشركون يذهبكم عن دياركم بالإهلاك ويأت بخلق جديد غير نسلكم، ويسكنون في دياركم، وما ذلك على الله بصعب. وفي الآية تقريع للمشركين.

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾ ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى، أي: ولا تعاقب نفس بذنب نفس أخرى، وإن تدع نفس مثقلة بالأوزار أحدًا إلى حمل وزرها، لا يحمل منه شيء، ولو كان المدعو ذا قرابة، فيوم القيامة كل إنسان يقول: نفسي نفسي.

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ إنما تُخَوِّفُ يا محمد من عقابي الذين يخافون الله قبل رؤية العذاب يوم القيامة، وحافظوا على الصلاة المكتوبة وغيرها من السنن على الوجه الأكمل، ومن تطهر عن المعاصي وتباعد عنها فثواب تطهره وتزكيته لنفسه، وإلى الله مرجع كل العباد، وهو يحاسب كل إنسان بعمله ويجازيه.

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ ضرب الله مثلاً للمؤمن والكافر والإيمان والكفر والجنة والنار بهذه الآية: وما يستوي أعمى العين والبصير، كما لا يستوي الكافر بربه

والمؤمن بربه في المقام في الآخرة، ولا تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان كما لا تستوي ظلمات الليل ونور الشمس، ولا يستوي الظل في الجنة ولا الحرور في نار جهنم، وما يستوي الأحياء ولا الأموات، أي: لا يستوي أحياء القلوب التي تسمع التذكير والموعظة، وهم المؤمنون الصادقون في إيمانهم، وأموات القلوب الذين إذا سمعوا التذكير والموعظة تشمئز أنفسهم وتكرهها، وهم الكفار والفساق، لا يستويان في الآخرة؛ إن الله يسمع من يشاء من عباده، وما أنت يا محمد بمسمع من في القبور، يعني: الكفار الذين ختم عليهم الكفر، وهم كالموتى في القبور.

﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ إنما أنت يا محمد منذر من عذابي، وعليك إبلاغ أمري.

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ إنا أرسلناك يا محمد بالحق لا بالعبث إلى قومك، وكافة للناس والجن مبشرًا بالجنة لمن آمن بي وصدق برسالتك، ومنذرًا عقابي في نار جهنم من كفر بي وكذب رسالتك، ما من أمة من الأمم الماضية إلاَّ أرسلنا فيها نذيرًا من عقابنا إن لم يؤمنوا بربهم.

ثم يسلي نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾ وإن يكذبك قومك فقد كذب الذين من قبلِ كفار قريش؛ جاءتهم رسلهم لتبليغ أمرنا إليهم بالمعجزات الظاهرات تدل على صدق رسالتهم، وبالصحف وبالتوراة والإنجيل فيها هداية إلى توحيد الله ونور يهتدى به إلى الصراط المستقيم إلى رضوان الله، ثم

أخذتُ الذين كفروا بـي وكذبوا رسلي بالعذاب المستأصل، فكيف كان عذابـي لهم شديد.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ﴾ ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء فأخرج به ثمراتٍ من كل نوع مختلفاتٍ ألوانها وطعمها، ومن الجبال جدد، أي: خطوط وطرائق مختلف اللون فمنها طرق بيض خالص كالمرمر ومنها حمر مختلف ألوانها، وغرابيب سود، أي: شديد السواد، وكذا من الناس مختلف ألوانهم وإقامتهم، والدواب والأنعام مختلف ألوانها كما اختلفت ألوان الجبال والثمرات. إلى هنا انتهى بيان أوصاف مخلوقاته وتلك الأوصاف المختلفة تدل على كمال قدرة الله.

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ إنما يخافُ اللّـه من عباده العلماءُ الذين عرفوا الله حق معرفته، وهم في كل أحوالهم وجلة قلوبهم من الله. إن الله عزيز فوق عباده، غفور لعباده المؤمنين التائبين عن ذنوبهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ إن الذين يقرأون كتاب الله، ويداومون على قراءة القرآن في صلاتهم وغيرها، وصلوا الصلاة المكتوبة على أوقاتها محافظين على شروطها وأركانها وسننها، وأنفقوا بعض أموالهم في سبيل الله خفية عن رؤية الناس وعلنًا للناس ليقتدوا بهم لا سمعة ولا رياء، يرجون بتلك الأعمال الصالحات ربحًا نافعًا وثوابًا عند الله لن يخسر

ويكسد أبدًا؛ ليوفيهم الله ثواب أعمالهم ويزيدهم من فضله، إنه تعالى غفور لعباده المؤمنين شكور لعباده الطائعين.

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ﴾ والقرآن الذي أنزلنا إليك يا محمد بالوحي من جملة الكتب المنزلة على الرسل مصدقًا لما قبله بما في الكتب الأولى، إن الله بعباده لخبير بأعمالهم بصير بظواهرهم وبواطنهم.

﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ ثم أورثنا القرآن للذي اخترنا من عبادنا ـ هم العلماء ـ من هذه الأمة ولا تزال الوراثة إلى أن يُرْفع القرآن من المصاحف ومن صدور العلماء والقراء. ثم قسم أمة محمد عليه الصلاة والسلام ثلاث أقسام، قال: فمنهم ظالم لنفسه، وهم الذين آمنوا بالله وحده وصدقوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام وتركوا العمل بعضًا أو أكثر ما أمروا به، ومنهم متوسط في العمل ولا يعملون تمامًا ولا يتركون بالكلية ويقصرون في بعض أحوالهم، ومنهم سابق بالخيرات والأعمال الصالحات بتوفيق الله، (ذلك)، أي: توريث القرآن للعلماء من أمة محمد عليه الصلاة والسلام والتوفيق بالإيمان والإسلام وبالأعمال الصالحات هو الفضل العظيم لأمة محمد عليه الصلاة والسلام.

ثم ذكر الله ما وعد لهم في الآخرة ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ ﴾ لهم جنات لإقامتهم. إنما قال تعالى: (جنات) بصيغة الجمع، وهن سبع، وفي كل جنة درجات ومقام يدخل أهل الجنة، وينزلون على مقامهم وعلى حسب أعمالهم، يزينون:

ـ أهل الجنة ـ من أساور من ذهب مرصعًا باللؤلؤ، ولباسهم حرير فيها، ولهذا حرم الله على ذكور هذه الأمة لبس الذهب ولباس الحرير، ومن لبسهما في الدنيا فقد حرم عنهما في الآخرة، كما جاء في الحديث.

ولما دخلوا الجنة ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ كان المؤمنون يخافون الله في حياتهم الدنيا ويحزنون لتقصيرهم في الأعمال المأمورين بها، ولما دخلوا الجنة حمدوا الله وقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، إن ربنا لغفور لذنوبنا شكور لطاعتنا. ثم ذكروا تفضل الله عليهم: الذي أدخلنا دار الإقامة الدائمة من فضله، لا يصيبنا تعب من العمل، إن الجنة لا عمل فيها، ولا يصيبنا فيها إعياء وفتور، وقيل: النصب: تعب البدن من العمل، واللغوب: تعب النفس من الخوف والحزن.

ثم يذكر سبحانه وتعالى أحوال أهل النار وهم الكفرة، وتلك سنة الله في كتابه العزيز: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ والذين كفروا بربهم وبرسالة رسلهم لهم نار جهنم في الآخرة، ولا يحكم عليهم بالموت فيموتوا فيرتاحوا من العذاب، ولا يخفف عنهم من عذاب جهنم، وهم في عذاب جهنم مقيمون إلى الأبد، مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور بربه.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ وهم يصطرخون برفع أصواتهم قائلين: يا ربنا أخرجنا من جهنم، وردَّنا إلى الدنيا نعمل عملاً صالحًا غير الذي كنا في الدنيا نعمل

من الكفر والفساد، فيقول الله تعالى موبخًا ومهددًا لهم: أولم نعمركم حياة طويلة في الدنيا قيل: ٤٠ سنة وقيل: ستون سنة، عمرًا ما يتذكر فيه من تذكر عاقبة الأمور ولكنكم أصررتم على الكفر والمعاصي، وجاءكم النذير من عندنا ينهاكم عن الكفر والمعاصي ويخوفكم من عذابنا وكذبتموهم، فذوقوا العذاب الدائم فما للظالمين على أنفسهم بالكفر والمعاصي من ناصر من العذاب.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ ﴾ وكيف لا يعلم ظواهر الأعمال وعلمه محيط بكل شيء حتى إنه يعلم بما في الصدور من الهواجس والوساوس؟!.

﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٣٩﴾ ﴾ هو الله جعلكم أيها الناس خلائف في أرضه ورزقكم من الطيبات، فمن كفر بربه ولم يشكر بنعمه فعليه وبال كفره، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلاَّ غضبًا من الله وطردًا من رحمته ولا يزيد الكافرين كفرهم بربهم إلاَّ خسارًا يوم القيامة.

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أخبروني عن شركائكم الذين تعبدونهم من دون عبادة الله، أروني أيّ شيء خلقوا من تراب الأرض؟ أم لآلهتكم شركة في خلق السموات؟ أم آتيناهم كتابًا فهم على حجة وبرهان من الله بأن يعبدوا غيره؟ ثم بكتهم وأبطل عبادتهم لغير الله بحرف الإضراب: بل لا يعد الظالمون بعضهم بعضًا إلاَّ غرورًا، حيث

يقول رؤساؤهم لأتباعهم: إن عبادتنا لآلهتنا صحيح، وكان أسلافنا يعبدونها، وعبادتنا لها تقربنا إلى الله.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ وفي الآية التي قبلها رد على المشركين أن آلهتهم لا تقدر على خلق شيء؛ إنها جمادات لا قدرة ولا شعور لها، وذكر في هذه الآية أن خالق السموات والأرض هو الله هو يمسكهما من أن تزولا عن أماكنهما، ولئن زالتا بالفرض لا أحد يمسكهما غير الله، إنه تعالى كان حليمًا لا يعجل العقوبة على من كفر به غفورًا لعباده المؤمنين.

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ ﴾ وكان كفار مكة يلعنون اليهود والنصارى لأنهم كذبوا رسلهم، وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءنا رسول لنكونن أهدى من هؤلاء في طاعة الله، فلما جاءهم محمد عليه الصلاة والسلام رسولاً من ربهم ومنذرًا من عقاب الله ما زادهم مجيئه عليه الصلاة والسلام إلاَّ نفورًا وتباعدًا وتكبرًا في أرض مكة، وماكرين الكيد السيء لرسول الله والمؤمنين، ورد الله عليهم: ولا يحيق، أي: ولا يحيط مكر المسيء إلاَّ بأهله، وقد رد الله كيدهم على أنفسهم في بدر فقتلوا وأسروا، والباقون قد هربوا إلى مكة.

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ هل ينظر كفار مكة إلاَّ سنة الله في الأمم المكذبين رسلهم وقد أهلكهم الله ودمر ديارهم؟ ولن تجد يا محمد لسنة الله تغييرًا

ولن تجد لسنة الله تحويلاً، أي: ليس هناك من يبدل أو يحوّل سنة الله الواقعة في خلقه كما يريد، فليعتبر أهل مكة بذلك.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ استفهام للتقريع: أولم يسير هؤلاء المشركون في سفرهم إلى الشام واليمن ويشاهدوا آثار أمم المكذبين رسلهم قد أهلكهم الله ودمر ديارهم، فينظروا آثارهم كيف فعل الله بالمكذبين رسلهم فعاقبهم، كانوا أشد من كفار مكة قوة في أجسامهم وأكثر منهم أموالاً وأولادًا.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ وما كان الله ليفوت عنه من شيء في السماوات ولا في الأرض وهو محيط بجميع خلقه إنه كان عليمًا بأحوال خلقه قديرًا على الانتقام من أعدائه في العذاب وإدخال أحبائه المؤمنين في جنات النعيم.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ ولو أراد الله أن يؤاخذ الناس بالذي كسبوا من الكفر والمعاصي فإنه ما ترك على ظهر الأرض من شيء يدب ويمشي: من إنسان وحيوان، ولكن بحلمه ورحمته يؤخر إلى أجل مسمى عنده هو يوم القيامة، فإذا جاء أجلهم للحساب والجزاء جازاهم: للمؤمنين الجنة والكافرين النار، إن الله كان بما تعملون بصيرًا لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه.

الحمد لله، تمّت سورة فاطر بعون الله.

* * *

سورة يسٓ

آياتها ثلاث وثمانون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤﴾
قيل: (يٰس) اسم من أسماء النبي ﷺ. ثم أقسم الله بالقرآن الحكيم، أي: المحكم في معانيه وكلماته ولا يمكن فيه التغيير ولا التبديل؛ لأنه تعالى قد ضمن حفظه؛ فقد قال: ﴿وإنا له لحافظون﴾. والكتب الأولى لم يضمن حفظها ولهذا حرفت وجواب القسم: إنك يا محمد لمن المرسلين، على صراط مستقيم، لا عوج ولا زيغ فيه، هو دين الإسلام دين الحق.

﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾ هذا القرآن منزل من الله العزيز في أمره على خلقه، الرحيم لعباده المؤمنين؛ لتنذر يا محمد قومًا ما أنذر آباءهم من عذاب الله؛ لهذا فكفار مكة ومن حولها غافلون عن الإيمان بالله وحده، ويقتدون بأسلافهم في أعمال الشرك والكفر.

﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧﴾ لقد ثبت الحكم على أكثر هؤلاء المشركين، فهم لا يؤمنون بالله، ويصرُّون على شركهم وكفرهم، ولذلك لا يؤثر عليهم التذكير ولا الموعظة.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ ﴾ هذه صور عما يكون لهم في الآخرة: قال تعالى بصيغة الماضي لتحقق وقوع العقاب عليهم، أي: إنا نجعل في أعناق ــ جمع عنق ــ هؤلاء المشركين أغلالاً ــ جمع غل هو السلاسل ــ فتربط أيديهم على أعناقهم حتى، لا يقدروا أن يحركوا أيديهم فالأغلال إلى أذقانهم فهم مقمحون، أي: رافعوا رؤوسهم لا يستطيعون أن يخفضوها.

﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ وجعلنا أمامهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا وهو المانع للإيمان بالله وحده فغطينا أبصارهم فهم لا يبصرون الأدلة الدالة على وحدانية الله في ذاته وصفاته.

﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ وسواء عليهم إنذارك لهم أم لم تنذرهم بعذابنا فهم في غمرتهم في هوى أنفسهم لا يؤمنون، مختوم عليهم بالكفر.

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ إنما ينفع إنذارك يا محمد من آمن بالله وحده واتبع ذكر القرآن وعمل بما فيه من الأوامر وخشي الله وعذابه قبل أن يراه، فبشرهم بمغفرة لذنوبهم وثواب حسنٌ في الجنة.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ قال: إنا نحن ــ أي: الله عز وجل ــ نحيي الموتى من قبورهم ــ جميع الخلق ــ للحساب والجزاء، نأمر الحفظة أن يكتبوا أعمال الخلق من خير أو شر قد عملوه، وكذا يكتبوا آثارهم، يعني: الأعمال التي

عملوها كبناء مسجد أو رباط يسكن فيه الفقراء أو حفر بئر على طريق في الصحراء يشرب المسافرون من مائها وغير ذلك من أعمال البر، وبعده ينتفع الناس بها، أو سن عمل سيئة اقتدى بها الناس فله إثمها وإثم من عمل بها كما جاء في الحديث، وكل شيء عددناه وجمعناه وكتبناه في اللوح المحفوظ، وقيل كتبناه في ديوان الحفظة.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ واضرب يا محمد لقومك مثل أصحاب القرية، وهي إنطاكية، تقع في شمال حلب من أراضي الروم، حيث جاءها المرسلون أرسلهم الله عز وجل وكانوا ثلاثة ابتداء، وقيل: أرسلهم عيسى عليه السلام إلى أهلها ليدعوهم إلى توحيد الله في ذاته وصفاته، وهم من النقباء الحواريين، ومروا على شيخ يرعى الغنم فسلموا عليه فقال الشيخ من أنتم؟ قالوا: نحن رسل نبي الله عيسى عليه السلام لندعوكم إلى توحيد الله في ذاته وصفاته وننهاكم عن عبادة الأوثان والأصنام، قال: هل معكم آية تدل على صدق ما تقولون؟ قالوا: نعم إنا نبرىء الأكمه والأبرص ونشفي المرضى ونحيي الموتى بإذن الله، قال الشيخ: عندي ولد مرض منذ سنين، قالوا: أرنا إياه فدخلوا داره ورأوا الولد فمُسِحَ الولد، فقام الولد في الحال صحيحًا بإذن الله، ففشا الخبر في أهل القرية، وشفوا كثيرًا من المرضى، فشفاهم الله بأيديهم، وبلغ الخبر الملك وهو مشرك يعبد الأصنام وطلبهما فحبسهما.

قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ وهذه الآية والتي بعدها بيان لمحاورتهم مع القوم، إنما أسند الإرسال لنفسه؛ لأن عيسى عليه السلام أرسل اثنين من الحواريين إليهم بأمر الله، ثم أرسل واحدًا فصار الرسل ثلاثًا، فدعوهم إلى توحيد الله

وعبادته ونهوهم عن عبادة غير الله، فطلب الملك آية لصدق رسالتهم من الله إليهم، قالوا: إنا نبرىء الأكمه والأبرص ونحيـي الموتى بإذن الله، وجاؤوا برجل أكمه مطموس العينين فدعا الرسل ربهم فمسح شمعون عينيه ففتح الله عينيه وأبصر في الحال، ثم أتوا برجل قد مات قبل سبعة أيام لم يدفن وكان أبوه غائبًا وأخروا دفنه حتى يجيء أبوه، فدعوا الله فقام الغلام الميت في الحال حيًّا وقال الغلام: أنا أدخلت في النار لأني مت على شرك، وأنا أحذركم عما أنتم عليه من الشرك والكفر، فآمنوا بالله وحده، وفتحت السماء ورأيت رجلاً شابًّا حسن الوجه يؤيد هؤلاء الثلاثة المرسلين إليكم، فتعجب الملك من قوله وآمن، ومعه آمن من القوم من آمن، ومن لم يؤمن بقوا على شركهم.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾

قال القوم الكافرون مخاطبين الرسل: ما أنتم وقد أرسلتم إلينا إلاَّ بشر مثلنا، وما أنزل الرحمٰن من شيء من السماء، ما أنتم على شيء صحيح، إنكم تكذبون.

قال المرسلون: ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ صحيح قد بلغنا رسالة ربنا إليكم ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ وما يجب علينا إلاَّ إبلاغ أمر ربنا إليكم بيانًا واضحًا لا شبهة فيه.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

قال القوم الكافرون: إنا تشاءمنا منكم بدعوتكم لتردوننا عن عبادة آلهتنا إلى عبادة آلهتكم لئن لم تنتهوا عن دعوتكم لنرجمنكم بالحجارة وليصيبنكم منا عذاب مؤلم.

﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ ﴾ قال رسل عيسى عليه السلام تشاؤمكم عليكم لا علينا بأن دعوناكم إلى الخير كله، ما قبلتم منا بل أنتم قوم مصرون على الكفر والمعاصي ومتجاوزون حد العبودية.

﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ ﴾ وجاء رجل اسمه حبيب النجار وهو الشيخ الذي آمن بالرسل وسمع أن القوم يريدون قتل الرسل فهو بادر وسعى إلى القوم لينصحهم قال: يا قوم اتبعوا المرسلين إليكم، ففيه سعادتكم، وهم لا يسألونكم أجرًا لتبليغ أمر ربهم إليكم، وهم مهتدون إلى دين الحق، قال القوم: وأنت يا حبيب اتبعت هؤلاء الرسل؟ قال حبيب ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ﴾ أيّ شيء يمنعني من أن أعبد ربي الذي خلقني، وأنتم يا قوم أرشدكم إلى سعادة الدنيا والآخرة وإليه ترجعون بأعمالكم فيحاسبكم ويجازيكم ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥ ﴾ قال منكرًا على آلهتهم أأتخذ غير الله آلهة؟! إن يردن الرحمٰن بضر لا تدفع عني شفاعة آلهتكم شيئًا؛ لأنها جمادات لا شعور لها، ولا هم ينقذون أنفسهم من عذاب الله إن اتبعت آراءكم الفاسدة، إني إذًا لفي ضلال بين، ثم أظهر إيمانه أمامهم: إني آمنت بربي وربكم فاسمعون، فإني لا أخفي عليكم إيماني بالله وحده.

﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧ ﴾ ولما أظهر إيمانه هاجوا عليه فقتلوه. وقيل له: ادخل

الجنة، ولما رأى نعيم الجنة قال: يا ليت قومي يعلمون ما أنا فيه من نعيم وبما غفر لي ربي ذنوبي وجعلني من المكرمين في الجنة.

﴿ ۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ ﴾ قال: وما أنزلنا على قوم حبيب بعد قتله من جند من الملائكة لإهلاكهم، وما أردنا أن ننزل الملائكة لإهلاكهم، إلاَّ صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام ﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩ ﴾ ما كانت عقوبتهم إلاَّ صيحة واحدة فإذا هم في الحال ميتون فعاقبهم الله بصيحة واحدة.

وقال تعالى: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ ﴾ يا حسرة وندامة على العباد المكذبين رسلهم يوم القيامة حين يروا العذاب، ما كان يأتيهم من رسول لينذرهم عقاب الله على الكافرين إلاَّ كانوا يستهزؤون بالرسول. وفي الآية تعريض لكفار قريش الذين استهزؤوا برسول الله.

وزاد عليهم التقريع ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢ ﴾ ألم يعلم كفار قريش ويعتبروا بآثار الهالكين على طريق الشام واليمن وهم يمرون عليها؟ كم أهلك الله من أهل القرون الطاغية وأنهم لا يرجعون إلى الدنيا، وإن جميع الخلائق في وقت معلوم لدينا محضرون للحساب والجزاء سيجازيهم الله بحكم العدل.

﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ وآية ظاهرة لكفار مكة وغيرهم الأرض الميتة اليابسة لا زرع ولا عشب فيها من قحط الماء، فأنزل الله إليها المطر فأخرج بماء المطر منها الحبوب المدفونة في التراب حتى صارت زروعًا من الحنطة والشعير والدخن وغيرها ليأكلوا منه، والعشب تأكل منه أنعامهم، وجعل الله فيها بساتين متكونًا من نخيل بأنواعها وعنب بأنواعها وغيره، وفجر الله فيها من ماء العيون ليسقوا زروعهم وما عملته أيديهم من الغرس والزروع يأكلون منها ويتنعمون بها أفلا يشكرون؟ هذا استفهام للتوبيخ على جحودهم بنعم الله.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ تنزه الله وتقدس عن الشبيه والند، هو الذي خلق الأصناف كلها، ثم بين: مما تنبت الأرض من الزروع والأشجار المثمرة وغير المثمرة ومن نفس الإنسان ذكرًا وأنثى وكذا من الحيوانات والطيور ومما لا يعلمون من الحشرات في البر والبحر.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ وآية دالة على كمال قدرة الله ووحدانيته في تصرفه في ملكه وعلامة ظاهرة لهم الليل ننزع منه ضوء النهار فإذ هم في ظلمة الليل لا يبصرون شيئًا إلاَّ بنور السراج، وآية أخرى: الشمس إذا طلعت تجري لمستقرها كل يوم بغير اختلاف في ذلك الجريان من مشرقها إلى مغربها، ذلك تقدير العزيز في أمره العليم فيما صنع وقدر.

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ والقمر قدرنا له منازل ــ هي ثمانية وعشرون منزلاً ــ فإذا طلع في أول ليلة من الشهر

ـ والقمر يطلع دقيقًا ـ يقال: هلال، ويسري إلى مغربه ويغيب فيه، ويطلع اليوم الثاني أمتن من أول حتى يكمل ليلة رابع عشر، وينقص ليلة سادس عشر حتى إلى ثمانية وعشرين من الشهر وهكذا حتى عاد كالعرجون القديم، وهو: العذق الذي إذا قطع عنقه يتقوس.

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ لا يمكن للشمس أن تدرك القمر فتدخل على سلطانه، وتزيل نوره، فيصير الليل مثل النهار ولا يمكن لليل أن يسبق النهار، وكل من الشمس والقمر والكواكب في فلك يسبحون، أي: يسيرون من مطلعهم إلى مغربهم على النظام الذي قدر الله لهم.

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ وآية أخرى لكفار قريش: أنا حملنا ذرية من أغرقنا في السفينة المملوءة من الإنس والحيوانات والطيور والحشرات وألهمنا لهم أن يصنعوا مثل سفينة نوح عليه السلام ليركبوا فيها في أسفارهم في البحر، وفي البر يركبون الإبل والخيل والبغال والحمير، ويذكر سبحانه امتنانه على عباده في هذه الآيات ليشكروا الله بها.

﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ وإن أردنا نغرقهم في البحر فلا مغيث ولا مجير لهم ولا هم ينقذون من الغرق، إلاَّ رحمة منا فننجيهم من الغرق ليتمتعوا في الحياة إلى انقضاء آجالهم.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ وإذا قيل لكفار قريش: اتقوا ما بين أيديكم من الحساب والعقاب وما خلفكم من

فتنة الدنيا فاحذروا منها، وآمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيئًا لعلكم ترحمون، وكأن الجواب مقدر وهو: فإنهم يعرضون وذلك أنهم: كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ وما تأتي لكفار قريش آية من آيات ربهم تدل على صدق رسالة محمد عليه الصلاة والسلام إلاَّ كانوا عنها معرضين معاندين لمحمد والمؤمنين.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ وإذا قيل لأغنياء كفار قريش أنفقوا مما زرقكم الله من سعة المال للفقراء وذوي الحاجة، قال الذين كفروا بالله وجحدوا بما رزقهم الله من سعة المال للمؤمنين الذين نصحوهم: أنطعم من أفقره الله ولو يشاء الله أطعمه؟ ما أنتم أيها الناصحون لنا إلاَّ في خطأ ظاهر.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ ويقول كفار قريش: متى هذا الوعد الذي تخوفوننا به أن يوم القيامة فيه حساب وعذاب؟؟ متى تكون إن كنتم صادقين في وعدكم؟!

ورد الله عليهم ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ ما ينتظر هؤلاء المشركون إلاَّ صيحة واحدة تأخذ أرواحهم وهم في أسواقهم يتخاصمون، هي الصيحة والنفخة الأولى، فعندئذٍ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾، أي: لا يستطيع أن يوصي بالتوبة لأحد أو لأهله، ولا يستطيعوا أن يرجعوا إلى بيته، حيث كانوا يموتون في أسواقهم.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ ونفخ النفخة الثانية، والنافخ هو إسرافيل عليه السلام، وقيل: بين النفختين أربعون

سنة، فإذا جميع الخلائق من لدن آدم عليه السلام إلى النفخة الأولى ينسلون من قبورهم أحياء مسرعين.

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ ولما بعثوا من قبورهم ورأوا أهوال يوم القيامة قال الكفار: يا ويلنا من شأن هذا اليوم، من بعثنا من مرقدنا؟! وقال الملائكة والمؤمنون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ وأنتم كذبتموهم.

قال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ ما كانت الساعة إلاَّ صيحة واحدة، وهي النفخة الثانية، وينفخ إسرافيل في الصور فإذا جميع الخلائق عند الله محضرون لموقف الحساب والجزاء.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ فيوم الحساب لا تظلم نفس شيئًا في حسابها، أي: لا يزاد عليها شيئًا من حسابهم، ولا تجزون إلاَّ مقابل ما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ يخبر سبحانه وتعالى أن أصحاب الجنة يوم القيامة في شغل مع زوجاتهم الحور العين، فرحون هم وزوجاتهم في ظلال الجنة على السرور المحجلة كالقبة، (متكؤون)، أي: جالسون، لهم في الجنة فاكهة بأصنافها، ولهم من كل ما يشتهون من الحور العين والفواكه والطعام والشراب. وروي عن النبي ﷺ: وأهل الجنة في نعيمهم إذ سطع عليهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا هو الرب تعالى قد أشرق عليهم وهم ينظرون إليه ولا يلتفتون لغيره فسلم الرب تعالى عليهم: السلام عليكم يا أهل الجنة، وقيل: يسلم

عليهم الملائكة، سلام الله عليكم قولاً من رب رحيم.

ويخاطب الله الكافرين: ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ وانفردوا أيها المجرمون عن صفوف المؤمنين إلى جانب، اليوم ليس لكم وقوف مع المؤمنين، وذلك بعد فصل الحكم، ألم أرسل إليكم رسلاً يا بني آدم؟ وبلغوا أمري إليكم أن لا تعبدوا الشيطان؟ أي: أن لا تطيعوا إغواء الشيطان وتزيينه لكم طرق الضلالة، إن الشيطان لكم عدو ظاهر ﴿ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ وأمرناكم أن تعبدوني، هذا الطريق هو الطريق المستقيم.

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ ولقد أضل الشيطان منكم خلقًا كثيرًا عن الهداية إلى الضلالة، أما كنتم تعقلون عداوته لكم.

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ في حياتكم الدنيا ﴿ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ ادخلوا جهنم اليوم فذوقوا عذابها بسبب ما كنتم تكفرون بربكم.

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ يوم القيامة يختم الله على أفواه الكافرين، لا يستطيعوا التكلم، وتشهد أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون في حياتهم الدنيا.

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ قال المفسرون في قوله تعالى: (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم)، أي: ولو نشاء لأعمينا عيونهم الظاهرة كما أعمينا قلوبهم عن قبول الحق والهداية

إلى الإيمان والإسلام فبادروا الطريق بالسعي سريعًا فكيف يبصرون أمامهم؟ وبحلمنا أخرنا عنهم العقوبة.

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ ولو نشاء لبدلنا هيأتهم على هيئة خنزير أو غيره من الحيوانات، وهم في دورهم، فما استطاعوا أن يخرجوا منها حياء من الناس، ولا يقدرون أن يرجعوا إلى هيأتهم الأولى، ولكن أخرنا عقوبتهم إلى وقتٍ نريد. قد عاقبهم الله يوم بدر، سيجازيهم الله في عذاب جهنم.

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ ومن أطلنا عمره في حياته إلى حين الهرم والعجز يزد قوة في بدنه وعقله إلى طفولة الخلق الأول أفلا يعقل هؤلاء المشركون؟! ذلك استفهام للتوبيخ والتبكيت.

وقال كفار قريش: إن محمدًا شاعر، الذي يقوله هو شعر من عنده فأنزل الله: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ وما علمنا محمدًا الشعر، وما يصح له أن ينظم شعرًا، إنه أمين لا يقرأ ولا يكتب، ما الوحي الذي أنزلنا على محمد إلاَّ ذِكْرٌ يذكِّر به قومه وكافة الناس وقرآن يقرأه من آمن به وبيِّنة معانيه. ثم ذكر علة الإنزال على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام: لينذر، أي: ليخوف بزواجره ونواهيه ووعيده من كان حي القلب بالإيمان بالله وبكتابه وبرسوله وهم ينتفعون به، ويوجب العقاب على الكافرين بالله وبالقرآن الكريم وبرسوله محمد عليه الصلاة والسلام.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ استفهام للتوبيخ والتجهيل: أولم ينظر هؤلاء المشركون أنا نحن خلقنا لهم

بأيدينا بلا معين أنعامًا: هي الإبل والبقر والغنم، فهم لها مالكون؟ كيف يشاء يصرفها، وذللناها لهم بأن تنقاد لهم إذا أرادوا الركوب عليها وحمل أثقالهم عليهما، ومنها يأكلون حلالاً، ولهم في أنعامهم منافع كالصوف والوبر والشعر ومشارب، أي: لبن يشربونه لذيذًا أفلا يشكرون الله بتلك النعم.

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ واتخذ هؤلاء المشركون غير الله أصنامًا آلهة يعبدونها، يطمعون أن أصنامهم تنصرهم أو تفيدهم؟ ثم بكتهم ووبخهم: لا تستطيع أصنامهم نصرهم من عذاب الله، ولكن المشركون لأصنامهم كالجند في الطاعة، وجميعهم محضرون في نار جهنم.

ثم يسلي نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ فلا يوقعنك يا محمد في الحزن قولهم في حقك أنك شاعر وكاهن وساحر، نحن نعلم ما يخفون من الكيد بك وما يظهرون بألسنتهم.

ثم أقام الحجة عليهم بما يشاهدون ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ أولم يعلم الإنسان ــ وهذا اللفظ للجنس ــ أنا نحن خلقناهم من نطفة آبائهم في رحم أمهاتهم حتى ولدوا من أمهاتهم حتى صاروا رجالاً؟ فإذا هو خصيم بين الخصومة.

ثم بين خصومتهم ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ قال تعالى: وضرب لنا مثلاً هذا الإنسان الضعيف الذي خلق من ماء مهين بعد أن صار رجلاً كاملاً فطغى ونسي خلقه أول مرة، قال: من يحيي العظام البالية وهي رميم مثل التراب؟ وكان كلامه منكرًا للبعث.

ورد الله عليه ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ قل لهم يا محمد: يحييها الذي أوجدها من العدم أول مرة، هو قادر على إحياء الموتى من قبورهم وهو بكل خلق عليم، لا يصعب عليه إيجاد شيء ولا إفنائه. ثم وصف نفسه: الذي جعل لكم أيها المنكرون بالبعث من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون. وقال ابن عباس: الشجرتان اسم إحداها المرخ والأخرى العفار، إذا أردت النار قطعت منهما عودين فضربت أحدهما على الآخر فتقدح النار منهما وغيرهما يوقد بالنار.

ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ استفهام للتقرير: أوليس الذي خلق السموات والأراضين بغير مثال سبق ـ وخلقهن أعظم من خلف آدم ـ أليس بقادر على أن يحيي موتاهم من قبورهم مثل هيئتهم الأولى؟ قل يا محمد: بلى، وهو الخلاق العليم في صنعه.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ إنما أمره جلت قدرته إذا أراد إيجاد شيء أو إفناء شيء أن يقول له كن كذا فيكون في الحال كما أمر.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ فسبحان الله من كل وصف وصفه المشركون، بيده ملكوت كل شيء، أي: مالك كل شيء ـ زيادة الواو والتاء للمبالغة ـ، كيف يشاء يصرفها، وإليه ترجعون بأعمالكم أيها الناس.

الحمد لله تمت سورة يسٓ بعون الله.

سورة الصافات

آياتها مائة واثنتا وثمانون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ ۝٥ ﴾ أقسم الله بالملائكة الصافات صفًّا مستقيمًا في عبادة ربهم، فالملائكة الزاجرات زجرًا تسوق السحاب إلى حيث شاء الله، فالملائكة التاليات ذكرًا من تسبيح وتحميد وتمجيد وتهليل والمقسم عليه: إن إلٰهكم لواحد لا شريك له في ذاته وصفاته، ثم وصف نفسه: رب السموات والأرض وما فيهن من الخلائق ورب المشارق. إنما ذكر المشارق لدلالتها على المغارب لأن الشمس والقمر لهما مشارق ومغارب في كل فصل وشهر لهما مشرق ومغرب.

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ ﴾ نحن زينا السماء الدنيا ــ التي هي أقرب لنا ــ بزينةٍ هي الكواكب، هي النجوم الكبيرة المضيئة لأهل الأرض، وجعلنا في السماء الدنيا حافظين من كل شيطان مارد يسترق أخبار السماء، يلحق به شهب تحرقه، وذلك كي ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ ﴾، أي: لا يستمعون إلى الملائكة أهل السماء الأعلى، ليسترقوا أخبار الملائكة.

ويخبرون أولياءهم الكهان. ويرميهم الملائكة بالشهب ويطردونهم من كل جهة طردًا بليغًا، ولهم عذاب دائم حتى لا يستمعوا ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ إلَّا من خطف الكلمة من الملائكة فلحقه شهاب ثاقب يشقيه ويقتله.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾ فاسأل هؤلاء المشركين مستفتيًا: أهم أشد وأصعب خلقًا أم من خلقنا من الأمم الماضية ثم أهلكناهم بذنوبهم، نحن خلقنا الإنسان من طين لازب، أي: ضعيف لاصق إلى الأرض، وقيل: خَلْقُ السموات والأرض أشد خلقًا وأعظم جرمًا من الإنسان. والله أعلم بما هو الصواب.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ بل عجبت يا محمد من تكذيبهم إياك وإنكارهم للبعث، ويسخرون منك، وإذا ذُكِّروا بمواعظ القرآن وزواجره لا يتذكرون ولا ينزجرون عن شركهم وطغيانهم، وإذا رأوا آية، أي: معجزة منك كانشقاق القمر ونطق الظبي أمامك قالوا: ما هذا إلَّا سحر ظاهر.

ثم أظهروا إنكارهم للبعث قالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾، أي: أإذا متنا وصرنا ترابًا وعظامًا بالية أإنا لمبعوثون من قبورنا وآبائنا الأولون كذلك؟ وفي كلامهم هذا استبعاد وتأكيد لإنكارهم للبعث.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ قل لهم يا محمد: نعم، تبعثون وأنتم صاغرون ذليلون ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ

ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ ﴾ فإنما هي صيحة واحدة تزجر أهل القبور فإذا هم قائمون من قبورهم أحياء ينظر بعضهم بعضًا، ثم يقولون: يا ويلنا هذا يوم الحساب والجزاء، قد أنكرناه في الدنيا، ويقول الملائكة: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ هذا اليوم يوم الفصل بالحكم العدل بين المحسن والمسيء، وبين المحق والمبطل، وبين المؤمن والكافر، (الذي) صلة اليوم وصفته، (كنتم) أيها المشركون بقيامه تنكرون وتكذبون الأخبار عنه.

ثم يقول الله تبارك وتعالى للملائكة ﴿ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾، أي: اجمعوا الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والكفر وقرناءهم من الشياطين والإنس والأصنام الذين يعبدهم المشركون من دون عبادة الله فسوقوهم جميعًا إلى طريق الجحيم ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ وقفوهم عند باب الجحيم، إنهم مسؤولون عن أعمالهم واعتقاداتهم. ويقال لهم توبيخًا وتعجيزًا: ما الذي حصل لكم فلا تتناصرون الآن كما كنتم في الدنيا ينصر بعضكم بعضًا بالكفر والمعاصي، بل هم عاجزون عن التناصر، ينقادون لأمر الله رغم أنوفهم.

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ وأقبل الرؤساء والأتباع على بعضهم البعض يتساءلون عن شأنهم في الدنيا، قال الأتباع: إنكم كنتم تأتوننا بالسلطة وتردوننا عن طريق الحق إلى طريق الضلالة، فقال الرؤساء: بل لم تكونوا مؤمنين بربكم، وما كان لنا عليكم من تسلط وإجبار على الكفر بل كنتم في الدنيا قومًا طاغين عن حد العبودية بربكم.

ثم حكموا على أنفسهم بالعذاب ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾ فوجب علينا حكم ربنا بالعذاب إنا جميعًا لذائقونه. ثم اعترف الرؤساء بإغوائهم أتباعهم: فأغويناكم عن الحق إلى الضلالة إنا كنا ضالين وغاوين، فحكم الله عليهم جميعهم بالعذاب.

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾ فإن الأتباع والرؤساء مشتركون في إقامتهم في عذاب جهنم، قال تعالى: إنا نحن نفعل ذلك العذاب بالمشركين المجرمين.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ إن هؤلاء المشركون كانوا في الدنيا إذا قيل لهم بالتذكير والموعظة الحسنة: لا إلـه يعبد إلَّا الله الواحد المعبود الحق، يتكبرون عن قبول التذكير والموعظة، ويقولون منكرين: أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون؟! يعنون محمدًا عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى ردًّا عليهم بحرف الإضراب ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ بل جاء محمد بالرسالة منا إليكم وكافة للإنس والجن، وصدق المرسلين قبله؛ لأن دعوتهم واحدة، إلى توحيد الله، إنكم أيها المشركون لذائقو العذاب الأليم، وما تجزون بالعذاب إلَّا بما كنتم في الدنيا تعملون من أعمال الكفر والشرك والمعاصي، ولكن عباد الله المخلصين العبادة لله تعالى ويتحذرون عن أعمال الشرك والكفر والمعاصي لن يذوقوا العذاب.

ثم ذكر الله وعده لعباده المخلصين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم

مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ أولئك المخلصون الأبرار لهم رزق معلوم من أصناف الأطعمة، وفواكه من كل نوع على الدوام، وهم مكرمون في جنات النعيم وجالسون على سرر متقابلين بعضهم إلى بعض ويستأنسون بالمحبة ولا يتدابرون أبدًا، يطوف الغلمان عليهم بكأس شراب خمر بيضاء لذيذة للشاربين لا فيها غول يغير عقول الشاربين مثل خمر الدنيا ولا هم يسكرون بشربها، وعندهم زوجات حافظات العين عن غير أزواجهن كأنهن بالصفاء بيض مستور من إصابة الغبار.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾﴾ فأقبل أهل الجنة في الجنة بعضهم على بعض يتساءلون عن أحوالهم في الدنيا، قال قائل منهم: إنه كان لي صاحب يقول: إنك لمن المصدقين بالبعث، ثم قال منكرًا للبعث: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ أإذا متنا وصرنا ترابًا وعظامًا بالية أإنا لمبعوثون من قبورنا أحياء ومحاسبون عن أعمالنا؟ ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾﴾ قال المؤمن بالبعث لأصحابه في الجنة: هلا أنتم مطلعون على النار ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ فنظر إلى النار فرأى قرينه المنكر للبعث في وسط الجحيم.

﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ قال المؤمن لقرينه في النار: تالله إن كدت لتغويني عن الحق، ولولا فضل ربي بالثبات على الإيمان لكنت من المحضرين في نار جهنم، ثم قال المؤمن للذي في النار ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ استفهام للإنكار والرد

على قرينه الذي ينكر البعث والحساب والجزاء، أي: نحن المؤمنون ليسوا بميتين إلاَّ موتتنا الأولى في الدنيا وما نحن اليوم بمعذبين بسبب إيماننا بالله وحده وبالبعث للحساب والجزاء، إن هذا النعيم الذي نحن فيه لهو الفوز العظيم.

قال تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ لمثل هذا الجزاء فليعمل العاملون بالأعمال الصالحات والاجتناب عن السيئات حتى ينالوا بذلك النعيم السرمدي في الجنة.

قال تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ استفهام للبيان بين منزلتين: أذلك المنزل في الجنة ونعيمها خير لأهل الجنة أم شجرة الزقوم التي في الجحيم لأهل الجحيم ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾، أي: عقوبة للظالمين أنفسهم بالكفر والشرك بربهم.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾﴾ إن شجرة الزقوم تخرج من قعر الجحيم فروعها تشبه رؤوس الشياطين في القبح، تطلع فروعها في دركات الجحيم كلها، فإن أهل الجحيم ليأكلون منها فمالؤون بطونهم من مرارتها وكراهية ريحها.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ وبعد أن يأكلوا من شجر الزقوم تسوقهم الزبانية إلى ماء الحميم في خارج الجحيم ليشربوا منه فيختلط ماءً حارًا بما في بطونهم من أكل شجرة الزقوم فيقطع أمعائهم من شدة حرارة الماء ومرارة الأكل. ثم نردهم إلى منازلهم في الجحيم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ إن هؤلاء المشركون وجدوا آباءهم على الضلالة، تقلدوا آباءهم بغير تفكر ولا برهان لصحة كفرهم وشركهم فهم على أعمال آبائهم يسرعون ويعملون بأعمال آبائهم.

﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ ولقد ضل عن طريق الحق قبل كفار قريش أكثر الأمم الأولين.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ ولقد أرسلنا رسلاً في أممهم لينذروا قومهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا به وحده فكذبوا رسلهم وأصروا على كفرهم وشركهم وعصيانهم فأهلكناهم ودمرنا ديارهم، فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المنذرين الهلاك والدمار. ولكن أنجينا من العذاب المدمر عبادنا المؤمنين بربهم المخلصين عبادتهم وطاعتهم لله تعالى.

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ ولما اشتد أذى قوم نوح عليه السلام استغاث الله فأجاب الله دعاءه وأمر بصنع السفينة ـ سبقت قصة نوح عليه السلام في سورة هود تمامًا ـ . وقال تعالى: (فلنعم المجيبون) بصيغة الجمع لعظمته وكبريائه، ونجينا نوحًا ومن آمن به وهم ثمانون ذكرًا وأنثى من الكرب العظيم هو ماء الطوفان، وجعلنا ذرية نوح من أولاده الثلاث يافث وحام وسام ومن أهل ذرية السفينة هم الباقين في الدنيا، تناسلوا وكثروا. وتركنا على نوح ثناء حسنًا في من بعده إلى يوم القيامة يثنون عليه ويذكرون له ذكرًا جميلاً.

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ في عبادة الله وطاعته كما جازينا نوحًا ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ إن نوحًا من جملة عبادنا الموقنين في عبادة ربهم وطاعتهم لأمر الله ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ وبعد أن نجينا نوحًا ومن آمن معه في السفينة أغرقنا الآخرين، وهم الذين كذبوا نوحًا ولم يؤمنوا بالله.

﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ إن من ملة نوح لإبراهيم عليهما السلام حيث جاء إبراهيم عليه السلام ربه بقلب سليم من الشرك والشك ومخلص لله تعالى في كل شأنه.

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ حيث قال إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر وقومه: ما هذا الشيء الذي تعبدون؟ ثم أظهر إنكاره على ما يعبدون من الأصنام، أي: أتعبدون غير الله إفكًا آلهة باطلة دون عبادة الله؟! تريدون أمرًا باطلًا؟ فما ظنكم برب العالمين حين يعاقبكم بشرككم بربكم؟ إن عقابه شديد.

وبعد أن يحذرهم من الشرك بالله ويخوفهم من عذاب الله ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ فنظر إبراهيم عليه السلام إلى النجوم نظرة واحدة فقال: إني مريض، لا أقدر أن أذهب معكم إلى محل عيدكم فتركوه وذهبوا إلى عيدهم.

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾ فدخل إلى بيت فيه آلهتهم فقال موبخًا: ألا تأكلون من هذا الطعام، ـــ وكانوا يضعون الطعام أمام أصنامهم ليتبركوا ويأكلون بأنفسهم تبركًا ـــ فما لكم لا تجيبون لسؤالي؟ فأخذ الفأس فضرب الأصنام بالقوة فكسرها وعلقه على كبير الأصنام فخرج من بيت الأصنام وجاؤوا من

عيدهم ودخلوا بيت الأصنام ورأوا أصنامهم متكسرة وعلموا أنه لا يفعل هذا إلاَّ إبراهيم.

﴿ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ وأقبلوا ليجسوا إبراهيم ويخاصموه عن آلهتهم يسرعون في الجس حتى وجدوه فخاصموه عن آلهتهم.

﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ قال إبراهيم عليه السلام موبخًا ومبكتًا عليهم: أفتعبدون ما تصنعون بأيديكم، والله خلقكم والأصنام الذي تصنعون بأيديكم وتعبدون إياها، أف عليكم ولما تعبدون من دون عبادة الله.

ولما عجزوا عن الجواب ﴿ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ ﴾ قال رؤساء القوم: ابنوا مكانًا، فاجمعوا الحطب فيه فأشعلوا نارًا. فإذا استعرت النار ألقوه فيها. سبقت قصة إبراهيم عليه السلام أتم من هذه في سورة الأنبياء.

﴿ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ فأراد قوم إبراهيم لإهلاكه في النار، قلنا: يا نار كوني بردًا وسلامة على إبراهيم. ولما ألقوه مشدود اليدين في النار جاء جبريل عليه السلام فك يديه وهو جالس ولم تؤثر عليه نار، ونجا من شرهم، فجعل الله كيدهم خسرانًا وصاروا أسفلين ذليلين في كيدهم.

وخرج إبراهيم عليه الصلاة والسلام سالمًا ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ وقال إبراهيم عليه السلام إني: ذاهب إلى حيث أمرني ربي سيهديني إليه وأمر الله أن يهاجر إلى أرض الشام، هي بيت المقدس ومعه زوجته سارة ولوط عليه السلام، ولما وصلوا إلى بيت المقدس واستقروا

فيه وأمنوا من قومهم المجرمين دعا إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ يا رب هب لي ولدًا صالحًا يكون من عبادك الصالحين، فأجاب الله دعاءه، قال: فبشرنا لإبراهيم بغلام يولد له حليم على خلق الله وصابر على طاعة الله وولده الغلام من أمه هاجر.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ ولما بلغ الغلام وهو إسماعيل عليه السلام مع أبيه إبراهيم عليه السلام قيل هو ابن سبع سنين قال إبراهيم عليه السلام: إني أرى في المنام أني أذبحك بأمر ربي فانظر ماذا ترى يا بني؟ قال الغلام: يا أبت افعل ما تؤمر به ولا تمهل أمر ربنا، ستجدني إن شاء الله من الصابرين لأمر الله.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ فلما استسلما الوالد والولد لأمر الله وصرع إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل على جبينه الأيمن وأمرّ السكين على حلق ولده لم تقطع السكين، وعندئذ ناداه الملك بأمر الله: إنك يا إبراهيم قد صدقت بأمرنا لذبح ابنك وأوفيته لنا، وبمثل ذلك التصديق للابتلاء من إبراهيم وابنه وانقيادهما لأمرنا نجزي المخلصين في الطاعة لأمرنا، إن هذا الابتلاء لهو محنة ظاهرة عليهما، ولكن قدما طاعة الله على المحبة التي بينهما، فأمر الله جبريل عليه السلام أن ينزل لإبراهيم عليه السلام بكبش عظيم البدن، سمين خالٍ من العيب ليذبح فداء عن ابنه فذبحه في منى، ولهذا جعل الله ذلك سنة لأمة الإسلام أن يذبحوا كبشًا يوم عيد الأضحى والفسحة في الذبح إلى يوم

الثالث إلى وقت صلاة العصر، وإن لم يستطع بقيمة الكبش يجوز له أن يذبح معزًا كامل السنة عمره.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ وأبقينا على إبراهيم ثناء جميلاً في من بعده إلى يوم الدين، وسلام منا على إبراهيم، إنا جازيناه مثل ذلك الجزاء لأنا نجزي المخلصين في الطاعة لأمرنا، إن إبراهيم من جملة عبادنا الموقنين، لا يشكون فيما أَمْرَنا، وينقادون لأمرنا في الحال.

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ وبشرنا إبراهيم بأنه يولد له ولد اسمه إسحاق سيكون نبيًا من جملة عبادنا الصالحين في طاعة ربهم وباركنا لإبراهيم ولإسحاق في حياتهما الدنيا والآخرة ومن ذريتهما محسن، أي: مؤمن بالله ومخلص في طاعة الله ومنهم ظالم لنفسه بالكفر والشرك والمعاصي بيّن ظاهر في ظلمه.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾ ولقد تفضلنا على موسى وهارون بالنبوة والرسالة ونجيناهما وقومهما بني إسرائيل من عذاب أعدائهم الأقباط قوم فرعون، ونصرنا موسى وهارون وبني إسرائيل على أعدائهم فرعون وقومه، فكان موسى وهارون وقومهما هم المنتصرون على أعدائهم.

﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ وآتينا التوراة لموسى وهارون فيه أحكام الشريعة مبينة ظاهرة وهديناهما إلى الطريق المستقيم لا عوج ولا زيغ فيها هو طريق دين الإسلام.

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ وأبقينا لهما ثناء جميلاً في من بعدهما إلى يوم القيامة، سلام منا على موسى وهارون من كل سوء إنا مثل ذلك الجزاء جازينا المخلصين في طاعتنا، إن موسى وهارون من جملة عبادنا الموقنين، لا يشكون فيما أمرنا لهم ويطيعون في الحال.

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ وإن إلياس عليه السلام من سبط هارون عليه السلام، أرسله الله إلى بني إسرائيل وهو ابن ياسين، إذ قال لقومه ألا تتقون الله؟ أتعبدون غيره؟ فتَدْعُون بعلاً ـ اسم آلهة صنمهم ـ وتتركون عبادة أحسن الخالقين، الله ربكم ورب آبائكم الأولين؟ ولم يقبلوا تذكير نبيهم، وأصروا على شركهم، قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ فكذبوا نبيهم إلياس عليه السلام، فتوعد الله عليهم بالعذاب، فإنهم لمحضرون في العذاب، إلاَّ عباد الله المخلصين في طاعة الله وطاعة نبيهم إلياس نجوا من عذاب الله وفازوا بالجنة.

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ وأبقينا على إلياس ومن آمن به ثناء جميلاً بعدهم في أقوام آخرين إلى يوم القيامة، إنا كذلك نجزي المحسنين ـ سبق تفسيرها ـ إن إلياس من جملة عبادنا الموقنين بما أمرناهم ولا يشكون.

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي

ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ وإن لوطًا عليه السلام أرسلناه إلى قومه ليدع إلى توحيد الله وينهاهم عن فعلتهم الخبيثة، إنه لمن عبادنا المرسلين، فكذبوه واستحقوا عقاب الله؛ أرسل الله جبريل عليه السلام قلب ديارهم مع أهلها عاليها سافلها، ونجا لوط عليه السلام ومن آمن معه إلاَّ امرأته الكافرة هلكت مع الهالكين في العذاب. سبقت قصة لوط وقومه في سورة هود والعنكبوت أتم من هذه. وإنكم يا كفار قريش لتمرون على ديارهم المدمرة في أسفاركم إلى الشام صباحًا وبالليل ترونها، أفلا تعقلون؟! ويا عجب عليكم إذ لم تعتبروا بها.

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ وإن يونس لمن جملة المرسلين إلى أممهم، ولمّا كذبه قومه وعدهم بنزول العذاب عليهم، وغضب وأراد أن يبتعد عنهم، وتوجه إلى جهة البحر، وجاءت سفينة فركب فيها وثقلت السفينة في موج شديد فقال الملاحون: في السفينة رجل آبق، أي: هارب من سيده، وكان خروج يونس بغير أمر من الله، فأقرعوا بين الركاب فخرج السهم على يونس عليه السلام فألقوه في البحر فابتلعه الحوت، ويونس عليه السلام يلوم نفسه بأنه هرب من قومه بغير أمر من الله. وقوله من المدحضين، أي: من المقروعين حيث خرجت عليه القرعة. ويونس عليه السلام معترفًا على خطئه شرع يسبح الله بقوله: لا إلـه إلاَّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فأجاب الله وقبل توبته.

وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ لولا أن يونس عليه السلام كان من المسبحين قبل ذلك،

وكذلك في بطن الحوت. لم يغفل عن ذكر الله، لأقام في بطن الحوت إلى يوم يبعث الله الخلائق من قبورهم، ورحم الله يونس وأمر الحوت أن يلقيه إلى الشاطىء، وذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ فأمرنا الحوت أن ينبذ يونس بالعراء، أي: بمكان خال من الأشجار ولا زرع فيه فألقاه من بطنه إلى ساحل البحر، لا شجرة ولا زرع فيه، ويونس عليه السلام مريض لا قوة فيه ولا يقدر أن يتحرك.

قال تعالى: ﴿ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ ﴾ من شجرة القرع؛ لأن أوراقها عريضة لتظل فوقه وتقيه عن حر الشمس، ولما تقوى جسمه رجع إلى قومه وهو حزين ويبكي، وأرسله الله إلى قومٍ مائة ألف أو يزيدون فآمنوا وقيل مائة وعشرين ألفًا فتابوا عن عصيانهم وتكذيبهم لنبيهم يونس بعد أن شاهدوا العذاب وجددوا إيمانهم بالله وحده، وبقية القصة سبقت في سورة الأنبياء، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾، أي: فمتعناهم في حياتهم إلى انقضاء آجالهم.

ثم قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ فاسأل يا محمد كفار قريش بالتقريع والإنكار عليهم: ألربك يا محمد البنات ولهؤلاء المشركين البنون؟ وكانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله، ورد الله على زعمهم: هل خلقنا الملائكة إناثًا وهم شاهدون عليهم؟!

ورد الله بحرف التنبيه ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ ألا إن هؤلاء الكفار من كذبهم وبهتانهم على الله ليقولون إن الملائكة بنات الله، وإنهم في زعمهم لكاذبون.

ثم قال تعالى منكرًا زعمهم ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾، أي: هل اختار الله البنات وفضلها على البنين وذلك في زعمكم، سبحان الله عن اتخاذ الولد، بأيّ دليل تحكمون بهذا الحكم الباطل؟! ثم بكتهم: أفلا تتذكرون وتتدبرون بطلان كلامهم؟.

﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ استفهام للتعجيز: أم لكم أيها المشركون حجة واضحة لصحة زعمكم، فأتوا بكتابكم نراه إن كنتم صادقين فيما زعمتم.

﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ وهذا تبكيت بليغ على المشركين: وجعلوا بين الله وبين الجن صهرًا ونسبًا، حيث قالوا: تزوج الله من الجن زوجة جاءت الملائكة منها. سبحان الله عن ذلك، ولقد علمت الجن أنهم لمحضرون للحساب والكافرون منهم في العذاب، سبحان الله عما يصف هؤلاء المشركون، ولكن عباد الله المؤمنين المخلصين يصفونه بوحدانيته في ألوهيته وربوبيته.

ثم قال تعالى معاتبًا لهم: ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ فإنكم أيها المشركون أنتم والأصنام الذين تعبدونهم من دون عبادة الله ما أنتم ومعبودكم بمضلين أحدًا إلا من هو صال الجحيم وحكم الله عليه بالشقاوة.

ثم ذكر اعتراف الملائكة بالعبودية ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ وما منا نحن معشر الملائكة ملك إلاَّ له مقام ومرتبة معلومة، لا يتجاوز ملك عن مقامه ومرتبته، وإنا لنحن

الصافون ومنتظرون لأمر الله، وإنا لنحن المنزهون بالتسبيح والتهليل والتمجيد عما لا يليق به.

﴿ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ وإنهم كانوا ليقولون: لو أن عندنا ذكرًا من كتب الأولين لكنا عباد الله المخلصين في طاعته فرد الله عليهم ﴿ فَكَفَرُواْ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ فكفروا بالقرآن الكريم ولم يصدقوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وتكذيبهم في نار جهنم.

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ ولقد سبقت كلمة النصرة لعبادنا المرسلين إنهم المنصورون على الكفار بالحجة الواضحة، وإن عبادنا الغالبون على أعدائهم الكافرين بنصر الله لهم وغلبة المؤمنين على الكفار في الدنيا بالحجة الواضحة، وفي الآخرة يدخلون الجنة. والكفار في النار.

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ فأعرض عنهم يا محمد إلى أن تؤمر بقتالهم وأبصر لهم عاقبة كفرهم فسوف يبصرون، قالوا: متى ينزل العذاب علينا؟ قال تعالى: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ فإذا أنزل العذاب بفناء دارهم وهم نائمون أو منتبهون فساء صباح المنذَرين عن الكفر والشرك، فأعرض يا محمد إلى أن تؤمر بقتالهم وأبصر عليهم بالتذكير عاقبة كفرهم وشركهم فسوف يبصرون ويذوقون عقوبة كفرهم وشركهم.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ تنزه ربك يا محمد فهو رب العزة عما يصف المشركون بما لا يليق بجلاله ووحدانيته في ذاته وصفاته، وسلام من الله لعباده المرسلين لتبليغ أمره إلى أممهم، قولوا أيها المرسلون والمؤمنون: الحمد لله رب العالمين بما أعطانا من نعمة الإيمان به والاستسلام لأمره.

الحمد لله، تمّت سورة الصافات بعون الله.

* * *

سـورة ص
آياتها ثمان وثمانون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿صٓ﴾ تقدم الكلام على مثل هذه الأحرف في أول سورة البقرة، ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ أقسم الله بالقرآن الكريم ثم وصفه بذي الذكر، أي: فيه ذكر بيان العبادات والمعاملات وقصص الأولين وذكر الجنة والنار، بل الذين كفروا بربهم وبالقرآن الكريم في تكبر عن قبول الحق واختلاف في أمور دينهم ومعاملاتهم.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾ كم من قوم وأهل قرون ماضية كانوا أمنع من هؤلاء أهلكناهم بسبب كفرهم بربهم وتكذيبهم برسلهم، وحين نزل العذاب عليهم استغاثوا واستجاروا بأعلى صوتهم، فقيل لهم: لا خلاص. وقيل: فنادوا حين لا مناص، أي: تأخُّر وفرار عن العذاب، أي: ساعة لا منجىً ولا فوت من العذاب.

﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤﴾ بل عجب كفار مكة أن جاءهم محمد منذر من عقاب الله إن لم يؤمنوا بالله وحده ولم يصدقوا برسالته، ومحمد ﷺ منهم، وقالوا: إن محمدًا ساحر كذاب فيما يظهر لنا، لا نصدقه.

ثم قالوا منكرين ما يدعوهم إليه من توحيد الله الحق: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ أجعل محمد آلهتنا باطلة ويدعونا إلى إلـه واحد؟ إن هذه الدعوة لشيء عجيب. وقاموا من عند النبـي ﷺ مستنكرين لما يقول لهم.

قال تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ وذهب أشرافهم يقول بعضهم لبعض: امضوا معنا واثبتوا على عبادة آلهتكم، لا تطيعوا محمدًا، إن هذه الدعوة التي جاء بها محمد لشيء يراد بأهل الأرض، شيئًا ما سمعنا بمثله في الملة الآخرة، أرادوا بها ملة النصرانية واليهودية، ما هذه الدعوة إلَّا اختلقها محمد من عند نفسه.

ثم أنكروا إنزال الوحي على رسول الله فقالوا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ﴾ أأنزل على محمد القرآن من دوننا وهو فقير ولا شرف له بيننا؟ ورد الله عليهم بحرف الإضراب ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾﴾ بل هؤلاء المنكرون بإنزال القرآن على محمد في شك من القرآن الذي أنزل على محمد وهو كلامي، بل هم لم يذوقوا عذاب إنكارهم، ولو ذاقوا لآمنوا بالقرآن وعملوا بما فيه.

ثم رد الله على إنكارهم برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾ هل عند هؤلاء المشركين بربهم الحاسدين برسالة محمد عليه الصلاة والسلام خزائن رحمة ربك يا محمد، العزيز في أمره، الوهاب لمن يؤتي الرسالة، وهو تعالى عالم به. ورد ثانيًا بالتعجيز: أم

لهم ملك السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن من الخلائق؟ فليرتقوا إلى السماء في الأسباب التي يصلوا بها إلى السماء فيصرِّفوا ويدبروا شؤون أهل الأرض، ليس لهم شيء من ذلك، بل هم خلق من خلائق الأرض مقهورون مع الخلائق تحت أمر الله.

ثم وعد نبيه ﷺ بالنصر عليهم فقال: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ هم جندٌ، هؤلاء المعارضون لك يا محمد جند قليل من الأحزاب الذين هنالك، إشارة إلى بدر، والأحزاب الجند (مهزوم)، أي: منهزمون ومنقلبون، وفي هذه الآية وعد لرسول الله ووعيد لكفار مكة.

ثم ذكر سبحانه وتعالى هلاك أسلافهم في عذاب الله تقريعًا لهم.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ كذبت الرسل قبل كفار قريش مثل قوم نوح وقوم عاد وهم قوم هود وفرعون وقومه، وصفه: ذو الأوتاد، جمع وتد، وكان فرعون إذا أراد أن يعاقب أحدًا يشد رجليه ويديه على الأوتاد الأربعة ولهذا قيل له ذو الأوتاد، وثمود هم قوم صالح، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة هم قوم شعيب عليهم السلام، أولئك الأحزاب تحزبوا وعاندوا رسلهم وكذبوهم، ما كل هؤلاء إلَّا كذبوا رسلهم وكفروا بربهم فحق العقاب عليهم فأهلكهم الله ودمر ديارهم وأبقى آثارهم يراها من يمر بها فيعتبر بها.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾ وما ينتظر هؤلاء المشركون إلَّا صيحة واحدة، هي النفخة الأولى لموت أهل الأرض، وعامتهم يموتون فيها، لا يبقى شيء من ذي نسمة، ليس لها من ترداد.

والفواق: هو زمن بين حلبتين من البقرة أو الناقة، يعني: إذا جاء وقت النفخة لا يتأخر عن وقتها قدر هذا الفواق فليس لهم نظرة راحة وإفاقة.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ قال كفار مكة: يا ربنا عجل لنا ما وعدتنا نصيبنا من العذاب قبل يوم القيامة وكان قولهم سخريةً واستهزاءً، وقيل: عجل لنا نصيبنا من الجنة، كلاهما استهزاءً واستبعادًا، ولهذا قال تعالى: اصبر يا محمد على ما يقولون من التكذيب والاستهزاء.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ واذكر يا محمد عبدنا داود ذا الأيد، أي: صاحب القوة في طاعة الله، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا ويقوم نصف الليل لعبادة الله، إن داود كان رجاعًا إلى ربه بالتضرع والإنابة إليه، قال تعالى: إنا سخرنا له الجبال يسبحن معه بالمساء والصباح، وكان داود عليه السلام إذا سبح تسبح الجبال معه، وإذا قرأ الزبور تقف الطيور في الجو مستمعة لقراءته وتسبيحه، وكان داود عليه السلام قد أعطاه الله حسن الصوت والطير محشورة كل له أواب، أي: الطيور تجتمع إليه لاستماع قراءته وتسبيحه وكل من هؤلاء يسبح لله تعالى وينوب إلى الله.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ وقوينا ملكه بالقوة وكثرة الجنود، وكان داود عليه السلام رسولاً وملكًا وآتيناه الحكمة في كلامه وفصل الخطاب، يفهم كل من يسمع أو المعنى فصل الحكم بين خصمين بالعدل.

﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ ﴾ السؤال للتقرير، قد أتاك يا محمد خبر الخصم فاستمع: حيث تسوروا من أعلى الجدار ودخلوا الغرفة التي يعبد فيها داود عليه السلام ربه، فخاف منهم لأنهم دخلوا من غير الباب، قالوا: لا تخف نحن خصمان، (بغى)، أي: ظلم في الطلب بعضنا على بعض، فاحكم بيننا بالعدل ولا تجور في الحكم واهدنا، أي: أرشدنا إلى سواء الطريق بلا ظلم ولا زيغ فيها.

ثم ذكرا حاجتهما ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ ﴾، قوله: وعزّني، أي: غلبني في الخطاب. فقال داود عليه السلام مسرعًا: لقد ظلمك أخوك في طلب نعجتك أن يضمها إلى نعاجه. وقال للخصمين ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ وإن كثيرًا من الشركاء ليظلم بعضهم بعضًا إلاّ الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر ربهم وقليل هم، وزيادة (ما) لتأكيد القلة، وقيل: لما قضى داود بينهما صعدا إلى السماء فعرف داود عليه السلام أنهما من الملائكة وأيقن عليه السلام أن الله اختبره، ونبه عليه خطأه بتسرعه في الحكم فخر ساجدًا لله تعالى وتاب الله عن أخطائه، قال تعالى: فغفرنا له، وإن له عندنا لقربى في المنزلة وحسن مرجع في الجنة مع النبيين.

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ

فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ كان الحدث درسًا لداود عليه السلام، ثم كان الخطاب من الله تعالى له: يا داود إنا جعلناك خليفة لمن سبقك من الأنبياء بأن تبلغ أمري إلى قومك وتدعوهم إلى توحيدي في ذاتي وصفاتي وليعبدوا إليّ فاحكم بين الخصوم بالعدل، ولا تمل إلى الجور والظلم، ولا تتبع هوى نفسك في كل شأنك، إن اتبعت هواها فيضلك عن سبيل الذي شرع الله لك، إن الذين يزيغون عن شريعة الله ويختارون الضلالة لهم عذاب شديد بسبب تركهم أمر الله ونسيانهم يوم القيامة.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ قال تعالى: وما خلقنا السماء والأرض وما فيهما من الخلائق باطلاً، أي: عبثًا وهزلاً ما خلقناها إلاّ لحكمة اقتضتها مشيئتنا، (ذلك ظن الذين كفروا بربهم) إشارة إلى ما قال المنكرون للبعث والنشور والحساب، فإن عذابًا شديدًا سيكون على الذين كفروا من النار.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ ولما قال كفار قريش للمؤمنين: يعطي الله لنا كما يعطي لكم. رد الله عليهم: هل نجعل الذين آمنوا بربهم وصدقوا برسالة رسول الله إليهم وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر ربهم كالساعين بالإفساد في أهل الأرض؟ وهل نجعل الذين يخافون الله في مخالفة أمره ونهيه كالذين كفروا بربهم وفسقوا عن طاعة الله وفجروا؟!.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ هذا القرآن أنزلناه إليك يا محمد مبارك لمن آمن به وعمل بما فيه من الأوامر ليتدبروا معاني آياته وليتذكر ويتعظ أصحاب العقل السليم.

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ ورزقنا لداود سليمان ابنًا له إن سليمان كان مطيعًا لله شديد التوبة والإنابة.

﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ ﴾ حيث عرض على سليمان عليه السلام عصرًا الخيل الصافنات، أي: القائمة وقيل: صفة قيامها على ثلاثة أرجل وواحدة منها على طرف الحافر، (الجياد) في المسابقة واللعب حتى توارت الشمس بالحجاب، أي: حتى غابت الشمس في مغربها، فندم وحزن سليمان عليه السلام على فوت صلاة العصر ﴿ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ ردوا الخيول التي عرضت عليّ، فشرع يضرب بالسيف على ساق الخيل وأعناقها تقربًا لله تعالى. وقيل: كانت تلك الخيول ورثها من أبيه داود عليه السلام.

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ جاء في الحديث الصحيح أن سليمان عليه السلام قال: لأطوفن على مائة جارية الليلة تلد كل جارية ولدًا يكونون فرسانًا يجاهدون في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فما ولدن، إلاَّ جارية واحدة ولدت ولدًا مشلول اليد والرجل، فجاءت الجارية بابنها ووضعته في حجر سليمان عليه السلام، ونظر إليه فتذكر خطأه حيث لم يعلق كلامه بالمشيئة الإلـٰهية فأناب إلى الله واستغفر عن خطئه ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى ﴾ يا رب اغفر لي ذنوبي ﴿ وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾، أي: لا تعطي أحدًا غيري، إنك أنت الوهاب. فأجاب الله دعاءه.

قال تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ

وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾ فسخرنا لسليمان الريح إجابة لدعائه تسير بأمره ليِّنة بغير عصف حتى لا تضر أحدًا إلى حيث أمرها سليمان، وسخر له الشياطين، منهم بناء يبنون له قصورًا كما أمرهم سليمان عليه السلام، وغواصون يستخرجون له جواهر البحر وشياطين آخرين متمردين مقرنين في القيود مربوطين بالسلاسل.

قال تعالى: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ هذا المال الذي أعطيناك فأحسن لمن شئت وأمسك، لا حساب عليك وأنت مختار فيما وهبنا لك ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ وإن لسليمان عندنا لمكانة عالية وحسن مرجع إلى الجنة.

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ واسمع يا محمد ما نذكره لك عن عبدنا أيوب: ابتليناه بفقد ماله وأهله وبمرض في بدنه، وصبر لله تعالى، ولما اشتد الألم في بدنه تضرع إلى الله قال: إني أصابني من الشيطان تعب وألم وعذاب، إنما نسب الابتلاء والتعب إلى الشيطان تأدبًا مع الله تعالى، وقيل كان زمان مرضه ثمان عشر سنة، فأجاب الله دعاءه وقال: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ اضرب برجلك على الأرض فضرب رجله على الأرض فنبع الماء منها عينًا، قال له: هذا مغتسل تغتسل به يذهب المرض الذي في ظاهر بدنك، وشراب بارد تشربه يذهب المرض الذي في جوفك، ففعل كما أمر الله فذهب كل ما عليه من الأمراض فشفاه الله.

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ ووهبنا لأيوب الصحة في بدنه وأحيينا من مات من أهله ورزقناه مثلهم معهم وكثر

أولاده وزادت أمواله رحمة وتفضلاً منا وذلك لصبره ويقينه، إن الابتلاء من أمرنا وفيه تذكرة وعبرة لذوي العقول السليمة.

ثم قال أيوب عليه السلام: يا رب إني حلفت بك بأن أضرب زوجتي مائة ضربة لأجل تأخرها عن أمر أرسلتها فيه، قال تعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ وخذ بيدك حزمًا من حشيش الأرض فاضربها به ولا تحنث بيمينك ويكفي الضرب الواحد عن مائة ضربة، واختلفت أقوال العلماء: هل هذه خاصة لأيوب عليه السلام أم عامة؟ والله أعلم بما هو الصواب، أنها خاصة لأيوب عليه السلام رحمة لزوجته، وقال تعالى: إنا وجدناه صابرًا بما ابتليناه، نعم العبد في العبودية، إنه رجاع إلى ربه بالتضرع والإنابة مطيع.

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ واسمع يا محمد ذكر عبادنا: إبراهيم ألقاه الكفار في النار ولم يجزع وصبر، وإسحاق ابن إبراهيم ويعقوب ابن إسحاق وكلهم ذو قوة في طاعة ربهم. ولا يزيغون عن أمره، وذوو قوة وبصيرة في الدين والعلم وطاعة الله، ويعبدون الله على بصيرة وخشوع، إنا أخلصناهم بخصلة خالصة أنهم يذكرون الدار الآخرة ويتأهبون لها ويخافون عاقبة الأمور، وإنهم عندنا لمن الذين اصطفينا للرسالة والنبوة وهم من عبادنا الأخيار.

﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ واذكر يا محمد قصة إسماعيل واليسع وذا الكفل ــ تقدمت قصتهم في سورة الأنبياء والصافات ــ وكل هؤلاء من عبادنا الأخيار في طاعتنا.

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ﴾، أي: ذلك الذين ذكرنا لك يا محمد تذكير لك فاقتد بصبرهم وهديهم.

﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۝٤٩ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝٥١ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝٥٢ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٥٣ ﴾ إن للمتقين في طاعة ربهم لحسن مرجع، ثم بين: جنات عدن، أي: إقامة لهم، وأبوابها مفتحة لهم يدخلونها، وهم فيها متكئين على سرر محجلة يدعون في الجنة بأصناف فاكهة كثيرة وشراب، وعندهم حافظات العين لأزواجهن لا ينظرن لغير أزواجهن، (أتراب)، أي: سواء في السن والجمال والخلق، ذلك الذي ذكرنا لكم أيها المتقون توعدون به ليوم القيامة وتجدونها وتنعمون فيها، ثم يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤ ﴾ إن هذا لرزقنا لكم أيها المتقون، ما له من انقطاع أبدًا.

ثم ذكر ما لأصحاب الجحيم ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ ﴾ هذا إشارة إلى ما يذكر من الوعيد للكفار: وإن للطاغين على ربهم والمكذبين رسلهم لشر مرجع، ثم بين: جهنم يدخلونها يوم القيامة فبئس الفراش والمقر، ويقال لهم هذا: فليذوقوا، إنه عذاب حميم وغساق، وهو صديد أصحاب الجحيم ﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨ ﴾ وعذاب آخر من مثل الأول مضاعفًا عليهم.

﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ۝٥٩ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ۝٦٠ ﴾ يقول لهم الخزنة: هذا فوج، أي: جماعة، يدخلون معكم في النار فيقول المتبوعون: لا مرحبًا بهم، إنهم داخلون النار، قال الأتباع للمتبوعين: بل أنتم لا مرحبًا بكم، أنتم قدمتم الكفر والعصيان لنا فبئس المقر اليوم.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾ قال الأتباع: يا ربنا من قدم لنا الكفر والعصيان فزده عذابًا ضعفًا في نار جهنم.

﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾﴾ وقال الرؤساء للأتباع: ما لنا لا نرى رجالاً مثلنا كنا في الدنيا نعدهم من الأشرار؟! يقصدون فقراء المسلمين ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ قالوا: اتخذناهم سخريًا وهزؤًا وكنا نحقرهم، أم مالت عنهم أبصارنا فما نراهم في النار؟! قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ إن تلك المحاورة، وتخاصم أهل النار لحق ثابت.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ قل لهم يا محمد إنما أنا مخوفكم من عذاب الله إن لم تؤمنوا به وحده، وما من إلـه يعبد إلاَّ الله، هو المعبود الحق، هو الواحد في ذاته وصفاته، القهار فوق عباده، هو رب السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن من الخلائق، الغالب في أمره على خلقه، الغفار لمن تاب عن كفره وشركه وأناب إليه. وفي قوله: (القهار) تخويف وترهيب من الكفر والمعاصي، وفي قوله: (الغفار) ترغيب إلى الإيمان بالله وحده والتوبة الصادقة عن المعاصي.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ما أخبرتكم به من الوحي عما مضى وما سيأتي فيما بعد إلى يوم القيامة وعن أحوال أهل الجنة في الجنة وعن أحوال أهل النار في النار هو خبر عظيم، وأنا أقرأ عليكم وأنتم عن استماع قراءة القرآن معرضون ولا

تذعنون لقراءته ولا تنتفعون به. قل لهم يا محمد: ما كان لي من علم بشأن الملائكة حين قال ربنا إني جاعل في الأرض خليفة وقال الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء إلى آخر المحاورات، وقيل غير ذلك. ثم قال: إنه يوحى بالأخبار إليّ وأعلم ما أخبر إليّ ولكن إنما أنا نذير ظاهر من عقاب الله إن لم تؤمنوا بربكم وحده.

ثم شرع الله في ذكر خلقه آدم عليه السلام ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ حيث قال تبارك وتعالى للملائكة: إني أريد أن أخلق بشرًا من طين هو آدم أبو البشر فإذا أتممت خلقته ونفخت في تلك الصورة من روحي ـ وإضافة الروح لنفسه تشريفًا لآدم كبيت الله وناقة الله إنما الروح من أمر الرب سبحانه وتعالى ـ فقعوا له ساجدين سجدة التحية لا العبادة.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ وسجد الملائكة كلهم أجمعون لآدم خاضعين لأمر الله إلّا إبليس لم يسجد له تكبرًا عن السجدة لآدم وصار من الكافرين بعدم انقياده لأمر الله، فعاتب الله عليه.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ قال تعالى: يا إبليس أيّ شيء منعك من أن تسجد للذي خلقته بيديّ، أستكبرت وتعاظمت أم كنت من المتعالين المتكبرين المعجبين بأنفسهم؟!.

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ قال إبليس مبررًا رفضه: أنا خير من آدم خلقتني من نار وخلقته من تراب، فأخطأ اللعين في الجواب ولم يَدْرِ فَضْلَ التراب على النار؛ لأن النار غايتها إلى الرماد وهو

لا ينفع بشيء، والتراب ينبت منه الزروع والعشب والأشجار فينتفع الإنسان بها والبهائم والطيور. وفي لغة بني تميم يقال للتراب: الطين.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ فاخرج من الجنة ـ أو من خلقته، وكانت خلقته جميلة ولونه أبيض فغير الله خلقته على أقبح هيئة وصار لونه أسود ـ فإنك مطرود من رحمتي وإن عليك لعنتي متواصلة إلى يوم الحساب والجزاء.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾﴾ قال إبليس لما أيس من رحمة الله: فأمهلني في حياتي إلى يوم يبعث الخلائق من قبورهم أحياء، قال تعالى: إنك من المؤخّرين في حياتهم إلى يوم ينفخ في الصور: هي النفخة الأولى للفناء، ﴿كل من عليها فان﴾ وبها تنتهي الدنيا، وقوله: (الوقت المعلوم)، أي: في علم الله.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ قال اللعين: فبعزتك يا ربي لأغوينهم عن طريق الهداية إلى طريق الكفر والضلالة، إلاَّ من أخلصْتَهُ لعبادتك فلا أقدر عليهم، وهم بعصمتك من إغوائي ووسوستي.

﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ قال تعالى: فالحق، أي: القول الحق والحق الذي أقوله لأملأن جهنم منك يا إبليس ـ هو من الجن ـ وممن تبع إغوائك من الإنس أجمعين، واللام في لأملأن موطأة للقسم.

﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين المعاندين عليك ولدينك الحنيف: لا أسألكم أجرًا على تبليغ رسالة ربي إليكم، وما أنا من المتقولين بما أقول لكم، ما هو القرآن إلاَّ ذكر لعالم الإنس والجن، ولتعلمن يا كفار قريش خبر القرآن بعد الموت، وفي الجملة الأخيرة وعيد لكفار قريش.

الحمد لله، تمَّت سورة ص بعون الله.

* * *

سورة الزمر

آياتها خمس وسبعون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ هذا القرآن منزل بالوحي من الله العزيز في أمر خلقه الحكيم في تدبير أمرهم.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ إنا أنزلنا إليك يا محمد القرآن بالحق لا شك، فلا عبث فيه، فاعبد الله مخلصًا له الدين الحق ــ هو دين الإسلام ــ وغيره باطل، ومعنى فاعبد الله، أي: دم واستقم في عبادة الله.

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ قال تعالى بحرف التنبيه: ألا لله العبادات الخالصة عن الشرك والرياء والسمعة، له الدين الذي لا يشوبه شيء من الرياء والإشراك. ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ والمشركون الذين اتخذوا غير الله أولياء ليعبدوهم، ويقولون: ما نعبد هؤلاء الأصنام إلاَّ ليقربونا إلى الله بالمنزلة الأقرب. ورد الله عليهم: إن الله يحكم بين المؤمنين والمشركين فيما يختلفون على دينهم، والمؤمنين برحمة الله إلى الجنة والكافرون والمشركون بحكمة العدل إلى النار.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾ إن الله لا يهدي إلى الرشد والهداية إلى دين الإسلام من هو كاذب في دعواه أن أصنامهم تقربهم إلى الله.

﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤﴾ لو أراد الله أن يتخذ ولدًا، لاختار من مخلوقاته من يشاء. سبحانه فهو متنزه عن اتخاذ الولد ولا الشريك في ملكه، هو الواحد في ذاته وصفاته لا مثيل له، هو الله الواحد الموجود في كنه ذاته وصفاته، ليس له بداية ولا نهاية، هو القاهر فوق عباده.

ثم ذكر الدلائل على عظمة قدرته ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٥﴾ هو الله الذي خلق السموات السبع والأراضين السبع بالحق لا بالعبث، يدخل الليل على النهار صباحًا ويدخل النهار على الليل مساء، وسخر الشمس والقمر لمصالح العباد، كل منهما يسري إلى وقت مسمى لهما في غروبهما، ألا هو العزيز في أمر خلقه الغفار لذنوب عباده المؤمنين.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ۝٦﴾ خلقكم أيها الناس من نفس واحدة هي نفس آدم، ثم خلق من نفس آدم زوجته حواء، وأنزل لكم، أي: وأنشأ لكم من الأنعام ثمانية أزواج، وهن أربع أصناف، وكل صنف زوج: ذكرًا وأنثى، ثم عاد بالكلام إلى خلق الناس؛ يخلقهم في بطون أمهاتكم خلقًا

بعد خلق، في ظلمات ثلاث وهي الأطوار الثلاث داخل رحم الأم أولاً نزول النطفة في رحم الأم، وبعد أربعين يوم تصير علقة، وبعد أربعين يوم تصير مضغة، إما مخلقة أو غير مخلقة، ــ سبق تفسيرها في سورة المؤمنون ــ في ظلمات ثلاث، ذلكم الله خالقكم ومصوركم على أحسن تقويم له ملك كل شيء لا إلـه إلاَّ هو المعبود الحق فأنى تصرفون عبادته لغيره.

﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ ﴾ إن تكفروا أيها الناس بربكم فإن الله غني عن إيمانكم وأعمالكم الخيرية ووبال كفركم راجع عليكم، فإن الله لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، ولهذا حذرهم عن الكفر وأعماله، وإن تشكروا على نعمائه يرضه لكم، أي: يقبل شكركم ويثيب لكم ويزيدكم بعشر أمثاله، والله ذو تفضل على عباده الشاكرين. ثم ذكر عدله في الجزاء بين عباده: ولا تزر نفس آثمة وزر نفس أخرى، وكل يؤخذ بذنبه، لا يحمل ذنب غيره، وبعد الموت إلى ربكم مرجعكم لموقف الحساب، فيخبركم عما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا. ثم نبه العباد أنه تعالى عليم بما في صدوركم تخفونه عن غيركم. وفيه تحذير عن النية الفاسدة وكتمانها.

﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨ ﴾ وإذا أصاب الإنسان الكافر الضر في بدنه أو في ماله دعا ربه مستغيثًا به، ثم إذا كشف عنه الضر وأعطاه نعمة من فضله نسي ربه وتضرعه إليه ورجع إلى كفره وتمرد في طغيانه وجعل لله شركاء في عبادتهم لأصنامهم ليصدهم عن عبادة الله وطاعته. قل يا محمد لهذا

الكافر: تمتع بكفرك زمنًا قليلاً في حياتك إنك من أصحاب النار، ستدخلها وتخلد فيها، وقيل: نزلت في عتبة بن ربيعة وقيل في حذيفة المخزومي، وكل من شابه له بالكفر لربه والكفران بنعمة ربه فهو داخل في هذا الوعيد.

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ استفهام للتفريق بين فريقين، الفريق الثاني محذوف، وهو المشرك بالله ويعبد الأصنام، والمعنى: هل الذي يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا، هو مصلّ أوقات الليل ساجدًا وقائمًا يطيل القيام يحذر من عذاب الآخرة ويرجو رحمة ربه، كمن أشرك بالله وجعل له أندادًا ويتمرد في طغيانه؟! لا يستويان أبدًا.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ قل لهم يا محمد هل يستوي الذين يعلمون بما علمهم الله ويعملون به والذين لا يعلمون ويجهلون ذكر الله ويصرون على كفرهم وشركهم؟ إنما يتذكر بما بينا لهم ويتعظ وينتفع به أصحاب العقول السليمة عن الزيغ والفساد والمؤمنون حق الإيمان.

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ قل يا محمد تبليغًا مني لأصحابك: يا عبادي الذين آمنوا بوحدانيتي في ذاتي وصفاتي اتقوا ربكم، لا تخالفوا أمره، ثم وعد لهم: للذين أحسنوا، أي: أخلصوا أعمالهم لله تعالى في حياتهم الدنيا حسنة، أي: جنة، إنما يوفي الصابرون في طاعة الله أجرهم بغير حساب. وفي قوله تعالى ترغيب للصبر على طاعة الله، الصابرون لا يبالون غير الله راجين رضا الله.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: إني أمرت، أي: أمرني ربي أن أعبد الله وحده وأوحده في ذاته وصفاته، وإخلاص العبادات له، ولا أشرك به شيئًا؛ وأمرت بأن أكون أول المسلمين لأمره من هذه الأمة.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ قل لهم يا محمد: إني أخاف إن خالفت أمر ربي واتبعت هواكم عذاب يوم القيامة وشأنها عظيم.

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ قل لهم يا محمد: إني أخص العبادة لله وأجعلها خالصة له ولا ألتفت لغيره، فاعبدوا أيها المشركون أيّ شيء شئتم غير الله. الأمر للتهديد والوعيد.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ قل لهم يا محمد: إن الخاسرين، في جهنم، ثم بين: الذين خسروا أنفسهم بالشرك والكفر بربهم في حياتهم الدنيا هم وأتباعهم بالشرك والكفر يوم القيامة جميعهم في عذاب جهنم مخلدون. ثم قال تعالى بحرف التنبيه: ألا ذلك الخلود في عذاب جهنم هو الخسران الواضح.

ثم وصف الله عذابهم في جهنم ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ لهؤلاء المشركين وأشياعهم عذاب في جهنم، من فوقهم طباق كالظلل من النار، ومن تحتهم طباق من النار مثل الظلل، يعني يحيط بهم عذاب جهنم، ذلك الذكر يخوف الله به عباده المؤمنين تحذيرًا من أن يعبدوا غير الله، يا عبادي فاحذروا مخالفة أمري واستقيموا في طاعتي.

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾ والذين آمنوا بالله وحده وتركوا عبادة الأصنام واجتنبوا عبادتها وأنابوا إلى الله حق الإنابة لهم البشرى في الدنيا والآخرة، فبشِّرهم: أما التي في الدنيا فلهم حسن الثناء بصلاحهم والراحة عند الموت، وأما في الآخرة فالتسهيل عند السؤال في القبر وعند الحشر للحساب والجواز على الصراط حتى يدخلون الجنة سالمين، فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول من تلاوة القرآن وغيره من أحاديث الناس فيتبعون ذكر القرآن ومواعظه ويتبعون أحسن أحاديث الناس ويتركون ما يخالف كتاب الله وسنة رسول الله، أولئك الذين وفقهم الله إلى الهداية والاستقامة في دينه وأولئك هم ذوو العقول السليمة عن الزيغ والفساد.

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ ﴾ أفمن وجب عليه حكم الشقاوة أفأنت يا محمد تحرص أن تنقذه؟! من في الضلالة هو من أهل النار والاستفهامين للمنع عن حرصه عليه الصلاة والسلام على هداية قومه إلى الإيمان، فإن الهداية من الله، وما على الرسول إلاَّ البلاغ.

﴿ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾ ذكر الله المتقين السعداء بعد ذكر الأشقياء وهذه سنته في كتابه العزيز قال تعالى: لكن المؤمنون المتقون ربهم في حياتهم الدنيا لهم في الآخرة غرف في قصور عالية بعضها فوق بعض مبنية من الجواهر الحجرية كالياقوت والزبرجد، يجري ماء الأنهار من أمام قصورهم وخلال أشجارهم يتنزهون فيها، إن الله لا يخلف وعده؛ إذا وعد أنجز، لا خُلْفَ لوعده.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾ استفهام للتقرير والتنبيه، ألم تنظر أيها المخاطب لكمال قدرة الله، أن الله أنزل من السماء ماء فأدخله في الأرض فسلك الماء منها العيون فينبع الماء ويجري على وجه الأرض لينبت به الزرع مختلفًا أنواعه وألوانه، ثم يترعرع الزرع في البهجة والنزهة ثم ييبس فتراه مصفرًا تذهب بهجته، ثم يتكسر فيكون حطامًا. وضرب الله هذا المثل للدنيا الفانية، وفي هذا المثل تزهيد عن رغبة الدنيا، إن في ذلك المثل لذكرى لأصحاب العقول السليمة عن الشوائب.

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ أفمن شرح الله قلبه لدين الإسلام وهو مطمئن به فهو على نور وهداية من ربه كالقاسية قلوبهم عن ذكر الله حتى كفروا وأشركوا؟! (فويل)، أي: عذاب شديد للقاسية قلوبهم من قبول ذكر الله ولم يؤمنوا به، أولئك في ضلال واضح عن الهداية إلى الإيمان بالله ودين الإسلام.

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الله نزل أحسن الكلام وأبلغه في الفصاحة والبلاغة، ثم وصف وبيّن: كتابًا متشابهًا، أي: يشبه بعضه بعضًا في الحسن والحكمة فيصدق بعضه بعضًا في قصصه عن أخبار الأولين وأحكامه، فلا تناقض في كلامه وقصصه بالأدلة الشرعية والأدلة الدالة على كمال قدرة الله، مثاني، أي: تثنى تلاوته في الصلاة وغيرها، وإذا سمع تلاوته

المؤمنون به تضطرب وتقشعر جلودهم ووجلت قلوب المؤمنين خائفين من وعيد الله، وإذا سمعوا وعد الله تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله راجين من رحمة الله ذلك التوفيق إلى الإيمان بالله وحده، وبالقرآن الكريم هداية الله يهدي به من يشاء من عباده ومن يضلل الله عن طريق الهداية إلى طريق الضلالة فما له من هاد إلى طريق الهداية والرشاد بعده أبدًا.

﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ أفمن يتلقى النار بوجهه حيث يلقى فيها مقيدًا مكتوفًا فأول شيء يمسه فيه هو وجهه، وجواب الشرط محذوف، وتقدير الكلام: هل يستوي من آمن بالله وحده وأمِن من عذاب الله، مع من يعذب في جهنم؟! ويقال للكافرين بربهم: ذوقوا عذاب الهون بما كنتم تكسبون في حياتكم الدنيا.

﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ كذب الكافرون بربهم رسلهم قبل كفار قريش فأتاهم عذاب الله من حيث لا يشعرون، يعني وهم غافلون عن مجيء العذاب، فأذاقهم الله الخزي والذلة في حياتهم الدنيا عبرة وتذكيرًا لمن بعدهم، ولعذاب الآخرة أشد وأعظم لو كانوا يعلمون ويفهمون تذكيرنا ويتعظون به، بل غلبت عليهم شقاوتهم.

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ولقد ضربنا مثلاً للناس في هذا القرآن من كل الأمثال ليقرب إلى فهمهم لعلهم يتذكرون عاقبة أمرهم وينزجرون عن كفرهم وعصيانهم.

﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ وجعلنا القرآن قرآنًا عربيًّا، على لسانهم غير ذي عوج في نظم كلامه ومعانيه، لعلهم يفهمون ويخافون الله ويؤمنون به وينتهون عن شركهم.

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ ضرب الله مثلاً لرجل عبدٍ فيه شركاء سيئي الأخلاق يتنازعون فيه، وهذا مثل لعابدي الأصنام، ورجلاً مستسلم لأمر رجل هو سيده وهذا مثل للمؤمنين بالله وحده ويتعبدون له وحده، هل يستويان مثلاً بينهما، ؟؟ لا يستويان، قولوا أيها المؤمنون: الحمد لله لما بين الله لكم بضرب المثل، بل أكثر هؤلاء المشركون لا يعلمون ولا يفهمون بما بينا لهم لفرط غفلتهم وغرورهم في دنياهم. ثم قال تعالى: إنك يا محمد ستموت في تمام أجلك وإن هؤلاء المشركون المعاندون لك سيموتون، لا يبقى أحد في الدنيا الفانية، ثم إنكم جميعًا تبعثون من قبوركم أحياء يوم القيامة وتحشرون إلى موقف الحساب عند ربكم تختصمون، والله سبحانه وتعالى يفصل بينكم بحكم العدل.

﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ استفهام للإنكار بمعنى النفي، لا أحد أظلم لنفسه ممن افترى على الله كذبًا وزورًا بأن له شريكًا وولدًا، وكذب بالقرآن حين جاء به محمد عليه الصلاة والسلام. سبحان الله عما يقولون، ثم قال تعالى توعدًا: أليس في جهنم مثوى، أي: مقرًّا يخلد فيها الكافرون بربهم؟!.

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ عن علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه: محمد عليه الصلاة والسلام جاء بالرسالة وصدق أبو بكر الصديق رضي الله عنه وبعده المؤمنون الذين في عهده عليه الصلاة والسلام ومن بعدهم أولئك هم المؤمنون المتقون.

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ لهؤلاء المتقين لربهم ما يشاؤون عند ربهم من نعيم الجنة، ذلك الجزاء جزاء المحسنين في طاعة ربهم ﴿ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ ليكفر الله عنهم سيئاتهم بأعمالهم الحسنة ويجزيهم جزاء بأحسن وأفضل ما كانوا يعملون في حياتهم الدنيا.

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ استفهام للتقرير: أليس الله بكاف عبده محمدًا عن شر أعدائه؟ ويخوفونك يا محمد، أي: المشركون بأصنامهم من دون الله ويقولون: لتكفن عن سب أصنامنا وإلاَّ ليصيبنكم جنون وخبل منهم، فيرد الله عليهم: ومن يضلل الله عن طريق السعادة إلى طريق الشقاوة فما له من هاد إلى السعادة، هو لا يزال شقيًا حتى يموت.

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ ومن يهد الله إلى السعادة فما له من مضل إلى الشقاوة، يعني: لا يستطيع أحد يضله، إن الله قد تكفل حمايته، أليس الله بقادر على الانتقام من أعدائه وأعداء المؤمنين.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ

هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ ولئن سألت يا محمد من هؤلاء المشركين من خلق السموات والأرض وما فيهن من الخلائق؟! ليقولن: الله، ويقرون أن الله خالق كل شيء، قل لهم: أخبروني عن شأن أصنامكم التي تعبدونها من دون عبادة الله، إن أراد الله بي ضر، هل هن كاشفات ضره عني؟ أو أراد الله بي رحمة، هل هن ممسكات رحمته عني؟ فإن لم يجيبوا، قل لهم: حسبي الله من شركم، وعلى الله يتوكل المتوكلون، ومن غيره لا يبالون ولا يخافون.

﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ قل لهؤلاء المشركين: اعملوا على سننكم التي أنتم عليها من الشرك والمعاصي، إني عامل بما أمرني ربي، فقريبًا تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويذله. ــ وقد جاء عليهم عذاب الله في بدر، أخذهم الله وأذلهم ــ وبعد الموت يذوقون العذاب الدائم، هو عذاب جهنم.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ نحن أنزلنا عليك يا محمد القرآن بالوحي لتقرأه على كافة الناس، ويبين لهم بالصدق كما أمرتك، فمن اهتدى بهدي القرآن فثواب اهتدائه عائد لنفسه، ومن ضل عن طريق الحق ولم يقبل هدي القرآن فإنما ضرر ضلالته راجع على نفسه، وما أنت يا محمد عليهم بحفيظ، إنما الهداية من أمري، لا تكلف نفسك، وعليك إبلاغ أمري، وقيل: الآية حكمها منسوخة بآية القتال، والسورة مكية وآية القتال مدنية.

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الله سبحانه وتعالى يرسل قابض الأرواح إلى من تمت حياته يقبض روحه عند موته، والمراد من الأنفس روح بها حياة الإنسان وروح تفارق عند النوم ثم ترجع إليه والمراد من الثالثة نفس الإنسان، والتي لم تمت في منامها هي الروح التي تفارق عند النوم وتسمى هذه الروح السيارة، فيمسك التي قضى عليها الموت وهي روح الحياة، ويرسل الروح السيارة إلى وقت مسمى عند الله، وبهذه الروح يرى الناس آباءهم وإخوانهم وأصحابهم الميتين في الرؤيا المنامية، إن في ذلك لعلامات ظاهرات لقوم يتفكرون ويتأملون فيها تدل على كمال قدرة الله.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ استفهام للتوبيخ والتبكيت، أم اتخذ هؤلاء المشركون غير الله شفعاء قل لهم يا محمدًا ولو كانوا أصنامهم لا يملكون لأنفسهم شيئًا ولا هم يعقلون؟ لأنهم جمادات لا حياة ولا شعور لها.

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يرجون الشفاعة من أصنامهم: الشفاعة لله جميعها، له ملك السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن من الخلائق ولا يقدر أحد يشفع لأحد إلاَّ بإذنه، وإلى الله ترجعون بأعمالكم يوم القيامة ويحاسبكم ويجازيكم.

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ وإذا ذكر الله وحده في ذاته وصفاته

عند المشركين انقبضت وكرهت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ــ هم المشركون، الذين يعبدون الطاغوت ــ ، وإذا ذكر عندهم أصنامهم وأوثانهم إذا هم يستبشرون ويفرحون، وذلك يدل على جهلهم عاقبة الأمور.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ قل يا محمد: اللهم أنت مبدع الأرض على غير مثال سبق، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك بالحكم العدل فيما كانوا يختلفون في حياتهم الدنيا، فافصل بيني وبين هؤلاء المشركين المعاندين لي.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ ولو أن للمشركين جميع ما في الأرض ومثله معه ملكًا لافتدوا به من شدة العذاب الذي عليهم يوم القيامة ولا يقبل منهم، وظهر لهم من الله العذاب الذي هم فيه ولم يكونوا يظنون أنهم واقعون في العذاب الشديد.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ وظهر لهم سيئات ما اكتسبوا في حياتهم الدنيا، وأحاط بهم عذاب ما كانوا يستهزؤون به، من دين الإسلام والمسلمين ويكذبون رسول الله.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ فإذا أصاب الإنسان ضر في بدنه أو في ماله دعانا لكشف الضر عنه ثم إذا أعطينا له نعمة وفضلًا منا وحسنت أحواله قال كافرًا بنعمة الله: إنما أوتيت هذا المال على علم اكتسبته به هو علم التجارة أو الصناعة أو الزراعة، قال تعالى بحرف الإضراب: بل تلك الأموال فتنة وامتحان عليه، ولكن أكثر الناس

لا يعلمون حقيقة ما خولنا لهم من سعة المال والأولاد ويبطرون به ويفتخرون ويكفرون نعمة الله.

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾ قد قال تلك المقالة الكفار الذين من قبل كفار قريش إنما أوتيت على علم عندي، قد أخذناهم بالعذاب المستأصل ودمرناهم عن آخرهم فما أغنى عنهم أموالهم التي كانوا يكتسبون ويجمعون، فأصاب هؤلاء الطاغين السيئات التي اكتسبوها، والذين ظلموا أنفسهم بالشرك والكفر بنعمة الله سيصيبهم سيئات ما اكتسبوا من أعمال الشرك والمعاصي وما هم بفائتين عن عذابنا، وقد أخذهم الله في بدر وأمسك عنهم المطر وقحطوا حتى أكلوا الجيفة.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ استفهام للتقريع: أولم يعلم هؤلاء المشركون أن الله يبسط الرزق لمن يشاء امتحانًا، ويضيق الرزق لمن يشاء ابتلاء؟ إن في ذلك التوسيع للرزق وتقديره لآيات دالات على حكمة الله لقوم يوقنون أن الله حكيم في تدبير أمر خلقه هو عالم بأحوال خلقه.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ قل يا محمد وبلغ عبادي المؤمنين الذين أسرفوا، أي: ظلموا على أنفسهم بالمعاصي أن يتوبوا إلى الله، لا يقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعًا إلا الشرك، إنه الغفور لذنوب عباده المؤمنين، الرحيم بهم، لا يزال يرشدهم إلى سعادة الدنيا والآخرة.

﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ وأطيعوا أمر ربكم واستسلموا لأمره من قبل أن يأتيكم عذاب الله، إن أتاكم عذاب بمعاصيكم لا تنصرون من عذاب الله.

﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ وتمسكوا أيها المؤمنون بعزائم ما أنزل إليكم من الأوامر في القرآن على قدر استطاعتكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم غافلون عنه.

﴿ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ حتى لا تقول نفس عاصية حين تشاهد العذاب: يا حسرتي على ما تركت من أمر الله إني كنت في الدنيا لمن المستهزئين بدين الله.

﴿ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ أو تقول نفس عاصية: لو أن الله هداني إلى طاعته والأعمال الصالحات، وعملت بها لكنت من عباده المتقين.

﴿ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ أو تقول نفس فاجرة حين ترى العذاب، لو أن لي رجعة إلى الدنيا فأومن بالله وحده وأمتثل أوامره وأجتنب نواهيه فأكون من عباد الله المخلصين في عبادته.

فرد الله عليهم ﴿ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ الآية رد على أمنياتهم يوم القيامة، والمعنى: بلى قد جاءتك آياتي لهدايتك فكذبت بها وتكبرت عن قبولها وكنت من الجاحدين.

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ ويوم القيامة ترى يا محمد وجوه الذين افتروا على الله كذبًا أن له شريكًا وولدًا، تعالى الله عما يصفون، ووجوههم مسودة من شدة الكرب والهوان، أليس في جهنم مأوى ومقر للمتكبرين عن الإيمان بربهم؟! بلى يا ربنا، وهم أحق بها.

وبعد أن ذكر الله أحوال الأشقياء يوم القيامة ذكر أحوال المتقين فيها، وهذه سنة الله في كتابه العزيز: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ وينجي الله الذين اتقوا مخالفة أمر الله، وامتثلوا بأمر الله، بسبب أعمالهم الصالحة وطاعتهم حتى فازوا بالجنة لا يصيبهم فيها سوء ولا هم يحزنون، ومتنعمون فيها أبدًا.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ الله تبارك وتعالى موجد كل ما في الكون من المخلوقات وهو الحافظ لكل مخلوقاته هو مصرفها كيف يشاء، له مفاتيح خزائن السموات والأرض، هو يصرف الأرزاق والبركات لمن شاء ويمنعهما عمن شاء وذلك لحكمة منه جلّ وعلا، وهو عالم بأحوال خلقه.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ والذين جحدوا بآيات الله في كتابه العزيز، ولم يؤمنوا بها، واختاروا الكفر والشقاوة، أولئك هم الخاسرون يوم القيامة أشد الخسران.

ودعا المشركون رسول الله لعبادة أصنامهم وذلك من جهلهم وسفههم فأنزل الله: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ قل لهم يا محمد أفغير الله أعبد؟ أتأمروني بعبادة آلهتكم وأنتم جاهلون بمعرفة

ربكم؛ هو أوجدكم من العدم ورزقكم، أتعبدون غيره؟! الاستفهام للتبكيت والتجهيل.

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ ولقد أنزل إليك يا محمد هذا القرآن بالوحي، وكذا أنزل الكتب إلى الأنبياء الذين من قبلك لتعرفوا الله وتوحدوه في ذاته وصفاته، لئن عملت ــ فرضًا ــ من أعمال الشرك ليحبطن عملك الصالح ولتكونن في الآخرة من الخاسرين. وفي الآية تحذير للنبي ﷺ ويحذر أمته عن أعمال الشرك.

﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ لا تعبد ما أمرك المشركون بل الله اعبد واستقم في عبادته، وكن من عباد الله الشاكرين بما أنعم الله عليهم من النبوة والرسالة.

والمشركون عبدوا غير الله ولم يعرفوا خالقهم من العدم ورازقهم في حياتهم فأنزل الله ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ وما عرف اللّهَ هؤلاء المشركون حق معرفته حيث عبدوا غيره ونسوا خالقهم ورازقهم. ثم ذكر عظمته وكمال قدرته: والأرض جميعًا مقبوضة في قبضته والسموات السبع مطويات بيمينه يوم القيامة، فكيف يعبد المشركون غير خالقهم ورازقهم؟ ثم نزه نفسه: وتعالى الله عما يشركون.

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ وهي النفخة الأولى للموت، ينفخ إسرافيل عليه السلام في قرن بأمر الله فيموت من في السموات والأرض إلاَّ من شاء الله: هم حملة العرش وحور العين والولدان الذين لخدمة أهل

الجنة والزبانية، ثم ينفخ في الصور النفخة الثانية فإذا هم، أي: في الحال قائمون من قبورهم أحياء عراة حفاة غرلاً ينتظرون أمر الله، ماذا يؤمرون؟! وقيل بين النفختين أربعون سنة.

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ وأضاءت أرض المحشر بنور ربها حين تجلى عليها ووضع صحف أعمال الخلائق من لدن آدم عليه السلام إلى النفخة الأولى وأحضر النبيون والملائكة التي تشهد على أعمال الخلق، ويسأل الرب تبارك وتعالى عنهم ويشهد الأنبياء على أممهم وتشهد الملائكة كما شاهدن على أعمالهم، وقضى الله الحكم بينهم بالعدل وهم لا يظلمون في جزاء أعمالهم، ووفيت كل نفس جزاء بما عملت، وهو الله أعلم بما يفعلون في حياتهم الدنيا، وإنما أحضر الأنبياء والشهداء لإلزام الحجة عليهم.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ أي: يساق الذين كفروا بربهم وباليوم الآخر بعد فصل الحكم إلى جهنم زمرًا، أي: جماعة بعد جماعة حتى إذا جاؤوا إلى باب جهنم فتحت أبواب جهنم لهم وقال لهم خزنة جهنم مهددة لهم: ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم ويبينوا لكم وينذرون لقاء يومكم هذا؟ قالوا: بلى، قرأوا علينا وبينوا لنا ولم نعمل بها، ولكن وجبت كلمة العذاب على الكافرين.

﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ يقال لهم: ادخلوا أبواب جهنم، لكل طبقة باب، يدخل كل مجرم من باب

إلى مقرهم، يخلدون فيها على الأبد، لا خروج لهم منها أبدًا، فبئس المأوى والمقر للمتكبرين عن الإيمان بربهم وبرسلهم.

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ ويساق الذين اتقوا مخالفة أمر ربهم إلى الجنة زمرًا فوجًا بعد فوج، حتى إذا جاؤوا أبواب الجنة قد فتحت أبوابها تشريفًا لهم، وقال لهم خزنة الجنة: سلام عليكم، فتسلمون من كل سوء، طبتم وفرحتم بنعيم الجنة فادخلوا فيها مقيمين على الأبد.

ولما دخل أهل الجنة الجنة ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ ولما دخلوا الجنة واستقروا في مقامهم قالوا: الحمد لله الذي أنجز لنا وصدق وعده وأورثنا أرض الجنة نتصرف فيها حيث نشاء، فنعم ثواب العاملين في طاعة الله.

﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ وترى يا محمد الملائكة محيطين حول العرش إجلالاً لله تعالى يسبحون بحمد ربهم يقولون على الدوام سبحان الله والحمد لله، وقضى الله بين العباد بالعدل، ويقول المؤمنون: الحمد لله رب العالمين.

وجاء بالذكر (سيق) وقيل: بالماضي للمجهول، ومعناه: يساق، فكان إخبار الله محقق الوقوع.

الحمد لله، تمَّت سورة الزمر بعون الله.

* * *

سورة غافر

آياتها خمس وثمانون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ حم من الحروف المقطعة في أول السورة، هذا القرآن منزل من الله العزيز في أمره العليم في تدبير أمر خلقه.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ هو سبحانه وتعالى غافر ذنوب المؤمنين وقابل توبة التائبين، شديد العقاب لأعدائه الكافرين، ذي التفضل والإنعام على خلقه، لا إله يعبد إلاَّ هو المعبود الحق، إليه مرجع جميع الخلائق للحساب والجزاء.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤﴾ ما يخاصم بالباطل في أحكام آيات كتاب الله إلاَّ الذين جحدوا كتاب الله وأما البحث في طلب معانيه فلا يقال له جدالاً، فلا يغرنك يا محمد تصرفهم في تجارتهم ومزارعهم إنما ذلك إمهال واستدراج لهم.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾ يخبر

سبحانه وتعالى عن شأن الأمم المكذبين رسلهم، قال: كذبت أقوام رسلهم قبل كفار قريش ثم بين: قوم نوح، والأحزاب: جمع حزب، هم الأمم التي جاءت بعد قوم نوح عليه السلام، (وهمت) كل أمة برسولهم ليقتلوه، وخاصموا رسلهم بدعوى الباطل ليزيلوا به الحق فأخذتهم بالعذاب المستأصل عن آخرهم، انظر يا محمد فكيف كان عقابي عليهم. وفي الآية تسلية للنبي ﷺ.

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ مثل ذلك العقاب على الأمم المكذبة برسلهم وجبت ولزمت أحكام ربك على الذين كفروا من كفار قريش أنهم أصحاب النار سيدخلونها.

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ إن الملائكة الذين يحملون العرش والذين حول العرش يسبحون الله بحمده، أي: يقولون سبحان الله والحمد لله على الدوام لا يفترون أبدًا، ويوقنون أن الله إلـه واحد لا شريك له في ألوهيته وربوبيته، ويستغفرون للمؤمنين في الأرض، ويقولون: يا ربنا وسعت رحمتك كل شيء، وعلمك أحاط كل شيء، فاغفر للمؤمنين الذين تابوا عن ذنوبهم وتمسكوا بأوامرك واجتنبوا نواهيك واحفظهم من عذاب الجحيم.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾ يا ربنا: وأدخل عبادك المؤمنين جنات الإقامة التي وعدت لهم، والذين صلحوا من آبائهم

وزوجاتهم وذرياتهم بالإيمان بك والصلاح في طاعتك، اجمع بينهم ليتم سرورهم واستئناسهم في الجنة، إنك أنت العزيز في أمرك الحكيم في تدبير أمر خلقك، واحفظهم من الأعمال السيئات. والذين حفظتهم من الأعمال السيئات فقد رحمتهم يوم القيامة، وذلك الغفران والدخول في الجنة هو الفوز العظيم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ إن الذين كفروا بربهم في حياتهم الدنيا ويوم القيامة يناديهم الملائكة: لغضب الله أكبر من غضبكم على أنفسكم حين يدعوكم رسول الله إلى الإيمان بربكم فتجحدون وتكذبون الرسل، اليوم لا فائدة من استغاثتكم.

﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾ قال أهل النار يا ربنا، أمتنا مرتين وأحييتنا مرتين، والموتة الأولى خلقهم الله في بطون أمهاتهم وصورهم وهم ميتون وأحياهم بنفخ الروح فيهم وولدوا من بطون أمهاتهم أحياء أطفالاً صِغارًا، وعاشوا في الدنيا إلى أجل مسمى لهم ثم ماتوا عند تمام آجالهم، والحياة الثانية هي البعث من قبورهم أحياء وبهذا البيان تمت الموتتان والحياتان، وقالوا فاعترفنا بذنوبنا وتبنا إليك فهل إلى خروج من عذاب جهنم من سبيل لنصلح أعمالنا في طاعتك؟.

ورد الله عليهم ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ ذلك العذاب لكم والخلود فيه بسبب أن شأنكم كان إذا دُعيتم إلى الإيمان بالله وحده كفرتم به، وإذا دعيتم أن يشرك بالله تطيعوا، فالحكم اليوم لله العلي الكبير عن الشريك في ملكه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ هو الله الذي يريكم أيها الناس آياته من رعد وبرق من تلاطم السحاب، وينزل لكم ماء المطر من السحاب، وهو سبب أرزاقكم، ولا يتذكر ولا يتعظ بتلك الآيات إلاَّ من يطيع بأمر الله ويصدق بها.

﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ فاعبدوا الله أيها المؤمنون مخلصين له العبادة والطاعة ولو كره الكافرون لعبادتكم إياي، ولا تبالوهم، وأنا عاصمكم من شرهم.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ يمجد الله نفسه بما يليق به: رفيع المقام العالي مالك العرش ـ خص بالذكر العرش لأن العرش أعظم من جميع مخلوقاته، والعرش يحيط العالم العلوي والسفلي ـ ينزل الوحي من أمره على من يشاء من عباده لينذر الناس أهوال يوم القيامة، وفي ذلك اليوم يتلاقى جميع الخلائق أولهم وآخرهم، يحضرون موقف الحساب والحكم للجزاء، ويوم القيامة هم ظاهرون، جميع الخلائق، لا يقدر أحد أن يستتر ويختفي عن الموقف، لا يخفى على الله من أعمالهم شيء، ويقال لهم: لمن الملك اليوم؟ ولا يستطيع أحد أن يجيب من شدة الخوف، ويجيب الله تعالى: لله الواحد القهار على الكافرين به.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ يوم القيامة تحاسب كل نفس على أعمالها، وتجزى بما كسبت من خير أو شر، لا يظلم أحد بزيادة الجزاء ولا بالنقص من ثوابه،

إن الله سريع الحساب لا تعطله كثرة حساب الخلائق. وفي الخبر: «لا ينتصف النهار حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار».

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ وخوف يا محمد الناس بذكر زواجر القرآن من أهوال يوم القيامة، سميت يوم القيامة آزفة لقرب وقوعها؛ لأن قلوب أهل المحشر ترتفع إلى حناجرهم من شدة الخوف، (كاظمين)، أي: ممتلئين غمًّا وحسرة، ليس للظالمين من حميم ليحميهم من عذاب الله ولا شفيع يخلصهم من عذاب الله.

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ يعلم الله سبحانه وتعالى الأعين الخائنة وهي التي تنظر إلى ما لا يحل النظر إليه من المحرمات، وما يخفى في الصدور من خير أو شر.

﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ﴾ والله يحكم بالعدل بين العباد، والأصنام الذين يعبدهم المشركون من دون عبادة الله لا يقدرون على شيء لأنهم جمادات لا روح ولا شعور لهم فكيف يعبدونهم؟! إن الله هو السميع لأقوال العباد البصير بأحوالهم.

﴿ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ﴾ استفهام للتقرير: أولم يسافروا في تجارتهم إلى الشام واليمن فينظروا آثار الأقوام المكذبين رسلهم فيعتبروا بها كيف كان عاقبة المكذبين الذين كانوا من قبلهم، كانوا أشد منهم قوة في أبدانهم وأكثر أموالاً وبناء

وقصورًا في الأرض من كفار قريش فأخذهم الله بسبب كفرهم وعصيانهم بالعذاب المستأصل عن آخرهم وما كان لهم من ناصر ينصرهم من عذاب الله.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ ﴾ ذلك العذاب المدمر عليهم بسبب أنهم كانت تأتيهم رسلهم بالحجج الواضحات وبالمعجزات الظاهرات، فكذبوا رسلهم، وكفروا بربهم، فعاقبهم الله بالعذاب المستأصل عن آخرهم، إنه تعالى قوي في الانتقام من أعدائه شديد المعاقبة.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ ولقد أرسلنا موسى بالمعجزات التسع وحجة بيِّنةٍ إلى فرعون وهامان وقارون ـ هما من أتباع فرعون ـ وقالوا: هذا ساحر كذاب في دعواه لا نصدقه.

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ فلما جاء موسى عليه السلام بالنبوة إلى فرعون وملائه ودعاهم إلى الإيمان بالله وحده قالوا: اقتلوا أبناء الذين آمنوا مع موسى واتركوا نساءهم أحياء للخدمة، وقال المفسرون: ولما ولد موسى عليه السلام أمسك فرعون عن قتل أولاد بني إسرائيل، ولما بعث موسى عليه السلام بالرسالة أعاد قتل أولاد بني إسرائيل كي لا يكثر أتباع موسى عليه السلام. قال تعالى: وما تدبير الكافرين إلاَّ في ضياع وخسران.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ

أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ وقال فرعون لملائه: اتركوني أقتل موسى. وكان فرعون كلما أراد أن يقتل موسى عليه السلام يمنعه ملاؤه من قتله، ويقولون: إذا قتلته يقول الناس: إنك عجزت عن مقاومته ونخاف أن يدعو عليك فيجاب، فقال: وليناديِ ربه يخلصه مني، إني أخاف أن يغير دينكم وأن يظهر في أرض مصر الفساد، أي: الفتن والاختلاف بينكم.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ ولما سمع موسى عليه السلام أن فرعون هدَّد بقتله عليه السلام قال: إني أستجير بربي وربكم؛ لأن الله خالق كل الخلائق ورازقهم، وفرعون وأتباعه من جملة خلق الله، ثم بيَّن ممن يستجير: من كل متكبر عن الإيمان بربه ولا يؤمن بيوم الحساب والجزاء.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ وقال رجل ــ هو قبطي من أهل فرعون قد آمن بموسى عليه الصلاة والسلام خفية ويكتم إيمانه عن الناس خوفًا من فرعون ــ قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله! فما ذنبه تريدون قتله؟ وقد جاءكم بالمعجزات الظاهرات وشاهدتموها من ربكم ورب كل شيء، وإن يكن موسى كاذبًا فيما دعاكم إليه فعليه إثم كذبه، وإن يك صادقًا فيما دعاكم إليه وأبيتم الإيمان به يصبكم بعض الذي يعدكم من العقاب، إن الله لا يهدي من هو متجاوز عن حد العبودية، الكذاب في دعواه، وفي الجملة الأخيرة تعريض بفرعون أنه ادعى الربوبية.

﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ثم تابع هذا الرجل كلامه: يا قوم لكم الملك اليوم، وأنتم عالون على بني إسرائيل في أرض مصر فمن ينصرنا من عذاب الله إن حل علينا؟ وفي قوله تحذير من متابعة آراء فرعون، قال فرعون: ما أشير عليكم إلاَّ ما أرى أنه خيرًا لكم، وما أدلكم إلاَّ إلى طريق الرشاد والصلاح لكم.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ ﴾ وقال الذي آمن ويكتم إيمانه: يا قوم إني أخاف عليكم مثل عذاب قوم نوح وعاد وثمود والأمم الذين من بعدهم كقوم لوط وإبراهيم وشعيب عليهم السلام. تلك الأقوام أهلكهم الله بكفرهم بربهم وبكذبهم على رسلهم، وأنتم يا كفار قريش مثلهم إن لم تؤمنوا بربكم ولم تصدقوا برسالة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام. وما الله يريد أن يعذب قومًا بظلم إلاَّ بإجرامهم.

﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ ويا قوم إني أخاف عليكم أهوال يوم التنادي، أي: يوم ينادي بعضهم بعضًا، المجرمون ينادون يا ويلي ويا هلكًا ويستغيثون من عذاب جهنم. وفي ذلك اليوم يتولى المجرمون هاربين مرتدين، والملائكة تردهم بالضرب والإهانة إلى جهنم: ما لكم يا قوم من عذاب الله من مانع، ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه إلى طريق السعادة والنجاة.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ

مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ قال أكثر المفسرين: هو يوسف ابن يعقوب عليهما السلام، لبث في أهل مصر عشرين سنة. فيخاطب اللّٰهُ أهلَ مصر: ولقد جاء إلى أسلافكم يوسف عليه السلام بالحجج الواضحات من قبلكم وأنتم على أثرهم فما زلتم في شك مما جاءكم به ولم تصدقوا رسالته حتى مات يوسف عليه السلام قلتم لن يبعث الله من بعد يوسف رسولاً ــ وقولهم هذا كفر برسالة يوسف ومن بعده من الرسل ــ مثل ذلك الإضلال يضلل من هو مبالغ في الكذب ومشرك شاك في وحدانية الله.

﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ ثم بين من صفات المرتابين: الذين يجادلون في أحكام شريعة الله بغير حجة جاءتهم من عند الله، يريدون إبطالها، كبر جدالهم بعدًا ولعنةً عند الله وعند المؤمنين. مثل ذلك الطبع على قلوبهم يطبع الله على كل قلب متكبر على الإيمان بالله وحده ومكذب برسلهم، جبار على عباد الله حتى لا يهتدون إلى طريق الهداية ولا يقبلون التذكير والموعظة.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ ولما عجز فرعون عن إقامة الحجة على موسى عليه السلام قال لوزيره هامان: ابنِ لي قصرًا مشيدًا عاليًا لعلي أبلغ بها أسباب الطلوع إلى السماء فأنظر إلى إلـٰه موسى، وإني لأظن موسى كاذبًا في دعواه أن له إلـٰهًا غيري، قال تعالى: مثل ذلك التزيين زين الشيطان سوء عمله فرآه حسنًا ومُنع عن طريق الهداية. وما صنع فرعون لموسى عليه السلام إلاَّ في هلاك وخسران.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ وقال المؤمن من قوم فرعون: يا قوم اتبعوني أهدكم إلى طريق الرشاد والهداية؛ فيها نجاتكم من ظلمة الكفر والضلالة، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع زائل تتمتعون بها في حياتكم الدنيا وإن دار الآخرة هي دار القرار لا زوال لها، تمتعون بنعيمها إلى الأبد.

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ من عمل عملاً سيئًا فلا يجزى إلاَّ مثله بعدله جلّ وعلا، ومن عمل عملاً صالحًا للقبول عند الله وكان العامل ذكرًا أو أنثى وهو مؤمن بالله وحده ومصدق بوعده فأولئك يدخلون الجنة، يرزقون فيها بغير حساب بنعيم سرمدي.

﴿ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ ﴾ ويا قوم لماذا أنا أدعوكم إلى الطريق الموصلة إلى نجاتكم من النار وأنتم تدعونني إلى الطريق الموصلة إلى النار؟! تدعونني لأكفر بالله وأشرك به غيره في عبادته الذي ليس لي علم بربوبيته، بل لي علم أن معبودكم صنم تصنعونه بأيديكم. وأنا أدعوكم يا قوم إلى الإيمان بالله وعبادته، هو العزيز القاهر فوق عباده الغفور لمن تاب عن ذنوبه.

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ حقًّا، إن الذي تدعونني لأعبده من أصنامكم ليس له دعوة تنفع ولا استجابة لدعائه في الدنيا ولا في الآخرة لأنهم جمادات لا روح ولا شعور لها؛ وإن مرجعنا إلى الله جميعًا

فيحاسبنا ويجازينا على أعمالنا، وإن المتجاوزين عن حد العبودية بالكفر والشرك والمعاصي هم أصحاب النار سيخلدون فيها.

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ فستذكرون عندما يحل بكم العذاب ما قلته لكم وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بأعمال العباد.

﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾ فحفظه الله وحماه من سيئات ما مكروا لقتله ولحق بموسى عليه السلام، وثبت بفرعون وقومه سوء العذاب، وهو الغرق في ماء البحر. وسبقت القصة في سورة هود أتم من غيرها.

ثم يذكر سبحانه وتعالى عذاب الآخرة عليهم ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ قال المفسرون: فرعون وقومه يعرضون على نار جهنم صباحًا ومساءً ليزداد حزنهم ويقال لهم: هذا مقركم.

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ ويوم تقوم الساعة لفصل الحكم يقول الله للملائكة: أدخلوا فرعون وقومه في أشد العذاب في جهنم.

﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ وانظر إليهم إذ يتخاصمون في نار جهنم فيقول الضعفاء لرؤسائهم الذين تكبروا عن الإيمان بالله وبرسلهم إنا كنا في الدنيا لكم منقادون لأوامركم فهل أنتم دافعون عنا جزءًا من عذاب النار ليتخفف عنا ألم العذاب؟

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ ﴾ وقال الرؤساء: نحن وأنتم كلنا في نار جهنم إن الله قد حكم بين العباد. أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار لا فائدة في مراجعتنا.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ ﴾ ولما يئسوا من رؤسائهم راجعوا خزنة جهنم، قالوا: ادعوا ربكم يخفف عنا يومًا واحدًا من عذاب جهنم.

﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ وقالت الخزنة مهددة لهم: أولم تكن تأتيكم رسلكم بالحجج الواضحات؟ قالوا: بلى جاءتنا، وقالت الخزنة: فادعوا الله، لا إجابة لكم، وما دعاء الكافرين بربهم إلاَّ في ضياع وخسران.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ في الآية وعد من الله بأن ينصر رسله والمؤمنين على أعدائهم الكافرين، أي: نحن ننصر رسلنا والذين آمنوا بربهم وبرسلهم في حياتهم الدنيا وننصرهم يوم يقوم الأشهاد: جمع شاهد، والنبيون والملائكة يشهدون بالحق، وحينئذٍ لا ينفع الكافرين والمشركين أعذارهم، ولهم الطرد من رحمة الله ولهم سوء الدار في جهنم.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ ﴾ ولقد أعطينا موسى النبوة والتوراة فيها أحكام

شريعته والتذكرة والمواعظ وقصص الأولين ونعت محمد عليه السلام، وبعد وفاته أورثنا بني إسرائيل الكتاب يكون هاديًا وتذكرة من ظلمات الكفر والمعاصي إلى نور الإيمان بالله لأصحاب العقول السليمة من الزيغ والفساد.

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۝٥٥ ﴾ فاصبر يا محمد على أذى قومك إن وعد الله حق لا خلف فيه، سينصرك على المشركين الذين آذوك، واستغفر لما قصرت في الأوامر، وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار، أي: داوم على تسبيح ربك بالمساء والصباح لأنهما أفضل أوقات النهار. والأمر يسري على الأمة.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝٥٦ ﴾ إن الذين يجادلون في إبطال أحكام آيات الله بغير حجة جاءتهم من الله إنما مجادلتهم من تعنتهم وكفرهم بالله وبكتابه، ما في صدورهم إلَّا كبر وعناد لدين الإسلام، ما هم ببالغين مقاصدهم، فاستعذ بالله من شرهم إنه هو السميع لأقوالهم البصير بما يكيدون لك يا محمد.

﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧ ﴾ في الآية رد على المنكرين للبعث: قال تعالى: لخلق السموات والأرض أكبر وأعظم من خلق الناس، وإنهم يقرُّون أن الله خلق السموات والأرض، وينكرون البعث بعد الموت وإعادة الناس أحياء من قبورهم وهو أهون وأيسر على الله، ولكن أكثر الناس لا يعلمون عاقبة الأمور، ولا يتأملون فيها، ويجحدون كمال قدرة الله.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ وما يستوي أعمى البصر وبصير النظر، وهذا مثل ضربة الله للكافر والمؤمن والعالم والجاهل، كما لا يستوي الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر ربهم، ولا المسيئين لأمر ربهم. ولكنكم أيها الناس قليلاً ما تتذكرون مما ضربنا لكم من الأمثال.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ إن قيام الساعة لواقعة لا شك في وقوعها، ولكن أكثر الناس لا يصدقون، هم الذين ينكرون البعث بعد الموت.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ وفي الآية ترغيب للدعاء لأنها أفضل العبادة وأرغبها عند الله، وفي الحديث: «من لم يسأل الله يغضب عليه». وقال ربكم ادعوني واطلبوا مني أيها المؤمنون حاجاتكم فأجيبكم وأقض حاجاتكم، إن الذين يتكبرون عن السؤال استغناء عني سيدخلون جهنم صاغرين ذليلين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ الله سبحانه وتعالى جعل لكم أيها الناس الليل سكنًا لراحتكم لتسكنوا فيه بنوم طويل فيزول تعب اشتغالكم في النهار، وجعل النهار ذا ضوء بضياء الشمس تتصرفوا فيه لأعمالكم، إن الله لذو تفضل وإحسان على الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون نعماء الله، ويبطرون فيها ويغفلون عن طاعة الله ويجحدون على نعمة الله.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ذلك المنعم والمتفضل هو الله ربكم خالق كل شيء، هو المعبود الحق لا إلـه يعبد غيره وعبادة غيره شرك وكفر فكيف تنصرفون عن عبادته إلى أصنامكم بالكذب؟ فكما صرفتم عبادتكم عن الحق مع وجود الدليل عليه فكذلك يصرف الحق عن الذين كانوا بآيات الله يكذبون.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ ثم أراد إظهار شيء من دلائل قدرته الكاملة فقال: الله الذي جعل لكم الأرض قرارًا، أي: مستقرًا لتسكنوا فيها في حياتكم وبعد مماتكم تقبرون فيها، وجعل السماء بناء فوقكم، وصور خلقكم فأحسن صوركم، تمتازون عن سائر المخلوقات بالهيئة والتصرف في معاشك، وهو من أرزاق الطيبات، وهذا أمر مشاهد لا يحتاج للبيان، ذلك المنعم والمتفضل هو الله ربكم، لا رب ولا معبود سواه، فتبارك الله رب العالمين. سبق تفسير تبارك في سورة الفرقان.

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ هو الحي الدائم ليس له بداية ولا نهاية، لا إلـه يعبد إلَّا هو المعبود الحق فاعبدوا الله مخلصين العبادة له، وقولوا أيها المؤمنون: الحمد لله رب العالمين على تلك النعم.

﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ قل لهؤلاء المشركين: إني نهيت أن أعبد أصنامكم التي تعبدونها من دون عبادة الله، لما جاءني من الدلائل

الواضحات من ربي على بطلان عبادة غير الله، فكيف أعبد أصنامكم بعد وضوح الأدلة؟! لا أعبد غير الله أبدًا، وقد أمرت أن أستسلم لأمر رب العالمين.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾ هو الله الذي خلق أباكم آدم من تراب ثم خلق ذريته من نطفته في أرحام الأمهات ثم صارت النطفة علقة وهي ثلاث أطوار وبعد تمام الخلقة في بطن الأم ينفخ فيه الروح وبعد تمام مدة الحمل يُخرج الله من بطن الأم طفلاً صغيرًا لا شعور له، ثم أحياكم بتربية الأم والأب لتبلغوا إلى كمال القوة في أبدانكم وعقولكم، ثم أمد لكم من العمر لتكونوا شيوخًا في كبر السن والهرم.

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ومنكم من يتوفى أجله قبل بلوغ الهرم، وذلك لتبلغوا إلى أجل مسمى لكم، لا يتقدم ولا يتأخر أجل كل ذي نسمة عن وقت مسمى، ولعلكم تعقلون بما شاهدتم في أنفسكم من أعماركم التي عشتم فيها تتذكرون وتعتبرون وتوقنون أن الله قادر على كل شيء.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ هو الله القادر المقتدر على الإحياء والإماتة، يحيي ويميت، فإذا أراد إيجاد شيء فإنما يقول له كن كذا فيكون في الحال كما شاء الله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ ألم تنظر يا محمد

إلى الذين يجادلون في أحكام آيات كتاب الله لإبطالها كيف يصرفون الناس عن قبولها، هم الذين كذبوا بالقرآن وبالكتاب الذي أرسلنا به رسلنا، يعني: كذبوا بالقرآن وبالكتب التي أنزل الله على الرسل. ثم توعدهم: فسوف يعلمون، إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحرارة ثم يلقون في نار جهنم ويسجرون فيها.

﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ وبعد دخولهم في النار تقول الخزنة: أين الذي كنتم تعبدون من دون الله؟ قالوا: غابوا عنا، ثم أنكروا عبادتهم لأصنامهم: بل لم نكن نعبد من قبل هذا شيئًا. قال الخزنة: كما فعل بهؤلاء من الإضلال يفعل الله بكل كافر.

﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ ذلك العذاب لكم بسبب ما كنتم في الدنيا تبطرون وتعصون الله بغير الحق وبما كنتم تختالون على الناس تكبرًا وتعاظمًا.

﴿ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ ادخلوا من أبواب جهنم المقسومة لكم مقيمين فيها لا خروج لكم منها فبئس مقر المتكبرين عن الإيمان بربهم المصرين على كفرهم.

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ فاصبر يا محمد إن وعد الله حق لا خلف فيه، فإما نرينك بعض الذي وعدناهم ــ وقد حقق الله في بدر وعده فقتلوا سبعين وأسروا سبعين والباقون هربوا إلى مكة منهزمين ــ ، أو نتوفينك قبل نزول العذاب عليهم، فإلينا مرجعهم ونحاسبهم ونجازيهم جزاء كاملاً.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ ولقد بعثنا رسلاً كثيرًا إلى أممهم من قبلك يا محمد، منهم من أخبرنا قصتهم مع قومهم، ومنهم من لم نخبرك قصتهم مع قومهم، وما يصح ولا ينبغي لرسول أن يأتي بمعجزات إلاّ بإذن الله. وهذا رد على سؤال كفار قريش المعجزات من رسول الله، فإذا جاء الله بالعقاب عليهم قضى عليهم بالحق لا بالظلم، وخسر وهلك المبطلون في العذاب.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ الله الذي جعل لكم الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم جعلها لمصالح عباده: لتركبوا الإبل في أسفاركم، ومن لحوم الأنعام تأكلون، ولكم في الأنعام منافع من أصوافها وأوبارها وأشعارها ــ هو شعر المعز ــ ، وتشربون ألبانها، ولتبلغوا من بلدكم إلى بلد آخر للتجارة فتركبون عليها، أو لقضاء حاجة لكم تتأملونها في صدوركم، وتحملون عليها متاعكم، وعلى السفينة تحملون، ويريكم الله نعمائه ويذكركم إياها، فأيّ نعمائه تنكرون؟ ذكر الله امتنانه على عباده وهي صحة البدن والسعة والرزق وتسخير الأنعام والفلك من البحر وغيرها من المنافع.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ استفهام للتقريع: أفلم يسير هؤلاء المشركون المتمردون في أرض الطاغين

المكذبين لأنبيائهم فينظروا آثارهم كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبل كفار قريش؟ كانوا أكثر عددًا وأموالاً وأشد قوة في أبدانهم من كفار قريش وآثارًا وقصورًا ومصانع في بلدهم، فأخذهم الله بكفرهم وطغيانهم بالعذاب المدمر عن آخرهم، فما نفعهم ما كانوا يكسبون من القوة والمال والأبنية.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾ فلما جاءتهم رسلنا إليهم بالمعجزات الظاهرات والآيات الواضحات لم يصدقوها وكذبوا رسلهم، وبطروا بما عندهم من علم دنيوي ورضوا به، ونزل عليهم العذاب بسبب ما كانوا به من السخرية والتكذيب على رسلهم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾ فلما نزل العذاب عليهم وشاهدوه قالوا: آمنا بالله وحده ولا نشرك به شيئًا، وكفرنا بالأصنام التي كنا نعبدها وتركناها.

قال تعالى ردًّا عليهم: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ فلم يكن ينفع إيمان الكافرين حين شاهدوا العذاب. وسنة الله قد مضت في الأمم الطاغية في خلقه، وخسر عند نزول العذاب الكافرون بربهم.

الحمد لله، تمّت سورة غافر بعون الله.

* * *

سورة حم السجدة وسميت السورة فصلت

آياتها أربع وخمسون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ هذا القرآن منزل من الرحمٰن الرحيم إلى رسوله محمد عليه الصلاة والسلام بالوحي.

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ كتاب بينت أحكامه ومواعظه وقصصه لكونه قرآنًا عربيًّا على لسان قوم يعلمون معانيه.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾ مبشرًا لمن آمن به بالجنة، ومنذرًا من عذاب جهنم لمن كفر به. فأعرض أكثر قريش عن الإيمان به، وإذا قرأ عليهم فهم لا يستمعون إليه.

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ وقال المشركون: قلوبنا في أغطية، قلوبنا مغطاة، ما نفهم تذكيرك يا محمد مما تدعونا إليه، وفي آذاننا صمم لا نسمع تذكيرك، بيننا وبينك حجاب، أي: خلاف في الدين، لا نوافقك، فاعمل على طريقتك إننا عاملون على طريقتنا.

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ لأبلغ أمره إليكم أنما إلـٰهكم إلـه واحد لا شريك له في ملكه، وهو الواحد في ذاته وصفاته، فاستقيموا في طاعة الله واستغفروا عن شرككم وعصيانكم تنجوا من عذاب الله، وعذابه شديد للمشركين الذين لا يقرون وجوب الزكاة. أو المعنى: لا يزكون أنفسهم بالإيمان بربهم، اختلفت أقوال المفسرين، والله أعلم بما هو الصواب. وهم بالآخرة هم كافرون، زيادة الضمير (هم) للتأكيد.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ﴾ وبعد أن ذكر الله حال الكافرين ذكر حال المؤمنين، وهذه سنته في كتابه العزيز: إن الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله لهم ثواب في الجنة غير محسوب.

﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾ استفهام للإنكار والتوبيخ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: إنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين هما يومي الأحد والاثنين وتجعلون له شركاء في عبادتكم وأمثالاً؟! ذلك الخالق المبدع رب العالمين.

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ وخلق الله الجبال الرواسي في الأرض لتسكن بمن عليها، وبارك فيها أي بما خلق من الخيرات، وقدّر فيها أرزاق أهلها. في يومين:

الثلاثاء والأربعاء، تمامها في أربعة أيام سواء للسائلين، لا زيادة ولا نقصان.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ وبعد خلق الأرض عمد إلى خلق السماء وأراد تسويتها وهي دخان فسوّاها وصعَّد أمره إلى السماء. فقال الله للسماء والأرض ائتيا بما أمرتكما طائعين لأمري أو كارهتين أجبركما لطاعتي. قالتا: أتينا طائعين.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ ففرغ خلق السماء، سبع سموات طباقًا في يومين الخميس والجمعة، وأمر في كل سماء وما فيها من أهلها أمرهم من عباداتٍ ومراقبةٍ لشؤون أهل الأرض.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ وزينا السماء الدنيا بالكواكب المنيرة لأهل الأرض وجعلنا لها حفيظًا من استراق الشياطين أخبار الملأ الأعلى (ذلك) إشارة إلى ما سبق ذكره، (تقدير العزيز) في ملكه الغالب في أمره (العليم) في صنعه وتدبير أمر خلقه.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ فإن أعرضوا عن الإيمان بعد ذكر هذا البيان الذي يدل على كمال قدرة الله ووحدانيته في ملكه، فقل لهم يا محمد: أنذرتكم عذابًا مهلكًا فيه صوت مثل صاعقة الرعد مثل صاعقة عاد وثمود الذين أهلكهم الله بالصيحة.

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ حيث جاءت رسل الله إلى عاد وثمود ومن بعدهم، قالوا: بأن لا تعبدوا إلاّ الله ﴿قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ لو شاء ربنا إرسال

رسول لأنزل ملائكة من السماء فنحن لا نصدق رسالتكم ولا نتبعكم ونحن كافرون بما دعوتمونا إليه.

ثم ذكر سبحانه وتعالى تكبر عاد وثمود وطغيانهما، وهلاكهما في عذاب الله: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ وهم قوم هود عليه السلام، لما دعاهم إلى الإيمان بالله وحده أعرضوا عن الإيمان بالله وتكبروا عن الطاعة لرسول الله هود عليه السلام وقالوا: من أشد منا قوة فاغتروا بقوتهم في أبدانهم وقالوا نحن نقدر أن ندفع العذاب عنا.

فقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ أولم يعلم هؤلاء المجرمون الطاغون أن الله الذي خلقهم وخلق الكائنات هو أشد قوة وقدرة فيما أراد، وكان قوم عاد بمعجزات رسولنا يجحدون.

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ قال تعالى: فأرسلنا عليهم ريحًا صرصرًا، أي: ذات صوت قوي باردة في أيام نحسات، أي: مشؤومات استمرت عليهم سبعة أيام وثمانية ليال ماتوا فيها حيث كانوا كأنّهم أعجاز نخل خاوية، وذلك لنذيقهم عذاب الخزي والذلة في حياتهم الدنيا وليكون لمن بعدهم عبرة وتذكرة، ولعذاب الآخرة أخزى وأشد وأدوم وهم لا ينصرونه من عذابنا أبدًا.

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ وأما ثمود وهم قوم صالح عليه السلام، أرسلنا إليهم

صالحًا فدعاهم إلى الإيمان بالله وحده فلم يقبلوا دعوته واختاروا الضلالة والكفر، واستمروا على كفرهم وعصيانهم حتى قتلوا الناقة؛ وهموا بقتل نبيهم صالح عليه السلام، فأرسل الله عليهم صيحة قوية فأخذتهم صاعقة العذاب الهون والذل بسبب ما كانوا يكسبون من الكفر والعصيان.

﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ ونجينا صالحًا ومن آمن بالله وحده وصدق برسالة صالح عليه السلام من العذاب وكانوا يتحذرون عن مخالفة ما أمر الله به وما نهى عنه.

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ ويوم القيامة يُجْمَعُ أعداء الله الكافرون ويساقون إلى نار جهنم. ويحبس أولهم وآخرهم في موقف الحساب.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ قيل: ما مزيدة لتأكيد المجيء: حتى إذا جاؤوا باب جهنم، وهم أنكروا كفرهم ومعاصيهم، أمر الله سمعهم وأبصارهم وجلودهم أن يشهدوا بما كانوا يعملون في حياتهم الدنيا. وشهدوا بالأعمال التي عملوها.

﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ وقالوا لجلودهم وأبصارهم وأسماعهم: لماذا شهدتم علينا؟ فأجابوا: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء من الإنس والجن والحيوانات، وهو خلقكم من العدم للوجود أول مرة، هو قادر على بعثكم بعد الموت، وإنطاق الجمادات، وإلى الله ترجعون بأعمالكم وتحاسبون عليها.

﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ والأعمال التي تعملونها من القبائح وتسترونها عن الناس خوفًا من الفضيحة وغفلتم من أن تشهد عليكم أسماعكم وأبصاركم، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون من الفواحش والسيئات.

﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ وذلك الظن الفاسد ظننتموه بربكم أن الله لا يعلم شيئًا فأهلككم في عذاب جهنم فأصبحتم من الغابنين أنفسهم.

قال تعالى: ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ فإن يصبروا على عذاب جهنم فالنار مقامهم ومقرهم لا خلاص لهم منها، وإن يطلبوا الرضى من الله فما هم من المرضين، لا رحمة لهم ولا رضى.

﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ وقرّبنا لمشركي مكة قرناء السوء من شياطين الجن والإنس فزينوا لهم أعمالهم السيئة التي يعملونها في حياتهم وزينوا الكفر والإنكار للبعث بعد الموت وعذاب جهنم، ووجب عليهم حكم الشقاوة من جملة أمم قد مضت من قبل كفار قريش من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين في حياتهم وآخرتهم.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ وقال المشركون بعضهم لبعض: لا تسمعوا القراءة بالقرآن وإذا قرأ محمد القرآن

ٱلغوا، أي: أكثروا الكلام وارفعوا أصواتكم فيتخلط في قراءته لعلكم تغلبونه على قراءته، فتوعد الله على المستهزئين بالقرآن ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ فلنذيقن المشركين المستهزئين بالقرآن الذين كفروا بربهم عذابًا شديدًا في الدنيا ـ هو عذابهم في بدر ـ ولنجزينهم في الآخرة أسوأ الجزاء على أعمالهم التي كانوا يعملونها في حياتهم الدنيا.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ ذلك العذاب الشديد في نار جهنم جزاء أعداء الله ورسوله. لهم في جهنم دار الإقامة على الأبد جزاء كاملاً بسبب ما كانوا بآياتنا يجحدون حسدًا وعنادًا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ويقول الذين كفروا بربهم في حياتهم الدنيا وهم في عذاب جهنم: يا ربنا دعنا نرى اللذين سببا لنا الضلالة من الجن والإنس والمراد هنا: إبليس من الجن، وابن آدم الذي قتل أخاه من الإنس حيث أضلانا عن طريق الهداية إلى الضلالة حتى نجعلهما تحت أقدامنا ندوسهما ليكونا من الأسفلين في نار جهنم.

ثم ذكر سبحانه وتعالى عباده السعداء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ إن الذين آمنوا بالله حق الإيمان قالوا: ربنا، أي: خالقنا ورازقنا الله لا إله إلاّ هو المعبود الحق ثم استقاموا على ما قالوا وعملوا بما أمروا حتى الموت، تنزل عليهم ملائكة الرحمة عند احتضار

الموت وتقول لهم: أن لا تخافوا من شدائد الموت وعذاب القبر ولا تحزنوا عاقبة أموركم، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ستدخلون فيها.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ وتقول ملائكة الرحمة: نحن قرناءكم وأنصاركم في حياتكم الدنيا وفي الآخرة نستقبلكم عند الخروج من قبوركم حتى تدخلوا الجنة، ولكم في الجنة أيّ شيء تشتهي أنفسكم من نعيم الجنة ولكم في الجنة ما تتمنون من الحور العين أزواجًا، والقصور، لا يحصر نعيمها، تلك الجنة لكم منزلاً ومقامًا من متفضل غفور لذنوبكم رحيم بعباده المؤمنين.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ ولا أحد أحسن من حيث الكلام ممن دعا الناس إلى الإيمان بالله وطاعته واستقام على طاعة الله وقال متواضعًا لله والمؤمنين: إنني من جملة المسلمين، وقيل: حكم الآية عام في كل من دعا الناس إلى طاعة الله والتمسك بسنة رسول الله فهو من دعاة الجنة.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ ولا يستوي الخلق الحسن ولا الخلق السيء، ولا العمل الحسن ولا العمل السيء ولا يستوي ما أنت عليه من التوحيد وما المشركون عليه من الشرك، فإذا أساء لك أحد فكن عاملاً مع إساءته بالخلق الحسن، لا تقابل عليه بالإساءة، فإذا الذي بينك وبينه عداوة وكُرْهٌ يندم على إساءته لك، ويصير كأنه صاحب حميم. والخطاب لرسول الله، والأمر يسري على الأمة الإسلامية.

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ ولا ينال هذه الخصلة المحمودة إلاَّ الذين صبروا على أذى الناس وما ينالها إلاَّ ذو نصيب وافر في الآخرة.

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ وإن وسوس عليك الشيطان وأراد أن يصرفك عن الخير وحملك على الغضب فاستعذ بالله من شره إنه تعالى هو السميع لاستعاذتك العليم بمن عاداك وهو يجيرك منه.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ ومن علامات قدرته الليل والنهار ويتعاقبان والشمس تضيء النهار والقمر ينير الليل، كلها مخلوقة، لا تسجدو لها، والسجدة لها شرك بالله، واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم تخصون العبادة لله.

﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾، أي: لا يفترون ولا يملون عن عبادة ربهم.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ ومن علامات قدرة الله إنك ترى الأرض يابسة لا نبات فيها فإذا أنزلنا عليها ماء المطر تحركت وارتفعت وأنبتت الزروع والعشب إن الله الذي أحيا تلك الأرض الميتة من قحط الماء هو قادر على إحياء الموتى من قبورهم يوم البعث للحساب والجزاء. وفي الآية رد على منكر البعث.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ إن المشركين الذين يجادلون في آياتنا ويغيرون تأويلها على مقتضى مقاصدهم لا يخفى علينا إلحادهم في كتابنا، سنجازيهم جزاء إلحادهم. وذكر الوعيد لهم باستفهام تقريري: أفمن يلقى في نار جهنم خير أم الذي يأتي آمنًا مطمئنًا يوم القيامة. ثم أمرهم وخاطبهم بالتهديد اعملوا أيها الملحدون في إبطال آيات الله كيف شئتم إن الله بصير بما تعملون سيجازيكم جزاء وافيًا في نار جهنم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ إن الذين كذبوا وجحدوا بالقرآن لما جاءهم من عند الله سيجازون بكفرهم بالقرآن، إن القرآن لكتاب عزيز في إعجازه وغزارة معانيه، لا يأتيه باطل المبطلين ولا تحريفهم، في عهد نزوله وبعده إلى رفعه إلى السماء، منزل من الله الحكيم في صنعه وتدبير أمر خلقه المحمود في الأزل.

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ ما يقول لك يا محمد كفار قومك من التكذيب والاستهزاء إلاَّ الذي قد قيل للرسل من قبلك، فاصبر على أذاهم عليك، إن ربك يا محمد لذو مغفرة لعباده المؤمنين، وذو عقاب أليم لأعدائه وأعدائك. وفي الآية تسلية للنبـي صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ ولو نزلنا هذا القرآن بلغة العجم لقال كفار قريش هلا بينت آياته بالعربية نفهمه؟! وأنكروا: قالوا القرآن أعجمي والرسول عربـي وذلك من تعنتهم وجحودهم.

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: القرآن للذين آمنوا به هاديًا إلى سعادة الدنيا والآخرة وشفاء لما في صدورهم من الكدر والغي، والذين لا يؤمنون به في آذانهم ثقل وصم عن استماعه، والقرآن عليهم ظلمة وشك لا ينتفعون به أبدًا، أولئك الجاحدون كأنّهم ينادون من مكان بعيد حيث لا يسمعون النداء.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ ولقد آتينا لموسى التوراة فاختلف قومه فيه منهم من آمن به ومنهم من كذب وكفر، ولولا كلمة سبقت من ربك يا محمد بتأخير العذاب عنهم لقضي بينهم بحكم العدل إنهم لفي شك موقع في الريب.

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ من عمل عملاً صالحًا وهو مؤمن بالله فثواب عمله راجع لنفسه، ومن أساء في أمر الله ورسوله فجزاء إساءته على نفسه، وما ربك يا محمد بظلام للعبيد، هو عادل بعقاب المسيئين، وراحم لعباده المؤمنين لا يضيع ثواب أعمالهم الخيرية.

﴿ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ وإلى الله يرد علم قيام الساعة، لا يعلم وقت قيامها أحد من مخلوقاته إلاّ هو، أحاط علمه كل شيء، والثمرات التي تخرج من أغلافها فتزهو وتينع فتصلح للأكل، والذي تحمله الأم من ذكر أو أنثى ولا تضع حملها إلاّ بعلم الله في وقت مقدر لوضع حملها.

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ ﴾ ويوم القيامة ينادي الله المشركين: أين شركائي الذين كنتم في الدنيا تزعمون أنهم آلهتكم تعبدونهم دون عبادتي، وقال المشركون: أسمعناك وأعلمناك يا ربنا ما منا من شهيد يشهد أن لك شريكًا، اليوم تحقق الأمر، قال تعالى: وغاب عنهم الأصنام التي يعبدونها من قبل يوم القيامة، وأيقنوا ليس لهم من مهرب ولا ملجأ من عذاب الله.

﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ لا يمل ولا يفتر الإنسان من طلب الخير من الله، هو طلب الصحة في البدن ودوام العافية والمال والجاه، وإن أصابه مرض وفقر وذلك عند الناس فيؤوس من رحمة الله قانطين طمعهم من رحمة الله.

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ ولئن أعطينا الصحة والعافية والغنى تفضلاً منا من بعد ضراء أصابته بطرفيه ونسي فضل الله عليه ليقولن: هذا المال لي من عمل حصل لي، وجحد تفضل الله عليه، قال: ما أظن الساعة قائمة، ولئن رجعت إلى ربي إن لي عند ربي الجنة. وذكر بضمير المفرد باعتبار اللفظ هو الإنسان فيه معنى الجمع ولهذا قال تعالى في الوعيد بذكر ضمير الجمع.

﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ فلنعذبن الذين كفروا بربهم وجحدوا بنعماء الله بسبب ما عملوا من أعمال الكفر والعصيان ولنعذبنهم من عذاب شديد في جهنم.

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ﴾ وإذا أنعمنا على الإنسان ووسعنا رزقه وأعطيناه الصحة في بدنه بطر وأعرض عن شكر ربه وذهب على هوى نفسه وتكبر عن الانقياد لأوامر الله وطغى. وإذا أصابه المرض والفقر فذو دعاء طويل ويتضرع إلى الله. وهكذا طبيعة الإنسان الجحود بنعماء الله يتضرع في البلاء وينسى ربه في الرخاء.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله وعرفتم ثم جحدتم به؟ استفهام بمعنى النفي من أضل ممن هو في شقاق بعيد، أي: في خلاف بعيد عن طريق الهداية والسعادة؟! لا أحد أضل وأخطأ منكم.

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ سنريهم كمال قدرتنا في الآفاق وفي أنفسهم، وقال الشيخ محمد الصابوني والشيخ الجزائري في تفسيريهما: (الآفاق)، أي: أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم وسائر المخلوقات، (وفي أنفسهم) من السمع والبصر والتكلم والبطش بأيديهم والمشي بأرجلهم والأكل من مدخل واحد ويخرج من مخرجين.

ثم ذكر علة ذلك البيان: حتى يتبين لهم أن القرآن حق منزل من الله عز وجل إلى رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، ثم قال باستفهام تقريري: أولم يكف بربك يا محمد أن الله تعالى على كل شيء شهيد، لا يخفى عليه من تعنتهم وتكذيبهم لك.

ثم قال بحرف التنبيه والتكذيب عليهم ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ انتبهوا أيها المؤمنون واحذروا كيد المشركين إن المشركين في شك من لقاء ربهم، (إلَّا) للتقرير، إنه تعالى علمه بكل شيء محيط وهو يحاسب المحسن والمسيء كل يجازى على حسب عمله.

الحمد لله، تمَّت سورة السجدة بعون الله.

* * *

سـورة الشـورى

آياتها ثلاث وخمسون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ سبق تفسير مثل هذه الأحرف في أول سورة البقرة.

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾، هكذا يوحي ربُّك إليك يا محمد، وإلى الرسل من قبلك لتبلغوا أمره إلى أممكم، هو الله العزيز فوق عباده الحكيم في تدبير أمر خلقه. ثم مجد الله نفسه بأنه له جميع ما في السموات وما في الأرض خلقًا وملكًا وعبيدًا، هو المتصرف فيهم كيف يشاء، وهو المتعالي العظيم في عظمته وكبريائه.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ تكاد السموات السبع يتشققن من فوقهن إلى أسفلهن من شناعة قول المشركين: اتخذ الله ولدًا. سبحانه عما يقولون، والملائكة يسبحون بحمد ربهم على الدوام، ولا يفترون أبدًا، ويستغفرون الله لذنوب عباده المؤمنين في الأرض. قال تعالى بحرف التنبيه: ألا إن الله هو الغفور لذنوب عباده المؤمنين، الرحيم

بعباده المؤمنين، لا يعجل عليهم العقوبة بسبب ذنوبهم ليتوبوا فيغفر الله لهم.

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ ﴾ والمشركون الذين اتخذوا غير الله أولياء يتولوا أمرهم، أو المعنى: اتخذوا غير الله معبودًا، فالله رقيب على إشراكهم به، وهو يحاسبهم ويجازيهم، وما أنت يا محمد عليهم بحفيظ، وإنما عليك إبلاغ أمري إليهم.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ كما أوحينا إلى الرسل قبلك أوحينا إليك هذا القرآن قرآنًا عربيًّا لتنذر أهل أم القرى، ـ سميت مكة أم القرى لأنه دحيت الأرض منها ـ، وتنذر المشركين الذين في أطراف مكة وحولها، لأن الدعوة إلى توحيد الله أولاً تكون إليهم ثم الذين يلونهم حتى كافة الإنس والجن؛ لتنذرهم عقاب الله إن لم يؤمنوا به وحده، وتخوفهم أهوال يوم القيامة الذين لا شك في وقوعها، ويومها فريق يساقون إلى الجنة بالترحيب والتكريم حتى يدخلون الجنة، وفريق يساقون إلى نار الجحيم بالتهديد والضرب حتى يلجون فيها برغم أنوفهم.

﴿ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَالظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة على دين واحد، هو دين الإسلام، ولكن اقتضت مشيئته أن يدخل من يشاء في رحمته فوفقهم إلى الإيمان به والامتثال لأمره فيدخلهم في جنته. والظالمون أنفسهم بالكفر والمعاصي يدخلهم الله في عذاب الجحيم، ما لهم من وليّ يتولى أمرهم ولا نصير يخلصهم من عذاب الله.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾، بل اتخذ الناس من دون الله أصنامًا جعلوها أولياء لهم، فلا تحزن يا محمد؛ فالله وليّك ووليّ من اتبعك، لا ولي سواه؛ إذ هو يحيي ويميت، ويحيي عند البعث، وهو القادر على كل شيء وغيره مما تزعم الناس أنها آلهة لا يقدرون على شيء أبدًا.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ والذي اختلفتم فيه من أمور الدين أو الدنيا فحكمه راجع إلى حكْم الله في كتابه العزيز أو سنة رسوله ﷺ، فقولوا ذلك أيها المؤمنون للكافرين، ذلك الحَكَمُ بين المختلفين والموصوف بتلك الصفات هو ربي، عليه توكلت في أموري كلها، وإليه أطيع وأرجع فيما أمر به وما نهى عنه.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ هو الحاكم العادل بين خلقه: خالق ومبدع السموات السبع والأراضين السبع، وما فيهن من المخلوقات هو مبدعهن على غير مثال سبق، جعل لكم أيها الناس من ذواتكم زوجات لتستأنسوا بهن وتتناسلوا بالتوالد، وجعل لكم من الأنعام أزواجًا ذكرًا وأنثى ويتكاثروا بالتوالد. هو يخلقكم وينشئكم ويكثركم في أرحام الأمهات ــ قد سبق تفسيرها في سورة المؤمن على أتم وجه ــ ، ثم نفى عن ذاته وصفاته المُشَابَهَة لخلقه: ليس كمثله شيء من خلقه، هو المنفرد في ذاته وصفاته وهو السميع لأقوال خلقه البصير بأفعالهم لا يخفى عليه من أحوالهم شيء.

﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ له جلّ وعلا مفاتيح خزائن السموات والأرض: إنزال المطر، وتسيير النجوم والكواكب وإنبات الزروع والعشب وإنماء الأشجار المثمرة، وغيرها، يبسط الرزق لمن يشاء امتحانًا، ويضيقه على من يشاء ابتلاء إنه جل شأنه بكل شيء عليم لا يخطىء في صنعه.

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ شرع لكم أيها المؤمنون الدين الذي أمر به نوحًا؛ هو أول الرسل، والقرآن الذي أنزلنا إليك يا محمد بالوحي فيه الأوامر التشريعية لتأمر بها أمتك والأوامر التي أمرنا بها إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، ثم بين: بأن أقيموا دين الله بالعمل كما أمرتم ولا تتفرقوا في دين الله؛ لأن أصولهم واحدة هو توحيد الله في ذاته وصفاته ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ﴾ كبر وشق على مشركي الزمان في عهد كل نبي الأمر الذي تدعو الرسل أممهم إليه وهو توحيد الله في ذاته وصفاته وإقامة ما أمروا به وترك ما نهوا عنه وكبر عليهم أن يدعوهم هؤلاء الرسل ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ الله يصطفي ويختار لدينه من يشاء من عباده ويهدي إلى دينه من يطيع لأمره.

ثم يذكر سبحانه وتعالى الأمم السابقة المختلفة في دينهم ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ ﴾ وما تفرقت الأمم السابقة في دينها إلاّ من بعد ما جاءهم العلم من الله بإرسال الرسل إليهم، فكذبوا رسلهم، وكان ذلك التفرق في دينهم والتكذيب

برسلهم بغيًا وحسدًا بينهم، ولولا كلمة سبقت بتأخير العقاب عنهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم بالعذاب المستأصل عن آخرهم، وإن الذين أورثوا الكتاب من بعد ذهاب أسلافهم لفي شك من كتابهم موقع لهم في الريب، ومن ذلك الريب حرفوا نعت رسول الله وغيروا بعض أحكام الشريعة من التوراة والإنجيل وكفروا برسالة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾ فلذلك التفرق في دينهم فادعهم يا محمد إلى دين واحد هو دين الإسلام ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ واستقم يا محمد في تبليغ أمري إليهم كما أمرك ربك، ولا تتبع أهواءهم الباطلة، وقل لهم: آمنت بما أنزل الله من كتاب للرسل، لا أفرق بين كتب الله المنزلة ــ وهذا رد على قول أهل الكتاب: نؤمن ببعض ونكفر ببعض ــ ، وأمرت بأن أعدل بينكم في الحكم إذا أتيتم إليّ بالخصومة بينكم، الله ربنا وربكم، أي: خالقنا ورازقنا جميعًا، لنا جزاء أعمالنا، ولكم جزاء أعمالكم، (لا حجة)، أي: خصومة بيننا وبينكم، قد ظهر الحق كالشمس في رابعة النهار واضمحل الباطل، الله يجمع بيننا يوم الحساب ويفصل بيننا بحكمه العدل وإليه مرجع كل الخلائق للحساب والجزاء.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ قيل: هم اليهود؛ يخاصمون أصحاب رسول الله، يقولون: كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ارجعوا إلى ديننا. وتلك المجادلة بعدما استجاب لدين الله من استجاب، وحجة هؤلاء اليهود باطلة عند ربهم، وعليهم غضب من الله، والمؤمنين، ولهم عذاب شديد في نار جهنم.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الله الذي أنزل القرآن بالصدق والميزان يحكم بين الناس بالعدل، مثل وزن شيء في الميزان، وأيّ أمر يخبرك يا محمد عن وقوع الساعة للحساب والجزاء وما يُعلمك، فلعل قيام الساعة قريب؛ لا يعلم وقت قيامها أحد إلاّ الله.

وقال المشركون: متى تكون الساعة فأنزل الله ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ ﴾ يستعجل بوقوع قيام الساعة الذين لا يؤمنون بوقوعها، وكان استعجالهم استهزاء وسخريًا ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ ﴾ والمؤمنون الخائفون من أهوالها ويعلمون أن وقوعها الحق لا محالة. ثم رد الله على الذين يشكون في قيام الساعة ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ﴾ ألا إن الذين يخاصمون في قيام الساعة بغير علم لفي خطأ وضلالة بعيدة عن الحق.

﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾ الله بارّ بعباده يرزق من يشاء رزقًا واسعًا ويضيق الرزق على من يشاء لحكمة منه، وهو القوي القادر على كل شيء، العزيز في الانتقام من أعدائه الكافرين.

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ من كان يريد بعمله ثواب الآخرة ونعيمها نزد له في ثوابه مضاعفًا، ومن كان يريد بعمله ثواب الدنيا ونعيمها نؤته منها ما قدر له، وما له في الآخرة من نصيب، وهو محروم من ثواب الآخرة.

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ استفهام للإنكار: أم لهؤلاء المشركين شركاء من أصنامهم شرعوا لهم عبادة غير الله الذي لم يأذن الله بعبادته؟ ولولا كلمة الفصل في قدر الله بتأخير العقاب عنهم إلى يوم القيامة لقضى بين المؤمنين والكافرين، وإن الظالمين لأنفسهم بالكفر والعصيان لهم عذاب مؤلم أشد الألم، والمؤمنون في الجنة في أحسن وألذ نعيم.

﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ ﴾ ترى يا محمد الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي خائفين من أجل ما كسبوا من الكفر والمعاصي، والعذاب واقع عليهم لا محال.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾ والذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله لهم ما يرجون من الله من نعيم الجنة، وهم في الآخرة في روضات الجنان يتنعمون فيها أبدًا، تلك الكرامة من الله لهم في رياض الجنات، هي الفوز العظيم.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ ﴾ ذلك التفضل والإكرام الذي يخبر الله به عباده المؤمنين المتقين ليستبشروا ويزدادوا بشوقهم إلى لقاء ربهم.

﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعاندونك: لا أسأل منكم أجرَ تبليغ أَمْر ربـي إليكم، ولكن أسأل المودة في قرابتي فلا تؤذوهم.

﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ومن يكتسب من طاعة الله طاعة حسنة نزد له ثوابًا مضاعفًا في الجنة، إن الله غفور لذنوبهم شكور لأعمالهم يجازيهم أحس ما كانوا يعملون.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ ﴾ استفهام للإنكار: أيقول كفار قريش أن محمدًا افترى هذا القرآن، أم يقول هؤلاء المشركون: افترى محمد الكذب ثم نسبه إلى الله كذبًا؟ إن أراد الله فإنه يطبع على قلبك يا محمد فيُنسيك القرآن، ولكن الله يبطل الباطل ويثبت الحق بحججه الواضحات ويظهر دينه، إن الله عليم بما في صدور عباده من خير أو شر.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ وهو الله يتقبل توبة عباده المؤمنين إذا تابوا من معاصيهم وأنابوا إلى الله، ويعفو عن سيئاتهم تفضلاً منه، ويعلم الله ما تفعلون من خير أو شر. في الجملة تحذير المؤمنين من الأعمال السيئات أن لا يقتربوا منها.

﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ ويستجيب الله دعاء المؤمنين بربهم ويزيد لهم ثوابًا في الجنة من فضله وكرمه والكافرون بربهم لهم عذاب شديد في نار جهنم.

﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ ولو وسع الله الرزق لعباده فوق حاجتهم لبطروا وطغوا عن طاعة الله وأفسدوا في الأرض، ولكن الله ينزل بقدر حاجاتهم ما يشاء إنه تعالى بأحوال عباده خبير وبصير بما يعملون.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ وهو الله، ينزل ماء المطر، من بعد ما أيسوا من نزول المطر، ويوسع رحمته في الزروع والعشب وفي نسل أنعامهم؛ وهو سبحانه وتعالى الولي الذي يتولى أمور عباده والمحمود على ألسنة عباده.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ ومن آيات الله الدالات على كمال قدرته: خلق السموات السبع والأراضين السبع، وما خلق فيهن من دابة، في السموات الملائكة والشمس والقمر والنجوم، وفي الأرض الإنس والجن وسائر الحيوانات البرية والبحرية. وهو جلت قدرته قادر على جمع هذه المخلوقات في موقف الحساب والجزاء متى يشاء.

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ ﴾ وما أصابكم أيها المؤمنون من مصيبة، أي: من مرض في أبدانكم أو هلاك في أموالكم فبسبب ما كسبتم بأيديكم من ذنوب ويعفو عن كثير من خطاياكم، وما أنتم أيها المشركون بفائتين من موقف الحساب، وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير، وهو يحاسبكم ويجازيكم ويحكم علكيم جزاء كاملاً على شرككم وكفركم بربكم.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ ومن آياته الدالات على كمال قدرته السفن التي تجري في البحر كالجبال العظام، فذلك تسخير الله للملاحين والراكبين فيها، إن يشأ الله يسكن الريح فيظللن واقفات على ظهر الماء،

إن في ذلك التسيير والوقف لآيات دالات لكل صبار في طاعة الله شكور على نعماء الله.

﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ وإن يشاء يجعل الرياح عواصف فيوبق السفن أي يغرقهن وأهلهن بسبب ما اكتسبوا من الذنوب ويعف عن كثير من أهلها وينجيهم من الغرق برحمته. وإن الكفار يعلمون وهم المجادلون في آياتنا بالباطل، ما من مهرب ولا ناصر يمنعهم من عذابنا.

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ فما أوتيتم من شيء من زهرة الدنيا فهو متاع الحياة الدنيا فقط؛ هي فانية، وما فيها زائل، لا بقاء لها، والنعيم الذي عند الله خير وأفضل من نعيم الدنيا وأبقى لا انقطاع له، وتلك النعم للذين آمنوا بربهم وعلى ربهم يعتمدون في كل شأنهم.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ والمؤمنون هم الذين يجتنبون كبائر الإثم: كقتل نفس بغير حق ودم، والشرك بالله، وعقوق الوالدين، والزنى، والسرقة، وشرب الخمر، وغيرها من الأعمال القبيحة، وإذا أساء لهم أحدهم يعفوا عن المسيء، ولا يقابلون الإساءة بالانتقام عليهم.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ وقيل: نزلت في الأنصار، لما دعاهم رسول الله إلى الإيمان بالله فاستجابوا وآمنوا بالله وحده، وصلوا الصلاة المكتوبة والنوافل، وأَمْرُهم بالمشورة بينهم، ولا ينفرد أحد بالرأي من الآخرين ومما رزقهم الله من سعة المال ينفقون لذوي القرابة والمساكين.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ وسنة الأنصار أنهم إذا أصابهم ظلم المشركين إذًا هم ينتقمون ممن ظلمهم، لا يذلون أنفسهم للباغي.

ثم ذكر سبحانه وتعالى جزاء المسيء بالمثل:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ وجزاء المسيء لأخيه المسلم سيئة بالشتم وبالضرب فللمظلوم أن يقابله بمثلها لا يزيد عن المثل، ثم رغب بما هو أفضل من الانتقام، فمن عفا وأصلح بينه وبين مسيئه بالخلق الحسن فثواب إصلاحه على الله يثيبه في الجنة. ثم حذر عباده من الاعتداء على بعضهم: إنه تعالى لا يحب المعتدين بالظلم.

﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ ولمن انتصر بالانتقام بالمثل فيما بعد ممن ظلم عليه فأولئك ليس عليهم عقوبة ولا عتاب؛ لأنهم انتقموا بما أبيح لهم، إنما سبيل العقاب والعتاب على الذين يظلمون الناس ويبغون على الناس بغير الحق ويفسدون في الأرض، أولئك لهم عذاب مؤلم في عذاب جهنم. ثم رغب بالصبر دون الانتقام: ولمن صبر وعفى عن ظالميه، إن ذلك الصبر والعفو لمن الأعمال المشكورة عند الله وعاقبتها محمودة ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ﴾ ومن أضله الله فما له من وليّ يتولى هدايته من بعد الله عن الهداية، لا يزال هو ضال عن الحق.

﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾ وترى يا محمد الظالمين أنفسهم بالكفر والعصيان في حياتهم الدنيا لما رأوا

العذاب يوم القيامة يقولون: هل لنا من مرجع إلى الدنيا، ومن طريق لنؤمن بالله ونعمل عملاً صالحًا؟! فلا إجابة لطلبهم.

﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ وترى يا محمد الكفار يوم القيامة يعرضون على نار جهنم وهم ينظرون إليها خاضعين من الذل والهوان من طرف أعينهم خفية خائفين منها.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ وقال المؤمنون في الجنة: إن الخاسرين حقًّا في حياتهم الدنيا هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة في نار جهنم. ويقول المنادي ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ في عذاب جهنم دائم لا خلاص لهم منه.

﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ وما كان لهؤلاء الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي في حياتهم الدنيا غير الله من ناصر ينصرهم ويخلصهم من عذاب الله، ومن يضلل الله فما له من هاد إلى طريق الحق.

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ استجيبوا أيها الناس إذا دعاكم الداعي إلى الإيمان بربكم ـ والداعي هو محمد عليه الصلاة والسلام ـ، من قبل حصول يوم القيامة لا دافع للعذاب من الله، ما لكم من ملجأ تحصنون فيه أنفسكم يومئذٍ، وما لكم من نكير ينكر على ما أنتم فيه من العذاب.

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ ﴾ فإن أعرضوا عن دعوتك، ولم يقبلوها، لا تكلف نفسك، فما أرسلناك يا محمد على أعمالهم حفيظًا، ليس عليك إلاَّ إبلاغ أمري إليهم.

﴿ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ وإنا إذا أنعمنا على الإنسان نعمة من تفضلنا ورحمة لهم من الغنى والصحة والسلامة في حياتهم بطروا بها وعصوا ربهم، وإن تصبهم مصيبة من مرض وفقرٍ شؤم ما كسبت أيديهم من المعاصي والكفران لنعم الله، فإن الإنسان كثير الكفران لنعم الله. تراه سريع الاعتراض.

﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ ﴾ والمقصود من الآية إنه تعالى مالك السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن من الخلائق، كيف يشاء يفعل فيهم، ثم ذكر إيجاد الخلق: يخلق ما يشاء في أرحام الأمهات، ويهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور، يعني: يهب لمن يشاء أولادًا إناثًا لا ذكر فيهن ويهب لمن يشاء أولادًا ذكورًا لا أنثى فيهم، أو يزوج أولاده ذكرانًا وإناثًا ويجعل من يشاء عقيمًا، والعقم قد يكون في الرجال وقد يكون في النساء وذلك لحكمة منه جلت قدرته، إنه عليم قدير على إيجاد كل شيء وإفنائه.

﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ وما صح لبشر أن يكلمه الله إلاَّ وحيًا في المنام أو إلهام ــ وذلك خاص للأنبياء والأولياء ــ أو من وراء حجاب كما تكلم مع موسى عليه السلام أو يرسل ملكًا رسولاً فيوحي للرسل من الإنس بأمر الله ما يشاء الله إنه تعالى عليّ، أي: متعالٍ عن صفات المخلوقين حكيم في صنعه وفي تدبير أمر خلقه.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ كما أوحينا إلى الرسل الذين قبلك أوحينا إليك هذا القرآن من أمرنا، ـ سمي القرآن روحًا لمن آمن به وقرأه فيتعظ ويتذكر بمواعظه، وتحيا قلوبهم من موت الجهل وينتبهوا من الغفلة إلى الرشد والهداية ـ . إذ ما كنت يا محمد قبل إنزال القرآن إليك بالوحي تدري ما الكتاب ولا الإيمان، أي: شرائع الإيمان والإسلام؛ ولكن جعلنا هذا القرآن نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا، وإنك لتدعوا به إلى طريق مستقيم لا زيغ ولا عوج فيه، صراط الله الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن من المخلوقات، فانتبهوا أيها المؤمنون لأنه إلى الله ترجع أمور الخلائق، وهو تعالى يحاسبهم ويجازيهم على حسب أعمالهم.

الحمد لله، تمّت سورة الشورى بعون الله.

* * *

سـورة الزخـرف

آياتها تسع وثمانون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١﴾ سبق الكلام عن هذه الأحرف في أول سورة البقرة.

﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ أقسم الله بالقرآن الموضح أحكامه الشرعية للأمة الإسلامية، والمقسم عليه: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾ إنا أنزلناه وجعلنا كلماته قرآنًا عربيًّا على لغتكم بالعربية لعلكم تفهمون معانيه وتؤمنون به وتعملون بما فيه من الأوامر وتجتنبون ما فيه من النواهي.

﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ وإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ عندنا لا يأتيه الباطل ولا التغيير، وإنا له لحافظون وإنه لعليّ عزيز عندنا ذو حكمة في معانيه وفصاحته وبلاغته.

﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥﴾ قيل: أحسبتم أن نصفح عنكم العذاب ولما تفعلوا ما أمرتم به؟! وقال البعض: أفنترككم سدًى فلا نأمركم ولا ننهاكم؟! أو نمسك عنكم نزول القرآن من قبل أنكم لا تؤمنون به فلا ننزله عليكم، إذ كنتم قومًا مسرفين؟! بعد أن كنتم قومًا متجاوزين عن حد العبودية وصرتم قومًا طاغين في بغيكم؟!.

﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ ﴾ في الآيتين الأوليين تسلية للنبي ﷺ وفي الآية الثالثة إنذار لكفار مكة، والمعنى: وكثير من الرسل أرسلناهم إلى الأمم الأولين قبلك، وما يأتي هذه الأمم من رسول ليدعوهم إلى الإيمان بالله وحده إلاَّ كانوا به يستهزؤون، ويسخرون عليه، فأهلكنا الأقوام المكذبين برسلهم وهم أشد بطشًا وقوة من كفار قريش، وقد مرَّ عليهم مثل الأمم السابقة.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ﴾ ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين: من خلق السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن من الخلائق؟ ليقولن: خلقهن العزيز العليم، وفي جوابهم إقرار بكمال قدرة الله، ومع ذلك عبدوا غير الله، ونسبوا له ولدًا، وذلك من جهلهم وسفههم وشقاوتهم الأزلية. ومعنى العزيز العليم: القاهر فوق عباده، العليم في صنعه وتدبير شؤون خلقه.

قال تعالى واصفًا نفسه: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ ﴾ العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض ممهدة فراشًا وبساطًا، لتستقروا عليها وتعيشوا فيها في حياتكم الدنيا وجعل لكم فيها طرقًا لتسلكوا منها إلى حيث أردتم لعلكم تهتدون بها إلى مقاصدكم في أسفاركم فتستدلون بمقدوراته سبحانه على قدرته وتعرفون نعمته عليكم، وتشكرونه على هذه النعم.

﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١ ﴾ الله الذي نزل من السماء ماء على قدر حاجتكم ليس كماء الطوفان ولا قاصر عن الحاجة، ليكون معاشًا لكم ولأنعامكم، فأخرجنا

بالماء نباتًا وزروعًا من أرض ميتة يابسة بسبب قحط الماء. مثل ذلك الإنبات تخرجون من قبوركم أحياء للحساب والجزاء. وفي الآية رد وتنبيه على المنكرين للبعث بعد الموت.

﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ وهو الذي خلق الأزواج ذكرًا وأنثى بكل أصنافها، وجعل لكم من السفن والأنعام ما تركبون عليه، وتحملون أثقالكم في أسفاركم؛ لأجل أن تستووا عليه وترتاحوا من التعب، وبعد ذلك تذكروا نعمة ربكم وتشكروا الله إذا استويتم عليه وتحمدونه بقلوبكم وتقولوا بألسنتكم: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له بمقرنين، أي: بقادرين على الركوب عليه لولا تسخيره من الله عز وجل، وإنا إلى ربنا لراجعون بأعمالنا؛ هو يحاسبنا ويجازينا.

ثم عاد بالكلام إلى قوله ولئن سألتهم من خلق السموات الأرض فرد عليهم:

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۚ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ وجعل هؤلاء المشركون لله عدلاً، شريكًا من خلقه وقيل: بنات، وقيل: ولدًا لأن الولد يكون جزءًا من الأب، تعالى الله عما يصفون، إن الإنسان القائل بهذه المقالة لكفور وجحود بنعم الله.

وقال الله تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ استفهام للإنكار على قولهم إن الملائكة بنات الله: هل اتخذ الله مما يخلق بناتٍ وترك لكم البنين؟.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ وإذا أُخْبر أحدهم أن امرأته ولدت له بنتًا ـ كانوا يكرهونها ويجعلونها لله مثلاً أي جزءًا ـ فإذا بشِّر أحدهم بها يصير وجهه مسودًا متغيرًا من الحزن والغم، وهو ممتلىء غيظًا وحزنًا.

﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾ أو من يربى ويكبر في الزينة، هن البنات يربونهن في لباس الزينة حبًّا لهن، (وهو): المراد النساء لأنهن في الجدال غير مظهرين للحق، والمعنى: أيضاف إلى الله من هذا وصفه؟! فلا يجوز ذلك.

﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ وجعل هؤلاء المشركون الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، أشهدوا ذلك حين خَلَقَهُم الله؟! والملائكة خلقهم الله من نور، لا ذكور ولا إناث، إنما الذكر والأنثى في سائر مخلوقات الله في كل ذي نسمة، قال تعالى: ستكتب شهادتهم في ديوان الأعمال وهم يسألون عنها يوم القيامة. وهذا وعيد لهم.

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ وقال المشركون: لو شاء الرحمٰن ما عبدنا الأصنام. فرد الله عليهم: ما لهم بذلك الإدعاء في عبادتهم للأصنام علم حق تصح معه عبادتهم لأصنامهم. ليس هم إلاَّ يكذبون في دعواهم.

﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ وهذا رد آخر على دعواهم: أم أتينا وأعطينا وأنزلنا لهؤلاء المشركين كتابًا من قبل القرآن فهم به مستمسكون، ويعملون بما فيه؟!

وقال الله تعالى بحرف الإضراب ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ بل الذي قاله هؤلاء المشركون: إنا وجدنا أسلافنا على طريقة وإنا على طريقتهم عاملون.

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ وكما قال هؤلاء المشركون قال من قبلهم أيضًا، فإننا ما أرسلنا في قرية من نذير إلاَّ قال متنعموها بالملذات وسعة المال: إنا وجدنا أسلافنا على طريقة وإنا على طريقهم مقتدون.

﴿ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ قال نبيهم: أو لو جئتكم بدين هو أهدى وأرشد إلى الحق مما وجدتم عليه آباءكم؟! لكنهم لم يقبلوا دعوة الحق فقالوا: إنا بما أرسلتم به إلينا كافرون، لا نصدقكم.

قال تعالى: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ فعاقبناهم بما يستحقون من العذاب، فانظر يا محمد كيف كان حال المكذبين رسلهم، أخذناهم بالعذاب المستأصل عن آخرهم.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ واذكر حين قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه وقومه المشركين: إنني بريء مما تعبدون غير ربكم، ولكن أنا أعبد الذي خلقني من العدم فإنه سيهديني. قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ وجعل إبراهيم تلك الكلمة كلمة باقية فيمن بعده من ذريته وأتباعه في ملته لعل قومه يرجعون عن إشراكهم بالله.

قال تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ بل متعت هؤلاء المشركين في حياتهم بالنعيم، وآباءهم أيضًا، إلى أن جاءهم كتاب الله الحق، والرسول محمد عليه الصلاة والسلام يبين لهم أحكام التوحيد والعبادات والمعاملات والحلال والحرام ولكنهم لم يقبلوا.

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ ولما جاءهم القرآن بالحق من الله لم يؤمنوا به، قالوا: هذا سحر ظاهر ونحن به كافرون.

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ وقال مشركو مكة: هلا أنزل هذا القرآن على رجل عظيم من أهل مكة أو من أهل الطائف؟ كأنهم استصغروا النبـي عليه الصلاة والسلام.

وأنكر الله على زعمهم قال: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ أهؤلاء المشركون يخصون النبوة لمن يشاؤوا من عظمائهم؟! والنبوة رحمة ربك لا يعطيها إلاَّ لمن شاء من عباده، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في حياتهم الدنيا وجعلنا هذا غنيًّا وهذا فقيرًا لحكمة منا. ثم ذكر العلة في تلك الحكمة: ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًا، أي: ليتخذ الغني الفقير خادمًا للعمل والفقير يقضي حاجته بأجر الخدمة، وهكذا نظم الله حياة الإنسان بالتسخير. ورحمة ربك يا محمد خير لك مما يجمع هؤلاء المشركون من حطام الدنيا.

ثم ذكر سبحانه وتعالى حقارة الدنيا عنده ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ ﴾ ولولا كراهة أن يكون الناس

أمة واحدة على الكفر راغبين في الدنيا وزينتها، لجعلنا لمن يكفر بالرحمٰن لبيوتهم سقفًا من فضة وسلالم من فضة يصعدون ويظهرون على سقوف بيوتهم وجعلنا لبيوتهم أبوابًا من فضة وجعلنا لهم سررًا من فضة مزخرفًا من الجواهر النفيسة ويجلسون ويضطجعون عليها. وفي قوله هذا تزهيد للمؤمنين بالدنيا، وتحقير لها.

﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ ليس كل ذلك إلاَّ متاع الحياة الدنيا، يتمتع أهلها بها قبل موتهم ثم هي تفنى، لا بقاء لها، والآخرة التي هي الجنة عند ربك يا محمد لعباده المتقين في طاعة الله والممتثلين لأمره.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ ومن يتعامى ويعرض عن ذكر الله وتذكير الرحمٰن في كتابه العزيز بالإعراض عنه إلى أقاويل المضلين نقرن ونسبب له شيطانًا يوسوس له ويغويه فهو له ملازم على الدوام.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ وإن الشياطين ليمنعونهم عن سبيل الحق ويدلونهم إلى الضلالة ويزينون لهم طريق الضلالة، ويحسب أتباع الشياطين أنهم مهتدون في أعمالهم وعلى بصيرة.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ حتى إذا جاءنا الكافر لموقف الحساب والجزاء قال لقرينه من الشيطان: يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ــ وهذا من باب التغليب ــ ، أي: بعد المشرق والمغرب، فبئس القرين أنت، حملتني على الشقاء والضلالة بوسوستك

وإغوائك، وقال الله: ولن تنفعكم حسرتكم وندامتكم اليوم حيث ظلمتم أنفسكم بالكفر بربكم والمعاصي؛ إنكم جميعًا في العذاب مشتركون كما اشتركتم في حياتكم الدنيا في الكفر والمعاصي.

وكان عليه الصلاة والسلام حريصًا على إيمان قومه فأنزل الله: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾ لا تقدر أنت يا محمد أن تسمع صم السمع أو تهدي عمي البصر، وكذلك من كان في ضلالة بينة في علم الله، قد ختم الله عليه الشقاوة، ولا تكلِّف نفسك هدايتهم، وإنما عليك إبلاغ أمري إليهم.

قال تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فإما نخرجنّك من مكة فتهاجر بدينك ومَنْ اتبعك من أذى قريش، ـ وقيل: نميتك عند تمام أجل حياتك قبل أن نعذبهم فأكرم الله نبيه وذهب به فلم يره في أمته إلاَّ الذي تقرّ به عينه، وأبقى النقمة بعده ـ. فإنا منهم منتقمون لا محالة، أو نرينك يا محمد العذاب الذي وعدناهم فإنا على الانتقام منهم مقتدرون، وعلى القول الأول فقد أنجز الله وعده لهم يوم بدر فقتلوا سبعون من عظمائهم وأسروا سبعون وأخذ المسلمون أموالهم وأسلحتهم غنيمة لهم، وهي أول غنيمة وهبها الله للمسلمين.

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ فتمسك بأحكام القرآن الذي أنزلناه عليك يا محمد بالوحي، واعمل بما فيه، وبلغه لقومك، فإنك على طريق مستقيم، لا زيغ ولا عوج فيه، وإن القرآن إليك لشرف لك ولقومك لأنك منهم أرسلت إليهم ولكافة الإنس والجن، فسوف تسألون عن هذه النعمة العظيمة.

﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ورد عن ابن عباس في تفسيرها، أن هذا السؤال كان ليلة أسري به ﷺ وصلى بالأنبياء والمرسلين ثم سألهم إطاعة لأمر الله: واسأل يا محمد الذين أرسلناهم من رسلنا من قبلك: هل جعلنا آلهة لأممهم يعبدونها من دون عبادة الرحمن؟ أو هل أرسلناهم ليدعوا إلى إلـه غير الله؟ استفهام للإنكار. ونحن المؤمنون نقول: لا، ما أرسل الله من رسول إلاَّ يدعو أمته إلى توحيد الله في ربوبيته وألوهيته، وإلى عبادة الله وحده، وحذروا أممهم عن الكفر والشرك بالله.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ ولقد أرسلنا موسى بمعجزات ظاهرات تدل على صدق رسالته وهي الآيات التسع ـ سبق ذكرها وتفسيرها في سورة الأعراف ـ وأرسلناه بسلطان مبين، أي: حجة ظاهرة، وهي العصا واليد البيضاء، إلى فرعون وملائه: هم أشراف قوم فرعون. فقال موسى عليه السلام: إني رسول رب العالمين إليكم لأدعوكم إلى الإيمان به وحده ولا تشركوا به شيئًا.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ فلما جاء موسى بالآيات التي طلبوها إذا هم منها يضحكون استهزاء وسخريًا.

قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ وما أريناهم آية من آياتنا التي مع موسى إلاَّ وهي أكبر من أختها، أي: إلاَّ وهي أعظم وأوضح من الأولى ومع ذلك أصرُّوا على كفرهم فأخذناهم بأنواع العذاب في الدنيا، فأخذهم الله بالقحط ونقص من الثمرات وغيره، لعلهم يرجعون عن إشراكهم بالله وتكذيبهم لرسالة موسى عليه السلام.

﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ ولما شاهدوا العذاب قالوا: يا أيها العالم بعلم السحر، ــ وكانوا يفضلون الساحر ــ : أُدعو ربك لنا بما عهد عندك من إجابة دعوتك، إذا كشف عنا العذاب إننا لمهتدون لدعوتك، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ فلما كشف الله عنهم العذاب إذا هم ينقضون العهد الذي جعلوه على أنفسهم، فاستمروا على كفرهم وإشراكهم بالله وتكذيبهم برسالة موسى عليه السلام وبمعجزاته.

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ ونادى فرعون في اجتماعِ قَوْمَه معجبًا بنفسه ومعظمًا لها: أليس لي ملك مصر، وهذه الأنهار تجري أمام قصري، أفلا تبصرون عظمتي وسعة ملكي وقوتي؟ ثم قال: ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾ بل أنا خير من هذا الذي هو مهين عندنا، لا عزة له ولا شرف ولا يكاد يفصح كلامه ولا يستطيع أن يوضح مقصوده.

ثم قال: ﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ قيل: عادة فرعون إذا أعطى لأحد وظيفة: سوّر على يديه سوارين من ذهب وطوقه من ذهب علامة لرئاسته، ولهذا قال: فهلا ألقي على موسى أسورة من ذهب تدل على صدق رسالته من ربه إلينا، أو جاء الملائكة معه تبين كلامه وتساعده؟ قال تعالى: فاستخف، أي: استنزل قومه واستجهلهم وتآمر عليهم فأطاعوا له في تكذيب موسى عليه السلام، إن قوم فرعون أصبحوا قومًا خارجين عن طاعة الله وطاعة موسى عليه السلام.

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ قال تعالى: فلما بالغ فرعون وقومه بالتمرد والطغيان أغضبونا فانتقمنا مهم فأغرقناهم في بالبحر أجمعين ــ لم يبق أحد منهم ــ فجعلنا إهلاكهم ذكرًا وجعلناهم سلفًا ومثلاً متقدمًا وماضيًا لمن بعدهم إلى يوم منتهى الدنيا؛ ليتعظوا ويعتبروا بقصتهم.

﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ قال المفسرون: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ قال ابن الزبعري: أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم، يعني: الأمم الضالة. قال ابن الزبعري: قد خصمتك ورب الكعبة، أليست النصارى يعبدون المسيح واليهود يعبدون عزيرًا وبنو مليح يعبدون الملائكة، فإن كان هؤلاء في النار قد رضينا أن نكون. فسكت النبي ﷺ انتظارًا للوحي، فظن هؤلاء المشركون أنهم ألزموا النبي ﷺ الحجة، فضحكوا وارتفعت أصواتهم فرحًا. فأنزل الله ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ إلى آخر قوله تعالى: ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ فتبين أن المؤمنين مبعدون من نار جهنم. ومعنى قوله تعالى: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك يصدون﴾، أي: ولما جعل ابن الزبعري ابن مريم مثلاً ومشابهًا في ألوهيتنا إذا قوم من قومك من قول ابن الزبعري يضحكون ويرفعون أصواتهم فرحًا ويضجون كضجيج الإبل ويعرضون عن دعوتك.

﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ ﴾ يعنون عيسى عليه السلام، أي: فإن كان عيسى في النار فلتكن آلهتنا معه، قال تعالى: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ

هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ما قالوا لك يا محمد هذا المثل إلاَّ لأجل جدالك، قال تعالى: بل هم قوم شديدو الخصومة والجدل بالباطل.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ ما عيسى إلاَّ عبد كسائر العباد، أنعمنا عليه بالنبوة وشرفناه بالرسالة وجعلناه آية دالة على كمال قدرتنا حيث خلقناه من غير أب، وليس هو ابن إلـه كما يزعم النصارى أنه ابن الله فهذا ضلال مبين.

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾ ولو نشاء لأذهبناكم بالهلاك ولأنشأنا بدلاً منكم ملائكة يكونون خلفًا عنكم في أرض مكة، يخلفونكم ويعبدون ربهم.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ وإن نزول عيسى عليه السلام لعلم، أي: علامة لقرب قيام الساعة فلا تشكوا بها أيها المؤمنون، قل لهم يا محمد واتبعوني فيما دعوتكم، هذا الطريق الذي أنا فيه وأدعوه إليكم هو صراط مستقيم إلى رضوان الله.

ثم حذر الله المؤمنين من إغواء الشيطان لأنه لكم عدو مبين: ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾ ولا يصرفنكم الشيطان عن دين الحق إلى الكفر والمعاصي، احذروا من تزينه ووسوسته إنه لكم عدو ظاهر العداوة.

﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ﴾ ولما جاء عيسى عليه السلام لبني إسرائيل بالرسالة قال: قد جئتكم بالكتاب الذي فيه حكمة الإلـه الشرعية في العبادات والمعاملات ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور الدين والمعاملات ﴿ فَٱتَّقُوا

ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ فاحذروا عقاب الله ولا تخالفوا أمره، وأطيعوني فيما أرشدتكم؛ لأن فيه صلاحكم ونجاتكم. إن الله ربي وربكم لا رب سواه، فأخلصوا العبادة له. هذا الذي دعوتكم إليه هو صراط مستقيم إلى رضوان ربكم.

قال تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ فاختلفت الفرق من النصارى في شأن عيسى عليه السلام فيما بينهم، ومنهم من قال: إن عيسى ابن الله، ومنهم من قال: إن عيسى ثالث ثلاثة، ومنهم من قال: إن عيسى عبد الله وهم المؤمنون حقًّا وهم أتباعه، قال تعالى: فويل، أي: عذاب شديد للذين ظلموا أنفسهم فكفروا وأشركوا بتثليث الإلـه، ونسبهم الابن لله فهم في عذاب جهنم.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ ما ينتظر هؤلاء المشركون إلاّ قيام الساعة، إنها تأتيهم فجأة وهم غافلون عنها ومشتغلون في أمور الدنيا، وعندئذ يندمون، ولا ينفعهم الندم ولا التوبة.

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ الذين كانوا في الدنيا أحباء على الكفر تنقلب محبتهم يوم القيامة عدوانًا وتباعدًا بينهم، إلاّ الذين تحابوا لله على وجه التقوى والخشية من الله تعالى، والناصحون بعضهم بعضًا لله تعالى فتنفع خلتهم يوم القيامة.

وينادي المنادي في المؤمنين ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ يا عباد الله المتقين في مخالفة أمر ربهم لا خوف عليكم اليوم من عذاب الله ولا تحزنون من أهوال يوم القيامة. ثم بين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ هم الذين آمنوا بالله وحده وصدقوا بآيات

كتابنا وكانوا في حياتهم الدنيا مستسلمين لأمرنا ومستقيمين في طاعتنا، يقال لهم: ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾، أي: ونساءكم المؤمنات في الدنيا تنعمون وتسرون فيها إلى الأبد.

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ يطوف على أهل الجنة غلمان بصحاف ــ جمع صحفة، هي القصعة من ذهب ــ فيها طعام وأكواب ــ جمع كوب، هي كأس فيها شراب ــ فمتى يشتهون يأكلون ويشربون، وفي الجنة كل ما تشتهي نفوس أهلها وتقر أعينهم به من الحور العين والقصور والمتنزهات، وأنتم أيها المؤمنون فيها مقيمون على الأبد، وتلك الجنة التي أعطيتموها جزاء بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا من الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر ربكم، لكم فيها فاكهة كثيرة بأصنافها، منها تأكلون متى تشتهون ــ وهي تدلى عليهم، وإذا أكلوا ترتفع عنهم ــ لا تنقطع ثمارها أبدًا.

وبعد ذكر المؤمنين ووصفهم في الجنة ذكر الكافرين في النار: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ إن الكافرين بربهم يوم القيامة في عذاب جهنم مقيمون، لا يخفف عنهم العذاب وهم فيه آيسون من رحمة الله، لا خلاص لهم منه أبدًا، ثم قال تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ وما ظلمناهم بتعذيبهم في العذاب الدائم، ولكن كانوا في حياتهم الدنيا يظلمون أنفسهم بعصيانهم ومخالفة أوامر الله فأوجبوا العقوبة على أنفسهم بذلك.

﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ ونادى أهل النار قائلين لخازن جهنم: ليقضي

علينا ربك بالموت الذي لا نشعر معه، فنستريح من العذاب، فيرد عليهم خازن النار: إنكم مقيمون فيه، ثم قال الله تعالى: لقد أرسلنا رسلنا إليكم بالحق فذكروكم ونصحوكم، ولكن أكثركم كانوا كارهون للحق ولم يقبلوه.

ثم قال تعالى عن عمل الكفار في الدنيا: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ أم أحكم كفار قريش كيدًا على محمد والمؤمنين في دار ندوتهم، فإنا مصرفون كيدهم عليهم، وننصر محمدًا والمؤمنين عليهم، أم يحسبون أنا لا نسمع ما يسرون وما يظهرون من تناجيهم؟ بلى، نسمع ونعلم، والملائكة التي أرسلنا عليهم لكتابة أعمال العباد يكتبون ما يقولون ويعملون.

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين نسبوا إلى الله ولدًا: إن كان للرحمن ولد فأنا أول من يعبده ولكن الله منزه عن الولد والزوجة لأنهما لا يجانسانه.

ثم نزه الله نفسه وتقدس عما يصفه المشركون ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ سبحان الذي خلق السموات السبع والأراضين السبع ومن فيهم من الخلائق وهو خالق العرش العظيم المنزه عما يصفه به المشركون.

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ فاتركهم يا محمد يخوضوا في أباطيلهم وغفلتهم ويلعبوا في دين الله حتى يموتوا ويلاقوا يوم القيامة يوم حسابهم الذي وعدناهم به.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾ وهو الواحد في أولوهيته وربوبيته فهو في السماء إلـٰه وهو في الأرض إلـٰه،

لا إله غيره، هو المعبود الحق، وهو الحكيم في تدبير أمر خلقه، العليم بأحوال خلقه.

﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ وتعاظم وكثرت خيراته في عباده، الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن من الخلائق، وعنده علم وقت قيام الساعة، وإليه ترجعون بأعمالكم فتحاسبون عليها وتجازون.

﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ في الآية رد على المشركين الذين يرجون الشفاعة من غير الله: ولا يملك الذين يعبدونهم من دون الله الشفاعة. إلاَّ من شهد بالحق، أي: إلاَّ من آمن بالحق الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، وهم يعلمون أنه الحق من الله وهم يشفعون بإذن ربهم.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ ولئن سألت هؤلاء المشركين: من خلق الخلائق؟ ليقولن: الله خلقهم، ويقرون بربوبيته، ومع ذلك يعبدون غيره، فكيف يصرفون عبادته إلى الباطل.

﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ والله يعلم قول محمد عليه الصلاة والسلام شاكيًا إلى ربه: إن هؤلاء قوم لا يصدقون برسالتي منك إليهم، قال تعالى: فأعرض عنهم وقل لهم: سلام عليّ من إساءتكم وشرككم. فسوف يعلمون عاقبة أمرهم. والجملة الأخيرة وعيد للمشركين.

الحمد لله، تمّت سورة الزخرف بعون الله.

* * *

سورة الدخان

آياتها تسع وخمسون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ أقسم الله بالقرآن المبين، أي: الظاهر والواضح في أحكامه وفصل الخطاب لعباد الله.

والمقسم عليه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ إنا أنزلنا هذا القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة مباركة هي ليلة القدر في رمضان. إنا كنا منذرين بزواجره من عقابنا مَنْ لم يؤمن به.

﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦﴾ في ليلة القدر يفصل ويقسم كل أمر للخلائق من رزق وأجل وعمل وذلك على مقتضى القدر، لا يزيد ولا ينقص عنه وكان ذلك أمرًا محكمًا من عند الله، إنا كنا مرسلين رسولاً لكل أمة رحمة من عند ربك إنه هو السميع بأقوال العباد العليم بأحوالهم وضمائرهم.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾ هو خالق السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن من الخلائق إن كنتم موقنين أيها المشركون.

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ﴾ لا إلـه يعبد إلاّ الله المعبود الحق، هو يحيي الموتى ويميت الأحياء، هو ربكم ورب آبائكم الأولين، لا رب ولا إلـه سواه.

﴿ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ ﴾ ولكن هؤلاء المشركين في شك من القرآن يلعبون ويهزأون بالقرآن، فلا تصدق يا محمد مجاملتهم كن حذرًا عنهم.

﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن كفار قريش قد كذبوا رسول الله وعصوه فدعا رسول الله عليهم قال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف. فأخذتهم سَنَةٌ وجدب يبّست كل شيء من الزروع والعشب حتى أكلوا الجيف والجلود من الجوع فينظر أحدهم إلى السماء فيراها مثل الدخان من ضعف بصر عينيه، فقيل له: إنك يا محمد جئت تدعو الناس إلى طاعة الله وصلة الرحم، إن قومك قد هلكوا من الجوع فادع الله، فدعا رسول الله، فكشف الله عنهم الكرب فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى عصيانهم فانتقم الله منهم يوم بدر. ومعنى قوله جلّ وعلا: ﴿فارتقب﴾ إلى آخر الآية، انتظر يا محمد إلى يوم تأتي السماء بدخان ظاهر يغشي كفار قريش وقيل حتى دخل الدخان إلى جوفهم وخرج من أدبارهم وآذانهم لا يرى بعضهم بعضًا، هذا العذاب عذاب مؤلم لهم في الدنيا، وقيل: يوم تأتي السماء بدخان، أي: من علامات الساعة الدخان فيقول الناس: هذا عذاب أليم.

والتجأوا وتضرعوا إلى الله ﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ يا ربنا ارفع عنا هذا العذاب نحن نؤمن بك ونصدق رسالة رسولك محمد.

وقال تعالى: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ ﴾ أين لهم الذكرى يومئذ، وقد جاء رسول الله إليهم ليبين لهم طريق الهداية وأخبرهم عقاب الله ولم يقبلوا وأعرضوا عنه وقالوا معلم مجنون.

﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾، أي: إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون إلى كفركم وعصيانكم.

﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ يوم القيامة نبطشهم البطشة الكبرى، نحن منتقمون منهم.

﴿ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ ﴾ ولقد اختبرنا قوم فرعون الأقباط قبل كفار قريش، وجاءهم رسول مكرم من عند الله هو موسى عليه الصلاة والسلام، قال: جئتكم أن أدوا إليّ بني إسرائيل، ــ هم عباد الله يعبدون ربهم في بيت المقدس ــ ولا تعذبوهم بالأعمال الشاقة عليهم، إني لكم رسول أمين فيما دعوتكم إليه من الإيمان بالله وحده، وأن لا تكبروا على الإيمان بالله وطاعته، فإن لم تقبلوا دعوتي إني آتيكم بحجة ظاهرة حتى تقبلوا دعوتي.

ولما أرادوا قتله قال موسى عليه السلام: ﴿ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ ﴾ إني التجأت إلى خالقي واستجرت به أن تقتلوني برجم الحجارة عليّ أو تشتموني، ثم قال ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ ﴾ وإن لم تصدقوا رسالتي من الله إليكم فاعتزلوني واتركوني وكونوا بمعزل مني وأنا بمعزل منكم لا تؤذوني.

ولما أيس من إيمانهم بالله ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾، أي: فدعا الله وسأله العون عليهم، لأنهم مصرون في إجرامهم، ولم يقبلوا دعوتي إلى الإيمان بك، فأمره الله: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ قال: فسر ليلاً بعبادي بني إسرائيل إلى البحر فإنكم ملاحقون من فرعون وقومه، وإذا تجاوزتم البحر فاتركه رهوًا، أي: واسع المخاض يدخلون من بعدكم إنهم جند مغرقون، أي: فرعون وقومه. فلما دخلوا في البحر دخلوا عن آخرهم انطبق الماء عليهم فهلكوا جميعهم.

قال تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (كم) للتكثير، أي: كم بساتين كثيرة وعيون ينبع الماء منها، ويجري في بساتينهم وزروع بأصنافها ومقام حسن يجلسون فيه وغير ذلك من نعم كثيرة كانوا متفكهين بها، وهم خرجوا منها في طلب موسى عليه السلام وقومه بني إسرائيل وتلك البساتين والزروع والمقام الحسن كهيئتها لم يتغير شيء منها.

﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ فلما غرق فرعون وقومه أعطيناها بني إسرائيل ولما رجعوا من البحر سكنوا فيها مطمئنين، قال تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ فما بكت عليهم السماء والأرض لكفرهم بعكس حال المؤمنين، إذا مات المؤمن تبكي السماء وتحزن لفقد صعود عمله، والأرض تبكي لفقد عبادة المؤمن فيها، وقيل: المراد من السماء الملائكة ومن الأرض المؤمنون يبكون ويحزنون لفقد صاحبهم، والله أعلم بما هو الصواب. وما كان هؤلاء القوم الطاغون مؤخرون عن الغرق إلى وقت ليتوبوا.

﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝٣٠ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١ ﴾ قال تعالى: نجينا من العذاب الذي يهين ويخذل. ومن جبروت فرعون وقومه عليهم؛ إن فرعون كان متكبِّرًا وجبارًا من الطاغين.

﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٢ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ۝٣٣ ﴾ ولقد اخترنا بني إسرائيل ونحن نعلم من هم ونعلم حالهم وشرفناهم على عالمي زمانهم، لأن أفضل الأمم أمة محمد عليه الصلاة والسلام وذلك التفضيل والتشريف على علم منا وآتيناهم من النعم ما فيه امتحان وابتلاء ظاهر.

ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝٣٤ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝٣٥ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٦ ﴾ إن هؤلاء المشركون ليقولون منكرين بالبعث: ليس من حياة بعد الموت إلاَّ موتتنا الأولى. ثم أظهر إنكارهم: وما نحن بمبعوثين من قبورنا، ثم طلبوا حجة: فأتوا بآبائنا الميتين أحياء إن كنتم صادقين فيما قلتم.

قال تعالى: ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ۝٣٧ ﴾ استفهام للإنكار على إنكار المشركين بالبعث: أكفار قريش خير بالقوة وكثرة المال أم قوم تبع ــ هم أهل اليمن، وتبع ملكهم ــ، والكفار الطاغين قبل تبع؟! كلهم أشد قوة وأكثر مالاً من كفار قريش أهلكناهم وخربنا ديارهم بعصيانهم بربهم، إنهم كانوا مجرمين بكفرهم وتكذيبهم لرسلهم وبجريمتهم هذه استحقوا الهلاك.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٩ ﴾ قال تعالى: وما خلقنا السموات السبع

والأراضين السبع ومن فيهن من الخلائق عابثين فيهن وما خلقناهن وما فيهن إلَّا بالحق لا بالباطل، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، وينكرون البعث والجزاء، ويقولون لا حياة بعد الموت.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾ إن يوم القيامة يوم يفصل الله بالحكم العدل بين المحق والمبطل وبين المحسن والمسيء وبين الظالم والمظلوم وبين المتفرقين في الدين، وذلك ميقات حساب الأولين والآخرين أجمعين وكفار مكة من جملتهم.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ يوم القيامة لا يقدر أن يدفع صاحب عن صاحبه في الدنيا شيئًا من عذاب الله، أو قريب عن قريبه بالنسب، ولا هم يمنعون من عذاب الله ــ ضمير الجمع راجع إلى الكفار والمنافين ــ ، ولكن من رحم الله في الدنيا وفقهم بالإيمان به وبالأعمال الصالحات، وهم يشفع بعضهم لبعض بإذن الله، إنه تعالى هو العزيز في الانتقام من أعدائه الرحيم لعباده المؤمنين.

ثم ذكر سبحانه طعام أهل جهنم ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ يخبر سبحانه وتعالى أن شجرة الزقوم ــ وسماها بالزقوم لأن ثمرها شديد المرارة ثقيل الهضم ــ هي من أصل الجحيم وترتفع فروعها إلى أعلا طبقاتها، وهي طعام كل ذي إثم مبالغ في جريمته وعصيانه كأبي جهل وأصحابه ومن شابههم بالعدوان على المؤمنين في دين الله. ثم وصفها أنها طعام الأثيم، كالمهل، أي: كدردي الزيت لونه أسود يغلي في بطون أهل الجحيم كغلي النحاس المذاب في أشد الحرارة وقيل: وكان أبو جهل يقول: يعدنا

محمد أن في جهنم شجرة الزقوم هي طعام الأثيم، إنها مثل الثريد بالزبد والتمر، وكان كلامه هذا استهزاء وسخريةً بإخبار الله في كتابه العزيز.

يقول الله لزبانية جهنم يوم القيامة ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾، أي: خذوا هذا الفاجر بالعنف إلى أعلى الجحيم فألقوه فيها، ثم صبوا فوق رأسه من الماء الحار المحمى في جهنم وهو عذاب أهل الجحيم، ويقول له الزبانية: ذق هذا العذاب المهين، إنك كنت في الدنيا تزعم أنك أنت العزيز في قومك المكرم فيهم ـ انتقم منهم الله وأخزاهم في بدر ـ والعذاب الذي ذكر سيذوقونه في الآخرة ثم يقال لهم: إن هذا العذاب هو الذي كنتم في الدنيا تشكون وتكذبون به حين أخبركم رسول الله عنه.

وبعد ذكر الأشقياء وعاقبة حالهم في عذاب جهنم ذكر عباده المتقين وعاقبة حالهم في الجنة ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ إن الذين اتقوا الله فلم يخالفوا ما أمر الله به، وتركوا ما نهى عنه، ممتثلين لأوامره ومجتنبين نواهيه هم في الآخرة في مقام أمين من إصابة السوء والمكاره والتعب، ثم بيَّن: في جنات، أي: بساتين، وعيون جارية في بساتينهم، يلبسون ثيابًا من حرير ويجلسون في المجالس متقابلين بعضهم إلى بعض يستأنسون لا متدابرين.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كمثل هذا الإكرام ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾، أي: واسعة العينين وبياضهما شديد البياض وسوادهما شديد السواد.

﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ متى يشتهي أهل الجنة فاكهة فإنهم ينادون عليها فتحصل أمامهم بكل أصناف الفاكهة، وهم يأكلون منها، آمنين من مضراتها أو من انقطاعها.

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ لا يموتون في الجنة، وقد ماتوا في الدنيا، لا موت في الجنة، وحياة أهل الجنة سرمدية، وحفظهم الله من عذاب الجحيم، وذلك تفضلاً لهم من ربك يا محمد، (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من نعيم الجنة، ودوام الحياة هو الفوز العظيم.

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ فإنما يسّرنا تلاوة القرآن بلغتك؛ لأن قومك عرب مثلك؛ لعلهم يتذكرون ويتدبرون معانيه وينزجرون عن كفرهم وشركهم ويؤمنون به، فإن لم يؤمنوا به وكذبوك فإنما عليك إبلاغ أمري ﴿ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ فانتظر إلى ما يحل عليهم من العذاب إنهم منتظرون لك الموت أو ينتظرون هذا العذاب لهم.

الحمد لله، تمّت سورة الدخان بعون الله.

* * *

سـورة الجاثيـة

آياتها سبع وثلاثون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١﴾ سبق الكلام عن هذه الأحرف في أول سورة البقرة.

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ هذا القرآن منزل من الله العزيز في ملكه، كيف يشاء يصرفه، الحكيم في صنعه وتدبير أمر خلقه.

﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾ إن في خلق السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن من المخلوقات لآيات واضحات تدل على كمال قدرة خالقهن للذين يؤمنون بوحدانية الله في ربوبيته وألوهيته.

﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ وفي خلقكم أيها الناس من تراب ثم من نطفة آبائكم في أرحام أمهاتكم صيّرها فيها علقة ثم مضغة في أطوار مختلفة ــ وتقدم تفسيرها في سورة المؤمنون ــ وما خلق من الحيوانات البحرية والبرية من دابة في الأرض والطير في الجو لآيات دالات على كمال قدرة الله لقوم يوقنون أن الله قادر على إيجاد كل شيء وإفنائه.

﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ ﴾ واختلاف الليل والنهار وفي تعاقبهما في نظام واحد وضياء النهار بالشمس وظلمة الليل بغياب الشمس عنه، وما أنزل الله من السحاب من ماء من أجل رزق أهل الأرض من إنسان وحيوانات فأحيا بماء المطر الأرض الميتة التي لا نبات فيها، إن ذلك المذكور لآيات دالات على كمال قدرة الله لقوم يعقلون ويتأملون فيها.

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ ﴾ (تلك) إشارة إلى ما تقدم ذكره من آيات الله، تدل على كمال قدرة الله ووحدانيته في ملكه وتصريف أمور خلقه، نتلوها عليك يا محمد بالحق لا شبهة فيها، فإن لم يؤمن بها كفار مكة وإن لم يصدقوا بإخبارك عنها فبأيّ حديث بعد كتاب الله وآياته يؤمن هؤلاء المشركون؟! والجواب: لا يؤمنون، غلبت عليهم شقاوتهم الأزلية.

قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ ﴾ عذاب شديد لكل كذاب في دعواه مبالغ في اقترافه للطغيان، والعاصي، يسمع قراءة آيات الله تتلى عليه فلا يؤمن بها، ثم يصر على كفره وعصيانه تكبرًا عن الإيمان بها كأنه لم يسمعها، فبشره يا محمد بعذاب مؤلم ــ قيل نزلت في النضر بن الحارث، كان يشتري أحاديث أعاجم فيقرأها للناس ويشغلهم عن استماع آيات كتاب الله ــ وكل من كان يسعى لإلقاء شبهة من كتاب الله ودين الإسلام داخل في حكم الآية.

﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ وإذا بلغه شيء من آيات كتابنا اتخذها للاستهزاء والسخرية ـ هو النضر بن الحارث وأصحابه ـ، أولئك لهم عذاب مهين في الدنيا، ومن أمامهم عذاب جهنم سيذوقونه ولا يغني عنهم ما كسبوا من جمع المال وكثرة الأولاد شيئًا، ولا أصنامهم الذين اتخذوها من دون الله أولياء، ولهم عذاب عظيم في جهنم.

﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ هذا القرآن الذي أنزلناه على محمد بالوحي هو هدى إلى الإيمان بالله وسعادة الدارين، والذين كفروا بآيات كتاب ربهم لهم عذاب في الآخرة من عذاب شديد مؤلم في جهنم.

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ يذكر الله سبحانه وتعالى امتنانه لعباده في هذه الآية والآية التي بعدها: الله سخر لكم البحر لتجري السفن على ظهر الماء بغير غوص في الماء، ولأجل أن تطلبوا من فضل الله من صيد سمك ومن استخراج اللؤلؤ والمرجان وغيرهما من الجواهر البحرية، والسفر من بلد إلى بلد بعيد للتجارة، فلعلكم تشكرون تلك النعم لله تعالى.

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ وخلق الله لكم ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم وماء المطر والرياح جميعًا من تفضله جلّ وعلا فسخرها لمصالحكم، إن في تلك المذكورات لآيات واضحات لقوم يتفكرون ويتأملون فيها،

فيستدلون على كمال قدرة الله، ويوقنون أنه القادر على كل شيء والمتفضل على عباده.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ قل يا محمد للذين آمنوا بالله وحده: يغفروا إساءة الذين لا يخافون أيام الله وبأسه في تعذيب الكفار والطاغين، وذلك الأمر بالعفو عن المسيء ليجزي قومًا بما كانوا يكسبون من الأعمال.

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ من عمل عملاً صالحًا للناس فثواب عمله لنفسه، ومن أساء على الناس فجزاء إساءته على نفسه ثم إلى ربكم أيها الناس ترجعون بأعمالكم وتحاسبون عن أعمالكم وتجازون عليها.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ ولقد آتينا بني إسرائيل التوراة وفصل الحكم في مشكلاتهم بأحكام التوراة، وجعلنا فيهم النبوة والرسالة، ورزقناهم من الأطعمة الطيبات في التيه وغيره وفضلناهم بالشرف والعزة على عالمي زمانهم.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ قال تعالى: وآتينا بني إسرائيل آيات بينات واضحات من أمر الدين فما اختلفوا في دينهم إلاّ من بعد ما جاءهم العلم من الله بغيًا وحسدًا بينهم، إن ربك يقضي بينهم بالحكم العدل فيما كانوا فيه يختلفون.

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ وبعد موسى وعيسى أرسلناك يا محمد وجعلناك على شريعة واضحة فاسلكها واستقم فيها ولا تتبع آراء المشركين لا يعلمون حقيقة الدين وعاقبة أمرهم.

﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ في الآية تحذير للنبي صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم من موالاة المشركين، والمعنى: أن المشركين لن يستطيعوا أن يدفعوا عنك من عقاب الله شيئًا إن اتبعت أهواءهم، وإن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك بربهم بعضهم أصحاب بعض بالعون والنصرة في الدنيا، لا ناصر لهم في الآخرة، ويتباعدون في الآخرة عن بعضهم، والله ولي الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله واتقوا مخالفة ما أمر الله به وما نهى عنه، وولاية الله لهم في الدنيا أنه يعصمهم عن المعاصي ولا يضيق لهم في أرزاقهم ويوفق لهم طاعته، وولايته لهم في الآخرة أنه يثبّتهم عند السؤال ويسهل لهم حسابهم ويدخلهم جنته.

﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ هذا القرآن بصائر، جمع بصيرة، هي بصيرة القلب، للذين آمنوا به وتمسكوا بهديه يرشدهم إلى طريق السعادة في الدنيا، وفي الآخرة يسهل طريقهم إلى دار السعادة، والقرآن هادٍ إلى الخير ورحمة للذين يوقنون أنه كلام الله ولا يشكون فيه أبدًا.

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ استفهام للإنكار على زعم

المجرمين: هل ظن الذين كفروا بربهم واكتسبوا الأعمال السيئات على هوى أنفسهم في حياتهم الدنيا بأن نجعل منزلتهم سواء مثلها كالذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر ربهم حال حياتهم وبعد موتهم؟! لا يمكن أن نساوي بينهما، فالكافر في النار والمؤمن في الجنة، بئس ظنهم وحكمهم الذي يسوء عليهم.

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ وخلق الله السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن من المخلوقات بالحق لا بالعبث، وذلك لحكمة منه جلت قدرته، وشرع الأوامر وأمر بها، وشرع النواهي ونهى عنها، وذلك لنجزي كل نفس بما كسبت في حياتهم الدنيا، وهم يحاسبون عن أعمالهم ويجزون بالعدل وهم لا يظلمون في الجزاء.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أفرأيت يا محمد حال من اتخذ إلـهه بما تهوى نفسه، وحكم الله عليه بالشقاوة والضلالة، وختم على سمعه وقلبه كيلا يسمع التذكير والموعظة، ولا يدخل في قلبه خير، وجعل على بصيرة نظره غشاوة ولا يبصر الحق حقًّا بل يرى باطلاً، أيّ إنسان يهديه ويرشده من بعد إضلال الله؟! أفلا تتذكرون وتتأملون في ما بينا لكم أيها الناس.

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ وقال المنكرون للبعث: ما الحياة إلاَّ حياتنا الدنيا، يموت بعضنا ويولد بعض ويحيا، وما يميتنا إلاَّ مرور الزمان، وذلك أمر طبيعي

وفي كلامهم هذا إنكار لوجود الله. جمعوا أمرين: الإنكار بالبعث والإنكار لوجود الله. وفي هذه الآية رد على الدهرين الشيوعيين، وقال تعالى ردًا عليهم: ما لهم بدعواهم ذلك من علم يقين يصلح حجة لهم، ما هم على شيء يقين، إن هم إلا يخرصون ويكذبون من هوى أنفسهم.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ وإذا تتلى على المشركين آيات كتابنا بينات معانيها وأحكامها ما كانت حجتهم إلاَّ أن قالوا: أحيوا آباءنا الميتين إن كنتم صادقين في دعواكم.

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: الله الذي أحياكم في بطون أمهاتكم بعد ثلاثة أطوار وولدتم من بطون أمهاتكم إلى الأرض وعشتم فيها طفلاً ثم رجلاً إلى تمام آجالكم ثم يميتكم عند تمام آجالكم ثم يبعثكم من قبوركم أحياء ويجمعكم إلى يوم الموقف للحساب والجزاء لا شك في وقوعه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك يتخاصمون ويجادلون.

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ولله ملك السموات والأرض وما فيهن من المخلوقات لا يشاركه أحد، هو مالكها ومصرفها كيف يشاء، ويوم تقوم الساعة للحساب والجزاء يخسر الجاحدون بإخبار الله عن وقوع يوم الحساب والجزاء أشد الخسران.

﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ وترى يا محمد يوم القيامة كل أمة من الأمم جالسة على ركبها أمام الحاكم العادل وهو الله، كل أمة تدعى إلى كتاب أعمالها، فحينئذٍ تجزون على ما

كنتم تعملون في حياتكم الدنيا، إن كانت أعمالكم خيرًا فجزاؤكم خير وإن كانت شرًّا فجزاؤكم شر.

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩ ﴾ قال تعالى: إنا كنا نأمر الملائكة الحفظة لأعمالكم يكتبون أعمالكم وهذا كتاب أعمالكم يشهد عليكم بالحق لا زيادة ولا نقصان، إنا كنا نأمر الملائكة لكتابة أعمالكم التي تعملونها في حياتكم الدنيا لنبرزها لكم يوم الحساب ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠ ﴾ فأما الذين آمنوا بربهم وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله فيدخلهم في جنته، وسميت الجنة رحمة لأنها رحمة من الله لهم، ذلك الدخول في الجنة هو الفوز العظيم.

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٣١ ﴾ وأما الذين كفروا بالله يقال لهم بالتهديد: أفلم تكن آيات الله تتلى عليكم؟! وتكبرتم عن الإيمان بها، وصرتم قومًا مجرمين بكفركم بالله وبكتابه.

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢ ﴾ وإذا قيل إن إخبار الله عن قيام الساعة حق وأنها لا شك فيها، قلتم أيها المشركون: ما ندري، أي: ما نعلم الساعة ــ شكًّا فيها ــ وما نحن متأكدين من وقوعها.

﴿ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٣ ﴾ وظهر لهم سيئات أعمالهم وأحاط بهم عذاب الله بسبب أعمالهم الذي كانوا به يستهزؤون في حياتهم الدنيا ويكذبون به.

﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤﴾ ويقال لهم: اليوم نترككم في عذاب النار كما تركتم الإيمان بالله وطاعته ونسيتم لقاءكم هذا ومقركم ومنزلكم في عذاب جهنم، وما لكم من ناصر يمنعكم من عذاب الله.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٣٥﴾ ذلك العذاب عليكم بسبب أنكم اتخذتم آيات كتاب الله هزءًا وسخريًا دون الإيمان بها، وغرتكم الحياة الدنيا في ملذاتها وشهواتها، فاليوم مقركم النار لا تخرجون منها ولا تطلبون التوبة والرجوع إلى الدنيا لأن الدنيا قد فنيت.

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ احمدوا الله أيها المؤمنون به بأن وفقكم للإيمان به والاستقامة في دينه، وخصوا الحمد والعبادة له؛ هو خالقكم وخالق السموات وخالق الأرض وخالق ما فيهن من المخلوقات، وله الكبرياء والعظمة في السموات والأرض. ولهذا حرم التكبر والعظمة على عباده، وهو العزيز القاهر فوق عباده، الحكيم في صنعه وتدبير أمر خلقه.

الحمد لله، تمَّت سورة الجاثية بعون الله.

* * *

سورة الأحقاف

آياتها خمس وثلاثون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١﴾ سبق الكلام عن هذه الأحرف في أول سورة البقرة.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ هذا القرآن منزل من الله العزيز القاهر فوق عباده، الحكيم في صنعه وتدبير أمر خلقه.

﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ما خلقنا السموات السبع والأراضين السبع ومن فيهن من المخلوقات عبثًا باطلاً إلاّ بالحكمة وأجل مسمى لفنائهن وفناء ما فيهن من المخلوقات ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ ومع ذلك فالذين كفروا بربهم هم عمّا خوفهم رسلنا من عقابنا يوم القيامة ـ بالتذكير والزواجر بآيات الوعيد على الكافرين والعاصين ـ معرضون عنها تكبرًا وعنادًا.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أخبروني عن أصنامكم الذين تعبدوهم من دون عبادة الله وتزعمون أنهم آلهة لكم، أروني أيّ شيء خلقوا مما في

الأرض من الخلائق أم لهم شركة في خلق السموات والأرض؟ لا جواب لهم لهذا السؤال، إذًا، كيف يتعبدون للذين لا يملكون شيئًا ما، وأصنامهم جمادات مخلوقة من جملة خلق الله، قل لهم يا محمد: ائتوني بكتاب من عند الله من قبل هذا القرآن يذكر فيه العبادة لأصنامكم، أو أثارة من علم الأولين يشهد على صحة عبادتكم لأصنامكم إن كنتم صادقين في زعمكم. والمراد بما في الآية التوبيخ عليهم وإبطال دعواهم وعبادتهم لغير الله.

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ لا أحد أضل وأجهل ممن يعبد غير الله. ثم بين: الذي لا يستطيع أن يستجيب لداعيه إلى يوم القيامة؛ لأنهم جمادات، وأصنامهم عن دعائهم غافلون، أي: لا شعور لهم.

﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ وإذا حشر الناس إلى موقف الحساب صار أصنام المشركين وكل ما عبدوه أعداء لعابديهم وصاروا جاحدين بعبادة عابديهم، وقال المفسرون: أنطق الله الأصنام أو ما عبد الناس من غير الله ليشهدوا على العابدين إياهم وذلك لإلزام الحجة على المشركين.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾
وإذا تتلى على الكافرين آيات كتابنا بينات لأحكام دين الله، هو دين الإسلام، قال الذين كفروا بالله وبالقرآن لما جاءهم ليرشدهم إلى الإيمان بالله وحده وليعملوا بما فيه من الأوامر والنواهي، قالوا: ما هذا القرآن إلّا سحر ظاهر لا نصدقه.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ بل يقول المشركون: اختلقه محمد من عند نفسه. قل: إن اختلقه ــ بالفرض ــ فلا تقدرون على أن تردوا من عذاب الله شيئًا عني، هو سبحانه وتعالى أعلم بما تخوضون وتقدحون في كتابه، كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم، أي: شاهد الصدق على تبليغ أمره إليكم وعلى جحودكم برسالتي وتكذيبكم عليّ وبالقرآن الكريم، وهو الغفور لذنوب عباده المؤمنين، الرحيم لعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة.

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ قل لهؤلاء المشركين الجاحدين برسالتك: ما كنت أول مَنْ أُرْسل، بل جاء الرسل قبلي إلى أممهم من الله ليدعوهم إلى توحيد الله وعبادته وحده، وما أدري أيّ شيء يفعل بي ولا بكم، إني لا أتبع إلاَّ ما يوحى إليّ من الأوامر والنواهي ولست أنا إلاَّ نذير ظاهر، والمعنى: مخوف من عذاب الله إن لم تؤمنوا به وأنا مبيِّن أحكام دينه إليكم.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله وجحدتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله، أي: بما في التوراة موافقًا لما في القرآن فآمن بالقرآن ــ هو عبد الله ابن سلام وأصحابه من اليهود آمنوا بالقرآن وعملوا بما فيه من الأوامر ــ واستكبرتم أيها المشركون عن الإيمان بالقرآن، إن الله لا يهدي القوم الظالمين على أنفسهم بالكفر بربهم.

والشرك بعبادة ربهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ وقال الذين كفروا بالله وبالقرآن الكريم للمؤمنين الذين استقاموا على دين الإسلام: لو كان هذا القرآن ودين محمد خيرًا من ديننا وكتابنا ما سبقونا إلى دين محمد وكتابه. قال تعالى ردًّا عليهم: وإذا لم يهتدوا إلى الإيمان بالله وبالقرآن فسيقولون: هذا القرآن كذب ظاهر ليس بحق من الله ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ ومن قبل القرآن أنزل الله التوراة على موسى عليه السلام إمامًا يقتدى بإرشاده ويعمل بما فيه من الأوامر ورحمة لمن آمن به.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ وهذا القرآن مصدق لما قبله من الكتب التي أنزلها للرسل، والقرآن على لسان العرب عربيًا فصيحًا واضح المعاني والبيان، ثم ذكر حكمة إنزال القرآن: لينذر الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك عقابَ الله وبشارة للمؤمنين الذين أخلصوا أعمالهم لله تعالى أن لهم الجنة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ إن الذين آمنوا بالله وحده قالوا مظهرين إيمانهم: ربنا، أي: خالقنا ورازقنا الله، لا إلـه غيره، ثم استقاموا في إيمانهم ممتثلين لأمر الله حتى ماتوا على ذلك، بشِّرْهُم يا محمد فلا خوف عليهم من عذاب الله ولا هم يحزنون على ما تركوا في الدنيا من أولاد ومال وعشيرة.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ أولئك الموصوفون بالإيمان والاستقامة في دينهم هم أصحاب الجنة، سيدخلونها ويقيمون فيها ويترزقون بنعيم الجنة على الأبد، وكان ذلك التفضل لهم

من الله جزاء بما كانوا يعملون في حياتهم الدنيا من الأعمال الصالحات في إيمانهم بالله وحده.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ وأمرنا الإنسان وصية بأن يحسن لوالديه إحسانًا: من خدمة، وليبذل المال لهما إن كانا محتاجين برضا نفسه، ويكون دائمًا في طاعتهما، ثم ذكر حقوق الأم: حملته أمه كرهًا، أي: تعبًا في حالة حملها إلى أن تضع، ووضْعُها فيه تعب أشد من حالة الحمل، وبعضهن تكاد تموت من شدة ألم الطلق، جزاها الله عنا خير الجزاء. ثم ذكر مدة الحمل والفطام عن الرضاع وحمل ولدها في بطنها وبعد الوضع من بطنها ومدة الرضاع جميعًا ثلاثون شهرًا، وبعد ذلك يربيه الأم والأب تربية حسنة إلى أن يبلغ الرشد.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ حتى إذا بلغ اكتمال قوته في البدن والعقل وبلغ من عمره أربعين سنة قيل: الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: يا رب ألهمني رشدي بأن أشكر لك نعمتك التي وهبت لي وهي نعمة الإيمان والإسلام وعلى والدي لأن أبواه قد أسلما معه، وبعدهم أسلم ابنه عبد الرحمن وابنه أبو عتيق وابنتاه أسماء وعائشة، وأما محمد فإسلامه كان بعدهم رضي الله عنهم أجمعين. وقال علي ابن أبي طالب وعبد الله ابن عباس: ما جمع الله لأحد من المهاجرين مثل ما جمع لأبي بكر الصديق في اجتماع أهله في الإسلام. ثم قال: وأن أعمل عملاً صالحًا ترضا عني، وأصلح لي في ذريتي، أي: وفق الصلاح والهداية في

ذريتي، إني تبت إليك عما أسلفت في الجاهلية وإني من المستسلمين لأمرك في طاعتك.

فأجاب الله دعاءه وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾ (أولئك) إشارة إلى المتصفين بالأعمال الصالحات وبر الوالدين: نتقبل عنهم أعمالهم الصالحات ونتجاوز عن أعمالهم السيئات، وهم من جملة أصحاب الجنة سيدخلونها، وعدناهم وعد الصدق، لا خُلْفَ فيه، إذ كانوا في الدنيا يوعدون على لسان رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام.

﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٧﴾ اختلفت أقوال علماء السلف في حكم هذه الآية وفيمن نزلت، وقيل: هي عامة في كل عاق لوالديه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبـي بكر الصديق رضي الله عنهما قبل إسلامه، وقال الحسن: هذا القول ضعيف، والقائل إنها نزلت في عبد الرحمٰن هو مروان بن حكم، وكان واليًا في المدينة المنورة من طرف معاوية بن أبـي سفيان، وأرسل معاوية إلى مروان أن يبايع أهل المدينة لابنه زيد وصعد مروان على المنبر فقال: أيها الناس بايعوا يزيد ابن أمير المؤمنين معاوية، فقال عبد الرحمن: أهرقلية الخلافة، فقال مروان: ألست الذي قال لوالديه أفٍ لكما؟ فقال عبد الرحمن: ألست أنت ابن اللعين، لعن رسول الله أباك، فسمعت عائشة رضي الله عنها محاورتهما فقالت: يا مروان كذبت أنت، ما نزلت في عبد الرحمٰن، ولكن نزلت في فلان ابن فلان، فنزل مروان عن المنبر وجاء باب حجرة عائشة رضي الله عنها وهو يتكلم معها ولا ترد عليه، حتى

انصرف. وفي رواية قالت عائشة رضي الله عنها: لعن رسول الله أبا مروان، ومروان في صلب أبيه، ومروان قضض، أي: قطعة من لعنة الله.

والحاصل أن مروان هو الذي سبب قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، إن شئت راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي، ورواية مروان لا يؤخذ بها. وعبد الرحمن قد آمن قبل الحديبية وحسن إسلامه. وقول القائل الشقي العاق لوالديه أف لكما، أي: قبحًا لكما أتعدانني أن أبعث بعد موتي من قبري وقد خلت أهل القرون من قبلي لن يبعثوا من قبورهم، وأبواه يستغيثان الله أن يهديه ويلك آمن بالله وحده وبالبعث بعد الموت إن وعد الله حق للبعث فيقول الولد الشقي ما هذا الكلام إلاَّ أساطير الأولين لا أصدقه.

وقال تعالى متوعدًا العاقين لوالديهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨﴾ في هذه الآية رد على القائل أن الآية نزلت في الذي قال لوالديه أف لكما نزلت في عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق، وأن عبد الرحمن من أفاضل المؤمنين، وقوله تعالى: (أولئك) إشارة إلى الكافرين بربهم والعاقين بوالديهم الذين وجب عليهم القول، أي: حكم العذاب في جملة أمم ضالين قد مضت من قبل كفار قريش من الجن والإنس إنهم كانوا في حياتهم غابنين أنفسهم بالكفر والمعاصي.

﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩﴾ ولكل من الفريقين المؤمنين البارين لوالديهم والكافرين العاقين لوالديهم مراتب،

للمؤمنين منزلة في الجنة وللكافرين منزلة في النار، وليوفيهم الله جزاء أعمالهم في الحساب وهم لا يظلمون، أي: لا يزاد جزاء على جزائهم ولا ينقص ثواب المؤمنين بل يضاعف الله لهم ثوابًا على ثوابهم، الحسنة بعشر أمثالها، وذلك وعد من الله للمؤمنين.

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ ويوم القيامة يعرض الكافرون بربهم على نار جهنم، ويقال تهديدًا وتوبيخًا لهم: أذهبتم طيباتكم وأفنيتموها في حياتكم الدنيا وتمتعتم وتلذذتم بها، ولم يبق لكم من الطيبات شيء، فاليوم تجزون العذاب، عذاب الإهانة والذلة بسبب ما كنتم تتكبرون عن الإيمان بالله وحده والشكر على نعم الله وتتبخترون وتطاولون على أهل الأرض وبسبب ما كنتم تفسقون، أي: ترتكبون أعمال الفسق والفجور.

﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ واذكر يا محمد لهؤلاء المشركين قصة هود عليه السلام مع قومه عاد ليعتبروا بها، حيث أنذر قومه عن عقاب الله إن لم يؤمنوا به في الأحقاف، وهي التلال من الرمل في اليمن، يسكن فيها قوم عاد، وقد مضت الرسل من قبل هود وبعده. قال: وأن لا تعبدوا إلاَّ الله، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم.

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ قال قومه معاندين لإنذاره: أجئتنا يا هود لتصرفنا عن عبادة آلهتنا؟! لا نطيعك، فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين في دعواك.

﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾
قال هود عليه السلام: إنما عِلْمُ وقت نزول العذاب عند الله، وأنا لا أعلم وقت نزوله، وأبلغكم بما أمرني ربي أن أبلغه إليكم، قد بلغت أمر ربي إليكم ولم تقبلوه، إني علمت أنكم قومًا جاهلين باستعجالكم نزول العذاب عليكم.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ فلما شاهدوا سحابًا عارضًا متوجهًا إلى أوديتهم قالوا مستبشرين به: هذا السحاب ممطر في أوديتنا، وقال هود عليه السلام: بل هو العذاب الذي استعجلتم بنزوله. ثم وصف الله ذلك العذاب: هو ريح عاصف فيها عذاب شديد للقوم المجرمين، تدمر كل شيء أصابته بأمر ربها، فصاروا هالكين عن آخرهم، لم يبق أحد منهم، ولا يرى أحد منهم إلاَّ مساكنهم مخربة. مثل ذلك العذاب والدمار لقوم عاد نجزي كل قوم مجرمين بربهم. وفي الآية تخويف لكفار قريش.

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ ولقد أعطينا قوم عاد قوة في أبدانهم وفي المال، كما أعطيناكم يا كفار مكة مثلهم. وجعلنا لهم سماعًا ليسمعوا التذكير والموعظة وأبصارًا ليبصروا الآيات الدالات على كمال قدرة الله وجعلنا لهم أفئدة ــ جمع فؤاد ــ يعقلوا عاقبة الأمور ويتأملوا، ولم يستعملوا تلك الحواس بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، بل اغتروا بقوتهم وكثرة أموالهم وكفروا بربهم وكذبوا نبيهم هودًا عليه السلام فأخذهم الله

بالريح العاصفة دمرتهم وديارهم، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من عذاب الله شيئًا إلاَّ أنهم كانوا قبل نزول العذاب عليهم يجحدون بأخبار الله على لسان هود عليه السلام وجب عليهم العذاب الذي به يستهزؤون قبل نزوله عليهم.

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ وفي الآي تخويف لكفار قريش: ولقد أهلكنا أهل القرى التي تجاوركم، ومنها ديار ثمود بالحجر، وهم قوم صالح، وأهل الأيكة قوم شعيب بمدين، وسدوم قوم لوط، كلها على طريق الشام. وديار قوم عاد باليمن، وبيَّنا الآيات الدالات على وحدانية الله في ربوبيته وألوهيته، وأقمنا الحجة عليهم لعلهم يرجعون عن كفرهم وتكذيبهم رسلهم.

﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ فهلا نصرَ هؤلاء المشركين آلهتُهم من عذاب الله؟! كانوا يزعمون أن أصنامهم تشفع وتمنع من عذاب الله، وأبطل الله زعمهم بحرف الإضراب: بل ضلوا، أي: غابوا عن عابديهم حين أخذهم الله بالعذاب، وذلك الزعم الفاسد والأصنام التي كان يزعم المشركون أنها شفعاء عند الله هو كذبهم، ذلك ما كانوا يفترونه، أين هو الآن؟!

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ واذكر يا محمد صرفنا إليك جماعة من الجن ليستمعوا قراءتك، وكان النبي ﷺ بوادي نخلة عند رجوعه من الطائف يصلي صلاة التهجد، فلما حضروا في حالة قراءته قالوا: انصتوا لقراءته. فلما فرغ عليه الصلاة والسلام من صلاته آمنوا بالنبي ﷺ

وبالقرآن ورجعوا إلى قومهم مخوفين من عقاب الله، وأن يؤمنوا بالله وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الذي أنزل الله إلى محمد عليه الصلاة والسلام.

﴿ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ قالوا: يا قومنا نحن سمعنا قراءة كتاب أنزل على نبي من بعد موسى موافقًا ومصدقًا لما في التوراة، يرشد إلى دين الحق وإلى طريق مستقيم وإلى رضوان الله، وكانوا مؤمنين بموسى عليه السلام وبالتوراة، ثم دعوا قومهم إلى الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الكريم.

﴿ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ ﴾ أجيبوا داعي الله محمدًا عليه الصلاة والسلام وآمنوا برسالته يغفر الله لكم ذنوبكم أو: من كل ما أذنبتم، ويحفظكم من عذاب مؤلم.

ثم حذروا قومهم من ترك الإيمان برسالة محمد عليه الصلاة والسلام قالوا ﴿ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ ومن لا يجب دعوة الداعي إلى الإيمان بالله وحده فليس هو بفائت من حساب الله، وجزاؤهم في أرض المحشر، وليس له هناك من دون الله أولياء تمنعه من عذاب الله، أولئك الذين لم يجيبوا داعي الله ولم يؤمنوا بالله وحده في خطأ ظاهر، أوجبوا عذاب الله على أنفسهم. وهذا تمام كلام الجن الذين استمعوا القرآن وأنذروا قومهم.

﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٣٣﴾ ﴾ أولم يعلموا أن الله الذي خلق

السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن من المخلوقات، ولم يتعب بخلقهن، أليس بقادر على أن يبعث الموتى من قبورهم أحياء؟ فأجاب الله بنفسه: بلى، إنه على إيجاد كل شيء وإفنائه قادر، إنما أمره كن كذا فيكن في الحال كما يشاء.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ يوم القيامة يعرض الذين كفروا بربهم على نار جهنم يقال لهم: أليس هذا العذاب الذي خوفكم رسلكم منه بالحق قد شاهدتموه اليوم؟ قالوا: بلى، وبعزتك يا ربنا، أكدوا إقرارهم باليمين. فيقال لهم: فذوقوا العذاب الدائم عليكم بسبب ما كنتم تكفرون بربكم وتكذبون رسلكم.

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ فاصبر يا محمد على أذى المشركين كما صبر أولوا العزم من الرسل، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ولا تستعجل عليهم بنزول العذاب، كأنهم يوم القيامة حين يرون العذاب الذي وعدوه يحسبون أنهم لم يلبثوا، أي: لم يقيموا في الدنيا إلاَّ ساعة من نهار الدنيا، وذلك التقليل من طول يوم القيامة وشدة أهوالها، وهذا الذكر بلاغ لهم فلا يهلك في العذاب إلاَّ القوم الخارجون عن الإيمان بربهم وطاعته.

الحمد لله، تمَّت سورة الأحقاف بعون الله.

* * *

سورة القتال

وهي سورة محمد ﷺ

آياتها ثمان وثلاثون آية، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ ﴾ الذين كفروا بربهم وجحدوا بآياته ومنعوا الناس من الدخول في دين الإسلام أحبط الله أعمالهم الخيرية من صلة الأرحام والإنفاق في القرابة والمساكين وفك الرقاب.

وبعد ذلك يذكر سبحانه وتعالى صفة المؤمنين وذلك سنة الله في كتابه العزيز: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ﴾ والذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله، وأيقنوا بأن القرآن أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام، ونزوله حق ثابت من ربهم، أولئك كَفَّرَ الله عنهم سيئاتهم بأعمالهم الصالحات وأصلح الله شأنهم في الدنيا والآخرة.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣ ﴾ (ذلك) إشارة إلى حالة الفريقين، ثم بيَّن: بأن الذين كفروا بربهم وجحدوا بالقرآن واتبعوا أباطيل الشياطين فلهم العذاب وأن

الذين آمنوا بالله وحده واتبعوا إرشاد القرآن وأيقنوا أنه من ربهم فلهم الرحمة. مثل ذلك البيان، بيّن الله للناس أحوال الفريقين، ليعتبروا به ويتعظوا وينزجروا عن الشرك وأعماله.

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ ﴾ فإذا لقيتم أيها المؤمنون الكفار في الحرب فاضربوا بالسيف على رقابهم ولا تخافوا، حتى إذا غلبتم عليهم وأسرتموهم فشدوا عليهم الوثاق والقيد حتى لا يهربوا فيحاربوا المسلمين، وأنتم مخيرون بعد ذلك، فإما أن تحسنوا إليهم فتفكوا رقابهم وإما تأخذوا فداء عن فك رقابهم وتكسروا شوكتهم وتخزوهم، حتى تنقضي الحرب بين الفريقين فلا يكون دين إلاَّ دين الإسلام وتأمنوا من اعتداء الكافرين عليكم. وقوله: أوزارها، أي: أسلحتها، وإضافة الأسلحة إلى الحرب مجازًا، (ذلك) إشارة إلى ما سبق من ذكر الفريقين، ولو يشاء الله لانتصر المؤمنون على الكافرين بغير قتال، ولكن الله أراد ليختبر بعضكم ببعض، وتلك سنة الله في أمة محمد عليه الصلاة السلام.

﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ وفي الآية تشجيع المؤمنين لمقاتلة الكافرين: والمجاهدون الذين قتلوا في معركة القتال في سبيل نصرة دين الله فلن يضيع الله أعمالهم الصالحات، فسيثيبهم عليها بعشر أمثالها، وسيهديهم إلى الاستقامة في طاعة الله، ــ والسين للتأكيد ــ ويصلح الله شأنهم حتى يدخلهم الجنة، عرفها لهم، أي: ألهم الله لهم علاماتها فعرفوا منازلهم في الجنة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ ﴾ يا أيها المؤمنون إن تنصروا دين الله وتعزوا أهل الإسلام بثبات وصدق ينصركم الله على أعداء دين الإسلام الكافرين ويثبت أقدامكم في معركة القتال.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٩ ﴾ أما الذين كفروا بربهم فهلاكًا لهم في نار جهنم، وأحبط الله أعمالهم الخيرية من صلة الرحم وغيرها، ذلك التعس بسبب أنهم كرهوا القرآن الذي أنزله الله على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، فأحبط الله أعمالهم الحسنة، لا ثواب لهم في الآخرة.

﴿ ۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ۝١٠ ﴾ استفهام للتقريع: أفلم يسافر هؤلاء المشركون في أرض الأمم الطاغية من قبلهم فينظروا كيف كان عاقبة كفرهم بربهم وتكذيبهم على رسلهم، دمر الله ديارهم وأهلكهم تحت دمار قصورهم. وللكافرين بربهم وبرسولهم مثل عقوبة هؤلاء. وفي هذه الجملة وعيد وتخويف لكفار قريش.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝١١ ﴾ تلك النصرة للمؤمنين لأن الله مولى وناصر الذين يؤمنون به ويطيعون أوامره، وإن الكافرين بربهم لا مولى لهم ينصرهم من عذاب الله في الدنيا والآخرة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ ﴾ هذا وعد من الله للمؤمنين: إن الله يدخل الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله جناتٍ تجري مياه الأنهار من أمام قصورهم وخلال أشجار جنتهم، يتنعمون فيها على الأبد.

ثم أردف عن أحوال الكافرين، وهذه سنة الله في كتابه العزيز ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ والذين كفروا بربهم وكذبوا برسلهم يتمتعون في حياتهم الدنيا ويأكلون ما رزقهم من النعم كما تأكل البهائم، وفي الآخرة لهم نار جهنم هي مقرهم، لا خروج لهم منها أبدًا.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَـٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾ وكم من قرية أهلها أشد في القوة والمال من أهل قريتك التي أخرجوك منها يا محمد، وكان أهلها طاغين فأهلكناهم ودمرنا ديارهم بكفرهم بربهم وبطغيانهم حين أهلكناهم، فلا مانع لهم من عذابنا. وقال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: لما خرج رسول الله من مكة ومعه أبو بكر الصديق واختفيا في غار ثور، التفت رسول الله إلى مكة وقال: إنك أحب البلاد إلى الله وإليّ، ولولا أن أهلك أخرجوني لما خرجت منك، فأنزل الله الآية.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾ في الآية تنبيه لرسول الله لقطع المحبة من قومه: أفمن كان على بينة واضحة من ربه وهو في دين الحق كمن زين له سوء عمله، واتبعوا، أي: السفهاء، أهواءهم. والمراد: بمن في قوله: (أفمن) هو محمد عليه الصلاة والسلام، والثاني في (كمن) هو أبو جهل وأتباعه، ونحن المؤمنون نقول: لا يتساويا أبدًا، ورسول الله وأتباعه المؤمنون في الجنة، وأبو جهل وأتباعه في نار جهنم.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ

كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ صفة الجنة التي وعدها الله لعباده المتقين، ثم بين: فيها أنهار جاريات من ماء غير آسن، أي: غير متغير طعمه، ولا عجاج كماء السيل، وأنهار جاريات من لبن لم يتغير طعمه مثل لبن الأنعام، وأنهار جاريات من خمرة لذة الشاربين وإذا شربوا منها لا يسكرون مثل خمر الدنيا، وأنهار جاريات من عسل مصفى لا فيه شمع ولا فيه شيء يكره، ولهم في الجنة من كل أصناف الثمرات متى شاؤوا منها تدلى لهم، ويأكلون، وبعد أن يأكلوا ترتفع عنهم، ولهم مغفرة لهم من ربهم قبل دخولهم، أهؤلاء الموصوفون أن لهم الجنة، كمن هو في نار جهنم مقيم وسقوا ماء حميمًا إذا شربوا قطع أمعاءهم؟!.

ولما ذكر الله حال المؤمنين في الجنة وأردف عليهم حال الكافرين في نار جهنم، بعد ذلك يخبر سبحانه وتعالى عن أحوال المنافقين ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾ ومن الناس ــ هم المنافقون ــ من هم يستمع حديثك يا محمد، حتى إذا خرجوا من مجلسك قالوا لعلماء الصحابة: أيّ شيء قال رسول الله هذه الساعة؟ لأن قلوبهم غافلة ولاهية عن حديث رسول الله، يسمعون الحديث ولا يفهمون المعنى.

قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ أولئك المنافقون ختم الله على قلوبهم لكي لا يفهموا الحديث ولا يتعظوا بالمواعظ حتى يموتوا على كفرهم ونفاقهم، واتبعوا أهواءهم في الباطل.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ والمؤمنون المتقون اهتدوا بهدي الله لهم من رسول الله، فزادهم حديث رسول الله هديًا وإيمانًا وألهمهم الله تقواهم في كل حالهم.

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ أينتظر كفار مكة؟ ما ينتظرون إلاَّ قيام الساعة للحساب والجزاء، أنها تأتيهم بغتة، أي: فجأة وهم غافلون عنها فقد جاءت علاماتها لقرب قيامها فكيف لهم التذكر والتوبة حين لا ينفعهم الإيمان والتوبة إذا جاءتهم بغتة تفجأهم وتخزيهم.

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ فاعلم يا محمد أن الشأن: لا معبود إلاَّ الله، المعبود الحق. واختلفت أقوال المفسرين في هذا الأمر، والله أعلم بما هو الصواب. والنبيُّ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم قد عَلِمَ اللّٰهَ بإلهام اللّٰهِ له قبل النبوة، وبعد النبوة أن الله هو المعبود الحق لا معبود غيره، وهذا الأمر تأكيدًا لعلمه عليه الصلاة والسلام، ثم خاطبه: واستغفر لذنبك، فالله سبحانه وتعالى قد غفر له ما تقدم من ذنوبه وما تأخر، أي: كن مستغفرًا على الدوام لذنبك هضمًا لنفسك وحقق العبودية، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: وأنا أستغفر الله كل يوم مائة مرة، لتستن به أمته فيداوموا على الاستغفار. واستغفر يا محمد للمؤمنين والمؤمنات من أمتك، والله يعلم مصرفكم واشتغالكم في النهار ومأواكم وسكوتكم في الليل، لا يخفى عليه من شأنكم شيء.

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ ﴾ ويقول المؤمنون المخلصون: هلا نزلت سورة على النبي ﷺ فيها الأمر بالجهاد فجاهدنا، قال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ﴾ فإذا أنزلت سورة محكمة لا ينسخ حكمها وذكر فيها الأمر بقتال الكافرين رأيت يا محمد الذين في

قلوبهم مرض النفاق خائفين من الخروج لقتال الكفار، ينظرون إليك مثل نظر المغشي عليهم من احتضار الموت، يعني تشخص أبصارهم جبنًا وخوفًا من القتال والموت، والهلاك أقرب لهم، والأولى لهم لو قالوا حين سمعوا الأمر للقتال: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾، أي: طاعة لأمر الله، وهو قول معروف لا نكرهه؛ لأن فيه سعادة الدنيا والآخرة.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ فإذا عزم الأمر للخروج إلى قتال الكفار ترى المنافقين يكرهون الخروج خوفًا من الموت، فلو صدقوا في إيمانهم وعهدهم وخرجوا مع المجاهدين رغبة من أنفسهم لكان ذلك خيرًا لهم في سعادة الدارين.

قال تعالى توبيخًا عليهم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ فهل تمنيتم خيرًا بعد أن أعرضتم عن الإيمان إلى الكفر ونافقتم بين المسلمين والكافرين، تريدون أن تفسدوا في أهل الأرض وتقطعوا أرحامكم بقتال بعضكم بعضًا كما في الجاهلية؟!

ثم توعدهم الله ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ أولئك المنافقون طردهم الله من رحمته، فأصم أسماعهم عن استماع التذكير والمواعظ بآيات القرآن، وأعمى أبصارهم لأنهم لا يرون الحق حقًّا والباطل باطلًا، لا يزالون ينافقون بين المسلمين والكافرين.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ استفهام للتبكيت والتوبيخ: أفلا يتدبرون معاني القرآن ونواهيه وزواجره؟! بل على قلوبهم أغطية لا يدخل فيها تذكير القرآن وزواجره، وهم لا يزالون مصرون على كفرهم ونفاقهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ إن المنافقين الذين ارتدوا إلى كفرهم من بعد ما تبين لهم طريق الهداية والإيمان زين الشيطان طريق الكفر والعصيان لهم وأملى لهم بطول الأمل لحياتهم.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ (ذلك) إشارة لإملاء الشيطان بطول الأمل لحياتهم، بأنهم قالوا لليهود الذين كرهوا الإيمان برسالة رسول الله: ما نزل الله فيكم شيئًا في القرآن، سنطيعكم في بعض الأمر لتطمئنوا عنا، وقال تعالى: والله يعلم ما يخفون في قلوبهم من العداوة والنفاق لرسول الله والمؤمنين.

وقال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ﴾ فكيف يكون حال هؤلاء المنافقين إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم: يضربون وجوههم وظهورهم بسوط من حديد تهديدًا وإهانة لهم.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ العذاب عند قبض أرواحهم ﴿ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ بسبب أنهم اتبعوا ما أغضب الله بترك الجهاد مع رسول الله، وبالسعي للإفساد بين المؤمنين وبموافقتهم لليهود بالسر، وكرهوا رضوان الله، فأحبط الله أعمالهم الخيرية في ظاهر إيمانهم.

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ أم

ظن المنافقون الذين في قلوبهم مرضُ النفاق والشك في دين الله أن لن يظهر الله أحقادهم وعداوتهم للمؤمنين؟! ولو نشاء يا محمد لأريناك كرههم، أي: المنافقين، وعرفناك علامتهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في مجاملتهم في الكلام، والله يعلم أعمالكم أيها المنافقون فيحاسبكم عليها ويجازيكم.

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ ولنختبرنكم أيها المنافقون بالأمر بالقتال للكفار حتى نعلم ظهور معلومنا في المجاهدين في معركة القتال منكم والصابرين على ألم الجراحة في المعركة ونظهر أخباركم للمسلمين.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ إن الذين كفروا بربهم ومنعوا الناس من الدخول في دين الله وعصوا الرسول محمدًا عليه الصلاة والسلام وكذبوه من بعد ما ظهر لهم طريق الهداية والإيمان لن يضرَّ الله كفرهم به وتكذيبهم برسوله شيئًا، وسيبطل الله أعمالهم الخيرية؛ لا ثواب لهم في الآخرة.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ في هذه الآية حذر الله المؤمنين من ترك طاعته وطاعة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، وترك طاعة الله وطاعة رسوله تبطل أعمالهم الصالحات.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ ﴾ إن الذين كفروا بربهم ومنعوا الناس من الدخول في دين الله ثم ماتوا على حالة كفرهم فلن يغفر الله ذنوبهم.

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾
فلا تهنوا أيها المؤمنون ولا تضعفوا في الدعوة إلى الله وفي الجهاد في معركة قتال الكفار وتدعوا الناس إلى الدخول في دين الله، وأنتم ظافرون على أعدائكم الكافرين، والله معكم بالعون والنصرة، ولن ينقص ثواب أعمالكم بل يزيد لكم بعشر أمثالها.

ثم زهد المؤمنين عن رغبة الدنيا ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ فلا تغتروا بلذاتها وشهواتها فتلهيكم عن طاعة الله، ﴿ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ ﴾ وإن تؤمنوا بربكم وتستقيموا على دينه وتتقوا في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه يؤتكم ثواب أعمالكم بعشر أمثالها ولا يسألكم أن تنفقوا جميع أموالكم بل أوجب عليكم الزكاة من أموالكم بأن تؤدوها للفقراء، وثوابها يرجع إليكم.

﴿ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ ﴾ إن يسألكم أن تنفقوا جميع أموالكم فيبالغ عليكم في الطلب تبخلوا بإخراجها، ويظهر الله أحقادكم وبغضكم للإسلام.

﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ (ها) للتنبيه (أنتم) أيها المخاطبون تُدعون لتنفقوا بعض أموالكم في سبيل الله لتنالوا ثواب إنفاقكم في الآخرة، فمنكم من يبخل بإنفاق ماله، والذي يبخل فإنما يبخل عن شح نفسه، وضرر بخله راجع على نفسه، والله غني عن إنفاق أموالكم، وأنتم الفقراء لثوابه، وأموالكم تزول وتفنى. وإذا أنفقتم في سبيل الله تجدون ثوابه عند الله بعشر أمثالها إلى سبعة مائة ضعف.

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ وإن تتولوا أيها المخاطبون عن طاعة الله وإنفاق أموالكم في سبيل الله ورجعتم إلى كفركم يذهبكم بالإهلاك ويأتي بقوم آخرين يطيعون الله ورسوله، وينفقون أموالهم في سبيل الله حبًّا رضي الله عنهم ثم لا يكونوا أمثالكم في البخل وعدم الطاعة لله ورسوله، بل يكونوا أطوع منكم طاعة الله وبإنفاق أموالهم في سبيل الله.

الحمد لله، تمّت سورة القتال بعون الله.

* * *

سورة الفتح

آياتها تسع وعشرون آية، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾ هذا وعد من الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام فَتْحَ مكة بغير قتال، ونزول السورة عند رجوعه من الحديبية إلى المدينة في الطريق، وجاء في الذكر بصيغ الماضي لتحقق وقوعه، أي: إنا قد وعدنا لك يا محمد فتح مكة فتحًا ظاهرًا لا يبقى أحد يخالفك فيها، فاشكر على هذه النعمة.

﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾ ليغفر الله لك يا محمد ما تقدم من تقصيرك في طاعتي قبل إنزال الوحي إليك، وما تأخر بعد ذلك إلى موتك، وليتم نعمته عليك بإعلاء دينه الحق والنصرة على أعدائك الكافرين، ويثبتك في الهداية على طريق مستقيم إلى رضوان الله، وينصرك الله نصرًا قويًّا على أعدائك الكافرين.

ولما ذكر الله النصرة والنعمة لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام ذكر ما أنعم الله على المؤمنين ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾، أي: أنزل الله السكينة والطمأنينة في قلوب المؤمنين الذين مع

رسول الله يوم الحديبية بعد الصلح لكي يزدادوا إيمانًا مع إيمانهم، أي: يقينًا مع يقينهم بالله وبرسوله ﷺ وتصديقًا بوعد الله.

ثم ذكر الله قوته وعزته لنصرة المؤمنين ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ ولله جنود السموات: الملائكة وإنزال الحجر والرياح والصيحة، وجنوده في الأرض: الخسف والغرق في الماء والزلزلة، وكان الله عليمًا بما في قلوبكم من صدق الإيمان والصبر على طاعة ربكم، الحكيم فيما صنع ودبر في أمر خلقه وتلك السكينة والصبر في قلوبهم.

﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ ليدخل المؤمنين والمؤمنات بإيمانهم وطاعتهم فيما أمر الله ورسوله جنات تجري مياه الأنهار أمام قصورهم وخلال أشجار جنتهم مقيمين فيها على الأبد، ويكفر عنهم سيئاتهم بأعمالهم الصالحات، وكان ذلك الإدخال في جنات النعيم والتكفير عن سيئاتهم عند الله فوزًا عظيمًا لهم.

ثم أردف بذكر المنافقين والمشركين ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ ليعذب الله المنافقين والمنافقات بنفاقهم بين المؤمنين والكافرين ويعذب المشركين والمشركات بإشراكهم بالله وعنادهم لرسول الله والمؤمنين. ثم أظهر لما في قلوبهم، الظانين بالله ظن السوء، وذلك أنهم يظنون أن الله لا ينصر رسوله محمدًا والمؤمنين فأوعد الله عليهم: أن دائرة العذاب على المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات في الدنيا والآخرة،

وغضب الله عليهم وطردهم من رحمته، وأعد لهم عذاب جهنم وساءت جهنم عليهم مرجعًا ومقرًّا.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾ سبق تفسير الجنود قبل هذا، وكان الله غالبًا في تعذيب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، حكيمًا في صنعه وتدبير أمر خلقه.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ إنا أرسلناك يا محمد شاهدًا لأمتك وغيرها من الأمم السابقة، ومبشرًا بالجنة، ومنذرًا لكافة الإنس والجن؛ لتؤمنوا بربكم وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الذي أنزلناه على محمد بالوحي، وتعظموا رسول الله وتوقروه وتسبحوا ربكم صباحًا ومساء، أي: في كل أوقاتكم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾ هذه البيعة كانت على الموت: أن لا يفروا من معركة القتال، سميت هذه البيعة بيعة الرضوان لقوله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ ومعنى الآية أن المؤمنين الذين بايعوك يا محمد إنما بايعوا الله في حقيقة الأمر، يد الله فوق أيديهم حين بايعوك؛ لأن رسول الله وكيل من الله لعباده، الوكيل كالأصيل، فمن نقض عهده فإنما ينقض عهده على نفسه، أي: جريمة نقض عهده على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتي الله له ثوابًا عظيمًا وهو الجنة مع الإبرار فيها.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أخبر الله رسوله عن المتخلفين عن غزوة

الحديبية وقيل: الفتح، سيقول المتخلفون من بادية المدينة المنورة من الأعراب: شغلتنا أموالنا وأهلونا عن الخروج معك يا رسول الله، فاستغفر الله لنا. فكذب الله مقالهم: يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فاعتذارهم وطلب الاستغفار كذب منهم.

﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: فمن يملك لكم من قضاء الله شيئًا، إن أراد بكم ضرًا يصيبكم، أو أراد بكم نفعًا يصيبكم، بل الله مطلع على ما في قلوبكم، وهو بما تعملون خبير، فيحاسبكم ويجازيكم.

ثم كشف الله أسرارهم وفضحهم بحرف الإضراب ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ﴾ بل ظننتم أيها المنافقون أن لن يرجع رسول الله وأصحابه إلى المدينة أبدًا؟! ﴿ وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ وزين ذلك الظن الفاسد في قلوبكم، وظننتم في رسول الله والمؤمنين ظن السوء عليهم، وكنتم في علم الله وقدره قومًا هالكين في عذاب الله.

ثم خوفهم ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ ومن لم يؤمن بالله وبرسالة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام حق الإيمان فهو كافر بالله ورسوله، فإنا هيأنا للكافرين بربهم نارًا مسعرةً في جهنم وعذابًا سيذوقونه.

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ ﴾ ولله ملك السموات والأرض وما فيهن من المخلوقات، كيف يشاء يصرفها، يغفر لمن يشاء من عباده المؤمنين، ويعذب من يشاء

كالكافرين والمنافقين بعدله، وكان الله غفورًا للتائبين عن كفرهم وعصيانهم بفضله، رحيمًا بعباده المؤمنين في هذه الجملة ترغيب ودعوة إلى الإيمان بالله وحده وإلى التوبة الصادقة.

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ ويخبر سبحانه وتعالى عن المتخلفين عن غزوة الحديبية: إذا انطلقتم أيها المؤمنون إلى مغانم خيبر مع رسول الله لتأخذوها ــ وقد وعد الله أهل الحديبية فتح خيبر ــ فقال هؤلاء المنافقون: ذرونا نذهب معكم ونشارك معكم في الغنائم، فرد الله عليهم: يريدون أن يبدلوا حكم الله؟! قد حكم الله أن غنائم خيبر للمؤمنين الذين ذهبوا مع رسول الله إلى الحديبية لا يشاركها أحد غيرهم، قل لهم لن تتبعونا إلى خيبر. مثل ذلك الحكم قاله الله من قبل رجوعنا عن الحديبة. قال تعالى: فسيقول هؤلاء المنافقون: بل تحسدوننا. فرد الله عليهم: بل كان هؤلاء المنافقون لا يفهمون كلام الله إلاَّ قليلاً من ذكر الغنائم.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ قل يا محمد لهؤلاء المتخلفين عن غزوة الحديبية: قريبًا تدعون إلى حرب قوم أولي قوة شديدة ــ هم بنو حنيفة، رئيسهم مسيلمة ــ تقاتلونهم حتى ينقادوا إلى دين الإسلام أو يسلمون لدين الإسلام بغير قتال، فإن تطيعوا على الخروج لقتال الكفار يؤتكم الله أجرًا حسنًا، هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة، وإن تتولوا عن الخروج إلى الجهاد كما توليتم من قبل هذا يعذبكم الله عذابًا مؤلمًا في نار جهنم.

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ ليس على هؤلاء تكليف للخروج إلى الجهاد؛ عفا الله عنهم ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ للخروج إلى الجهاد ﴿ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾ عن الخروج إلى الجهاد ﴿ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ في نار جهنم.

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾ لما بلغ رسول الله وأصحابه الذين معه وكانوا ألفًا وأربع مائة ونزلوا في الحديبية، وأرسل رسول الله عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى مكة ليخبر لأهل مكة أن رسول الله وأصحابه جاؤوا محرمين لأداء نسك العمرة، ولما جاء لعثمان أخبرهم، فحبسوه، وجاء الخبر لرسول الله أن كفار مكة قتلوا عثمان، وأراد رسول الله أن يقاتلهم، وأخذ البيعة من أصحابه على القتال، وجميعهم بايعوا إلاَّ الجد بن قيس وكان من المنافقين، وقيل: حضر جبريل عليه السلام في هذه البيعة فبشّر الرسول الله ﷺ وأصحابه وأنزل قول الله: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة)، فعلم الله ما في قلوب المبايعين لرسول الله من الصدق والوفاء لعهدهم، فأنزل السكينة والطمأنينة عليهم لتقوى قلوبهم، وعزيمتهم للجهاد، ووعدهم فتحًا قريبًا ـ هو فتح خيبر ـ ومغانم كثيرة من خيبر ليأخذوها، وقيل: بعد خيبر أيضًا تأخذوا مغانم من بلاد الكفار، وكان الله عزيزًا في نصرة المجاهدين في سبيله حكيمًا في صنعه وتدبير أمر خلقه.

﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ ﴾ وعدكم الله أيها

المجاهدون غنائم كثيرة من فتوحات بلاد الكفار تأخذونها، فعجل لكم غنيمة خيبر، وكف أيدي أعداءكم عنكم. وقيل: لما جاء رسول الله مع جيشه لفتح خيبر وحاصروهم، وسمع بنو غطفان وأسد وهما حلفاء أهل خيبر، فأرادوا نصرة أهل خيبر، فألقى الله الرعب والخوف من المسلمين على قلوبهم فانصرفوا إلى بلادهم، وتلك الصرفة لتكون علامة لنصر الله للمؤمنين وليطمئنوا ويستقيموا في معركة القتال، ويهديكم أيها المجاهدون على طريق مستقيم إلى رضا ربكم. وذكر الخازن في تفسيره قصة خيبر بأكملها، إن شئت أيها القارىء ارجع إليه.

﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ وبلادًا أخرى من بلاد الكفار، يعني غير خيبر، لم تقدروا على فتحها، قد حفظ الله غنائمها لكم، ستفتحوا بلادهم بنصر الله لكم فتأخذوا غنائمها كبلاد الشام والعراق والروم والفرس وبعض الهند، وكان الله على كل شيء قادرًا لا يعجزه ملوك في نصرة أوليائه المؤمنين على أعدائه الكافرين الطاغين.

﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ ﴾ وهذه الآية متصلة بقصة الحديبية: ولو قاتلكم كفار مكة لانهزموا ورجعوا على أدبارهم مخذولين ثم لا يجدون قومًا يتولوا نصرتهم، ولا نصيرًا ينصرهم على المؤمنين.

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ جعل الله سنة لنصر أوليائه المؤمنين على أعدائه الكافرين، تلك السنة قد مضت في أمم الطاغين من قبل كفار قريش، ولن تجد يا محمد لسنة الله تغييرًا، وسنته ماضية على مقتضى قدره ومشيئته.

ثم يذكر سبحانه وتعالى امتنانه على رسوله والمؤمنين في الحديبية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ الله الذي كف أيدي المشركين عنكم بغير قتال، وكف أيديكم عن المشركين في أرض الحرم حفظًا لحرمة الحرم، من بعد أن نصركم على المشركين، وذلك أن من المشركين ثمانين رجلاً أرادوا اغتيال رسول الله وأصحابه، فأخذهم أصحاب رسول الله أسرى، وجاؤوا بهم عند رسول الله، فعفى رسول الله عنهم وأطلقهم من القيد وخلى سبيلهم إلى مكة، وذلك سبب لطلبهم الصلح من رسول الله، وكان الله بما تعملون أيها المؤمنون بصيرًا، بأن أخذتم من المشركين أسرى ثم أطلقهم رسول الله وخلى سبيلهم إلى مكة.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ (هم) كفار قريش، كفروا بربهم وجحدوا بما أنعم الله عليهم من الأمن وسعة الرزق في أرض الحرم، ومنعوكم من الدخول إلى المسجد الحرام لأداء نسك العمرة، والهدي محبوسًا من أن يبلغ محل إهراق دمها، ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ـ وهم المستضعفون ـ لم تعلموا إيمانهم وهم مختلطون مع المشركين يكتمون إيمانهم منهم فمنع الله القتال كراهية أن تطؤوهم وتقتلوهم بغير علم لإيمانهم فتصيبكم الدية من قتلهم بغير علم، وذلك الصلح بينكم وبينهم ليدخل الله في رحمته من يشاء من عباده المؤمنين. فلو تباعد وتميّز هؤلاء المؤمنون والمؤمنات عن المشركين لعذبنا الذين كفروا بربهم من قريش عذابًا مؤلمًا.

﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ حيث جعل الذين كفروا بربهم الحمية والعناد على المسلمين حمية الجاهلية، تمكنت الحمية والعناد في قلوبهم، وأرسل كفار قريش سهيل بن عمرو وأناس معه لطلب الصلح من رسول الله ويرجع إلى المدينة ويعتمر في العام القابل، وطلبوا الكتاب والمعاهدة بينهم فأمر رسول الله عليًّا رضي الله عنه، قال: اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم، قال سهيل: ما نعرف هذا، اكتب: باسمك اللهم، قال رسول الله لعلي: اكتب: ما صالح عليه رسول الله، قال سهيل: لو أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة، وقال رسول الله: اكتب ما يريدون، أنا رسول الله محمد بن عبد الله فهمّ المسلمون أن لا يكتبوا ذلك وأبوا، فأنزل الله السكينة والوقار على رسوله والمؤمنين وسكنوا وصبروا، وألزم الله في قلوب المؤمنين كلمة التقوى: هي الطاعة على أمر الله وأَمْرَ رسول الله، وقيل: هي كلمة التوحيد، وكان المؤمنون أحق بكلمة التوحيد، وهم أهلها، والطاعة لأمر الله وأمر رسول الله، وكان الله بكل شيء عليمًا لا يخطىء في حكمه أبدًا.

وكان رسول الله رأى في منامه رؤيا أنه هو وأصحابه دخلوا مكة، وطافوا البيت، ورسول الله بشر أصحابه بالرؤيا، وهم فرحوا واستبشروا بها، ولما رجعوا من الحديبية قال المنافقون: والله ما رأينا البيت ولا حلقنا ولا قصرنا رأسنا فأين الرؤيا التي بشرنا بها؟ أنزل الله: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ

وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ لقد جعل الله رؤيا رسوله حقًّا لا خلف فيها، لتدخلن المسجد الحرام في العام القابل إن شاء الله آمنين من القتال محلقين رؤوسكم أو مقصرين بعضه لا تخافون من اعتداء المشركين عليكم، فعلم الله ما لم تعلموا بما في الصلح لمصالحكم، فجعل الله لكم فتحًا قريبًا بعد رجوعكم وهو فتح خيبر، تأخذون مغانمها هي خاصة لكم لا يشاركم فيها غيركم.

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ هو الله الذي هداكم للصلح لحكمة منه، هو الذي أرسل رسوله بالقرآن فيه هداية إلى دين الحق ليظهره ويعليه على الأديان المختلفة كلها، وكفى بالله شهيدًا بما وعده لكم.

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ﴾ محمد رسول الله والمؤمنون الذين معه أقوياء في البطش والغلظة على الكافرين، يتراحمون بين المؤمنين ويتحابون، تراهم يا محمد راكعين ساجدين في صلاتهم معك يبتغون بتلك العبادات والطاعات تفضلاً من الله لهم، هو الجنة وحسن لقاء الله ورضوان الله منهم، وترى يا محمد علامات طاعتهم لله تعالى في وجوههم كأنها نور من كثرة إقامتهم في صلاة الليل والنهار.

﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ ذلك المذكور سابقًا هو صفتهم في التوراة. ثم ضرب لهم مثلاً في الإنجيل: كزرع مزروع في الأرض نبت في الأرض وأخرج فروعه فقواه فاستغلظ فاستوى ووقف على سوقه بغير ميل

ولا سقوط على الأرض، يستحسن الزارع منه ذلك، وذلك مثل لأصحاب رسول الله لأن بداية دخولهم في دين الإسلام ضعيف قليل حتى كثروا وتقوت شوكتهم، جعل الله تلك القوة للمؤمنين ليغيظ الكفار بشوكة المؤمنين، وعد الله الذين آمنوا بربهم صدق الإيمان وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله وأمر رسول الله، فوعدهم مغفرة لذنوبهم وثوابًا عظيمًا في الجنة تقر أعينهم فيها.

الحمد لله، تمَّت سورة الفتح بعون الله.

❋ ❋ ❋

سورة الحجرات

آياتها ثمان عشرة آية، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾

يا أيها المؤمنون لا تقدموا قولاً أو فعلاً (بين يدي الله) قبل أمر الله وقول رسوله وفعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا. كونوا تابعين لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، واتقوا مخالفة ما أمر الله به وما نهى عنه إن الله سميع لأقوالكم عليم بما في صدوركم من خير أو شر.

ثم أمر الله المؤمنين إجلالَ نبيّه وتوقيره عليه الصلاة والسلام ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ ورد في الصحيح أنه لما نزلت هذه الآية دخل ثابت بن قيس داره وأغلق عليه بابه، فافتقده رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك عِلْمه: فأتاه فوجده جالسًا في بيته منكسًا رأسه، فسأله عن شأنه؟ فقال: شر، أنا رجل شديد الصوت، وإن صوتي ارتفع، فأخشى أن تحبط أعمالي وأكون من أهل النار. فجاؤوا عند النبي ﷺ فأخبروه ما قال ثابت، فقال النبي ﷺ: بل هو من أهل الجنة يعيش حميدًا ويقتل شهيدًا، وفي رواية: جاء ثابت

عند رسول الله ﷺ فبشره أنت من أهل الجنة وتعيش حميدًا وتقتل شهيدًا، فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله لا أرفع صوتي أبدًا على صوت رسول الله. ومعنى الآية ذكر في قصة ثابت رضي الله عنه.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ إن المؤمنين الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله توقيرًا وإجلالاً له أولئك الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى والخشية، لهم مغفرة لذنوبهم وثواب عظيم في الجنة.

وكان يأتي أناس من أهل البادية إلى مسجد النبي ﷺ فينادون من الخارج يا محمدًا اخرج إلينا. وهم لا يعرفون توقير النبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ إن الأعراب، قيل: هم من بني تميم، جاؤوا وهم سبعون رجلاً وفدًا على رسول الله ﷺ ونادى أحدهم يا محمد اخرج إلينا. وكان النبي ﷺ نائمًا في الظهيرة، فوصفهم الله تعالى أن أكثر هؤلاء الأعراب لا يعرفون توقير رسول الله ومنزلته عند الله، ولو أنهم صبروا بغير نداء عليك يا محمد حتى تخرج من بيتك إليهم لكان صبرهم خيرًا لهم في الأجر عند الله، والله غفور لمن تاب عن إساءته لرسول الله، رحيم بعباده المؤمنين، يرشدهم إلى ما فيه لهم خير الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ ورد في نزولها أن رسول الله أرسل الوليد بن عقبة بن أبي معيط مصدقًا إلى بني المصطلق، فلما دنا من

ديارهم وسمعوا أن رسول رسول الله جاء إليهم أرادوا أن يستقبلوه، وكان بين الوليد وبين القوم عداوة سابقة، فلما رآهم خارجين خاف الوليد منهم وظن أنهم يريدون به شرًا، ورجع إلى المدينة، فقال: يا رسول الله إنهم منعوا زكاة أموالهم. فغضب رسول الله ﷺ، وأرسل إليهم جيشًا بقيادة خالد بن الوليد وأمره أن لا يعجل عليهم بل يتثبت ولما وصل الجيش سمع الأذان فيهم فأرسل إليهم فأخبروه أنهم ما منعوا الزكاة وإنما أرادوا استقباله، فأنزل الله الآية: (يا أيها المؤمنون، إن جاءكم رجل فاسق بخبر فتثبتوا صحة خبره، فلا تستعجلوا بما أخبر لكم حتى لا تصيبوا قومًا بجهالة فتصيروا على فعلتكم نادمين).

وتسمية الوليد فاسقًا ليس على الحقيقة، وإنما المعنى أنه كان كاذبًا في ادعائه.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨﴾ واعلموا أيها المؤمنون أن بين أظهركم رسول الله وهو مراقب عليكم وحريص على مصالحكم، فأطيعوا لأمره ولا تخالفوا له، لو أطاعكم فيما تختارون وسكت عنكم لوقعتم في الإثم وهلكتم في عقاب الله، ولكن الله بمنه وكرمه ثبّت في قلوبكم الإيمان وزينه فيها وجعلكم بأن تكرهوا الكفر والفسوق والمعاصي، أولئك المتصفون بصفة الإيمان والتقوى من المحذورات هم الراشدون في سلوكهم إلى رضى ربهم، وكان ذلك التوفيق تفضلاً من الله ونعمة عظيمة، والله عليم بخلقه وحكيم في صنعه وتدبير أمر خلقه.

وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ اختلفت أقوال المفسرين في سبب نزول هذه الآية، فحكم الآية عام، وفي معنى الآية أمر وتعليم للمؤمنين. وإن جماعتان من المؤمنين تنازعتا في أمر حتى تخاصمتا واقتتلتا فأصلحوا بينهما بحكم كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فإن لم تقبل إحداهما الصلح وبغت وظلمت على الأخرى فقاتلوا أيها المؤمنون مجتمعين الجماعة التي بغت وظلمت حتى ترجع إلى حكم كتاب الله وسنة رسوله، فإن كفت عن بغيها وظلمها فأصلحوا بينهما بالعدل بغير ميل على إحدى الطائفتين واعدلوا في الحكم والصلح إن الله يحب العادلين في الحكم والصلح.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (إنما) للحصر، وأخوة الإيمان والإسلام هي أقوى من أخوة النسب، فالمسلمون إخوة بالإسلام، تربط بينهم كلمة التوحيد، فإذا اختلفوا في أمر بينهم فأصلحوا بينهم وخافوا الله في الإصلاح، لا تميلوا إلى الجور، لعلكم ترحمون.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ يا أيها المؤمنون كلكم كنفس واحدة بأخوة الإيمان والإسلام، لا يحتقر قوم مؤمنون إخوة لهم مؤمنين لفقرهم أو لنسبهم، عسى أن يكون المحتقرون خير عند الله منهم، ولا نساء يحتقرن نساء لدمامتهن أو فقرهن أو لنسبهن، عسى أن تكن

المحتقَرات خيرًا عند الله منهن، ولا تلمزوا أنفسكم، أي: ولا تعيبوا ولا تطعنوا إخوانكم، وجعل طعن الإخوان والعيب بهم طعن للنفس وطعن الأمة طعن الفرد، ولا تلقبوا بعضكم بالألقاب السيئة، ادعوهم بأسمائهم، لأنه بئس الاسم القبيح يدعو به المؤمن أخاه المؤمن بعد أن صاروا مؤمنين بالله، إخوة في الإيمان، وتلك العادات عادات الجاهلية ومن لم يترك عادات الجاهلية ولم يتب إلى الله فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بإيجاب عقوبة الله عليها.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ يا أيها المؤمنون بالله وحده اجتنبوا واحذروا كثيرًا من الظن، خاصة إذا لم تكن له من القرائن لتحقيقه، إن بعض الظن إثم، مثل الظن السوء بمؤمن بريء، فيعاقب الله صاحبه به، وأما الظن الذي في رجل فاسق وهو فيه محقق ليس على الظان إثم، تكلم به أو لم يتكلم. ثم نهى عن خصلة ثانية: ولا تجسسوا أيها المؤمنون بينكم لتكشفوا أسرار أخيكم للناس، ولا يغتب بعضكم بعضًا، أي: لا يذكر أخاه المسلم بما يكره في غيبته. ثم ذكر مثلاً لقباحة الغيبة: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا، وقد كرهتم أن تأكلوا الميتة فكذلك اكرهوا الغيبة، واتقوا الله في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه، إن الله تواب، أي: يقبل توبة التائبين عن ذنوبهم، رحيم لعباده المؤمنين، يرشدهم لما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ قيل: سبب نزول الآية في كفار

قريش، ويتجه الخطاب لعامة الناس: يا أيها الناس، نحن خلقنا أصلكم آدم من تراب، وخلقنا زوجته منه، وأنتم منهما، وجعلناكم شعوبًا: جمع شعب، هم أصول القبائل، مثل قريش وتميم وقحطان؛ وقبائل: جمع قبيلة، هم المتفرع منهم كالبطون والأفخاذ. وهذه الأحساب والأنساب في العرب لا في غيرهم، والعرب يكتبون نسبهم في السجل، وعند غيرهم لا يكتبون في السجل، والحكمة في ذلك الخلق والتوزيع بين الشعوب والقبائل، لتعارفوا، نسبكم وقرابتكم، لا تفاخروا بالأنساب والأحساب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم في عبادة الله وطاعته يوم القيامة، إن الله عليم بأحسابكم وأنسابكم، خبير بأعمالكم، فلا تزكوا أنفسكم، هو أعلم بمن اتقى لله.

وأنزل الله في نفر من الأعراب يدّعون الإيمان في لسانهم عند النبي ﷺ وأخبر الله عنهم ﴿ ۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ الأعراب الذين جاؤوا عندك راجين من إحسانك لهم من المال، قالوا: آمنا بك. قل لهم: لم تؤمنوا أنتم، ولكن قولوا: أسلمنا، ولم يدخل الإيمان في قلوبكم بعد، وإن تطيعوا الله ورسوله علامة لإيمانكم فإنه لا ينقص جزاء أعمالكم شيئًا، إن الله غفور لمن تاب من كفره وعصيانه، رحيم بعباده المؤمنين.

ثم يذكر لهؤلاء الأعراب صفة المؤمنين الصادقين في إيمانهم: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ إنما المؤمنون الصادقون الذين آمنوا بالله وحده وصدقوا برسالة رسول الله ثم لم يقع الارتياب في

إيمانهم، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم طاعة لأمر الله وأمر رسوله، أولئك هم الصادقون في إيمانهم.

وبعد أن بيّن صفة المؤمنين حقًا كأنه يقول لهم: لا يعد مؤمنًا من أسلم خوفًا من القتل ورجاء الكسب، فحلف الأعراب أنهم مؤمنون في السر والعلن، فكذبوا بذلك، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ ففي الآية رد عليهم: قل لهم يا محمد، أتعلمون الله بدينكم؟! استفهام لتكذيبهم أتخبرون الله بما في قلوبكم وهو يعلم ما فيها من الكفر والخيانة، والله يعلم ما في السموات والأرض، لا يخفى عليه شيء، والله بكل شيء عليم من أحوال خلقه.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ يمنون عليك يا محمد، أي: هؤلاء الأعراب، أن أسلموا لدين الله. قل لهم: بل الله يمن عليكم أن هداكم للإسلام والإيمان إن كنتم صادقين فيما ادعيتم، إن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض، والله بصير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من شأنكم.

الحمد لله، تمّت سورة الحجرات بعون الله.

* * *

سـورة ق
آياتها خمس وأربعون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ (ق) من الحروف المقطعة في أوائل السور، الله أعلم بمراده منها، وقد اختلفت أقوال العلماء فيها. والقرآن ذو المجد والشرف على الكتب السماوية، وقيل: أقسم الله بالقرآن، وجواب القسم ما بعده.

﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ بل عجب كفار مكة بأن جاءهم منذر منهم، هو محمد عليه الصلاة والسلام من قريش، يخوفهم من عقاب الله إن لم يؤمنوا بالله وحده ولم يصدقوا بالبعث بعد الموت للحساب والجزاء، فقال الكافرون بالله والمنكرون للبعث: هذا الخبر بالبعث شيء عجيب، أنبعث بعد أن متنا وصرنا ترابًا؟! ذلك الخبر للرجوع إلى الحياة بعيد لا يمكن أن يحصل.

وقال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤﴾ وفي الآية رد على إنكارهم بالبعث: قد علمنا ما تأكله الأرض من أجسادهم فلا يخفى ولا يضل عنا شيء منهم، وعندنا بذلك كتاب حافظ لحياتهم

وأعمالهم ومماتهم وبعثهم مع جملة الخلائق للحساب والجزاء لأعمالهم، وقيل: هذا الكتاب هو اللوح المحفوظ، فيه مكتوب ما كان وما سيكون من أمر الخلائق.

ثم رد الله عليهم بحرف الإضراب ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ بل كذبوا بالقرآن لما جاء محمد عليه الصلاة والسلام به من ربه إليهم، فهم كفروا بالقرآن وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام، وقالوا: إن محمدًا ساحر وكاهن وفي القرآن سحر وأساطير الأولين. فهم في تكذيبهم للحق في أمر مختلف ومختلط، فمرة يقولون ساحر، ومرة شاعر، ومرة كاهن. . .

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ استفهام للتقرير: أفلم ينظر هؤلاء المشركون إلى السماء فوقهم بنظر الاعتبار والتأمل كيف رفعناها بغير عمد وزيناها بالكواكب والنجوم وما لها من شقوق وصدوع؟

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ وجعلنا الأرض مبسوطة واسعة لأهلها، وألقينا فيها الجبال الرواسي تُرسي الأرض وتثبتها لأهلها وتسكن لكيلا تضطرب، وأنبتنا فيها من كل صنف من الزروع والنباتات لتبهج الناظر. وجعلنا تلك الجبال الشامخات والزروع والنباتات تبصرة، أي: تبصيرًا وتنبيهًا وتذكرة لكل عبد منيب لأمر الله، ويستدل بها على كمال قدرتنا.

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ في

الآيتين يذكر سبحانه وتعالى امتنانه وإحسانه لعباده: ونزلنا من السحاب ماء عذبًا فأنبتنا لكم أشجارًا مثمرة في بساتينكم وحب الزرع من حنطة وشعير وعدس وغيرها من أصناف الزروع، وإذا نضج وصلح للأكل تحصدونه، وجعلنا شجر النخل طوال باسقات لها طلع نضيد في كمه وتتكشف منه بسرة حتى تصير زهرة ثم رطبًا، ويأكل أهلها ويدخرون ثمرها للأكل في غير موسمها، إنا جعلنا ذلك رزقًا للعباد، وأحيينا بالماء أرضًا ميتة من قحط الماء. مثل ذلك يكون الخروج من قبوركم أحياء للحساب والجزاء لأعمالكم. وفي قوله (كذلك الخروج) رد على المنكرين للبعث.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤﴾ كذبت قوم نوح عليه السلام رسولهم نوحًا قبل كفار قريش، وأصحاب الرس، والرس: هي بئر، وكانوا يسكنون حولها. يعبدون الأصنام، فكذبوا نبيهم وقتلوه، وثمود، هم قوم صالح عليه السلام، بالحجر، وعاد قوم هود عليه السلام، وفرعون كذب موسى عليه السلام، وإخوان لوط عليه السلام هم أهل سدوم، وأصحاب الأيكة هم قوم شعيب عليه السلام، وقوم تبع هم أهل اليمن، وتبع ملكهم نهى قومه عن عبادة الأصنام فكذبوه. كل هؤلاء كذبوا رسلهم وعصوا وطغوا فاستحقوا عقابي فوجب عليهم نزول عذابي فأهلكهم الله، سبقت قصتهم. وفي الآية تقريع وتخويف لكفار قريش وتسلية للنبي ﷺ.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥﴾ والاستفهام للإنكار على تكذيب كفار قريش بالبعث بعد الموت: أفتعبنا في إيجاد الناس وغيرهم من المخلوقات؟! وكفار قريش يعترفون بذلك، بل هم في شك

وارتياب في إعادة الله الأموات بالبعث من قبورهم أحياء للحساب والجزاء لأعمالهم.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ ولقد خلقنا الإنسان بقدرتنا لحكمة منا ونعلم ما تحدث وتخطر به نفسه ولم يظهروه، ونحن أقرب إليه بعلمنا بأحواله من العرق الذي يجري الدم منه بين حلقه وعنقه.

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ حيث يكون الإنسان يتلقاه الملكان أحدهما عن يمينه قاعد يكتب حسناته والآخر قاعد عن شماله يكتب سيئاته. وذلك الكتاب إلزام حجة، له أو عليه.

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾، أي: ما يتكلم الإنسان من كلام إلاَّ عنده رقيب حاضر يكتب كلامه من خير أو شر في ديوان الأعمال للتسجيل.

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ وجاءت غمرات الموت، وتَغَشَّى عقلك بالأمر الحق، لا تستطيع ردّه بشيء من أمر دنياك، ذلك الذي كنت منه تميل، تهرب وتكرهه.

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ ﴾ ونفخ في الصور نفخة واحدة للبعث من القبور، ذلك اليوم يوم الوعيد لتعذيب الكفار فيه.

﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ وجاء كل إنسان وجن معه سائق من الملائكة يسوقه إلى موقف الحساب، وشهيد يشهد على أعماله، ويقال له: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ لقد كنت في حياتك الدنيا في غفلة من هذا اليوم الذي فيه حساب وجزاء، وكذبت

لمن أخبرك عنه، فأزلنا عنك الغطاء الذي في سمعك وبصرك وقلبك، فبصرك اليوم نافذ تشاهد كل ما أنت عليه من العذاب والنكال.

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ وقال الملك الذي يكتب سيئات الأعمال: هذا ما كتبته بأمر الله عز وجل، فهو عندي معدٌّ حاضر في ديواني من أعمال هذا الإنسان الخبيثة، وها قد أتيت به وبعمله.

يقول الله تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾ ألقيا في عذاب جهنم كل كافر معاند لدين الإسلام وأهله، مناع لإنفاق ماله في وجوه الخير وفي حقوق الناس، وهو معتد ظالم على الناس ومشرك بالله إذ جعل مع الله إلـٰهًا آخر يعبده. ثم أمر الله الملكين تأكيدًا للأمر الأول: فألقياه في العذاب المسعر في نار جهنم.

﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ ويحصل خصام في جهنم بين الكفار والشياطين والطغاة، فيقول الكافر في جهنم: يا رب أضلني الشيطان عن طريق الحق. ويجيب هذا القرين وهو الشيطان: يا ربنا ما أضللته ولكن كان هو باختياره في ضلال بعيد عن الحق.

فيأتي الرد من الله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ يقول الله تعالى: لا تختصموا عندي مع شيطانكم، وقد قدمت إليكم بآياتي وبألسنة رسلي: التخويف عن عقابي في جهنم فلم تؤمنوا به. اليوم قد حكمت عليكم العقاب الأبدي، ما يُبدل الحكم عندي، وما أنا بظلام للعبيد. وذلك العذاب بكفركم وعصيانكم.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ ولما ألقي في جهنم كل كفار بربه من الإنس والجن ففي ذلك اليوم يقول الله لجهنم: هل امتلأت؟ وهذا السؤال لإظهار معلومه من جوابها إذ هو يعلم حالها، وتقول جهنم: هل من مزيد؟! قد امتلأت، أي: هل بقي فيَّ موضع لم يمتلىء؟ وقيل: إن النار من شدة تغيظها على الكفار تسأل متعجّبة أهناك مزيد منهم؟ وفي رواية: عن أنس رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع ربُّ العزَّة فيها قدمه فينزوي بعضها على بعض وتقول: قط قط، بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضلٌ حتى ينشىء الله لها خلقًا فيسكنهم فضل الجنة». رواه مسلم. وقط قط: تعني الإقرار بامتلائها، أي: حسبي حسبي.

وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾ وقربت الجنة للمؤمنين المتقين ليشاهدوا مكانهم في الجنة غير بعيد عنهم إكرامًا لهم، ويقال لهم: هذا الذي شاهدتموه في الجنة هو النعيم الذي وعدتم في حياتكم الدنيا بآياتنا وبألسنة رسلنا، وأنتم تؤمنون به وتصدقون برسلكم، وهذه الجنة لكل رجاع إلى ربه بالطاعة والإنابة الحفيظ لعهده لربه.

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ من خاف الرحمن قبل رؤيته وعذابه وكان مصدقًا بما أخبر الله من نعيم الجنة وعذاب جهنم، وجاء يوم القيامة بقلب طائع لأمر الله يقال لهم ادخلوا الجنة بسلام من كل أذى من غير هم وغم، أو المعنى: ادخلوها بالسلام لأهلها، (ذلك اليوم يوم الخلود) يعني يدخل المؤمنون في الجنة ليخلدوا فيها، والكافرون في جهنم ليخلدوا فيها، أما

أهل الجنة فلهم ما يشاؤون من النعم وحور العين والقصور، ولدينا مزيد، هو لقاء الله والنظر إلى وجهه تعالى، يرونه مثل القمر في ليلة البدر بلا كيف: وقيل: في كل جمعة يتجلى رب العزة لأهل الجنة فينظرون إليه يستغنون عن كل شيء بالنظر إلى وجه الله.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾ وكم أهلكنا قبل كفار قريش من أهل القرون بكفرهم بربهم وبتكذيبهم برسلهم. هم أكثر قوة في الحال وأشد بطشًا بالأخذ، ما نفعتهم أموالهم وسطوتهم حين أهلكناهم، بحثوا عن مهرب وملجأ في البلاد فلم يجدوا لهم من مهرب من عذاب الله. وفي هذا الخبر تخويف لكفار قريش.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ إن في ذلك الخبر من إهلاك الأقوام الطاغية لتذكرة وموعظة لمن كان له قلب حيّ وسالم عن الشوائب، ويصفي سمعه لاستماع التذكير والموعظة، وهو حاضر بقلبه لاستماع التذكير.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ ولقد خلقنا السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن من المخلوقات في ستة أيام وما مسنا من تعب. وقال أكثر المفسرين: في الآية رد على زعم اليهود أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام أولها يوم الأحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش ومن زعمهم هذا حرموا العمل على أنفسهم في يوم السبت لعنهم الله.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ فاصبر يا محمد على ما يقول اليهود في

صفات الله والتشبيه لخلقه، واصبر على إنكار المشركين للبعث بعد الموت ـ وقيل: هذا الأمر بالصبر هو تحضير قبل الأمر للقتال ـ .

وفي قوله: ﴿فسبح بحمد ربك﴾ إلى آخرها اختلفت أقوال المفسرين فمنهم من فسرها بالصلوات المكتوبة، ومنهم من فسرها بالتسبيح والحمد عقب الصلوات المكتوبة، والقول الأول أوفق لسياق النص، أي: صل الصلاة عند الصباح منزهًا وحامدًا لربك قبل طلوع الشمس، وكذلك قبل غروبها: الظهر والعصر كلاهما على وقتهما، ومن الليل صل صلاة المغرب والعشاء كلاهما على وقتهما. وتلحق بصلاة الليل صلاة التهجد، وحكمها سنة للأمة وواجبة لرسول الله. وقوله: فسبحه (وأدبار السجود) وبعضهم قال: النوافل، وبعضهم قال التسبيح والتحميد بعد الصلاة المكتوبة. والله أعلم بما هو الصواب.

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ واستمع يا محمد خبر المنادي يوم البعث ينادي من مكان قريب، هو الصخرة التي في بيت المقدس، يصعد إسرافيل عليه السلام عليها وينادي: أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن وتأتون لموقف الحساب وفصل القضاء. ويسمع المنادى جميع الخلائق فيسمعون الصيحة بالحق، لا شك فيه، ذلك يوم الخروج من قبورهم أحياء.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ إنا نحن نحيي الخلائق في الدنيا ونميتهم عند تمام آجالهم، وإلينا مصيرهم، يوم تشقق الأرض عنهم

ليخرجوا من قبورهم أحياء سراعًا إجابة للمنادي، ذلك ـ البعث من القبور والحشر للحساب وقضاء الحكم ـ وهو علينا هين.

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾

نحن أعلم بما يقول المشركون من إنكارهم للبعث والتكذيب برسالتك والسخرية بك يا محمد، سننتقم منهم، وما أنت عليهم بجبار تجبرهم على الإيمان والإسلام، فذكر بمواعظ القرآن ووعيده من يخاف وعيد الله بالعذاب للكافرين والمشركين والعاصين.

الحمد لله، تمّت سورة ق بعون الله.

* * *

سـورة الذاريـات

آياتها ستون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦ ﴾ أقسم الله بالرياح الذاريات ذات الهبوب، تذرو التراب ذروًا، أي: تهب من مكان إلى مكان آخر، فالسحاب الحاملات ماء ثقيلاً، فالجاريات، أي: السفن الجاريات مع ركابها على وجه الماء بيسر وسهولة، فالمقسمات أمرًا، أي الملائكة: تأتي بأمر خلائق الأرض من الله. والمقسم عليه: إنما توعدون أيها الناس لصادق، لا تشكوا فيه، وإن الحساب والجزاء لواقع لا محالة.

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤ ﴾ أقسم الله بالسماء ذات الطرائق مثل ما يظهر على الماء إذا هبت عليه الرياح، والمقسم عليه: إنكم أيها المشركون لفي قول مختلف في القرآن وفي رسالة محمد عليه الصلاة والسلام وفي البعث للحساب، تقولون في القرآن: سحر وأساطير الأولين، وفي محمد: كاهن، ساحر، شاعر، مجنون، ضربه الجن.

يُصْرَفُ عن الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الكريم من صرف عن طريق السعادة إلى الضلالة. وقيل: هم الوليد بن المغيرة المخزومي وأبو جهل بن هشام وأُبَيٌّ ابن خلف وأمية ابن خلف وأحزابهم الذين تعاهدوا معهم، ثم لعن الله الكذابين الذين يتقولون قولاً بالكذب والبهتان بمحمد عليه الصلاة والسلام وهم الذين في جهلهم وغفلتهم لاهون عن عاقبة أمرهم، يسألون مستهزئين بأخبار محمد عليه الصلاة والسلام: أيان أي: متى يقع يوم الحساب والجزاء؟! ورد الله عليهم: يوم هم على نار جهنم يلقون ويعذبون فيها ويحرقون على الأبد، ويقال لهم تهديدًا وإهانة: ذوقوا عذابكم هذا الذي كنتم في حياتكم الدنيا تستعجلون به.

وبعد أن ذكر الله حالة المشركين الطاغين في الآخرة في جهنم ذكر حالة المؤمنين المتقين في الآخرة في الجنة، وهذه سنة الله في كتابه العزيز، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ إن المؤمنين المتقين في حياتهم الدنيا هم في الآخرة في جنات وعيون جارية، وهم في جناتهم راضين بما آتاهم الله من نعيم الجنة، إنهم كانوا قبل ذلك النعم والكرامة في الجنة كانوا في الدنيا محسنين، أي: مخلصين في طاعة الله؛ كانوا قليلاً من الليل ما ينامون، وأكثر الليل هم يصلون ويتعبدون الله، وبالأسحار هم يطلبون المغفرة من الله؛ لأنه أفضل أوقات الليل وأقرب للإجابة، وجعلوا في أموالهم حقًا للسائلين والمحرومين، والمحرومون هم الذين لا يسألون إلحافًا ولا يظهرون فقرهم للناس.

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ وفي الأرض آيات دالات على كمال قدرة الله وحكمته، ومن الآيات المحسوسة: الجبال الشامخات، والتلال، والسهل، والرمال، وعذب التربة، والسبخ، والبحار، والأنهار، والأشجار المثمرة بأصنافها، وغير المثمرة بأصنافها، والحيوانات البرية، والبحرية، والطيور، والحشرات، والزروع بأنواعه، والنباتات، وفي بطن الأرض المعادن، وفي تلك الأشياء آيات ظاهرات لمن يتأمل ويعقل ويوقن بخالق الكائنات. ومن آيات الله الدالات على كمال قدرته وحكمته، في نفس الإنسان: كمال الخلقة، وهو يمشي قائمًا على رجليه، ويأكل ويشرب بيديه، ويرقد على الفراش خلاف غيره، وأعظم منها: الحواس الخمس: البصر، والسمع، والنطق، والذوق، والشم، والاختلاف في اللون والخلقة والطبيعة، وهذا حسن الخلق، وهذا سيء الخلق، وهذا غني، وهذا فقير، وفي قوله: أفلا تبصرون؟! الاستفهام للتقريع، ينبه الله عباده بها ليتذكروا ويتأملوا ويوثقوا الإيمان بالله وطاعته.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ وفي السماء أسباب رزقكم: هو المطر، والشمس؛ لا ينبت الزرع إلاَّ بالماء، ولا ينمو إلاَّ بظل الشمس، والأمر الذي وعده لكم من الوعد والوعيد.

بعد هذا البيان أقسم الله بذاته قال: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾ فورب السماء والأرض إن ما ذكرنا لكم فيما تقدم لحق ثابت لا شك فيه مثل الذي تنطقون به. وما في قوله إلاَّ خير تمثيل لإقناعهم بكمال قدرة الله.

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ استفهام للتشويق لاستماع القصة، قد أتاك يا محمد قصة ضيف إبراهيم، استمع قصة هؤلاء المكرمين عند الله: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ حين دخل الملائكة على إبراهيم فقالوا نسلم عليك سلامًا، أي: سلامًا منا، قال إبراهيم عليه السلام سلام عليكم، أنتم قوم لا نعرفكم.

ثم أراد إكرام ضيفه ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ وقام من عند ضيفه ودخل إلى أهل بيته فجاء بلحم عجل سمين مشوي فوضعه أمام ضيفه ليتناولوا منه فلم يأكلوا، قال إبراهيم عليه السلام: ألا تأكلون من الطعام؟ ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾. لما رأى إبراهيم عليه السلام عدم تناول الضيوف من الطعام فخاف منهم فأضمر خيفته منهم، وعرفوا أنه خاف منهم قالوا: لا تخف جئناك بالبشارة، وبشروه بغلام عليم سيولد له وهو نبي الله إسحاق عليه السلام ــ سبقت القصة في سورة هود ــ وقوله بغلام عليم، أي: بولد عليم فيما أمر الله له من تبليغ أمر الله لعباده وطاعته.

ولما سمعت امرأته سارة البشرى أقبلت، قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ فأقبلت سارة في ضجة وصيحة فلطمت وجهها، وفي سورة هود: فضحكت، الجمع بينهما فلطمت كالمسح يعني لطمة خفيفة مستبشرة بالغلام ضاحكة وقالت متعجبة: عجوز عقيم تلد؟! وفي سورة هود قالوا: ﴿أتعجبين من أمر الله﴾ إلى آخرها.

وتوجه إبرهيم عليه السلام للملائكة ﴿۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا

ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾﴾ فما شأنكم الذي أرسلتم به ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾ قالوا: أرسلنا الله إلى قوم لوط؛ قد بالغوا في الفعلة الفاحشة ولم ينتهوا واستحقوا عقاب الله عليهم؛ لنرسل عليهم حجارة من طين مطبوخ في النار كالآجر معلمة كل واحدة باسم كل من ترمى عليه، للمتجاوزين حد العبودية والمبالغين في الفسق والفجور.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ فبحثنا في أهل القرى لنخرج من كان فيها من المؤمنين فما وجدها فيها غير بيت من المسلمين هو بيت أهل لوط عليه السلام إلاّ امرأته كانت مع الهالكين في العذاب ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ وتركنا في قراهم علامة باقية هي ماء سبخ مثل ماء البحر الميت لا يستطيع الإنسان أن يشرب منه، تسمى موضع تلك القرى المدمرة: الغور، وماؤها بحر لوط يقع بين فلسطين والأردن وهو عبرة وتذكرة للذين يخافون عقاب الله بالعذاب المؤلم.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ وفي قصة موسى عليه السلام آية وعبرة لمن يسمع ويتأمل، حيث أرسلنا موسى إلى فرعون وملائه بحجة ظاهرة هي العصا واليد البيضاء، ولم يصدق فرعون وقومه، فأعرضوا عن الإيمان بالله، وقال فرعون: موسى ساحر أو هو مجنون لا عقل فيه. فأخذنا فرعون وجنوده أجمعين فأغرقناهم في ماء البحر، وهو يلوم نفسه. وقد تقدمت قصة موسى عليه السلام وفرعون، وذكر أصناف العذاب لهم في سورة الأعراف وطه والشعراء على أتم من هذه.

﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ ﴾ وفي قصة عاد عبرة وهم قوم هود عليه السلام، طغوا وتجبروا ولم يؤمنوا برسولهم هود عليه السلام فاستحقوا عقابنا، حيث أرسلنا لعقابهم الريح العقيم، لا خير فيها، وفيها برد وعصف. ثم ذكر وصفها ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾ ما تترك من شيء مرت عليه إلاّ جعلته كالتراب البالي لأنها ريح العذاب.

﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ وفي قصة ثمود عبرة أيضًا وهم قوم صالح عليه السلام؛ طغوا وعصوا رسولهم صالحًا عليه السلام، واستحقوا عقاب الله، حيث قال صالح عليه السلام تمتعوا في داركم إلى حين نزول العذاب عليكم فتكبروا عن قبول أمر الله ورسوله، فأخذتهم الصيحة، فيها صعقة نار فأهلكتهم وهم ينظرون إليها، فما استطاعوا للقيام من حيث كانوا هلكوا وما لهم أحد ينصرهم ويمنعهم من عذاب الله.

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ وأهلكنا قوم نوح عليه السلام بالطوفان من قبل إهلاك هؤلاء المذكورين، إنهم كانوا قومًا خارجين عن طاعة الله بالكفر والعصيان.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ وبنينا السماء ورفعناها بقوة وقدرة فوق الأرض وإنا لموسعون في أرزاق أهل الأرض، والأرض خلقناها فرشًا ومهدًا لأهلها فنعم الماهدون، وقوله: (إنا) بصيغة الجمع للتعظيم، ومن كل حيوان خلقنا ذكرًا وأنثى، ومن المطعومات

جعلنا حلوًا ومرًّا وحامضًا، وخلقنا النهار ضياء والليل ظلمة ومن الأرض سهلاً وجبالاً، عذبة التربة وسبخة، وفيها البحار والأنهار والقفار والصحراء، وفيها أرض ذات العشب والزروع والأشجار وخلقنا كل ذلك على مختلف الذات والصفة لعلكم تتذكرون وتتأملون فيها وتستدلون على كمال قدرتنا في الإيجاد وتوقنون أن الله قادر على إيجاد كل شيء وإفنائه.

ثم أمر الله عباده قال ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بالإيمان والطاعة له عن الكفر والشرك تسلموا من عقابه وتفوزوا بجنته، قل لهم يا محمد ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾، أي: إني لكم أيها الناس مخوف ظاهر عن عقاب الله إن لم تؤمنوا بالله وحده. ثم حذرهم من الشرك، ولا تجعلوا معي إلـهًا آخر لتعبدوه، إذ لا معبود إلاّ الله المعبود الحق، إني لكم منه جل شأنه منذر ظاهر عن عقاب الله. تكرار النذر للتأكيد.

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ في الآية تسلية للنبي ﷺ: مثل ذلك التكذيب عليك يا محمد كان تكذيب الأمم السابقة لرسلهم فإنهم ما كان يأتيهم من رسول إلاّ قالوا: إنه ساحر مجنون، فلا تحزن على تكذيبهم وشناعة مقالتهم عليك، إنك على الحق.

﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ هل أوصى أولهم آخرهم أو بعضهم بعضًا بالتكذيب والتشنيع على أنبياءهم ورسلهم؟! استفهام للإنكار، والتكذيب على كفار قريش. ورد الله على مزاعمهم بحرف الإضراب (بل) هم قوم طاغون، حملهم طغيانهم وكبرهم على القول بالتكذيب والتشنيع على محمد رسول الله.

قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ فأعرض يا محمد عنهم، قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة وبذلت جهدك، فما لوم ولا عتاب عليك، فذكر المؤمنين بتذكير القرآن ومواعظه فإن الذكرى تنفع المؤمنين بالله وبكتابه.

ولما ذكر الله أحوال المكذبين ذكر المقصود من خلق الإنس والجن ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ إلاَّ ليعرفوني أني خالق الخلق ويخصوا العبادة لي ولا يشركوا في عبادتي شيئًا وليخضعوا لأمري ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ لا أريد منهم من رزق يطعموني فأنا الرازق لجميع خلقي، وأنا الله جلّ شأني وعظمتي لا أطعم شيئًا أبدًا ولا أريد منهم أن يطعموا خلقي، وأنا المتكفل لأرزاقهم. إن الله هو الرزاق لجميع خلقه، ذو القوة المتين لا يعجزه شيء من شأن خلقه.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ فإن لهؤلاء المشركين الذين أشركوا بربهم وكذبوا رسولهم محمدًا عليه الصلاة والسلام نصيبًا من العذاب مثل نصيب أسلافهم المكذبين رسلهم، فلا يستعجلون العذاب، لأنه لا محالة واقع بهم، إنه عذاب شديد للذين كفروا بربهم في يوم القيامة، العذاب الذي يوعد به المشركون بعبادة ربهم.

الحمد لله، تمّت سورة الذاريات بعون الله.

* * *

سـورة الطـور
آياتها تسع وأربعون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ ﴾ أقسم الله بجبل الطور، هو في سيناء بمصر، كلم الله تعالى موسى عليه السلام فيه. وأقسم بكتاب مكتوب في جلد رقيق منشور، مبسوط، غير مطوي، قيل: هو القرآن. واقسم بالبيت المعمور، هو في السماء السابعة هو على حذاء الكعبة، يطوف عليه الملائكة كما يطوف المؤمنون الكعبة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك فإذا خرجوا لم يعودوا إليه أبدًا، وأقسم بالسماء التي هي للأرض كالسقف المرفوع إلى الفضاء وقيل: هو العرش وهو سقف الجنة، وأقسم بالبحر المسجور، أي: الموقد بالنار لأهل النار.

وجواب القسم: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ۝١٠ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ۝١٢ ﴾ إن عذاب ربك يا محمد لواقع بالكافرين، ليس لهذا العذاب من دافع عن الكافرين ومانع يوم القيامة، يوم تدور السماء دورًا، وتسير الجبال عن أماكنها سيرًا إلى الفناء؛ لأنهما خلقتا للدنيا، فعذاب شديد

للمكذبين الذين هم في الباطل مغمورون ويلعبون، وهم غافلون عن عقاب الله.

﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ويوم القيامة يسوق ملائكة العذاب أهل النار إلى جهنم ويدفعونهم دفعًا بالعنف والشدة حتى يأتوا إلى باب جهنم، وتقول الخزنة: هذه النار التي كنتم في حياتكم الدنيا تكذبون بها حين أخبر الله على لسان أنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

ثم تقول الخزنة موبخة لهم: ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ أفسحر هذا العذاب الذي شاهدتموه، أم أنتم لا تبصرونه؟!! ﴿ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ ادخلوا نار جهنم وذوقوا حرّها، فاصبروا على عذابها أو لا تصبروا، وتجَزّعوا، سواء أكان لكم صبر أم لا فلا ينفعكم جزعكم ولا استغاثتكم، وعليكم العذاب السرمدي، إنما تجزون ذلك بسبب ما كنتم في حياتكم الدنيا تعملون من شرك وكفر وعصيان.

ثم يذكر سبحانه وتعالى أحوال المؤمنين المتقين في الجنة، وهذه سنته في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ إن عباد الله المتقين مخالفة ما أمر الله به وما نهى عنه في حياتهم الدنيا، ففي الآخرة هم في جنات النعيم، يتنعمون فيها فاكهين، أي: متلذذين مستبشرين بما آتاهم ربهم من نعيم الجنة، وحماهم وصرفهم ربهم عن عذاب الجحيم، ويقال لهم

بالتشريف: كلوا واشربوا كيف شئتم، هنيئًا لكم بسبب ما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا الفانية. وحال كونهم في الجنة يتنعمون متكئين على سرر ـ جمع سرير ـ مصفوفة، متقابلين مستأنسين، وزوجناهم بالحور العين يستأنسون بهن. سبقت صفة حور العين مرارًا.

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ والذين آمنوا بالله وحده واستقاموا فيه واتبعتهم ذريتهم بإيمان بالله وحده ألحقنا بهم ذريتهم تفضلاً منا لتقرّ أعينهم وما أنقصنا من ثواب عمل الآباء من شيء، وكل إنسان مرتهن بكسبه، لا يحمل أعمال غيره السيئة ولا تعطى حسناته لغيره.

﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ وزدناهم بأنواع الفاكهة وأنواع اللحوم مما يشتهون ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ يتناوله أهل الجنة بعضًا من بعض في الجنة، كأسًا فيها شراب من خمر فرحًا وسرورًا كما يفعل الشباب مع أصحابه في الدنيا يتجاذبونها ولكن هذا الشراب لا يحدث بشربه فقدٌ لعقولهم ولا لغو في كلامهم ولا إثم كما في خمر الدنيا.

﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ ويطوف على أهل الجنة غلمان لخدمتهم كأنهم في الحسن والجمال مثل لؤلؤ مصون في صدفه.

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ عن أحوالهم في الدنيا، وقال بعضهم ﴿ قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ خائفين من عذاب الله ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ فمن الله علينا بالمغفرة لذنوبنا

والرحمة في دار النعيم ووقانا من عذاب السموم، يعني: شديد الحرارة ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ إنا كنا في دار الدنيا نعبده وحده، فالله تعالى هو المحسن الرحيم بعباده المؤمنين إنه لا يضيع أجر المحسنين.

﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ فذكر يا محمد قومك بما أنعم الله عليك في القرآن من التذكير والمواعظ، فما أنت بكاهن لتخبرهم من أمور الغيب بغير وحي ولا أنت بمجنون كما يزعم هؤلاء المشركون.

وقال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾ بل يقول هؤلاء المشركون: هو شاعر ننتظر فيه دوائر الدهر، يهلك فيه كما هلك الشعراء قبله. قل لهم يا محمد: تنتظروا بي الموت! فإني على هلاككم من المنتظرين. وفي الآية وعيد لكفار قريش. قد حقق الله وعيده عليهم في يوم بدر وغيرها.

﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ أم تأمرهم عقولهم بهذا الكلام أن محمدًا كاهن وشاعر ومجنون؟ فرد الله عليهم بحرف الإضراب (بل هم قوم طاغون) في الشرك والعناد. أم يقولون تقوّل محمد القرآن وافتراه؟ بل لا يصدقون به. إن كان محمد تقوّله كما يزعمون وهم أهل الفصاحة واللغة، فليأتوا بحديث واحد مثل حديث القرآن إن كانوا صادقين في زعمهم أن محمد افترى القرآن من عند نفسه. وفي الآية تبكيت وتوبيخ لكفار قريش.

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ أم خُلِقَ هؤلاء المنكرون لوجود الله وبالبعث من غير خالق ورب؟ وقيل: بغير أب ولا أم خلقوا؟ أم هم الخالقون أنفسهم؟ أم خلقوا السموات والأرض؟ والجواب: لا يستطيعون خلق شيء أبدًا. بل هم لا يصدقون بوحدانية الله في ملكه وكمال قدرته.

﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ أم عندهم خزائن السموات من ماء مطر ورزق وبركة وخزائن الأرض والنباتات والزروع والأشجار والعيون وغير ذلك من المعادن البحرية والبرية؟! أم هم المسيطرون في ملك الله؟!

﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ أم لهم سلم يرتقون عليه إلى السماء ويستمعون فيه كلام الملائكة بالوحي، فليأت المستمع لأخبار السماء لهم بحجة ظاهرة.

﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ أم لله البنات ولكم البنون؟! وهذا رد على مزاعمهم إن الملائكة بنات الله، والاستفهامات وما بعدها للتبكيت والتعجيز والتوبيخ والتقريع.

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ أتسأل يا محمد أجرًا لتبليغ رسالتي إليهم؟! فأنت لا تسألهم، إن سألتهم أجرًا فهم من حمل مغرم مثقلون متعبون ولذا يمتنعون عن الإيمان بالله وحده.

﴿ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ هل عندهم علم اليقين بعلوم الغيب وبما يكون في الآخرة من البعث والحشر والحساب والجزاء فهم يكتبون منه؟ والجواب ليس عندهم شيء من علم الغيب إنما خصومتهم مع رسول الله بالجهل والعناد والحسد.

﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ هل يريد هؤلاء المشركون كيدًا لقتل رسول الله؟! يتآمرون في دار الندوة ـ فرد الله عليهم: فالذين كفروا بالله وجحدوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام هم معاقبون بسبب كيدهم لرسول الله وسينقلب كيدهم عليهم.

﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ هل لهم إلـه يعبد غير الله يمنعهم من عذاب الله المعبود الحق؟! سبحان الله عما يشركون به من عبادة الأصنام والأوثان.

﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ وهذا جواب على قولهم: أو تسقط السماء كما زعمت علينا، والمعنى: وإن ير هؤلاء المشركون قطعة عذاب من السماء ينزل عليهم يقولون: هذا سحاب متراكم يمطرنا. وهم غافلون عن العذاب.

﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ أتركهم يا محمد على بغيهم وعنادهم عليك، وأنت معصوم عن شرهم، حتى يلاقوا يوم موتهم الذي فيه يموتون، حينئذ لا ينفعهم كيدهم بدفع العذاب عنهم شيئًا، ولا هم يُمنعون من عذاب الله.

﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ وفي الآية وعيد لكفار قريش: وإن للمشركين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك عذابًا في الدنيا قبل عذاب الآخرة، ولكن أكثرهم لا يعلمون نزول العذاب، غافلون عنه، وقد أخذهم الله بالقحط سبع سنين وفي يوم بدر وغيرها من الأيام.

ثم قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ أمر الله نبيه صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم بالصبر: اصبر يا محمد لحكم ربك بتبليغ أمره إلى قومك وكافة الناس، فإنك بأعيننا، أي: تحت رعاية الله وحفظه، يعصمك من شر أعدائك. وسبح بحمد ربك حين تقوم من منامك، ومن الليل فصل صلاة التهجد، وعند إدبار النجوم صل صلاة الفجر.

الحمد لله، تمّت سورة الطور بعون الله.

* * *

سورة النجم

آياتها اثنتان وستون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ﴾ أقسم الله بالنجم إذا غاب، وجاء بالذكر بالمفرد والمراد منه جميع النجوم. ما ضل محمد عن طريق الهداية وما أخطأ في تبليغ رسالة ربه وما ينطق محمد عن هوى نفسه، ليس القرآن إلاَّ وحي من ربه ينزل إليه بالوحي، علّم محمدًا قراءة القرآن ومعانيه جبريلُ عليه السلام حين نزل به إليه، وجبريل هو شديد القوة والسرعة في خدمة ربه، ذو مرة وقيل ذو قوة وقيل ذو حسن في خلقته، فاستوى جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها، وجبريل في الأفق الأعلى، قيل في مطلع الشمس.

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ ﴾ اختلفت أقوال السلف والمفسرين في معنى الآية، وهل رأى محمد ﷺ ربه؟! نذكر على وجه الأخصر لقولين مع أدلتهما: سُئلت عائشة رضي الله عنها: هل رأى النبي ﷺ ربه بعينه في ليلة الإسراء؟ فأنكرت. ومثل هذه الرواية عن أبي هريرة رضي الله عنه،

وجماعة من السلف عن ابن مسعود رضي الله عنه وروي عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وأبي ذر الغفاري وكعب والحسن. وفي رواية عن ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهم رأى رسول الله ربه بعينه وحلف الراوي على صحة روايته. راجع تفسير الخازن.

وقوله جلّ وعلا: ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى﴾، أي: قرب محمد إلى ربه فتقرب إليه فكان القرب إلى ربه مثل قاب قوسين أو أقرب فأوحى الله إلى عبده محمد عليه الصلاة والسلام ما أوحى، والمقصود من الوحي ههنا الكلام. ــ وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله: يجب إثبات الرؤية كما يجب إثبات التكلم مع موسى عليه السلام ــ ما كذب فؤاد محمد ما رأى في ليلة الإسراء، بل أيقن وزاد يقينًا بما رأى.

ثم وجه الخطاب إلى الشركين: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ لما نزل رسول الله من السماء وأصبح وهو في مكة أخبر قريش بما حصل معه من الإسراء والعروج في السماء، فأنكر المشركون عليه ذلك، فأنزل الله: أفتشكون بما يرى محمد وتجادلونه، ولقد رأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها مرة أخرى وأول رؤيته جبريل عليه السلام في غار حراء بمكة وهذه المرة عند سدرة المنتهى، هي شجرة ينتهي عندها علم الخلائق وما يعلم وراءها أحد إلاّ الله، عندها جنة المأوى تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين. إذ يغشى السدرة ما يغشى من نور تجليات رب العزة، لا يعلم غاية هذه السدرة إلاّ الله. ما زاغ بصر محمد عليه الصلاة

والسلام ولا تجاوز عما رأى من ملكوت السموات من عجائب مخلوقات الله.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ لقد رأى محمد في ليلة المعراج من آياته الكبرى، هي رؤيته عليه الصلاة والسلام سدرة المنتهى والبيت المعمور وجنة المأوى والجنات وجهنم، وهاهنا انتهت قصة المعراج.

ثم يعاتب الله المشركين ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ أخبروني عن آلهتكم التي تعبدونها هل لها قوة وقدرة لإيجاد شيء من العدم؟! سميتموها اللات والعزى ومناة بنات الله، وقيل: اللات بالطائف يعبدونها، والعزى صنم لغطفان يعبدونها، ومناة بمكة لخزاعة وهذيل يعبدونها، وعام الفتح أمر رسول الله خالد ابن الوليد بكسرها كلها. ثم وبخهم الله: أجعلتم الذكر لكم ولله الأنثى؟! تلك القسمة إذًا قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم الإناث التي تكرهونها وجعلتم لأنفسكم ما تحبونه.

ثم أبطل الله مزاعمهم وبكتهم: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ ما هي معبودكم، إن هي إلاَّ أسماء فقط، لا شعور لها، إنها جمادات، سميتموها آلهة أنتم وآباؤكم وتعبدونها!! ما أنزل الله بصحة عبادتكم لها من حجة، بل أنكر الله عبادتكم لها ونهاكم عنها. ما يتبع هؤلاء المشركون إلاَّ الظن الفاسد وما تهوى أنفسهم وتميل عليه من التقاليد على سنَّة أسلافهم الضالين، ولقد جاءهم من ربهم الرسول محمد عليه الصلاة والسلام بالكتاب المنير وبين لهم طريق الهدى وأمر بها، وبين

لهم طريق الضلالة ونهى عنها، فكفروا بالكتاب وكذبوا رسول الله ولم يصدقوا برسالته.

وقال تعالى: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾، أي: هل للإنسان الكافر بربه ما يتمنى ويشتهي من الذكور ثم يعبد الأصنام ويطمع بالشفاعة منه؟! فللَّه ملك الدنيا والآخرة، وهو كيف يشاء يصرف الخلق ويعطي ويمنع، لا أحد يشارك في تصريفاته، فمن أراد نعيم الآخرة وعمل عملاً صالحًا لله تعالى وهو مؤمن بالله يجزيه الله جزاء حسنًا في الآخرة.

﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ وكثير من الملائكة في السموات لا تنفع شفاعتهم لأهل الأرض شيئًا إلَّا من بعد أن يأذن الله بالشفاعة لمن يشاء ويرضى عنه، فإذن كيف تشفع الأصنام لعابديهم؟! وهم وعابديهم في جهنم؟!.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾ إن المشركين الذين لا يصدقون بالبعث والحساب والجزاء ليسمون الملائكة تسمية الأنثى، يعني يقولون: الملائكة بنات الله، وليس لهم بما يقولون من علم صحيح، ما يتبعون إلَّا ظن أسلافهم بالباطل، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا، ولا يقوم مقام الحق.

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾. فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين الذين تولوا عن تذكيرك بآيات كتابنا ولم يريدوا إلَّا حياتهم في الدنيا بالتنعم، ذلك التنعم واللذة في شهواتهم مبلغهم من

العلم، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيل دين الله وهو أعلم بمن اهتدى إلى دينه الحق.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ ولله ما في السموات السبع والأراضين وما فيهن من المخلوقات، ليجزي الذين أساؤوا بالشرك والمعاصي في عذاب جهنم ويجزي الذين أخلصوا أعمالهم لله تعالى بالجنة.

﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ ﴾ الذين يجتنبون كبائر الإثم ويتحذروا عنه كقتل النفس بغير حق وأكل مال اليتيم والشرك بالله وأعمال الفواحش كالزنى واللواط وشرب الخمر والسرقة وكل فعل يجب على فاعليه الحد، إلاَّ الصغائر تكفر بصلاتهم وصيامهم وبأعمالهم الخيرية، إن ربك يا محمد واسع المغفرة يغفر لمن يشاء.

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ هو سبحانه وتعالى أعلم بكم حين أنشأ أباكم آدم من الأرض ثم صيركم نطفة، وحين أنتم أجنة في أرحام أمهاتكم ـ سبق تفسير الخلقة في سورة المؤمنون ـ هو عالم بأعمالكم فلا تنسبوا أنفسكم بالطهارة عن الذنوب، هو الله أعلم بمن اجتنب الذنوب وأناب إلى ربه بالتقوى.

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة، هو آمن بالله، فعيّره أصحابه: إنك تركت ملة آبائك وآمنت بمحمد. ووعد لمن عيّره بالمال، ورجع إلى

الشرك، وأعطى قليلاً من المال الموعود وقطع الباقي وبخل. وقيل: أعطى قليلاً من الكلام الطيب في القرآن، ثم انقطع، قال تعالى: أعند الذي تحمل عقاب الله عنه علم الغيب من أمور الآخرة فهو يرى ويعلم أن ذنوب أحد يحتملها غيره؟! أم لم يخبر بما في التوراة الكتاب المنزل على موسى عليه السلام أن كل إنسان مسؤول عن عمله؟!

وكذلك في صحف إبراهيم الذي وفى عهده وأنتم بما أمرتم به ما أوفيتم: أن لا تزر نفس آثمة وزر نفس آثمة أخرى. والجملة الأخيرة متعلقة بقصة الوليد وصاحبه.

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ وليس للإنسان إلاَّ ما عمل من خير أو شر، وإن عمله يوم القيامة يعرض عليه ثم يحاسب على أعماله ويجزى عليه الجزاء الكامل لا يظلم مثقال ذرة، وإن إلى ربك يا محمد تنتهي أعمال العباد هو يحاسب ويجازي.

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ وأنه تعالى أضحك الإنسان بالفرح والسرور وأبكاه بالحزن والكرب، وقيل: أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في نار جهنم. وأنه تعالى أمات الإنسان عند تمام أجله وأحياه بالبعث من قبره للحساب والجزاء.

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ وأنه تعالى خلق الإنسان وسائر الحيوانات زوجين ذكرًا وأنثى، من نطفة ذكر إذا تمنى وتقذف في رحم الأنثى فتحمل وتلد ذكرًا أو أنثى بمقتضى قدر الله وحكمته.

﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ وأن الله تعالى أخذ على نفسه إحياء الخلائق بالبعث من قبورهم لحساب أعمالهم والجزاء فيجازي المؤمن بالجنة ويجازي الكافر بنار جهنم. وليس هناك غيره يقدر على ذلك.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ وأنه تعالى هو أغنى من شاء؛ من عباده بالأموال الكثيرة وأفقر من شاء، لحكمة منه جلت قدرته وحكمته، وقيل: وأغنى، أي: أقنع بما أعطاه الله سد حاجته، وأقنى، أي: أعطا مالاً كثيرًا يقتنيه ويدخره.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ وأنه تعالى هو خالق الشعرى: هو الكوكب المضيء كانت تعبده خزاعة، وفي قوله تعالى تبكيت وتوبيخ لخزاعة.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾ وأنه تعالى أهلك قوم عاد وهم قوم هود عليه السلام بكفرهم بربهم وتكذيبهم برسولهم أهلكهم بالريح الصرصر العاتية في أيام برد جعلتهم كالرميم، وصفهم الله: الأولى، هم عادًا الأول، وأهلك قوم ثمود، هم قوم صالح عليه السلام بعقرهم الناقة التي وهبها الله معجزة لهم، وبتكذيبهم رسولهم صالحًا عليه السلام بالصيحة الطاغية لم يبق أحد منهم، وأهلك الله قوم نوح عليه السلام بماء الطوفان، ما نجىٰ أحد من الغرق إلاَّ أهل السفينة، والحيوانات التي حملها في السفينة وكان إهلاك قوم نوح عليه السلام قبل إهلاك قوم ثمود وعاد، إن قوم نوح كانوا أطغى عن حد العبودية وأظلم على نبيهم نوحًا عليه السلام من قوم عاد وثمود.

﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ والمؤتفكة: هي قرى لوط عليه السلام. سبقت قصتها في سورة هود والشعراء والعنكبوت، أهوى،

أي: أسقط جبريل عليه السلام عاليها سافلها وأرسلت الحجارة المسومة وبحسب أسمائهم عليها، فغشي العذاب عليهم ما غشي وألبسها من الحجارة ما ألبسها.

بعد أن ذكر الله قصة الهالكين في عذاب الله تقريعًا لكفار قريش يخاطب الله كفار قريش بالإنكار على خصومتهم على رسول الله وموجهًا الخطاب إلى الوليد بن المغيرة ويريد به كافر ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾ فبأي نعماء ربك تشك وتجادل أيها المخاطب: هذا محمد منذر من جملة المنذرين الأُوَل قبله، يخوفكم عقاب الله إن لم تؤمنوا بالله وحده ولم تنزجروا عن عبادتكم غير الله.

﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ قربت الساعة لوقت قيامها للحساب والجزاء، ليس لوقت قيامها نفس عالمة غير الله، وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿لا يجليها لوقتها إلاَّ هو﴾.

وقال تعالى موبخًا لكفار قريش ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ هل من هذا القرآن تعجبون وتسخرون وتضحكون استهزاء عليه؟! ولا تبكون حين سمعتم زواجره ووعيده على الكافرين به؟ وأنتم لاهون عن استماعه؟

ثم أمر الله المؤمنين أن يخصوا العبادة له قال تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ وقيل هي سجدة الصلاة، أي: اسجدوا لله وخصوا العبادة له. وفيها معنى النهي عن عبادة غير الله.

الحمد لله، تمّت سورة النجم بعون الله.

* * *

سورة القمر

آياتها خمس وخمسون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ اقترب قيام الساعة للبعث والحساب للعباد على أعمالهم. وانشق القمر. وفي الحديث عن ابن مسعود وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم: سأل كفار قريش معجزة من رسول الله ﷺ تدل على صدق رسالته، فسأل اللّهَ آية لإقناعهم، فانشق القمر نصفين في ليلة البدر، نصفه وقع على جبل أبي قبيس ونصفه وراء الجبل، فلم يقنعوا، بل قالوا سحر أعيننا محمد، لا نصدق حتى نسأل من أهل البادية، وجاء ركبان من أهل البادية فسألوهم، وأخبروا عن انشقاقه نصفين فكذبوهم. وقال تعالى: إنهم إن يروا آية من الله ومعجزة لرسول الله تدل على صدق رسالته مثل انشقاق القمر وغيره يعرضوا عن الإيمان برسول الله ويقولوا: هذا سحر مستمر من محمد لا نصدقه..

﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾ وكذبوا رسول الله واتبعوا أهواءهم في التكذيب والكفر وكل أمر من خير أو شر مستقر وثابت على صاحبه هو إما في الجنة وإما في جهنم.

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝ ﴾ ولقد جاء كفارَ قريش من أخبار الأمم الماضية المكذبين رسلهم والكافرين بربهم القصص الذي فيه تذكرة وموعظة لمن سمع ينزجر ويمتنع عن الكفر والمعاصي، وفي الأخبار حكمة بالغة إلى منتهاها، فإذا جاء وقت هلاكهم فما تغني موعظة المنذرين وتذكيرهم دفع العذاب عن قوم لا يؤمنون بربهم وهم في شقاوتهم الأزلية غلبت عليهم.

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝ ﴾ فأعرض عنهم يا محمد وانتظر، (يوم يدع الداعي): هو إسرافيل، ينفخ في الصور فيدعو إلى أمر فظيع تنكره النفوس من شدته، خاشعة أبصارهم، يخرجون من قبورهم أحياء كأنهم مثل جراد منتشر في أرض المحشر، مسرعين إلى الداع، يقول الكافرون هذا اليوم يوم عسر، أي: صعب شديد، وأما على المؤمنين فهو يوم يسير.

﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝ ﴾ كذبت قبل كفار قريش قوم نوح نبيهم نوحًا عليه السلام وقالوا: هو مجنون، (وازدجر)، أي: وزجروه عن دعوى النبوة بالسب والوعيد بالقتل.

﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ۝ ﴾ ولما أيس نوح عليه السلام عن إيمانهم فدعا الله، يا رب إني مغلوب قد عجزت منهم فانتصر لنصرة دينك. فأجاب الله دعاءه، قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝ ﴾ قال ابن كثير: أمطرت السماء ماء لإغراق قوم نوح عليه السلام، فتح الله أبوابها، أمطرت أربعين

يومًا بماء منصب، وجعل الأرض يتفجر الماء منها عيونًا، فالتقى ماء السماء وماء الأرض على حالة قد قدرها الله لإغراق قوم طاغين.

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤﴾ وحملنا نوحًا ومن آمن به على السفينة ذات ألواح ودسر، أي: مصنوعة بألواح عريضة وشد بعضه على بعض بالمسامير، تجري السفينة بحفظنا فوق الماء وتلك السلامة من الغرق كانت جزاء لمن كان كفر به، أي: بنوح عليه السلام، حيث كفر قومه عليه.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ ولقد جعلنا من قصة أهل السفينة ومن هلك في ماء الطوفان عبرة وتذكرة لمن بعدهم ليتذكروا ويتعظوا بها فهل من متذكر؟ انظروا أيها المؤمنون فكيف كان عذابي لمن كفر بي وكذب رسلي. ولقد يسرنا تلاوة القرآن وسهلنا حفظه لمن أراد حفظه خلاف سائر الكتب السماوية، التي لا يسهل حفظها إلاَّ للأنبياء والرسل، وأما القرآن سهل الله قراءته وحفظه لمن آمن به من عربي وأعجمي، فهل من متذكر هذه النعمة العظيمة التي خصها الله لهذه الأمة المحمدية.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠﴾ كذبت قوم عاد رسولهم هودًا عليه السلام، فكيف كان عذابي وإنذاري لهم، ثم بين نوع العذاب: إنا أرسلنا عليهم ريحًا صرصرًا، أي: شديد العصف والهبوب، فيها صوت قوي، في يوم بارد مستمرة ثمانية أيام ولياليها، تنزع الناس، أي: تقلعهم من أماكنهم وترميهم على الأرض كأنهم في الأرض مثل أعجاز نخل طويل ساقط على الأرض.

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ سبق تفسيرهما في قصة نوح عليه السلام ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ كذبت قوم ثمود رسولهم صالحًا عليه السلام وكذبت بالإنذار من عقاب الله إن لم يؤمنوا بالله وحده ولم يصدقوا برسالة صالح عليه السلام، فقالوا منكرين على رسالته: أنؤمن من بشر من بيننا واحدًا لا تبع له ولا مال ونتبعه، نحن إذًا لفي خطأ وسعر في عقلنا، وقيل: السعر الجنون ثم زادوا من الإنكار: هل ألقيت الرسالة خاصة عل صالح من دوننا؟ بل هو كذاب في إدعاء الرسالة، أشر في الكذب. فرد الله عليهم: ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ ﴾ سيعلمون يوم القيامة من الكذاب، هم أو صالح.

وسألوا صالح عليه السلام أن يخرج من صخرةٍ ناقةً منيحة، وكان سؤالهم تعنُّتًا واستهزاءً، فسأل صالح عليه السلام ربه أن يخرج ناقة من صخرة كما سألوا، ووعد الله له فقال: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ إنا مخرجوا الناقة من صخرة صماء ابتلاء وامتحانًا لهم، فانتظر ما يصنعون فيها، واصبر على آذاهم، وأخبر قومك يا صالح أن الماء مقسوم بين الناقة وبينهم، يحضر القوم يومًا يشربون الماء، ويومًا تحضر الناقة تشرب الماء، كل يحضر في نوبته على الماء. وقيل: تقف الناقة على باب قوم فيخرج صاحب البيت ويحلب، ثم تقف على باب آخر فيخرج صاحب البيت يحلب هكذا عند كل باب من أبواب القوم حتى يمتلؤوا من اللبن.

﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ ﴾ فنادوا صاحبهم واسمه فدار ابن سالف

وهو أشر القوم فأمروه بقتلها فقتلها ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ ﴾ فكيف كان عذابي وإنذاري للقوم الطاغين.

ثم ذكر نوع العذاب ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ إنا أرسلنا على القوم جبريل لعذابهم صاح صيحة واحدة فصاروا ميتين في ديارهم لم يستطيعوا أن يتحركوا مثل زرع محصود. ولقد يسرنا القرآن للذكر هل من متذكر. سبق تفسيرها.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ﴾ كذبت قوم لوط نبيهم لوطًا عليه السلام بالإنذار ولم يصدقوا به، فأرسل الله عليهم حاصبًا، أي: حجارة مسومة باسم من ترمى عليه فأهلكهم إلاَّ من آمنوا به نجاهم الله من العذاب، وكان العذاب وقت الصبح وكان نجاة المؤمنين من العذاب نعمة وفضلاً من الله لهم. بمثل ذلك ــ النجاة ــ نجزي من شكر بنعمتنا وصدق برسلنا.

﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾ ولقد أنذرهم لوط عليه السلام عقابنا فلم يبالوا وشككوا بالإنذار وطلبوا أضيافه لأنهم جاؤوا على صورة شباب مرد، أرادوا منهم الفعلة الخبيثة، وأغلق الباب عليهم، وجادلوا لوطًا عند الباب، وجاء جبريل عليه السلام، ضرب على أعينهم؛ وذهبت أبصارهم في الحال، وقيل لهم: فذوقوا عذابي وإنذاري.

﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ ولقد نزل عليهم العذاب بكرة صباحًا واستقر عليهم

حتى في البرزخ وقيل لهم: فذوقوا عذابي وإنذاري. ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من متذكر. سبق تفسيرها.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ ولقد جاء فرعون وقومه موسى وهارون بالدعوة إلى الإيمان بالله وحده والإنذار من عذاب الله إن لم يؤمنوا به وحده فكذبوهما وبآياتنا كلها التسع ـ سبق تفسيرها في سورة الأعراف ـ فأخذناهم بالإغراق في ماء البحر أخذ عزيز قادر في الانتقام من أعدائه.

ثم وجه الخطاب لكفار قريش بالتقريع ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ أكفاركم يا قريش خير، أي: أقوى في القوة وفي المال من أولئكم الذين حلت عليهم العقوبة من الله بكفرهم وعصيانهم؟! أم لكم براءة من عذاب الله في الكتب المنزلة على الرسل؟! بل يقولون نحن جمع كثير منتصرون على محمد وأصحابه. فرد الله عليهم ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ قريبًا يهزم جميع المشركين بالقتل والأسر والباقون يولون أدبارهم منهزمين هاربين إلى مكة، قد حقق الله عليهم في يوم بدر وعذاب يوم القيامة أشد وأعظم داهية من القتل والأسر في يوم بدر.

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾ إن الكافرين بربهم والمكذبين رسلهم في خطأ في حياتهم الدنيا وجنون في عقلهم ويوم القيامة يجرون على وجوههم ويلقون في نار جهنم يقال: ذوقوا عذاب مس سقر، والسقر اسم لجهنم.

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ يخبر سبحانه وتعالى عن سرعة نفاذ أمره في خلقه ومقدّراته: نحن خلقنا كل

شيء بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص، وليس أمرنا في إيجاد شيء وإفنائه إلَّا مرة واحدة نفاذه مثل لمح البصر، ، إنما أمره إذا أراد شيئًا فيقول كن كذا فيكن في الحال كما أراد.

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ ﴾ ولقد أهلكنا أشياعكم يا كفار قريش بالكفر بربهم والتكذيب لأنبيائهم فهل من متذكر ومتعظ فيكم؟! ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ وكل شيء من الأعمال من خير أو شر فعل هؤلاء المجرمون في ديوان الحفظة مكتوب، وكل صغير وكبير من أعمال الخلق مكتوب في اللوح المحفوظ، ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ إن المؤمنين الخائفين من مخالفة ما أمر الله به وما نهى في حياتهم الدنيا هم يوم القيامة في جنات النعيم فيها أنهار من ماء وخمر ولبن وعسل لا لغو فيها ولا تأثيم في مكان حسن مكرمين فيها وفي المنزلة عند مليك مقتدر على كل شيء.

الحمد لله، تمَّت سورة القمر بعون الله.

* * *

سورة الرحمن

آياتها سبع وثمانون آية، وهي مكية وقيل مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾

الرحمٰن اسم من أسماء الله، علم القرآن لعبده محمد عليه الصلاة والسلام ليبين أحكامه وقصصه لقومه وكافة الناس، خلق آدم من تراب وذريته من نطفته وجعله سميعًا بصيرًا ناطقًا، ألهمه البيان بالنطق والخطاب عن مقصده لغيره ويسمع من غيره.

﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ ﴾ وخلق الشمس والقمر بحساب يجريان من منزل مشرقهما إلى منزل غروبهما ليستفيد الناس علم التاريخ في تسجيلاتهم للأشهر القمرية والأشهر الشمسية ومواسم الزروع وذلك لمصالح العباد، والنجم، قيل: الكواكب السيارة، يعرف بها الفصول الشمسية، والشجر يسجدان، أي: ينقادان لأمر الله.

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ ۝٩ ﴾ وخلق السماء مرفوعة فوق الأرض بغير عمد من تحتها، ووضع الميزان في معاملاتكم بينكم ومعاشرتكم في من تحت

رعايتكم من أهل وخدم أن لا تجوروا في ميزان العدل في الحكم، وأقيموا الكيل والميزان بالعدل ولا تبخسوا الموزون وأوفوا حقوق العباد.

﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝ ﴾ والأرض بسطها للخلائق ليسكنوا فيها، وجعل فيها فاكهة، ـ تنكيرها إشارة لأنواعها، وأفرد النخل بالذكر مع كثرة الانتفاع منها: من زهور ورطب وتمر وهذه مما يؤكل، ومما لا يؤكل: من ليف يصنع حبل ومن سعف يصنع الحصير والمراوح ومن جريدة يصنع السرير والجذع يسقف البيت، وصفها ذات الأكمام جمع كم هي الطلع يسمون القنو قبله لا ينشق عن الغلاف والحب ذو العصف، أي: ذو سنبل كالحنطة والشعير والأرز وكل شجر لها زهر ذات ريح طيبة.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ ﴾ بعد أن ذكر الله نعماءه على الخلق يخاطب الله الإنس والجن: فبأي نعماء الله تجحدون وأنتما تنتفعان بها. وروى عبد الله عمر رضي الله عنهما: قرأ رسول الله سورة الرحمٰن لأصحابه فسكتوا فقال: ما لي أسمع الجن أحسن جوابًا لربها منكم، ما أتيت من قول الله: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) إلَّا قالوا: لا بشيء من نعمائك يا ربنا نكذب، فلك الحمد. وهذه الآية تكررت في هذه السورة إحدى وثلاثين مرة للتقرير.

ثم يذكر سبحانه وتعالى الدلائل التي تدل على كمال قدرته وعظمته: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝ ﴾ خلق الله أباكم آدم من تراب وعجنه بالماء وصوره وتركه حتى صار يابسًا كالحمأ المسنون، ثم انتقل حتى صار صلصالاً كالفخار مثل أواني طبخت في النار، وإذا نقر على صورة آدم سمع صوتًا منها،

وخلق الجن من لهب النار من خالص النار الساطعة، لا دخان فيها ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ ﴾ سبق تفسيرها.

﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ ﴾ هو المنعم رب المشرقين مشرق الشمس والقمر ومغربيهما شتاء وصيفًا ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ ﴾.

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ ﴾ أدخل ماء البحر العذب على ماء البحر المالح وجعلهما يلتقيان بينهما حاجز فلا يختلطان مع وجود المماسة، ومن ذهب إلى بصرة العراق يشاهد كيف يدخل ماء الفرات ودجلة والورد على بحر الخزر ولا يختلطان ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾ فيغوص الغواصون تحت الماء يستخرجون منها الجواهر ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ ﴾.

﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ ﴾ ولله تسخير السفن التي تجري في البحر، الناشرات الأشرعة مثل العلم، والرياح تصفق على الشراع والسفن تجري بها ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ كل من على الأرض من إنسان وحيوانات وجان وكل ذي نسمة فان، لا يبقى حيّ في الدنيا، ويبقى ذات الله، هو الحيّ الدائم، لا حي قبله ولا بعده، ليس له بداية ولا نهاية، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، ليس كمثله شيء، هو المتفرد في ذاته وصفاته، ذو العظمة والكبرياء والإكرام، والمتفضل على خلقه بأصناف النعم ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ ﴾.

﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ يسأل الله كل من في السموات والأرض قضاء حاجتهم. وكل ساعة ولحظة هو الله جلت قدرته

في شؤون خلقه يغفر ذنوب التائبين ويشفي المرضى، ويمرض صحيحًا، ويعز ذليلاً ويذل عزيزًا، ويغني فقيرًا ويفقر غنيًا، وغير ذلك من أحوال مختلفة وذلك كلها على مقتضى قدره، قد جف القلم بقدر الله، كل شيء يكون في بداية الدنيا إلى فنائها ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ ﴾ سنقصد لمجازاتكم أو محاسبتكم على أعمالكم أيها الإنس والجن، ونجازي على مقتضى أعمالكم، إن كانت أعمالكم حسنة فجزاؤكم خيرًا، وإن كانت شرًّا فجزاؤكم شرًّا ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾، أي: يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هاربين من عقابي فاخرجوا لتخلصوا أنفسكم من عذابي، لا تستطيعون إلاَّ بسلطان وعذر وقوة، أنَّى لكم ذلك وعذابي محيط عليكم؟! وقيل: المعنى: لا تستطيعوا أن تهربوا من قدر الله، وقيل: لا تستطيعوا أن تهربوا من الموت، أينما كنتم يدرككم الموت ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ ﴾.

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ ﴾ وإذا هربتم من عذاب الله يرسل عليكم خزنة جهنم لهبًا من نار جهنم تردكما إلى جهنم، ويصب فوق رؤوسكما نحاس مذاب في نار جهنم فلا تستطيعان نصر بعضكم بعضًا للخروج من جهنم والخطاب للكافرين من الجن والإنس.

﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ ﴾

فإذا انفرجت السماء لنزول الملائكة إلى أرض المحشر فصارت السماء وردة حمراء كالدهان ــ جمع دهن ــ كصب الدهن أو كعكر الزيت، بالذوب للفناء، وفي وصف الوردة والدهان اختلفت أقوال المفسرين.

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ ﴾ فيوم القيامة لا يسأل الملائكة أحدًا عن ذنبه من إنس ولا جان. هما بدل بيان عن الضمير.

قال تعالى علة عدم السؤال: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ ﴾ يعرف المجرمون بسواد وجوههم وزرق عيونهم فيأخذهم بشعر نواصيهم، وهي مقدمة الرأس، وبأقدامهم يلقون في نار جهنم.

ويقال لهم تهديدًا: ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ ﴾ هذه جهنم التي تشاهدونها وأنتم في عذابها قد كنتم في حياتكم الدنيا حين أُخْبِرْتم عنها تكذبون بها، وما كذب بها إلا المجرمون. يطوف أهل النار بين جهنم وبين ماء حار، إذا اشتد عليهم العطش شربوا منه، يصهر ما في بطونهم، يقطع جلودهم، وعليهم مقامع من حديد يضربهم الخزنة بها تردهم إلى جهنم.

وبعد أن ذكر الله أحوال المجرمين، ذكر أحوال المتقين إلى آخر السورة: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ ﴾ ولمن خاف إطلاع ربه عليه أو الوقوف أمام ربه للحساب، أو المعنى: خاف عظمة ربه وكبريائه، فأتمر بأوامر الله واجتنب نواهيه، له جنتان جنة لإيمانه بالله وحده وجنة لخوفه من الله عز وجل ولطاعته.

ثم وصف الجنتين بأنهما ذواتا أفنان، أي: ظلال، أمام قصورهم ومجالسهم مع إخوانهم ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ ﴾، وعن ابن عباس: عين من تسنيم وعين من سلسبيل تجريان أمام قصورهم ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ ﴾ في الجنتين من كل أصناف الفاكهة زوجان مختلفان في الطعم واللون.

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ ﴾ أهل الجنة في جناتهم مضطجعين على سرر عليها فرش من حرير، بطائنها من حرير غليظ، وجني ثمار الجنتين قريب، القائم والقاعد يتناولها بكل سهولة.

﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ ﴾ في الجنات من الحور العين حافظاتٍ أعينهن لأزواجهن، لم ينظرن لغيرهم، ولم يجامعهن ولا يمسهن إنس ولا جان قبل أزواجهن، هن عذارى ولا يحضن ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ في صفاء لونهن وحسنهن ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ ﴾.

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ ﴾، أي: ليس جزاء من أحسن عمله وأخلصه لله تعالى إلاّ ثواب عمله أحسن وأكثر من عمله، قال تعالى: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها.

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ ﴾ ومن دون الجنتين المذكورتين بالدرجة والفضل جنتان مدهامتان شديدتا الخضرة لكثرة أشجارها وخضارها ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ ﴾ في الجنتين الأخريين عينان ماءهما يفوران على الدوام.

﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ ﴾ وفي الجنتين الأخريين فاكهة ـ سبق تفسيرها ـ وإنما خص بالذكر النخل والرمان لفضلهما في الطعم والقوة على غيرهما من الفواكه.

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ ﴾ في الجنات المذكورات الموعدات لمن خاف مقام ربه زوجات حسان الوجه والأخلاق حور حافظات أنفسهن لأزواجهن في الخيام، أي: في بيوتهن.

﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ ﴾ تقدم تفسيرها في قوله تعالى فيهن قاصرت الطرف... إلى آخر الآية.

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ ﴾ متكئين على وسائد خضر عبقري، أي: موشحة أطرافها بالزينة ومنقوشة فهي حسان في المنظر.

﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ تبارك اسم ربك يا محمد ذي الجلال والعظمة والإكرام لأوليائه.

الحمد لله، تمّت سورة الرحمن بعون الله.

* * *

سورة الواقعة

آياتها ست وتسعون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ ﴾ إذا قامت القيامة، حينئذ ليس لقيامها نفس كاذبة؛ لأن كل نفس من الإنس والجن تشاهدها برؤية العين ويؤمنون بها حين لا ينفع الإيمان ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ ﴾ وأهوال يوم القيامة تخفض وتخزي نفسًا ارتفعت في حياة الدنيا تطاولاً وتكبرًا على الناس الضعاف، وترفع، وتكرم نفسًا تواضعت في حياة الدنيا لله عزّ وجلّ.

﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ ﴾ ذكر الله سبحانه وتعالى علامة لقيامها: إذا زلزلت الأرض زلزالاً شديدًا واضطرب ما فوقها، وتفتتت الجبال والقصور تفتتًا حتى صارت هباء متفرقًا لا أثر لها، وحينئذ صرتم أيها الناس أصنافًا ثلاثة.

ثم بينهم: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ ﴾ ذكر هنا صنفان، الأول: أصحاب اليمين، والثاني: أصحاب الشمال. قال ابن عباس: أصحاب الميمنة هم الذين على يمين آدم عليه السلام حين أخذ الله ذريته من يمينه، فقال هؤلاء خلقتهم إلى الجنة فأدخلهم الجنة برحمتي، وأصحاب المشأمة هم الذين على شق آدم الأيسر، إذ أخذ الله من ذريته من شماله فقال هؤلاء خلقتهم إلى النار فأدخلهم فيها فلا أبالي.

ثم بين القسم الأول أنه صنفان فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ هذا الصنف الأول: والسابقون في الأعمال الصالحات لله تعالى هم السابقون إلى الجنة، وذكر أنهم الأنبياء، وذكر أنهم السابقون إلى الإيمان من كل أمة. ثم أثنى الله عليهم: أولئك المقربون من الله تعالى في دار كرامته في جنات النعيم.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ جماعة من الأمم الماضية وقليل من أمة محمد عليه الصلاة والسلام. اختلفت أقوال المفسرين في هذا العدد المبهم. وفي الحديث قال النبي ﷺ: لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة أو نصف أهل الجنة، وهذا التقسيم أوفق لنص الآية. والمراد من الأولين من لدن آدم إلى عهد رسالة محمد عليه الصلاة والسلام.

وأهل الجنة في الجنة ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ السرر ــ جمع سرير ــ موضوعة جنب بعضها، مصفوفة، جالسين عليها متقابلين مستأنسين.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ يطوف على أهل الجنة غلمان دائمون في خدمتهم بأكواب ــ جمع كوب ــ لا عُرى لها ولا خراطيم، وأباريق ــ جمع إبريق ــ لها عُرى وخراطيم، وكأس، في جميعها شراب من خمر جارية لا تتصدع رؤوسهم من شربها ولا ينزفون، أي: ولا تتغير عقولهم ولا يسكرون.

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ويأكلون من فاكهة كثيرة الأصناف

مما يتخيرون ولحم طيور مما يشتهون، ولهم زوجات من حور عين كأمثال لؤلؤ مصون في أصدافه في صفاء لونهن، وكأن ذلك لهم جزاء بمقابل ما كانوا يعملون في حياتهم الدنيا امتثالاً لأمر ربهم.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ۝٢٦﴾ لا يسمع أهل الجنة فيها كلامًا لغوًا ليس فيه خيرًا، ولا يسمعون كلامًا فيه يأثم صاحبه إذا تكلم به، ولكن يسمعون قولاً سليمًا عن اللغو والإثم، وقيل: تحيتهم فيها سلام.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤﴾ هذا الصنف الثاني، وأصحاب اليمين، كيف تكون حالهم في الجنة؟! ـ أي: حال أصحاب اليمين في الجنة ـ: إنهم في ظل سدر مخضود، والسدر هو شجر النبق، ومخضود: قد قطع شوكه فلا يؤذي، وكثر ثمره فهو يغني، وشجر طلح منضود ثمره من الأسفل إلى الأعلى ـ وأما طلح الدنيا لا ثمر له ـ وظل ممدود؛ لأن في الجنة لا شمس، فهي دائمة الظلال، وماء جار في الأنهار، وفاكهة كثيرة الأصناف، لا مقطوعة كثمار الدنيا، بل دائمة الوجود، ولا ممنوعة عنهم، متى شاؤوا أكلوها، وفرش مرفوعة على السرر المزخرفة بالجواهر.

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨﴾ إنا خلقنا نساء أهل الجنة خلقًا جديدًا فجعلناهن أبكارًا عذارى، عربًا، أي: متحببة لأزواجهن أترابًا، أي: مستويات في السن مثل سن أزواجهن ثلاثًا وثلاثين. وعن أم سلمة رضي الله عنها: جاءت عجوز فقالت: يا رسول الله، ادع الله لي أن يدخلني الجنة، فقال رسول الله: الجنة

لا تدخلها عجوز، فتولت وهي تبكي فقال رسول الله ﷺ: يا أم فلان لا تدخلها وهي عجوز، قال تعالى: ﴿إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكارًا عربًا أترابًا لأصحاب اليمين﴾ ليستمتعوا بهن.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ سبق تفسيرها. وفي هذه الآية زيادة توضيح للسابقة وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ: «عرضت عليّ الأمم مع أنبيائهم، النبي معه رجل أو رجلان، والنبي معه رهط، أي: دون العشر، والنبي ليس معه أحد، ورفع إليّ أمة عظيمة، ظننت أنها أمتي فقال: إنها أمة موسى، ثم قال لي: انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقال لي: انظر إلى الأفق الآخر فنظرت فإذا سواد عظيم، فقال لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب». ثم نهض ﷺ ودخل بيته، فخاض القوم في أولئك الذين يدخلون بغير حساب ولا عذاب، قالوا: هم أصحاب رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: هم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئًا. وذكروا غير ذلك، فخرج رسول الله ﷺ إليهم فقال: «ما الذي تخوضون فيه؟» فأخبروه، فقال رسول الله ﷺ: «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»، فقال عكاشة ابن محصن: ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم»، فقال رجل: ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك عكاشة».

ثم يذكر سبحانه وتعالى الصنف الثالث وهم أصحاب النار ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾﴾ وأصحاب الشمال هم الذين أعطوا كتبهم بشمالهم فبأيّ حال في الآخرة يكون أصحاب الشمال؟

ثم بين ﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ في أسوأ حال، في سموم ريح النار وماء حميم، إذا شربوا منه تقطعت أمعاءهم، وفي ظلل من دخان النار أسود، لا بارد لهم ولا حسن المنظر.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ إن هؤلاء كانوا في حياتهم الدنيا قبل ذلك متنعمين في الشهوات والملذات ومع ذلك وكانوا يصرون على الذنب العظيم وهو الشرك بالله ولا ينزجرون عنه.

﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ وكانوا في الدنيا يقولون مستنكرين أإذا متنا وصرنا ترابًا أإنا لمبعوثون من قبورنا؟؟ وآبائنا الذين ماتوا قبلنا يبعثون من قبورهم؟ والهمزة للاستفهام في الموضعين للإنكار والاستبعاد.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المنكرين البعث: إن الذين ماتوا قبلكم من لدن آدم عليه السلام وبعدكم إلى فناء الدنيا يبعثون من قبورهم أحياء، ويحشرون ويجمعون إلى الموقف للحساب والجزاء، ووقوع ذلك اليوم معلوم عند الله.

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾ وبعد الحساب والجزاء إنكم أيها الضالون عن طريق الهداية، المكذبون بالبعث، لآكلون من شجر الزقوم، تنبت في أصل الجحيم، فمالؤون بطونهم من أكلها فيشربون عليها من ماء حار من حميم جهنم، فيشربون مثل شرب الإبل العطاش، هذا الذي ذكرناه هو منزلتهم يوم الحساب والجزاء في جهنم.

ثم يخاطبهم الله بالتهديد ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ نحن خلقناكم من نطفة آبائكم، فهلا تصدقون ذلك؟!

ثم احتج عليهم بما يشاهدون ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ أفشاهدتم ونظرتم نظرة تفكر واعتبار الماءَ الذي تمنونه في أرحام زوجاتكم؟ هل أنتم تخلقونه بشرًا سويًّا؟ بل نحن نخلقه بشرًا سويًّا. الاستفهام الأول للإنكار والعجز، والثاني بمعنى بل.

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ نحن قدرنا وقضينا بينكم الموت على حالة مختلفة، فبعضكم يموت في الهرم، وبعضكم يموت في أشد القوة، وبعضكم يموت في الصبا، وكذلك بأجل مسمى، وما نحن بمعجزين على أن نبدل أمثالكم ويكونوا أطوع لأمرنا وننشأكم في غير صوركم فيما لا تعلمون. وفي الآية تهديد ووعيد لكفار قريش.

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ ولقد علمتم نشأتكم الأولى من نطفة آبائكم في أرحام أمهاتكم، وبعد تمام الحمل ولدتم طفلاً صغيرًا رضيعًا حتى صرتم تأكلون وتشربون بأنفسكم، فهلا تتذكرون ذلك وتتأملون تلك الحالات؟! ـ والاستفهام للتبكيت ـ، وهو القادر على إعادتكم أحياء من قبوركم للحساب والجزاء.

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ وهذه حجة ثانية عليهم: أتعلمون ما تحرثونه من الأرض، وتلقون فيها البذر، أأنتم قادرون على إنباته؟! بل نحن المنبتون البذر من الأرض، فينمو حتى يقوم على ساقه، ويطلع السنبل فيه حبوب، وأنتم تفرحون به.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾ لو نشاء لجعلنا زروعكم حطامًا متكسرًا بالآفات التي تصيبه وتحرق الحبوب، فصرتم تعجبون من شأن زروعكم، وتحزنون، وتقولون: إنا لمغرمون، لمهلكون، ومحاسبون بما صرفنا عليه من البذر والمال بل نحن محرومون منه.

ثم ذكر سبحانه وتعالى الحجة الثالثة ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أفتشاهدون وتعلمون الماء الذي تشربونه عذبًا، هل أنتم قادرون على إنزاله من السحاب؟! بل نحن منزلونه من السحاب ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ لو نشاء لجعلنا الماء الذي تشربونه مالحًا، لا تقدرون على شربه، فهلا تشكرون ربكم على تلك النعم.

وبعد ذكر سبحانه وتعالى الحجة الرابعة ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ أفشاهدتم وعلمتم النار التي توقدونها من حطب الشجر، هل أنتم أنشأتم شجرة الحطب لإيقاد النار؟! بل نحن المنشؤون لها لمصالحكم، وتذكرة لنار جهنم، ومتاعًا للمسافرين والمقيمين، يطبخون الطعام عليها وبها يقوون أبدانهم.

ثم أمر الله نبيه ﷺ بأن يسبح ويحمد على تلك النعم ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ والأمر يسري على الأمة المحمدية، أي: فنزه ربك يا محمد باسمه العظيم عما قال المشركون في وحدانية الله في ذاته وصفاته. قال عليه الصلاة والسلام: «اجعلوها في ركوعكم». «سبحان ربي العظيم».

﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ اللام لتأكيد القسم، أقسم الله بمواقع النجوم وهي مساقطها ومغاربها ومنازلها أو انتثارها، وإن القسم بمواقع النجوم لو تعلمون قسم عظيم عند الله. والمقسم عليه: أن القرآن لقرآن مكرم، لا يمسه إلاَّ المطهرون من الجنابة والحيض والكفر، ومحفوظ في اللوح المحفوظ عن التبديل والتحريف.

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾، أي: منزل إلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام بالوحي من رب العالمين.

﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ استفهام لتوبيخ كفار مكة، أفبهذا القرآن بما فيه من الأخبار والمواعظ والزواجر أنتم مكذبون؟! وتجعلون شكر رزقكم الذي أوجده الله لكم من ماء المطر من السحاب كذبًا، أي: تقولون: مطرنا بنوء كذا، إنكم تكذبون بمن أنعم عليكم رزقكم، دون الحمد والشكر له جلت قدرته.

وروي في قراءة: ﴿وتجعلون شكركم أنكم تكذبون﴾.

﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ فهلا إذا بغلت الروح عند سكرات الموت إلى الحلقوم، وأنتم تنظرون حينئذ إلى أمر الله وسلطانه، أو إلى محتضر الموت متى تخرج روحه، ونحن أقرب إليه بعلمنا بحاله منكم، ولكنكم لا تبصرون من يقبض روحه. ولا تبصرون حقائق الأمور فتكذبون.

﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ فهل إن كنتم أيها المنكرون للبعث تزعمون أنكم غير محاسبين على كفركم ولا مجزيين

على أعمالكم تردُّون الروح إلى جسد من حضره الموت إن كنتم صادقين بما زعمتم؟!.

ثم ذكر سبحانه وتعالى أحوال المؤمنين المقربين إلى رحمته ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ فأما إن كان الميت من عباد الله المقربين وهم الصنف الأول من الثلاث فراحة له عند قبض روحه، وريحان في جنة النعيم، في معنى الريحان اختلفت أقوال المفسرين والله أعلم بما هو الصواب، أي: رزق واسع ودرجات عالية في جنة النعيم، أي: نعمتها دائمة.

﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾ وأما إن كان الميت من الذين أعطوا كتابهم بيمينهم فسلام لك منهم يا محمد إنهم في راحة وسرور.

﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ ﴾ وأما إن كان الميت من المكذبين بالبعث، الضالين عن طريق الهداية، فله منزل من حميم، نار جهنم، وتصلية في أشد حرارة في جحيم.

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ إن هذا الخبر عن أحوال هؤلاء المذكورين في هذه السورة لخبر حق، هو اليقين لا شك فيه، فسبح باسم ربك العظيم لما وهبك الله شاكرًا له.

الحمد لله، تمّت سورة الواقعة بعون الله.

* * *

سـورة الحديـد

آياتها تسع وعشرون آية، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١﴾ يخبر سبحانه وتعالى أن جميع ما في السموات والأرض من المخلوقات يسبح اللّٰهَ ويحمده إجلالاً وتعظيمًا، قال تعالى: ﴿وإن من شيء إلَّا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾، ومعنى التسبيح: تنزيه الله عما لا يليق بذاته وصفاته وربوبيته وألوهيته ووحدانيته في ملكه، وهو العزيز القاهر فوق عباده الحكيم في تدبير أمر خلقه.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾ له ملك السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن من المخلوقات، كيف يشاء يصرفها، يحيـي بالإيجاد للوجود، ويميت عند تمام أجل كل ذي نسمة، وهو القادر على إيجاد كل شيء وإفنائه.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ هو الأول ليس قبله شيء وهو الآخر ليس بعده شيء، وهو الحي لا يفنى، هو تعالى واجب الوجود هو الظاهر ليس فوقه شيء، وهو الباطن ليس دونه شيء،

هو عالمٌ ظاهرَ كل شيء وباطن كل شيء، ويحيط علمه كل شيء وهو سبحانه وتعالى عالم بكل شيء في أمر خلقه، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ في الآية تبيين وتفصيل لما سبق في الآيتين قبلها مجملاً: هو الله الذي خلق السموات السبع والأراضين السبع في ستة أيام من أيام الدنيا. تقدم تفسيرها في (حم السجدة)، ثم استوى على العرش، أي: اعتلى عليه، تقدم تفسير الاستواء في سورة الأعراف، وأفضل ما يقال فيه، كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف ممنوع، والسائل عنه مبتدع، أخرِجُوه من هنا. والله يعلم ما يدخل في الأرض من ماء المطر والأموات، والدفين من المال والكنوز، وما يخرج منها من نباتات وزروع، والمعادن التي يستخرجها أهل الدنيا منها، وما ينزل من السماء من مطر ورحمة، وعذاب على خلقه الطاغين، وما يعرج فيها من الأعمال الصالحات، ونزول الملائكة من السماء وعروجها إليها، كل ذلك بعلم الله وقدره، وهو سبحانه وتعالى معكم أينما كنتم، ومعيته جلّ وعلا بإحاطة علمه بشؤون خلقه، والله بما تعملون بصير. وفي قوله الأخير تحذير العباد من الغفلة عن مراقبة الله عليهم.

﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ ﴾ تكرارها للإثبات والتنبيه، وإلى الله ترجع أعمال العباد، هو يحاسبهم ويجازيهم على حسب أعمالهم.

﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾ يدخل الليل في النهار صيفًا ويدخل النهار في الليل شتاء، وبذلك يطول النهار في الصيف ويطول الليل في الشتاء، وذلك لحكمة منه جلت قدرته، إنه عليم بما في الصدور من نية صالحة أو فاسدة.

﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ الأمر لكفار قريش ولكل الناس: آمنوا أيها الناس بالله ورسوله وأنفقوا في سبيل الله مما جعله الله لكم بالاستخلاف والتصرف فيه، فالذين آمنوا بالله ورسوله من قومكم وأنفقوا مما زرقهم الله في سبيله لهم ثواب عظيم في الآخرة. وفي الآية تحريض للإيمان بالله ورسوله وإنفاق فضل المال في سبيل الله.

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ وأيّ عذر لكم أيها الناس حتى لا تؤمنون بالله وحده، ولم تنزجروا عن شرككم بالله، والرسول محمد يدعوكم إلى الإيمان بربكم، وقد أخذ الله منكم العهد الموثق عليكم يوم خلقكم في ظهر أبيكم آدم وأنتم ذر، قال: ألست بربكم؟ قلتم: بلى، وجعل فيكم العقل والفهم لتعرفوا كمال قدرة خالقكم، وإذا تأملتم في قدرة الله وخشيتم عقاب الله آمنتم به وحده وصدقتم برسول الله إن كنتم مريدين الإيمان بالله ورسوله.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ هو ربكم الذي ينزل على عبده محمد عليه الصلاة والسلام آيات واضحات في القرآن، وبيّنها لكم ليخرجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، لتنجوا من عذاب الله، وإن الله بكم لرؤوف رحيم،

وبرحمته يدلكم إلى ما فيه سعادتكم في الدنيا والآخرة بإرسال الرسول إليكم.

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ وأي عذر لكم أيها المؤمنون أن لا تنفقوا من أموالكم في سبيل الله وأنتم ميتون ويرث أموالكم غيركم، وإذا أنفقتم أموالكم في سبيل الله في حياتكم ينفعكم إنفاقكم في الآخرة، ولله ميراث السموات والأرض، وما فيهما يفنى ويبقى وجه ربكم، لا يستوي منكم أيها المؤمنون من أنفق ماله في سبيل الله من قبل فتح مكة وقاتل لإعلاء كلمات الله ونصرة دينه ومن أنفق وقاتل من بعده أولئك الذين أنفقوا وقاتلوا من قبل فتح مكة هم أعظم درجة من الذين أنفقوا مالهم في سبيل الله وقاتلوا لإعلاء كلمات الله ونصرة دينه من بعد الفتح، ولكلٍ من الجماعتين وعد الله الجنة، ولكن الذين أنفقوا أموالهم في سبيل الله وقاتلوا قبل فتح مكة، لهم درجة ومقام أعلى من الذين أنفقوا أموالهم في سبيل الله بعد فتح مكة والله بما تعملون خبير، سيجازيكم أيها المؤمنون بأحسن ما عملتم.

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ ندب ودعا الله إلى الإنفاق في سبيله، الذي ينفق ماله في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله له أجر عظيم، سمى الله الإنفاق في سبيله قرضًا حسنًا لأن الله ألزم على نفسه جزاء إنفاق العبد كما يلزم أداء القرض على المديون فيضاعف للعبد ثوابًا على ثواب إنفاقه، وله ثواب حسن في الجنة. وفي الآية ترغيب على إنفاق المال في سبيل الله.

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ يوم القيامة ترى يا محمد المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم أمامهم، وبأيمانهم يأخذون كتبهم، يقال لهم: بشرى لكم اليوم بالجنات التي كنتم توعدون في الدنيا، يجري من تحت أشجارها ماء الأنهار، وأمام قصورهم مقيمين فيها ومتنعمين بنعيمها إلى الأبد، ذلك الدخول في الجنة والإقامة فيها هو الفوز العظيم.

﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ يوم القيامة يقول المنافقون والمنافقات للمؤمنين الذين آمنوا بالله وحده صدق الإيمان: انتظرونا أو أخرونا وأمهلونا حتى نستضيء بنوركم. قيل لهم: ارجعوا إلى الدنيا فاطلبوا منها ذلك النور فحينئذ يُضرب ويجعل بين المؤمنين والمنافقين سورًا حاجزًا، للسور باب باطنه من جهة الجنة داخل السور فيه الرحمة للمؤمنين، وظاهره من جهة النار، خارج السور يكون من قبله العذاب والظلمة.

فحينئذ ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ ينادي المنافقون المؤمنين: يا أيها المؤمنون، ألم نكن معكم في الدنيا؟ أتركتمونا في الظلمة والعذاب اليوم؟ فأجاب المؤمنون: بلى، ولكن إنكم أوقعتم أنفسكم في فتنة النفاق، وانتظرتم بالمؤمنين الدوائر والهلاك، وغرتكم الأماني ــ هي انتظارهم الدوائر على المؤمنين ــ حتى أمر الله عليكم بالقتل والإجلاء، وغركم بالله الغرور، وألقى عليكم الشيطان أن الله غفور كريم يعفو عنكم فلا تخافوا، فاغتررتم بالشيطان ونسيتم إنذار الله برسوله.

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ اليوم لا يقبل فداءٌ منكم ولا من الذين أظهروا كفرهم بالله وبرسوله وبالقرآن الكريم. النار مقامكم، ومنزلكم، ومرجعكم، ومقركم، بل هي قرينكم وأولى بكم وتملك أمركم، فبئس المرجع والمقر هي.

﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ نزلت الآية في المؤمنين، والاستفهام للتقريع: ألم يحن للمؤمنين الذين آمنوا بالله وحده وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام أن تخضع وتلين قلوبهم لتذكير الله ومواعظه في كتابه العزيز وما نزل من كتابه من الوعد والوعيد، ولا يكونوا كاليهود والنصارى الذين أوتوا التوراة والإنجيل من قبل رسالة محمد عليه الصلاة والسلام، فذهبت أنبياؤهم إلى رحمة الله، فطال الزمان عليهم في الفترة واشتغلوا لدنياهم ونسوا التذكير والموعظة، فقست قلوبهم حتى لا يدخل فيها خير لأمر آخرتهم، وصار كثير منهم خارجًا عن طاعة الله.

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ اعملوا أيها المؤمنون أن الله كما يحيي الأرض الميتة اليابسة بقحط الماء بماء المطر، كذلك يحيي القلوب الميتة بالتذكير والموعظة، وكذلك يحيي العالم بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء، قد بينا لكم الآيات الدالات على كمال قدرتنا لعلكم تعقلون وتتأملون فيها وتحفظون أنفسكم من معاصي الله.

﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ إن المتصدقين والمتصدقات بأموالهم في وجوه الخير ابتغاء

مرضاة الله، وأقرضوا الله قرضًا حسنًا، يضاعِف الله لهم ثواب إنفاقهم بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، ولهم ثوابًا حسنًا في الجنة. وفي الآية ترغيب بالتصدق في سبيل الله.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ والذين آمنوا بالله وحده وصدقوا رسالة جميع رسل الله بإخلاص ولم يفرقوا بينهم أولئك هم الصديقون في إيمانهم. والشهداء على الأمم السابقين، لهم عند ربهم ثواب أعمالهم، ونورهم يسعى بين أيديهم يوم القيامة علامة على إيمانهم حتى يدخلوا الجنة.

ثم يذكر سبحانه وتعالى أحوال الكافرين في الآخرة، وهذه سنة الله في كتابه العزيز ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ والذين كفروا بربهم وكذبوا بآيات كتابنا، وأصروا على كفرهم وتكذيبهم حتى ماتوا أولئك أصحاب نار الجحيم، سيدخلون فيها ويخلدون فيها إلى الأبد.

ثم حذر الله المؤمنين من رغبة الدنيا ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ اعلموا أيها المؤمنون أنما الحياة في الدنيا مثل لعب الصبيان، وهي لهو، أي: شغل عن أعمال الآخرة، وتفاخر بينكم بكثرة الأموال، وتستحسنون ما فيها مباهاة بكثرة الأموال والأولاد، ذلك كله كمثل غيث نزل على أرض زرّاع ـ وسمي الزارع كافرًا، لأنه يغطي البذر بالتراب ـ فأنبت الزرع والعشب وأعجب الزراع نبات الزرع،

وخضرة العشب، ثم ييبس ويصفر فتراه مصفرًا ثم يكون حطامًا متكسرًا، هذا مثل لسرعة زوال الدنيا، وفي الآخرة عذاب شديد لمن ركن إلى الدنيا وغفل عن ذكر الله وطاعته، وفي الآخرة مغفرة من الله ورضوان في دار الجنان لمن زهد عن الدنيا واستقام في طاعة الله رجاء رضا الله عنه.

﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ وليست الحياة الدنيا إلاَّ تمتع قليل يغتر بها الجهال والفساق، وأما من لم يغتر بها ولم يغفل عن طاعة ربه فله نعمة وثواب لآخرته.

ثم أمر الله المؤمنين المبادرة إلى الأعمال الصالحات ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾، أي: سارعوا أيها المؤمنون وبادروا إلى الأعمال الصالحات التي توجب المغفرة لذنوبكم من ربكم، وإلى جنة عرضها كعرض السماء والأرض بسعتها وطولها، أعدت، أي: هيئت للذين آمنوا بالله وحده وصدقوا برسالة رسول الله وتمسكوا بسنته، ذلك التوفيق إلى الإيمان بالله والمغفرة لهم والجنة الموعودة لهم كل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده والله ذو تفضل عظيم.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ ما أصاب من مصيبة في الأرض من قحط وخوف، وهلاك في الزرع والزلزلة وعصف الرياح على الثمار قبل نضجه لا يصلح للأكل، ولا يصاب في أنفسكم من مرض وفقر وفقد للأولاد إلاَّ وهو مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل خلقكم في الدنيا ومن قبل خلقها وإنما نظهر تلك المصائب فيكم على حسب قدر، إن ذلك التقدير للمصائب وإبرائها فيكم على الله يسير.

قد بينا لكم تلك المقادير ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعيم الدنيا، وذلك من قدر الله، ولا تفرحوا، أي: ولا تبطروا بما أعطاكم الله من سعة المال في الدنيا، والله لا يحب كل مختال فخور بما وهب الله له من المال والأولاد والعلم والجاه والشرف.

ثم ذكر وصفهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ الذين يبخلون بالإنفاق في سبيل الله ويأمرون غيرهم بإمساك مالهم، ومن يعرض عن قبول التذكير والموعظة وإنفاق ماله في سبيل الله فإن الله غني عن إنفاق ماله، حميد، أي: محمود في الأزل.

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ ﴾ لقد أرسلنا الملائكة إلى رسلنا بالمعجزات الظاهرات لإقامة الحجة على قومهم، وأنزلنا معهم الكتب فيها أحكام دينهم والتذكير والموعظة والميزان في معاملاتهم؛ ليقوم الناس بالعدل فيما بينهم، لا يجور بعضهم على بعض.

﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ قيل معنى أنزلنا، أي: خلقنا الحديد ليصنعوا آلات الحرب كالسيف والخنجر، وأما اليوم فيصنعوا أشياء كثيرة، من آلات الحرب، وفيه منافع لعامة الناس كالسكين والقدوم والمساحي وغيرها، أشياء كثيرة، ثم ذكر علة الإنزال: وليعلم الله من ينصر دينه بالآلات الحربية ورسله بالمقاتلة على أعداء الله الكافرين رجاءً بالوعد الغيب وهو الجنة. إن الله قوي في الانتقام من أعدائه، عزيز في نصرة أوليائه المؤمنين.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ ولقد أرسلنا نوحًا وإبراهيم عليهما السلام إلى قومهما وجعلنا في ذريتهما النبوة، وأنزلنا الكتب فيها بيان عباداتهم وأحكام معاملاتهم، فمنهم مهتد إلى دين الحق وكثير منهم خارجون عن طاعة الله وطاعة رسل الله.

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ثم أتبعنا بعدهم برسلنا ومنهم أنبياء بني إسرائيل، وأتبعناهم بعيسى ابن مريم وهو آخر أنبياء بني إسرائيل، وآتيناه الإنجيل فيه الأحكام التشريعية والعبادات، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه بالإيمان بالله وحده وبرسالته عليه السلام رأفة ورحمة فيما بينهم، ثم ابتدعوا الرهبانية، ما فرضناها عليهم ولكن أحدثوها ابتغاء رضوان الله، فما حافظوا على عهدهم بالرهبانية حق عهدهم ــ هي ترك النكاح وترك لحوم الحيوانات وترك الملابس الناعمة والدوام في عبادة الله في الصوامع ــ. قال تعالى: فآتينا الذين آمنوا بالله وحده وعملوا بما أمر الله ورسوله عيسى عليه السلام ثواب إيمانهم وأعمالهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله وعن الإيمان به، واستحقوا عقاب الله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسله موسى وعيسى عليهما السلام اتقوا الله فلا تخالفوا أمره، ولا تفعلوا نهيه، وآمنوا برسوله محمد عليه الصلاة والسلام يؤتكم نصيبين من

رحمته، أحدهما لإيمانكم بموسى وعيسى، والآخر لإيمانكم بمحمد عليهم الصلاة والسلام، ويجعل لكم نورًا، أي: هداية تسعون بها في طاعة الله، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور رحيم لعباده المؤمنين وقيل: المقصود بالنور هو النور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين يوم القيامة.

ثم ذكر علة ذلك ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ قيل: لا مزيدة لتقوية الحكم في الكلام، أي: ليعلم أهل التوراة والإنجيل أنهم لا يقدرون على تصريف شيء من فضل الله، وإن الفضل والعطاء بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده، والله ذو تفضل عظيم، إنما الأجران لمن آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام من أهل الكتاب، ومن لم يؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام لا أجر لهم بل لهم عذاب لكفرهم بمحمد عليه الصلاة والسلام.

الحمد لله، تمّت سورة الحديد بعون الله.

* * *

سـورة المجادلـة

آياتها اثنتان وعشرون آية، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ لقد سمع الله كلام المرأة التي تراجعك وتحاورك يا محمد في شأن زوجها، اسمها خولة بنت ثعلبة، تزوجها أوس بن الصامت وهي صغيرة، وكبرت، وكثر أولادها منه، سألها يومًا أمرًا فأبت ـ وكان به حدة ـ فقال: أنت عليّ كظهر أمي، فقالت: ما هذا؟ طلاق؟! ـ إذ كان الظهار في الجاهلية نوعًا من أنواع الطلاق ـ فجاءت خولة رسول الله فقالت: يا رسول الله إن زوجي أوس تزوجني وأنا شابة ذات مال وأهل حتى أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني وتفرق أهلي ظاهر مني، وندم على ما قال، هل من شيء يجمعني وإياه وأعيش به؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد حرمت عليه». وكلما راجعت رسول الله بالشكوى قال رسول الله: «قد حرمت عليه». فقالت: أشكو إلى الله؛ فرفعت رأسها إلى السماء تقول: اللهم أشكو إليك فاقتي ووحدتي ووحشتي وفراق زوجي وابن عمي وقد نفضت له بطني، فأنزل على لسان نبيك فرجًا.. فأجاب الله دعاءها فأنزل الله: ﴿قد سمع الله قول

التي تجادلك في زوجها﴾ إلى آخر الآيات، وبقية تفسير الآية: وتشتكي: تتضرع إلى الله ليفرج كربها، والله يسمع مراجعتكما في الكلام، إن الله سميع بأقوالكما بصير بما حدث بينها وبين زوجها.

ثم بين الله حكم الظهار والجزاء على قائله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾ الذين يظاهرون من المسلمين من زوجاتهم، وذلك قولهم لزوجاتهم: أنت عليّ كظهر أمي، وتلك الكلمة في الجاهلية كانت طلاقًا، فأبطل الله طلاق الظهار وأوجب الكفارة على قائله. ثم بين: ليست الزوجات كأمهاتهم وليست أمهاتهم إلاَّ اللائي ولدنهم، وإن أهل الجاهلية ليقولون قولاً منكرًا في الشريعة الإسلامية وكذبًا وباطلاً، وإن الله لعفو غفور لمن تاب عن ذنوبه وما أسلف في الجاهلية.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾ والذين يظاهرون من زوجاتهم ثم يريدون الرجوع إليهن فعليهم تحرير رقبة من قبل أن يجامعهن، تلك الكفارة الغليظة لتتعظوا بها وتذكركم، والله بما تعملون خبير. وفي هذه تحذير المؤمنين عن المظاهرة من زوجاتهم.

ثم بين نوعًا آخر من الكفارة عليهم ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾ فمن لم يستطع تحرير رقبة فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يجامعهن، فمن لم يستطع صيام شهرين

لسبب من الأسباب من كبر سنهم أو مرض فيهم، فعليهم إطعام ستين مسكينًا، تلك الكفارة الغليظة عليكم لتؤمنوا بحكم الله ورسوله، وتلك الكفارة على المؤمنين والكافرين من حدود الله وبحكم الله ورسوله وإن اللذين يكفرون بهذا عذاب أليم في الآخرة.

ولما ذكر الله المؤمنين الواقفين عند حدود الله، ذكر المحادين المخالفين لها، والمحادة هي: المعاداة والمخالفة في الأحكام والحدود، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾ إن الذين يخالفون أمر الله وأمر رسوله أخذوا وأذلوا وعذبوا ولعنوا وأخزوا، كما كبت الذين من قبلهم من الأمم المكذبة فهم في الهلاك، قال بعض العلماء: أن هذا الإذلال حصل في بدر والخندق، وقيل: المراد المنافقون. ولقد أنزلنا إليك يا محمد آيات واضحات تبين أحكامها لأمتك وليعملوا بها، وتنذر للكافرين بها عذاب مهين في الآخرة.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ يوم القيامة يبعثهم الله، ويبعث جميع الأمم من لدن آدم عليه السلام فيخبرهم بما عملوا في حياتهم الدنيا، جمعه الله وعلمه في كتبهم التي دونت فيها عليهم أعمالهم التي نسوها، والله على كل شيء شهيد، لا يفوت من علمه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ بين الله سبحانه وتعالى

إحاطة علمه بكل شيء، لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء، ومعيته جلّ وعلا بإحاطة علمه بكل شيء.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ ألم تنظر إلى الذين نهوا عن النجوى من اليهود والمنافقين في حق المسلمين، باستهزاءهم وكيدهم للمسلمين، ثم يرجعون لما نهوا عنه ويتناجون بينهم بالكلام الذي فيه الإثم والعدوان على المسلمين، ويتناجون في مخالفة أمر رسول الله.

﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾ وإذا جاءك يا محمد اليهود حيوك بما لم يحييك به الله، وكان اليهود إذا جاؤوا رسول الله يقولون: السام عليك، يعني الموت، ورسول الله عليه الصلاة والسلام يرد: وعليك، يعني الموت. ويقولون فيما بينهم: لولا يعذبنا الله بما نقول. قال تعالى توعدًا عليهم: كافيهم عذاب جهنم فبئس المرجع والمقر.

ثم وجه الخطاب للمؤمنين ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ يا أيها المؤمنون، إذا تناجيتم بينكم فلا تتناجوا بالكلام الذي فيه إثم كالغيبة والنميمة والعدوان والفاحشة ومخالفة الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكن تناجوا بالبر والتقوى، واتقوا عقاب الله فإليه تحشرون للحساب والجزاء.

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ إنما النجوى في غيبة الناس من تزيين

الشيطان ووسوسته ليوقع الحزن في المؤمنين وليس الشيطان بضار المؤمنين شيئًا إلاَّ بإرادة الله وقدره، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالون غير الله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ قيل: نزلت الآية في أصحاب رسول الله، وكانوا يحبون أن يجلسوا في قرب رسول الله، ومن تأخر لا يجد مكانًا ليجلس فيه فهو يقف على رجليه، فأنزل الله الآية، ومعنى الآية: أيها المؤمنون إذا كنتم في مجلس ذكر أو علم أو تلاوة القرآن أو في صفوف المسجد وجاء أحد فلم يجد مكانًا فأفسحوا وتوسعوا له مكانًا يوسع الله لكم في الجنة منزلكم، وإذا قيل: انشزوا، أي: ارتفعوا من مكانكم فارتفعوا، ووسعوا لأخيكم، يرفع الله الذين آمنوا بالله وحده وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه من المسلمين، وتفوقوا على غيرهم بالعمل واليقين والذين أوتوا العلم من علوم القرآن وعلوم أحاديث النبوية، يرفعهم درجات عالية في الدنيا والآخرة، والله أعلم بما هو الصواب، وقد اختلفت أقوال العلماء في معنى الآية، والله المستعان في فهم عبارات كتابه، وفي الآية ترغيب لطلب العلم والأعمال الصالحات من العبادات البدنية والمالية، والله بما تعملون خبير، سيجازيكم جزاء حسن في دار النعيم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ وسبب نزول الآية: كان أصحاب رسول الله يكثرون السؤال عنده، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان المسلمون يكثرون المسائل على رسول الله حتى شقوا عليه، فأراد الله أن

يخفف عن رسوله ويشغلهم عن ذلك، فأمرهم بالتصدق قبل مناجاة رسول الله ﷺ وفيه إجلال لمقام رسول الله ونفع للفقراء والمساكين، ذلك التصدق خير لكم لآخرتكم وأطهر لذنوبكم، فإن لم تجدوا شيئًا للصدقة فإن الله غفور رحيم فلا يكلفكم بها.

﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾ أخشيتم الفقر بأن تقدموا صدقات قبل مناجاة رسول الله ﴿ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ فإن لم تفعلوا ما أمرتكم أيها المؤمنون وعفا الله عنكم ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ فصلوا الصلوات المكتوبة على أوقاتها محافظين على شروطها وأركانها وسننها وأدوا زكاة أموالكم بغير بخس وأطيعوا الله ما أمركم به وما نهاكم عنه وتمسكوا بسنَّة رسوله، والله خبير بما تعملون، سيحاسبكم ويجازيكم على أعمالكم.

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ألم تنظر يا محمد إلى شأن المنافقين الذين تولوا اليهود، ينقلون أسرار المؤمنين إليهم، ما هم من المؤمنين الصادقين في إيمانهم، ولا من اليهود، وهم مذبذبين بين هؤلاء وهؤلاء، ويحلفون على الكذب، والحال أنهم يعلمون كذبهم فما هي نتيجة تكذيبهم ونفاقهم.

قال تعالى: ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾، أي: هيأ الله للمنافقين عذابًا شديدًا في الدرك الأسفل من نار جهنم، إنهم ساء ما يصنعون من أعمال النفاق بين المسلمين واليهود.

﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ ﴾ اتخذ هؤلاء المنافقون إيمانهم، ــ جمع يمين ــ جنة، أي: تسترًا لحماية دماءهم

وأموالهم من المؤمنين، فصدوا الناس عن الدخول في الإسلام بإلقاء الشبهة في الإسلام، فلهم عذاب مهين يهينهم ويخزيهم في نار جهنم.

﴿ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ يخبر سبحانه وتعالى عما يكون عليهم من العذاب الدائم، أي: لن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم من دفع عذاب الله عنهم شيئًا، كانوا حريصين عليهما، أولئك أصحاب نار جهنم، هم فيها مقيمون على الأبد، لا نجاة لهم منها.

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يوم القيامة يبعث الله المنافقين ويُحشرون إلى موقف الحساب وفصل الحكم، فيحلفون لله كما يحلفون للمؤمنين في الدنيا بيمين كاذبة، ويحسبون أنهم على شيء من النجاة من عذاب الله، كذبهم الله بحرف التنبيه: ألا إنهم هم الكاذبون في إيمانهم.

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ استولى وغلب عليهم وتملكهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، أولئك المنافقون حزب الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الغابنون أنفسهم والهالكون في نار جهنم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ إن المنافقين الذين يخالفون الله ورسوله فيما أمروا أولئك في جملة الأذلين في نار جهنم. ولما قال المؤمنون إن الله قد وعد لنا الروم وفارس، وقال المنافقون، وقيل عبد الله بن سلول: أتظنون أنكم تفتحوا الروم وفارس كما تفتحوا القرى وهم أشد منكم قوة وبطشًا

وأكثر عددًا فأنزل الله: ﴿كتب الله...﴾ إلى آخر الآية، والمعنى قضى الله أنه ستفتح الروم وفارس بيد المسلمين. (لأغلبن أنا ورسلي) عليهما، إن الله قوي، ذو قوة متين، عزيز، أي: قاهر في الانتقام من أعدائه.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

لا تجد يا محمد قومًا مؤمنون بالله وحده ورسوله، ورسخ الإيمان في قلوبهم، يوادون من حاد الله ورسوله بالمحبة والمصادقة، ولو كان المحادون آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم بالنسب أو عشيرتهم، أولئك المؤمنون قضى الله وثبت في قلوبهم الإيمان به وبرسوله، وأيدهم برحمة منه تعالى، ونصرهم على عدوهم، وفي الآخرة يدخلهم جنات يجري ماء الأنهار أمام قصورهم وأصول أشجار جنتهم مقيمين فيها بنعيم سرمدي، رضي الله عنهم في حياتهم الدنيا ورضوا عنه بما أنعم الله عليهم في دار الكرامة، أولئك الموصوفون بالإيمان الصادق هم حزب الله، ألا إن حزب الله هم الفائزون بدار الكرامة.

الحمد لله، تمّت سورة المجادلة بعون الله.

* * *

سـورة الحشـر

آياتها أربع وعشرون آية، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ ﴾ تقدم تفسيرها في أول سورة الحديد.

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ هو الله الذي أخرج اليهود الذين كفروا بربهم وجحدوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام من ديارهم في المدينة ـ هم بنو النضير ـ لأول حشرهم من المدينة، وبعضهم سكنوا خيبر، وبعضهم ذهبوا إلى فلسطين، ما ظننتم أيها المؤمنون أن يخرجوا من ديارهم لكثرة أموالهم وقوتهم وحصونهم، وظن اليهود أن حصونهم مانعتهم من عذاب الله فأتاهم الله بعذابه من حيث لم يحتسبوا، وألقى الخوف وأثبته في قلوبهم من المؤمنين، ونزلوا على حكم رسول الله بأن يخرجوا من ديارهم إلى خيبر، واضطروا للخروج، من غير أن يأخذوا معهم إلاَّ ما أقلت الإبل، فكانوا يهدمون بيوتهم وراءهم حسدًا حتى لا يستعملها المسلمون،

وكانوا يحملون ما يستحسنونه من أخشاب بيوتهم، وخلعوا الأبواب وأخشاب السقوف.

قال تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾﴾ أخذوا أخشاب بيوتهم حملوها معهم وتركوا بيوتهم مخربة والمؤمنون هدُّوا ما بقي من بيوتهم ولم يبق أثر من ديارهم فاعتبروا بما قضينا عليهم بالخزي والذلة يا أصحاب العقول والبصيرة.

﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾﴾ ولولا أن قضى الله عليهم الخروج من ديارهم ذليلين مخزيين لعذبهم بالسيف والقتل بأيدي المسلمين ولهم في الآخرة عذاب نار الجحيم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾ ذلك الإجلاء من ديارهم لأنهم خالفوا الله ورسوله بالحسد والعناد والعدوان، والذين يخالفون الله ورسوله فإن الله شديد العقاب لهم.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ وكانوا لما حصنوا ديارهم قطع رسول الله والمؤمنون أشجارهم ونخيلهم فاستهجن اليهود ذلك فأنزل الله الآية لموافقة ما فعل المؤمنون من قطع أشجارهم ونخيلهم على إرادة الله. ومعنى الآية: أيّ شيء قطعتم من شجرة لينة خضراء أو تركتموها قائمة على ساقها فبإذن الله وإرادته، وذلك ــ أي: قطع أشجارهم ونخيلهم ــ ليخزي الخارجين عن طاعة الله وطاعة رسول الله.

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ والمال الذي وهبه الله

لرسوله غنيمة من مال بني النضير هو خاصة له، فما أسرعتم أيها المؤمنون من خيل ولا إبل إلى بلادهم، ولا تعبتم، وديارهم قريبة لكم، ولكن الله يسلط رسوله على من يشاء بإلقاء الرعب والوجل في قلوب أعدائه، والله على كل شيء قادر ولا يعجزه ما أراد.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ وفي هذه الآية بيان للآية التي قبلها، والمعنى: المال الذي جعل الله لرسوله من أهل القرى ـ هي قرى فدك وبني النضير ـ وبعضهم جعل خيبر معها، وجعل الله غنيمة خيبر لمن حضر في الحديبية خاصة، وتقسيم الغنائم تقدم في سورة الأنفال عند قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنتم من شيء فإن لله خمسه﴾ إلى آخر الآية. وعلى هذا يكون تقسيم الغنائم: الخمس لله ورسوله، وأربعة أخماس للمجاهدين، ويعطى من الخمس لذوي قرابة رسول الله، هم: بنو هاشم وبنو عبد المطلب دون غيرهم، ويعطى لليتامى المسلمين الذين لا مال لهم من آبائهم، ولمساكين المسلمين ليعيشوا بها، وابن السبيل هو المنقطع عن ماله وأهله في السفر حتى يبلغ لأهله وماله، وجعلنا تقسيم الغنائم للمجاهدين والفقراء، لكيلا تكون الغنائم دولة ومأكلة بين الأغنياء كما كان في الجاهلية. ثم أمر الله المؤمنين أن لا يخالفوا أمر رسول الله، قال تعالى: وما أمركم رسول الله به فامتثلوا وتمسكوا به وما نهاكم عنه فانتهوا واجتنبوه، واتقوا الله أيها المؤمنون في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه، ثم خوفهم: إن الله شديد العقاب لمن خالف أمره وأمر رسوله.

ثم ذكر سبحانه وتعالى من يستحق للفيء: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾، أي: يعطى من الفيء للفقراء المهاجرين الذين ألجأهم كفار مكة إلى الخروج بالأذى والإهانة عليهم حتى خرجوا من ديارهم وأموالهم وأهليهم حبًّا لله ورسوله، يبتغون فضلاً من الله ورضوانه وينصرون دين الله بجهاد أعداء الله ورسوله، أولئك هم الصادقون في إيمانهم وهجرتهم إلى الله ورسوله.

ثم يذكر سبحانه وتعالى الأنصار من أهل المدينة المنورة الذين نصروا رسول الله والمهاجرين: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ والذين تبوؤا، أي: استقروا وتمكنوا في دارهم في المدينة المنورة وآمنوا بالله وحده وصدقوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام من قبل هجرة من هاجر إليهم، يحبون من هاجر من ديارهم إليهم، فأسكنوهم بيوتهم وأشركوهم في أموالهم حبًّا لله تعالى، ولا يجدون في صدورهم غيظًا ولا حسدًا مما أعطوهم من السكنى والمال، ويختارون المهاجرين دون أنفسهم، ولو كان بهم فاقة وحاجة للمال والسكنى، وقال تعالى: ومن يحفظه الله من بخل نفسه فأولئك الفائزون بالجنة؛ لأن نفس الإنسان مجبولة بالبخل والطمع للمال.

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ والمؤمنون الذين جاؤوا من بعد ذهاب أصحاب رسول الله، هم التابعون

لهم بإحسان إلى يوم الدين، أمروا بأن يقولوا: يا ربنا اغفر لنا ذنوبنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً، أي: حقدًا وعداوة للذين آمنوا بك، وصدقوا برسالة رسولك، يا ربنا إنك رؤوف رحيم بعبادك المؤمنين. وقد ورد في توقير أصحاب رسول الله والترضي لهم أحاديث كثيرة، ذكرها الخازن في تفسيره.

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ ألم تنظر يا محمد وتعجب من مقالات المنافقين، يقولون لإخوانهم اليهود الذين جحدوا برسالتك ـ هم من أهل الكتاب قد عرفوا رسالتك ونعتك ودرسوها في التوراة ـ: لئن أخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع أحدًا أبدًا في عداوتهم عليكم، وإن قاتلوكم لننصرنكم على أعدائكم. وكذّب الله وعدهم لليهود، والله يشهد أنهم لكاذبون في وعدهم.

ثم ذكر الله كذبهم وبين، فقال: ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ لئن أخرج اليهود من ديارهم لا يخرج المنافقون معهم، ولئن قوتلوا فالمنافقون لا ينصرونهم على أعدائهم، ولئن نصروا لليهود بالفرض فليولن أدبارهم منهزمين ثم لا ينصرون، لا المنافقون ولا اليهود.

ثم قال تعالى: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ لأنتم أيها المسلمون أشد تخويفًا وتحزينًا في قلوب اليهود من خوفهم من الله، ذلك الخوف من المسلمين بسبب أن المنافقين واليهود قوم لا يعلمون عظمة الله وقدرته.

ثم ذكر الله خوف اليهود وجبنهم ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ تحسبهم يا محمد مجتمعين على رأي واحد وقلوبهم متفرقة، ذلك التفرق بسبب أنهم قوم لا يعقلون، إن التفرق في الآراء يوجب الوهن والطعن في الاجتماع، أو المعنى: بسبب أنهم لا يعقلون ولا يفهمون كمال قدرة الله وتصريفاته في أمور خلقه.

ثم ضرب الله المثل عليهم ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ شأن بني النضير في نقض العهد كمثل بني قينقاع من قبلهم من زمن قريب ذاقوا وبال نقض عهدهم، فأجلاهم رسول الله إلى خيبر ولهم عذاب مؤلم في عذاب جهنم.

ثم ضرب الله مثلاً لليهود والمنافقين ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ مثل اليهود والمنافقين وتباعدهما عن طاعة الله كمثل الشيطان، حيث قال للإنسان اكفر بربك ورسوله، وذلك بالوسوسة وإلقاء الشبهة في دين الله، فلما كفر بالله وثبت في كفره قال الشيطان: إني بريء منك، إني أخاف الله رب العالمين.

ثم ذكر الله الوعيد على الشيطان والذي اتبع الشيطان في الكفر والضلالة ﴿ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ فكان عاقبة الشيطان والإنسان الكافر في نار جهنم مقيمين فيها على الأبد، وذلك العذاب جزاء الظالمين على أنفسهم بالكفر بربهم والعصيان لأمر الله.

ثم وجه الخطاب للمؤمنين ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يا أيها المؤمنون، خافوا الله، ولا تخالفوا أمره ونهيه، ولتنظر نفس ما قدمت لآخرتها من الأعمال، ـ والمراد من النفس الإنسان ـ واتقوا الله أيها المؤمنون في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه إن الله خبير بما تعملون، سيحاسبكم ويجازيكم.

ثم حذرهم عن أعمال الفسق والفجور ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ ولا تكونوا أيها المؤمنون كالمنافقين واليهود نسوا عقاب الله وتركوا أوامره وارتكبوا معاصيه، أُنْسُوا، أي: العدو، أنفسهم من رحمة الله، أولئك هم الخارجون عن طاعة الله وطاعة رسوله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم.

ثم يذكر سبحانه وتعالى منزلة الفريقين ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ لا تستوي منزلة الفريقين في الآخرة، أصحاب النار في عذاب شديد في نار الجحيم، وأصحاب الجنة هم الفائزون بجنة النعيم.

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ لو أنزلنا أوامر هذا القرآن وزواجره على جبل صلد لرأيت يا محمد الجبل خاشعًا ومتصدعًا من نزوله والخوف من عقاب الله، أنه قد لا يقدر على فعل ما أمر الله به، وتلك الأمثال نبينها للناس لعلهم يتفكرون فيها ويتعظون بها.

ثم يذكر سبحانه وتعالى جلالته وعظمته ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ

﴿ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ هو الله الذي لا إلـه إلاَّ هو، لا إلـه غيره، هو المعبود الحق، هو عالم الغيب والشهادة، لا يغيب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء، هو الرحمٰن لجميع خلقه، الرحيم لعباده المؤمنين، هو الله الذي لا إلـه غيره، هو الملك لجميع مخلوقاته، المتصرف في أمورها، القدوس، أي: المتنزه عما يصفه المشركون، السلام، أي: ذو سلامة لعباده المؤمنين من كل آفة وسلامة من عذابه، المؤمن، أي: المصدق لرسله لتبليغ أمره إلى أممهم، المهيمن العزيز على خلقه الجبار على من كفر به، المتكبر في ذاته وصفاته، سبحان الله عما يشركون به غيره.

هو الله خالق الخلائق البارىء المصور والموجد من العدم، المصور كيف يشاء في أرحام الأمهات، له الصفات الحسنى ـ تأنيث حسن ـ، يسبح له ما في السموات والأرض ـ سبق تفسيرها في أول سورة الحديد ـ، وهو العزيز القاهر فوق عباده، الحكيم في تدبير أمر خلقه.

الحمد لله، تمَّت سورة الحشر بعون الله.

* * *

سورة الممتحنة

آياتها ثلاث عشرة آية، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾ نزلت في حاطب ابن بلتعة، لما جهز النبي ﷺ الجيش لفتح مكة أرسل حاطب بن بلتعة كتابًا مع امرأة ظعينة، أي: مسافرة إلى مكة، وكتب في الكتاب أن رسول الله جهز الجيش لغزوكم فخذوا حذركم، فأخبر الله رسوله بالوحي عن إرسال الكتاب مع الظعينة، وأنها بروضة خوخ، فأرسل الله عليًا والزبير والمقداد فقال لهم: ائتوا روضة خوخ فإن فيها امرأة ظعينة معها كتاب فأتوا به، قال علي رضي الله عنه: فأتينا روضة خوخ، فإذا فيها امرأة ظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: أخرجي الكتاب، وأما نلقي ثيابك. فأخرجته من عقاص شعرها، فأتينا به إلى رسول الله، فإذا فيه خبر جهاز رسول الله لغزو كفار قريش من أهل مكة، وهو من حاطب ابن بلتعة إليهم. فقال رسول الله: ما هذا يا حاطب؟ فقال: لا تعجل عليّ يا رسول الله، إني رجل ملصق بقريش، ليست لي قرابة فيهم، أحببت أن يكون لي فيهم يد يرحمون أهلي ومالي، لم أفعله كفرًا ولا ارتدادًا عن

إيماني وديني ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله: صدق حاطب، فقال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله: إنه شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم، فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بالله وحده ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم﴾ إلى عدوي وعدوكم أسرار رسول الله والمؤمنين وتظهرون المحبة لهم وقد كفروا بما جاءكم به رسول الله من الحق الواضح والقرآن الكريم. وكان كفرهم تعنُّدًا وحسدًا لرسول الله.

وهؤلاء الكفار ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ وكان كفار قريش يؤذون رسول الله والمؤمنين ويضايقونهم حتى خرجوا مهاجرين إلى الحبشة وبعدهم هاجروا إلى المدينة المنورة بأمر رسول الله. وذلك الأذى والتضييق عليكم لأنكم آمنتم بالله وحده وصدقتم برسالة رسول الله وآمنتم بالقرآن الكريم. إن كنتم أيها المؤمنون مجاهدين في سبيلي وابتغاء مرضاتي لا تخبروا أعداء الله وأعداءكم بأسراركم خبر الجهاز إلى قتالهم بإظهار المحبة إليهم، أتسرون إليهم بالمودة ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ﴾ لا يخفى عليّ شيء من شأنكم، وقال تعالى بعد التنبيه: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ من يظهر ويفشي سر رسول الله لأعداء الله فقد أخطأ عن طريق الهداية إلى الضلالة.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ إن يظفروا بكم أيها المؤمنون يكونوا لكم مظهرين العداوة

ويمدوا إليكم أيديهم بإرادة قتلكم وبسط اللسان وهو الشتم والأذى ويتمنون أن تكفروا بربكم وبرسولكم.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ لن ينفعكم أقرباءكم بالنسب ولا أولادكم من عذاب الله يوم القيامة وأنتم تخبرون سر رسول الله للكافرين من أجل محبتهم ــ وفي هذه توبيخ وعتاب لحاطب ولكل من تسول له نفسه بكشف المسلمين أمام العدو ــ يفصل الله بين الكافرين والمؤمنين يوم القيامة، والمؤمنون في جنات النعيم والكافرون في نار جحيم، والله بما تعملون بصير، فلا تخالفوا أمر الله وأمر رسوله.

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ قد كانت لكم أيها المؤمنون قدوة حسنة فيما صنع إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام والذين آمنوا معه، حيث قالوا لقومهم الكافرين: نحن برءاء منكم ومما تعبدون من دون عبادة الله، وظهرت بيننا وبينكم العداوة والبغضاء إلى أن تؤمنوا بالله وحده وتتركوا عبادة أصنامكم. أمر الله المؤمنين أن يقتدوا بإبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين، ثم استثنى ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ فلا تقتدوا به في الاستغفار للمشركين، إذ إنه لما تبين أنه عدو لله تبرأ منه وقال: ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ﴾ وما أقدر أن أدفع عنك من عذاب الله من شيء إن أقمت في عبادة أصنامك.

وقال إبراهيم عليه السلام والمؤمنون معه ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا

وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ يا ربنا: عليك توكلنا في أمورنا كلها وإلى أمرك أطعنا وإليك المرجع يوم الحساب والجزاء، يا ربنا لا تجعلنا فتنة للكافرين فيظهروا علينا فيظنوا أنهم على حق، ولا تسلطهم علينا فيفتنونا ويعذبونا ويريدون لنا الارتداد إلى دينهم، واغفر لنا ذنوبنا إنك أنت العزيز في الانتقام من أعدائك الكافرين، الحكيم في تدبير أمر خلقك.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ وفي الآية تأكيد الاقتداء بإبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين في التبرء من الكافرين، لقد كانت لكم أيها المؤمنون في إبراهيم ومن معه قدوة حسنة، تقتدون بهم، لمن كان يرجو رحمة الله وحسن لقائه يوم القيامة، ومن يعرض عن الإيمان بالله وحده وطاعته فإن الله هو الغني عن عبادة خلقه، هو المعبود في الأزل المحمود في الأزل.

﴿۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ في الآية وعد للمهاجرين: لعل الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتموهم من أقاربكم المشركين مودة ومحبة وإلفة، وقد أنجز الله وعده يوم فتح مكة فأسلموا جميعهم واستأنسوا مع أقاربهم المهاجرين، جمعهم الله بعد تفرقهم فصاروا متحابين في القرابة والإيمان بالله وحده، والله قادر على كل شيء، والله غفور لمن تاب عن ذنوبه رحيم لعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ لا ينهاكم الله أيها المسلمون عن

إيصال البر والإحسان إلى أقربائكم المشركين الذين لم يقاتلوكم ولا عاونوا المشركين الذين قاتلوكم، ولم يضيقوا عليكم للخروج من دياركم، وثبتوا في عهدهم أن تبروهم، واعدلوا في البر والإحسان، إن الله يحب العادلين في برهم وإحسانهم للمحتاجين.

﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ إنما ينهاكم الله أيها المسلمون عن إيصال البر والإحسان للمشركين الذين قاتلوكم في دين الإسلام وضايقوكم للخروج من دياركم، وتعاونوا على إخراجكم من أن توالوهم بالمحبة والمودة، ومن يتول لهم من المسلمين فأولئك هم الظالمون على أنفسهم بإيجاب عقوبة الله عليها.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ وكانت المعاهدة بين رسول الله وبين كفار مكة في الحديبية أن يرجع رسول الله مع أصحابه إلى المدينة المنورة ويقضوا عمرتهم في العام القابل واشترطوا على رسول الله إذا جاء أحد من أهل مكة إلى المدينة أن يرد إلى مكة، وإذا جاء أحد من المسلمين إلى مكة لا يردوه إلى المدينة، وقد سبقت قصة المعاهدة في سورة الفتح.

وقد ورد أنه جاءت أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط مهاجرة إلى المدينة ومعها أخواها عمارة والوليد فرد الرسول ﷺ أخواها ولم يردها فقالوا: ردها إلينا على الشرط الذي بيننا، فقال رسول الله ﷺ الشرط في

الرجال لا في النساء. ولم يسلمها، فأنزل الله الآية، والمعنى: يا أيها المؤمنون، إذا جاءتكم المؤمنات مهاجرات إلى المدينة فامتحنوا إيمانهن لتعرفوا صدق إيمانهن، الله أعلم بإيمانهن، فإن علمتم صدق إيمانهن وأنهن مؤمنات صادقات فلا تردوهن إلى الكفار، لا هن حلال لهم ولا هم يحلون لهن، وأعطو مهورهن لأزواجهن الكفار، ولا إثم عليكم بعد براءة الرحم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن مهورهن، ولا تمسكوا أيها المسلمون بنكاح الكافرات يعني زوجاتكم اللاتي في دار الكفر، لا تمسكوهن، فطلقوهن، لا يحللن لكم، وكذا المؤمنات المهاجرات، لا يحللن لأزواجهن الكافرين في دار الكفر، واطلبو ما أعطيتم من المهور، من زوجاتكم في دار الكفر، وليطلب الكفار من المؤمنات المهاجرات من زوجاتهم المهور، ذلك الذي بينا لكم أيها المسلمون حكم الله فلا تخالفوه، يحكم بينكم الحاكم بحكم الله، والله عليم بما شرع لكم، حكيم في تدبير أمور عباده، وهو عالم بمصالح دينكم ومعاشرتكم مع زوجاتكم.

﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ وإن ذهبت امرأة مرتدة من زوجات المؤمنين إلى دار الكفر فغزوتم فعاقبتم الكفار وأصبتم منهم غنيمة فأعطوا من الغنيمة قبل التقسيم للمجاهدين المهور للذين ذهبت زوجاتهم إلى دار الكفر مثل ما أعطوا بغير بخس واتقوا الله أيها المؤمنون في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه أنتم به مؤمنون، والإيمان به يوجب امتثال بأمره.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا

يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ ولما فرغ رسول الله ﷺ من مبايعة الرجال يوم فتح مكة وجاءت النساء عند رسول الله ليبايعنه، وجاءت هند بنت عتبة زوجة أبـي سفيان معهن متقنعة وخائفة من رسول الله كيلا يعرفها، فقال رسول الله: «أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئًا»، فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا أمرًا ما رأيتك أخذته على الرجال وكان رسول الله أخذ بيعة الرجال على الاستقامة في دين الإسلام والجهاد في سبيل الله بالسمع والطاعة. فقال رسول الله: «ولا تسرقن»، فقالت هند: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله هنات، أي: لتطعم أولادها ليتهنؤا به، وقال أبو سفيان: هو حلال لك فيما مضى وفيما بعد، فتبسم رسول الله فعرفها، فقال: أنت هند بنت عتبة، فقالت: نعم، قال رسول الله: ﴿ولا تزنين﴾، فقالت هند: أو تزني الحرة؟ فقال رسول الله: ﴿ولا تقتلن أولادكن﴾، فقالت هند: ربيناهم صغارًا وقتلتموهم كبارًا، ــ فابنها حنظلة قد قتله حمزة عم رسول الله في يوم بدر ــ فضحك عمر رضي الله عنه واستلقى على ظهره، وتبسم رسول الله من أجوبتها، فقال رسول الله: «ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن»، فقالت هند: إن البهتان لقبيح، وما تأمرنا يا رسول الله إلاَّ بالرشد ومكارم الأخلاق؟ فقال رسول الله: «ولا يعصينك في معروف»، فقالت هند: ما جلسنا في مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك. ومعنى كلامها: جلسنا مجلسنا هذا لنبايعك، وقبلنا العهد الذي عاهدت علينا ولا نعصيك بعد، وأقررن ــ النسوة ــ على عهد البيعة. وقوله تعالى: ﴿فبايعهن﴾، أي: اقبل يا محمد بيعتهن واستغفر لهن الله عما أسلفن قبل إسلامهن إن الله غفور لذنوبهم رحيم بعباده المؤمنين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ يا أيها المؤمنون لا تصادقوا اليهود الذين غضب الله عليهم بنقض عهودهم وتكذيبهم برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، قد يأسوا من ثواب الآخرة، كما يئس الكفار من الذين ماتوا ودفنوا في القبور ويقولون لا بعث ولا حياة، وقد اختلفت أقوال المفسرين في معنى الآية، والله المستعان في فهم عبارات كتابه.

الحمد لله، تمَّت سورة الممتحنة بعون الله.

* * *

سورة الصف

آياتها أربع عشرة آية، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ تقدم تفسيرها في أول سورة الحديد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ قيل نزلت في المؤمنين الذين من أصحاب رسول الله، قالوا: لو علمنا أيّ عمل أحب إلى الله لعملنا، ووعدوا على ذلك، فأنزل الله الآيـة يعاتبهم: لأيّ شيء من الأعمال تقولون أنكم تعملون ثم لا تعملون، وقيل: نزلت في المنافقين الذين يدعون أعمالاً لم يعملوها. (كبر مقتًا)، أي: غضبًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلونه ولا توفون وعدكم.

إنكم تريدون أحب الأعمال إلى الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ إن الله يحب المجاهدين الذين يقاتلون في سبيل الله ويثبتون في أماكنهم في معركة القتال يصفون صفًّا تجاه عدوهم كأنهم بنيان مرصوص لا يتزحفون عن أماكنهم.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ اذكر يا محمد لقومك قصة موسى عليه السلام، حيث قال موسى لقومه بني إسرائيل: يا قوم لأيّ سبب تؤذونني وقد علمتم أني رسول الله إليكم لأدعوكم إلى توحيد الله ولسعادتكم في الآخرة، فلم يقبلوا دعوته ونصيحته وأعرضوا عنه. وتوعد الله عليهم، (فلما زاغوا)، أي: مالوا عن موسى (أزاغ الله قلوبهم) عن الهداية إلى الضلالة، والله لا يهدي القوم الخارجين عن طاعة الله وطاعة رسوله، هم الذين سبقت عليهم شقاوتهم في علم الله.

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ وإذا قال عيسى عليه السلام لقومه يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم لأدعوكم إلى توحيده لسعادتكم في الآخرة مصدقًا ومعترفًا بما في التوراة من أحكام التوحيد والعبادات وأحكام المعاملات قبلي، التي شرع الله لرسوله موسى عليه السلام، وأرسلني مبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، واسمه عليه الصلاة والسلام في السماء أحمد وفي الأرض محمد، فلما جاءهم محمد عليه الصلاة والسلام بالرسالة وبالآيات الواضحات التي تدل على صدق رسالته قالوا هذا سحر ظاهر لا نصدقه، ويا عجبًا إنهم قد درسوا في التوراة والإنجيل نعت رسول الله وعرفوه، ولما جاءهم جحدوا برسالته، فسبقت عليهم شقاوتهم الأزلية.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾ لا أحد أعظم ظلمًا لنفسه ممن افترى على الله الكذب وهو

قولهم عن كتاب الله سحر، وعن رسوله الأمين برسالته ساحر، وتارة كاهن وهو، أي: المفتري، يدعى ـ على لسان رسول الله ـ إلى دين الإسلام، والله لا يوفق القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر بربهم والتكذيب برسول الله.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ يريد هؤلاء المكذبون بكتاب الله وبرسول الله ليطفؤا نور الله، أي: أن يبطلوا دين الله، هو دين الإسلام، والله متمم دينه ولو كره الكافرون.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ هو الله الذي أرسل رسوله محمدًا عليه الصلاة والسلام إلى كافة الثقلين يعني الإنس والجن بالقرآن، فيه هداية إلى توحيد الله في ذاته وصفاته، وفيه تشريع الإسلام لعباده المؤمنين، وفيه ذكر دين الحق هو دين الإسلام. ثم ذكر علة إرسال الرسول عليه الصلاة والسلام، ليظهر دين الإسلام على الأديان الباطلة كلها ولو كره المشركون، وقد أنجز الله وعده حيث لم يبقى في جزيرة العرب مشرك ولا كافر، الذين بقوا في جزيرة العرب، هم أهل الذمة، ضربت عليهم الجزية، وهم أذلاء لا سلطة لهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠﴾ قال تعالى: يا أيها المؤمنون هل أدلكم؟ ـ استفهام للتشويق للأعمال الصالحات، واستعيرت التجارة بالأعمال الصالحات، لأن التاجر بالمال يحب الربح ـ هل أدلكم على أعمال تنجيكم من عذاب مؤلم؟!

ثم ذكر وبين: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١﴾ تؤمنون بالله وحده صدق الإيمان لا شكًا ولا نفاقًا،

وتصدقون برسالة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، وتجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلماته وإظهار دينه، وتعزيز أهل دينه ببذل أموالكم وبتكليف أنفسكم على الجهاد، ذلك الذي ذكرت لكم في هذه الآية إن عملتم بها فهو خير لكم في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون وتفهمون وتتأملون فيها.

ثم ذكر المرابح في تجارتهم ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ ذلك الدخول في دار الإقامة الفوز العظيم ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ يغفر الله لكم ذنوبكم أيها المجاهدون ويدخلكم جنات تجري من تحت أشجارها وأمام قصورها ماء الأنهار والغرف التي يسكن فيها أهل الجنة طيبة عالية في جنات إقامة لا يزول نعيمها ولا يخرجون منها، يقيمون على الأبد، ويعطيكم فضيلة أخرى تحبونها هي نصر من الله لكم وفتح مكة قريب وبشر يا محمد المؤمنين يستبشرون ويطمأنون بنصرة الله لهم، قد أنجز الله وعده وتمت مقاصدهم بفتح مكة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ يا أيها المؤمنون كونوا أنصار دين الله وتعاونوا على زوال الأديان الباطلة كما قال الحواريون: نحن أنصار الله، حين قال عيسى عليه السلام: من أنصاري إلى الله؟ وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لما دعا عيسى عليه السلام بني إسرائيل إلى توحيد الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وصدقت برسالته وكفرت طائفة، ولما رفع الله عيسى عليه السلام إلى السماء تفرقوا ثلاث فرق، منهم من قالوا: رفعه الله

إلى السماء وهم المؤمنون، ومنهم من قالوا: أن عيسى ابن الله رفعه إليه، ومنهم من قالوا: أن عيسى إلـه ثالث، الإلـه ارتفع إلى السماء، حتى اقتتلوا فنصر الله المؤمنين على جماعتي الضالين، فصار المؤمنون غالبين على أعدائهم الضالين، والحواريون هم اثني عشر رجلاً، وهم أول من آمن بعيسى عليه الصلاة والسلام، هم نقباء.

الحمد لله، تمَّت سورة الصف بعون الله.

* * *

سورة الجمعة

آياتها إحدى عشرة آية، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾

ذكر الله في سورة الحديد وسورة الصف بصيغة الماضي إخبارًا عن تسبيحات المخلوقات على الدوام، وفي سورة الجمعة والتغابن بصيغة المضارع حكاية عن تسبيحهن: مجّد الله نفسه: هو ملك كل شيء، المتصرف في خلقه كيف يشاء، القدوس المتنزه عن جميع صفات النقائص، العزيز القاهر فوق عباده، الحكيم في تدبير أمر خلقه.

﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ﴾ هو الله الذي أرسل محمدًا رسولاً إلى قومه الأميين الذين لا يقرأون ولا يكتبون، يقرأ عليهم آيات أحكام كتاب الله ويطهرهم من دنس الكفر والشرك، ويعلمهم قراءة كتاب الله والفهم في معاني كتاب الله وإن شأنهم أنهم كانوا من قبل رسالة محمد عليه الصلاة والسلام لفي ضلال ظاهر، وأرسلناه إلى أقوام آخرين لم يدركوهم، وقيل: هم الذين بعد أصحاب رسول الله إلى يوم فناء الدنيا، لأن رسالته عامة للإنس

والجن، وهو العزيز القاهر فوق عباده كيف يشاء يحكم ويفعل ما يريد، الحكيم في صنعه وتدبير أمر خلقه.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ تلك الرسالة والنبوة مع محمد عليه الصلاة والسلام إلى قومه ومن بعدهم إلى فناء الدنيا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، والله ذو تفضل عظيم، وفي هذا التفضل لمحمد عليه الصلاة والسلام شرف لأصحابه وللعرب.

ثم ضرب الله مثلاً لليهود ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ مثل اليهود الذين أعطوا التوراة وأمروا بأن يعملوا بما فيها ولم يعملوا بما فيها مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفارًا من الكتب، ما له إلاَّ التعب من ثقل الحمل، بئس المثل لليهود الذين كذبوا برسول الله محمد عليه الصلاة والسلام وجحدوا برسالته والله لا يهدي القوم الظالمين على أنفسهم إلى الإيمان بالله وحده والإيمان بأنبيائه حتى يموتوا على كفرهم ويخلدون في نار الجحيم.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ قل يا محمد لهؤلاء اليهود: إنكم زعمتم أنكم أولياء الله وأحبائه من دون الناس، فاطلبوا من الله الموت يميتكم وينقلكم من دار البلاء إلى دار الكرامة إن كنتم صادقين في قولكم: لن يدخل الجنة إلاَّ من كان هودًا أو نصارى، ورد الله على زعمهم: ولا يتمنون الموت أبدًا بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والله عليم بالظالمين لأنفسهم سيحاسبهم ويجازيهم.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء اليهود: الموت الذي تكرهونه وتهربون منه إنه يدرككم أينما كنتم، عند تمام آجال حياتكم، ثم تردون إلى عالم الغيب، هو ما غاب عنكم برأي العين، ولكن أخبرتم عنه وكذبتم، وعالم الشهادة تشهدون أعمالكم في الصحف، فيخبركم جميع ما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا فتحاسبون وتجازون عليها.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ يا أيها المؤمنون إذا أذن لصلاة الجمعة فامشوا إلى سماع الخطبة، فيها ذكر الله، ومواعظه تلين قلوبكم بها، واتركوا البيع والشراء، ذلك السعي إلى استماع الخطبة وأداء صلاة الجمعة خير لكم لسعادتكم من البيع والشراء إن كنتم تفهمون ما ذكرنا لكم.

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ فإذا صليتم الصلاة وفرغتم منها، إن شئتم الأعمال في الأسواق فاذهبوا إلى أعمالكم لا حرج عليكم، وابتغوا من فضل الله في تجارتكم واذكروا الله كثيرًا في تجارتكم وسائر أعمالكم، لا تغفلوا عن ذكر الله لعلكم تفوزون بدار النعيم.

﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ وسبب نزول هذه الآية أنه جاءت العير بالتجارة من الشام إلى المدينة واستقبلها الناس بالطبل والنشيد سرورًا منها وذلك كانت عادة أهل

المدينة، ولما سمع أهل المسجد قاموا فخرجوا من المسجد ورسول الله يخطب قائمًا في المنبر، وبقي في المسجد اثنا عشرة رجلاً، ومعنى الآية: وإذا رؤوا استقبال تاجر من خارج المدينة وسمعوا الطبل واللهو خرجوا إليها وتركوك قائمًا في المنبر، فقل لهم يا محمد: الثواب الذي للمصلين والمستمعين للخطبة خير من اللهو والتجارة، والله خير الرازقين، أي: لا تطعموا من غيره شيئًا.

الحمد لله، تمَّت سورة الجمعة بعون الله.

* * *

سـورة المنافقـون

آياتها إحدى عشرة آية، وهي مدنية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ إذا جاءك يا محمد المنافقون في مجلسك يقولون بألسنتهم الذي ليس في قلوبهم: إنك لرسول الله، وقال الله إنك يا محمد لرسوله حقًّا والله يعلم أن المنافقين لكاذبون في مقالتهم إليك.

ثم كشف الله أسرارهم ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ اتخذوا إيمانهم الفاجرة جُنة، أي: سترًا وحماية من القتل والسبـي فمنعوا الناس عن الجهاد في سبيل الله، إن المنافقين ساء عليهم الأعمال التي كانوا يعملون من النفاق بين المؤمنين واليهود وصد الناس عن الجهاد في سبيل الله، بإلقاء الشبهة والتشكيك.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾ ذلك النفاق والحلف الكاذب بسبب أنهم آمنوا عند رسول الله والمؤمنين ثم أضمروا الكفر في قلوبهم، فطبع الله على قلوبهم الكفر والنفاق، فهم لا يفقهون عاقبة أمرهم وهم في درك أسفل من النار.

﴿ ۞وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ وإذا نظرت يا محمد إلى المنافقين تعجبك أجسامهم لضخامتهم وحسن ملابسهم وإن يقولوا لك تسمع لقولهم لحلو كلامهم وفصاحتهم وشبههم بالأخشاب المسندة للجدار، يعني: لا علم لهم بعاقبة الأمور والإيمان في قلوبهم، يحسبون كل صيحة إذا سمعوها أنها عليهم، وذلك لعدم الإيمان في قلوبهم، وجبنهم؛ هم العدو فاحذر كيدهم وإظهار الإسلام بألسنتهم يا محمد، لا تأمنهم، لعنهم الله، كيف يصرفون الإيمان بالله على الكفر والضلالة.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ وإذا قيل للمنافقين تعالوا عند رسول الله يستغفر لكم، لووا رؤوسهم إلى الوراء مستكبرين ويمتنعون ــ سواء عليهم ــ عن الإجابة بالدعاء، استغفرت لهم يا محمد أم لم تستغفر لهم قد أبعدهم الله عن رحمته، لن يغفر الله لهم، والله لا يهدي القوم الخارجين عن طاعته بعد الإيمان بالله والساعين بالفسق والفساد.

وزاد الله من تكثيف قبائحهم ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾ هم المنافقون الفاسقون يقولون بينهم: لا تنفقوا على الذين عند رسول الله حتى يتفرقوا ويلحقوا بعشائرهم، ورد الله عليهم: ولله خزائن السموات والأرض لا لكم، هو يرزق من يشاء ويوسع له، ويرزق

من يشاء ويقتر عليه، وذلك لحكمة منه جلت قدرته ولكن المنافقين لا يفهمون حكمة الله في ذلك.

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ أخبر الله رسوله محمد عليه الصلاة والسلام بالوحي مقالة أبي بن سلول رئيس المنافقين، وجاء بالذكر بصيغ الجمع، وأصحابه مقرون بمقالة رئيسهم، واختلفت الرواية، وبعضهم قال: في غزوة تبوك، وبعضهم قال: في غزوة بني المصطلق: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز ـ ويريدون أنفسهم ـ من المدينة الأذل ـ يريدون بالأذل رسول الله والمؤمنين ـ ، ورد الله عليهم: العزة والقهر لله، ويعز رسوله والمؤمنين وينصرهم على أعدائهم الكافرين والمنافقين، ولكن المنافقين لا يعلمون لفرط جهلهم وغفلتهم بقدرة الله عاقبة أمورهم.

وروي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي أخذ سيفه فوقف على باب المدينة ولما جاءه أبوه أبي ابن سلول مع أصحابه منع أباه وقال له: والله لا تدخل المدينة حتى تقول أن رسول الله هو الأعز وأنا الأذل، فقال أبيّ: أنا الأذل ورسول الله أعز، وخلا سبيله ليدخل المدينة، وجاء عند رسول الله قائلاً يا رسول الله بلغني أنك تريد أن تقتل أبي فمرني بقتله أنا آتيك برأسه، فقال رسول الله: «بل ترفق به وتحسن صحبته ما بقي من حياته معنا». وفي هذه الرواية دليل على قوة إيمان عبد الله بن عبد الله بن أبي وبرحمته عليه الصلاة والسلام.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ يا أيها المؤمنون لا

تلهكم، أي: لا تشغلكم محبة الأموال والأولاد عن أداء ما افترض الله عليكم من صلاة وزكاة وصوم وحج، وانشغالهم عن أداء ما افترض الله عليه حبًّا للمال والأولاد هو الغفلة عن عاقبة الأمور، فأولئك هم الغابنون أنفسهم عن كل خير وسعادة.

ثم أمر الله المؤمنين بالإنفاق ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ وأنفقوا أيها المؤمنون في سبيل مرضاة الله لذوي الحاجة والأرحام والفقراء مما وسع الله عليكم من الرزق ينفعكم لآخرتكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول حسرة وندامة لما فات عليه من الخير: يا رب هلا أخرتني إلى زمن قريب من الموت فأزكي مالي وأنفق لذوي الحاجة والأرحام والمساكين فأكن من عبادك الصالحين.

وقال تعالى ردًّا على أمنيتهم: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ ومعنى الآية واضح، وفيها تحريض على المبادرة بالأعمال الصالحات وإنفاق المال في سبيل الله قبل الموت، لأنه إذا جاء الموت انقطع العمل.

الحمد لله، تمّت سورة المنافقين بعون الله.

* * *

سورة التغابن

آياتها ثماني عشرة آية، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ سبق تفسير تسبيح المخلوقات في سورة الجمعة، وقوله الملك، أي: مالك كل شيء، ويخص له الحمد والثناء، وهو القادر على إيجاد كل شيء وإفنائه، لا يعجزه شيء، إنما أمره كن كذا فيكن في الحال كما شاء.

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ الله الذي خلق أباكم آدم من تراب وخلق ذريته من نطفته فمنكم كافر بربه ومنكم مؤمن به، وتلك الخطتان بقدر الله وحكمته، لأنه تعالى خلق الجنة وجهنم، وخلق للجنة أهلاً ولجهنم أهلاً، والذين خلقهم الله للجنة يهديهم إلى الإيمان به وبأعمال الصالحات يدخلهم في الجنة برحمته، والذين خلقهم الله لجهنم هم يكفرون بربهم ويجحدون نعمة الله ويطغون ويسعون في معصية الله ويموتون عليها يدخلهم في جهنم بعدله، إن الله لا يظلم مثقال ذرة والله بما تعملون بصير، لا يفوت عن علمه شيء من أعمالكم، سيحاسبكم ويجازيكم.

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ ﴾ الله خلق السموات السبع والأراضين السبع بالحق لا بالعبث، وخلقكم من نطفة آبائكم في أرحام أمهاتكم خلقًا بعد خلق في ظلمات بطون أمهاتكم، وصوركم فأحسن صوركم على أجمل هيئة، وهذه النعم توجب الإيمان بخالقكم والشكر له، وبعد تمام آجالكم تقبض أرواحكم وإلى الله ترجعون بأعمالكم وتحاسبون عليها وتجازون بها.

﴿ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤ ﴾ في الآية تنبيه للمؤمنين أن علمه جلّ وعلا يحيط كل شيء في الكونين حتى بما يخفي الإنسان في صدره.

ثم وجه الخطاب لكفار قريش ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ﴾ استفهام للتوبيخ والتقريع: ألم يأتكم أخبار الأمم الذين مضوا من قبلكم كفروا بربهم وكذبوا رسلهم وطغوا وعصوا واستحقوا عقاب الله، وأرسل الله عليهم أصناف العذاب فذاقوا عذاب الله في الدنيا ولهم عذاب مؤلم في نار جهنم إلى الأبد.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٦ ﴾ ذلك العذاب العاجل على الأمم الطاغين بسبب أن رسلهم كانت تأتيهم بالمعجزات الظاهرات تدل على صدق رسالتهم من الله إليهم بعد أن شاهدوها فجحدوا ولم يؤمنوا برسلهم ولم يصدقوا بآيات الله وأعرضوا عنها جاحدين عليها واستغنى الله عن إيمانهم وطاعتهم والله غني عن عبادتهم وإيمانهم محمود في الأزل وإن لم يحمده خلقه.

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧ ﴾ وفي الآية رد على المنكرين للبعث، قال الذين كفروا بالبعث بعد الموت للحساب والجزاء: فقالوا: لن يبعث الموتى من قبورهم أحياء. قل لهم: بلى، يبعث الله جميع الخلائق، ثم أكد باليمين: لتبعثن من قبوركم مع سائر الخلق ثم ستحشرون إلى موقف الحساب والجزاء ثم لتخبرن بما عملتم في حياتكم الدنيا، وذلك البعث والحشر والحساب بأسرع وقت على الله سهل.

وبعدما ذكر الله العذاب الذي نزل على الأمم الكافرين الطاغين تقريعًا لكفار قريش وأمرهم بالإيمان بالله وحده وبرسوله محمد عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٨ ﴾ فآمنوا يا معشر قريش بالله وحده وبرسوله محمد عليه الصلاة والسلام والقرآن الذي أنزلنا على رسولنا بالوحي، سمى الله القرآن نورًا: من آمن بالله وبرسوله وبالقرآن الكريم اهتدى بتذكيره ومواعظه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمات المعاصي والشقاوة إلى نور الهداية والسعادة، والله بما تعملون خبير سيحاسبكم ويجازيكم.

﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ ﴾ يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين لموقف الحساب وفصل الحكم، ذلك اليوم يوم يغبن المؤمنون الكافرين. وبيان ذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلاً من الجنة ومنزلاً من جهنم والذين آمنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيئًا أخذوا منازلهم في الجنة وأخذوا منازل الكفار في الجنة وأعطوا الكفار منازل المؤمنين في جهنم، والغبن بين المؤمنين يؤخذ ثواب الظالم على مظلومه وإذا انتهى ثوابه وبقي عليه من ظلمه بدل ذلك أخذ من جرم المظلوم وطرح على الظالم.

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ ومن يؤمن بالله وحده ولم يشرك به ويعمل عملاً صالحًا لله تعالى يكفر الله عنه سيئاته بأعماله الصالحات ويدخله جنات عدن، يجري ماء الأنهار من تحت أشجار الجنة وأمام قصورهم في الجنة، مقيمين فيها أبدًا، تلك إقامة في الجنة هو الفوز العظيم.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ﴾ والذين كفروا بالله وبرسوله وكذبوا بما أمر الله في القرآن أولئك أصحاب النار هم فيها مقيمون على الأبد وبئس المرجع والمقر.

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ ما أصاب أحدًا من مصيبة إلاّ بحكم الله وقدره ومن يؤمن بالله ويوقن أن المصائب من الله، ويرضا بقضاء الله، يهد قلبه بالصبر ويعطي ثواب الصبر له، والله عليم بكل شيء حكم وقضى.

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾ وأطيعوا الله فيما أمركم ونهاكم وأطيعوا رسول الله فيما بلغكم من الأوامر والنواهي، فإن أعرضتم عن الإجابة بأمر الرسول فإنما على رسولنا إبلاغ أمري إليكم في الظاهر، قد بلغ إليكم أمري وأدى الأمانة.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ الله الواحد لا إله يعبد إلاّ الله، هو المعبود الحق. ثم حرض المؤمنين على التوكل على الله في جميع أمورهم: وعلى الله فليتوكل المؤمنون الصادقون ولا يعتمدون على غيره.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ وقيل نزلت الآية في رجال من أصحاب رسول الله، والعبرة بعموم اللفظ: يا أيها المؤمنون إن بعض زوجاتكم وأولادكم عدوّ لكم، أي: يخالفوكم في الآراء ولا يطيعوكم، فاحذروا منهم لا تطيعوا آراءهم الفاسدة، وإن تعفوا إساءتهم عليكم وتعرضوا عن المعاقبة عليهم وتغفروا خطأهم فإن الله غفور لذنوبكم رحيم لعباده المؤمنين.

﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ إنما أموالكم وأولادكم ابتلاء واختبار، فلا تطيعوا لهم ولا تتركوا طاعة ربكم ولا تتنازلوا عنها لأجلهم، والله عنده ثواب عظيم، لا تنسوا نصيبكم في الآخرة إنما الدنيا ومتاعها فانية وثواب الآخرة باق على الأبد.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ فاتقوا الله أيها المؤمنون في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه، فامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه إذا وعظكم وأمركم بأمر واسمعوا وأطيعوا أمره وأنفقوا مما رزقكم سعة من المال في سبيله، وكان إنفاقكم في سبيله خيرًا لأنفسكم في الآخرة، ثم حذرهم من البخل: ومن حفظه الله من بخل نفسه فأولئك هم الفائزون بالجنة.

ثم حرض على التصدق في سبيل الله ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ إن أنفقتم أموالكم في سبيل الله من طيب أنفسكم يضاعف الله

ثواب إنفاقكم بعشر أمثاله إلى سبع مائة ضعف، وذلك أضعاف على قدر نية وإخلاص ويكفر عنكم سيئاتكم به، والله شكور لمن تصدق بماله في سبيله حليم لا يعجل العقوبة على من منع التصدق، وبخلٍ عسى أن يتوب عن بخله ويتصدق، هو سبحانه وتعالى عالم بما في ضمير المتصدق من إخلاص أو رياء، وعالم بما تصدق من حلال أو حرام، العزيز القاهر فوق عباده الحكيم في تدبير أمر خلقه وصنعه.

الحمد لله، تمَّت سورة التغابن بعون الله.

* * *

سـورة الطـلاق

آياتها اثنتا عشرة آية، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ ﴾ خاطب الله نبيه عليه الصلاة والسلام تفخيمًا له، والخطاب يتوجه للأمة، ولهذا جاء الأمر بصيغة الجمع، أي: إذا أردتم تطليق نساءكم فطلقوهن في وقت طهورهن قبل المجامعة، وأحصوا عدتهن ثلاثة أقراء، أي: احفظوها واتقوا الله ربكم في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه.

ثم أوجب السكن على الأزواج لهن ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ ﴾ لا تُخْرِجوا زوجاتكم المطلقات من بيوتهن ولا يخرجن من البيوت حتى تنقضي عدتهم، إلاَّ أن يأتين بفاحشة ظاهرة كالزنى فيخرجن من بيوتهن لإجراء الحد عليهم.

﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾ وتلك الأحكام في تطليق الزوجة والعدة عليها هو من حدود محارم الله فالزموها أيها المؤمنون، ومن يتجاوز أحكام حدود الله

فقد ظلم نفسه بإيجاب العقوبة على نفسه، لا تدري لعل الله يحدث بعد الطلاق واحدًا أو اثنين امرًا، أي: يوقع المراجعة عليها والمحبة في قلب الزوج.

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ فإذا قاربن أجل عدتهن فراجعوهن بمعروف وإحسان أو اتركوهن تنقضي عدتهن ويملكن أنفسهن، وأشهدوا أيها الأزواج عند طلاقهن ومراجعتهم ذوي العدل بالشهادة من المسلمين، وأقيموا أيها الشهود الشهادة لله لا تميلوا إلى أحد الطرفين، ذلك الذي بينا لكم: يوعظ، أي: يتعظ به ويعمل على مقتضاه من كان يؤمن بالله وحده واليوم الآخرة خوفًا من عقاب الله.

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾ قيل: الآية اعتراضية بين أحكام الطلاق والعدة. وقيل: نزلت الآية في عوف ابن مالك الأشجعي: أتى عند رسول الله قال: يا رسول الله أن ابني أخذه العدو وجزعت أمه فبم تأمرني فقال: آمرك أن تكثر من قول لا حول ولا قوة إلاَّ بالله وتصبر، وقالت أم الولد: نعم وهي وزوجها عوف يذكران على الدوام: لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، وغفل العدو المشرك عن الولد فاستاق غنمهم، وقيل: إبلاً، وجاء بها عند أبويه. وقال المفسرون: حكم الآية عام في كل من يتق الله ويخشاه ويصبر في كل أمر، ومنه الطلاق والعدة، يجعل له مخرجًا من كل كرب ويرزقه من حيث لا يأمل ولا يأتي بباله. ومن يتوكل على الله فهو كافيه من كل حاجته إن الله نافذ أمره فيما أراد وقدر، قد جعل الله لكل شيء قدرًا، أي: مقدرًا لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتأخر.

ثـم أوصل العبادة إلى أحكام العدة ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤ ﴾ والنسوة اللاتي يئسن من المحيض، أي: لا يحضن من كبر سنهن إن شككتم فيهن فلم تدروا ما عدتهن فعدتهن ثلاثة أشهر، وكذا اللائي لم يحضن لصغر سنهن أو أنهن لا يحضن أبدًا. وأما أولات الأحمال فأجلهن إلى أن يضعن حملهن، وأما المتوفى زوجها عنها غير حاملة فعدتها أربعة أشهر وعشرة أيام. ومن يتق الله فيما أمر ونهى ولا يخالف على أمره ونهيه فيجعل الله مما أشكل عليه يسرًا.

﴿ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥ ﴾ تلك أحكام الطلاق والعدة أمر الله أنزله إليكم أيها المؤمنون لتعملوا به، ومن يتق الله فلا يخالف ما أمر به ولا يفعل ما نهى عنه، يمح سيئاته ويعظم له ثوابًا في الآخرة.

﴿ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ ﴾ أسكنوا زوجاتكم المطلقات إلى تمام عدتهن في بعض بيوتكم التي تسكنون فيها من سعتكم، ولا تضارّوا عليهن بالتضييق والأذى ليخرجن من بيوتكم. وإن كن، أي: المطلقات، أولات حمل، أي: صاحبات حمل في بطونهن منكم. فيجب أن تنفقوا عليهن على قدر الكفاية من طعام وكسوة إلى أن يضعن حملهن، وتجب لهن السكنى أيضًا ﴿ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ٦ ﴾ فإن أرضعن أولادهن لكم فأعطوهن أجور إرضاعهن، وأْتمروا بينكم بالمعروف، لا تبخسوا أجورهن ولا يطلبن

الزيادة على استحقاقهن. وإن تعاسرتم أيها الآباء واختلفتم في أجرة إرضاع أولادكم من أمهاتهم وأبت أن ترضع هي، فسترضع لأولادكم مرضعة أخرى.

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾ لينفق ذو المال الكثير على زوجته المطلقة في حالة عدتها وعلى المرضعة أولادها منه على حسب سعته وغناه. ومن قُدِرَ، أي: ضيق عليه رزقه فعليه أن ينفق على قدر ما أتاه الله، لا يكلف الله نفسًا في إنفاقٍ على زوجاتهم إلاّ على قدر ما آتاه الله، وإذا صبرتم على الفقر فسيجعل لكم بعد فقرٍ غنى، فيتوسع رزقكم.

وإلى هنا انتهى حكم المطلقة وبيان عدتها، ثم شرع في ذكر الأمم الطاغية قبل كفار قريش.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ ﴾ وكم من قرية عتا، أي: طغا وكفر أهلها بأمر الله ورسله، ولم يعملوا بحكم الله وحفظ حدوده فجازيناهم جزاء شديدًا بأنواع العذاب وعذبناهم عذابًا منكرًا، فذاقوا وبال كفرهم وعصيانهم، وكانت عاقبة كفرهم وعصيانهم خسرانًا عظيمًا، وهذا العذاب عبرة وعظة لمن بعدهم، وأعد الله لهم عذابًا شديدًا في نار جهنم سيذوقونه على الأبد.

ثم أمر الله المؤمنين بالتقوى والتذكر والاتعاظ بمواعظ كتابه ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ ﴾ وفي قوله تعالى تنبيه

للمؤمنين: فاحذروا عقاب الله، لا تخالفوا أمر الله ورسوله يا أصحاب العقول السليمة من الشوائب والزيغ، قد أنزل الله إليكم ذكرًا بالوحي على رسوله، يقرأ عليكم آيات الله مبينات أحكامها ومعانيها ومواعظها. ثم ذكر علة إنزال القرآن: ليخرج الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله ولأمر رسوله من ظلمات آثار الكفر إلى نور الإيمان، ومن تمسك بهديه عليه الصلاة والسلام صار مؤمنًا خالصًا لله تعالى.

ثم ذكر الإيمان اليقين تأييدًا وبيانًا لما سبق ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ ومن يؤمن بالله وحده ويعمل عملاً صالحًا طاعة لأمره يدخله جنات يجري ماء الأنهار تحت أشجارها وأمام قصورهم، مقيمين فيها على الأبد، قد أحسن الله رزقهم وأكرم مأواهم.

ثم ذكر سبحانه وتعالى الآيات الدالات على كمال قدرته ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ الله الذي خلق السموات السبع طباقًا بعضها فوق بعض، وخلق الأراضين السبع مثلهن طباقًا، يتنزل أمر الله فيهن على مخلوقاته، وذكرنا ذلك لتعلموا أن الله على إيجاد كل شيء وإفنائه قادر وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا. ولفظ (علمًا) ومنصوب للتمييز.

الحمد لله، تمّت سورة الطلاق بعون الله.

* * *

سـورة التحريـم

آياتها اثنتا عشرة آية، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ ﴾

روي أن النبي ﷺ قد خلا بجاريته مارية أم إبراهيم ابن رسول الله في بيت حفصة زوجته، واطلعت حفصة عليه فقالت: تُدخلها بيتي؟! ما صنعت بي هذا من بين نسائك إلاَّ من هواني عليك. قال لها: «لا تذكري هذا لعائشة؛ فهي عليَّ حرام إن قربتها» قالت حفصة: وكيف تَحْرُمُ عليك وهي جاريتك؟ فحلف لها ألاَّ يقربها. وقال لها النبي ﷺ: «لا تذكريه لأحد» فذكرته لعائشة، فآلى أن لا يدخل على نسائه شهرًا. فاعتزلهن تسعًا وعشرين ليلة، فأنزل الله الآيات، ومعناها: يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تريد رضى زوجتك، والله غفور لك بما حرمت جاريتك التي أحلها الله لك. رحيم بعباده المؤمنين.

﴿ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢ ﴾ والنبي ﷺ من جملة المخاطبين: (قد فرض الله لكم) أيها المؤمنون (تحلة أيمانكم) الأيمان جمع يمين، وتحلة اليمين، هي الكفارة، وسبق ذكرها في سورة المائدة. والله وليكم في أموركم وناصركم وهو العليم فيما شرع لكم،

الحكيم في صنعه وتدبير أمر خلقه. وقال النسفي رواية عن مقاتل: أعتق رسول الله رقبة كفارة عن تحريم مارية.

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾
وحيث أسر النبي ﷺ إلى زوجته حفصة خبرًا عن تحريمه مارية، وأن أبا بكر وعمر أبوها سيليان أمر المسلمين من بعده وقال: اكتميه لا تخبري أحدًا، فلما أخبرت حفصةُ عائشةَ بالخبر الذي أمرها بكتمانه، أخبر الله بالوحي نبيه ما أفشت حفصة لعائشة، فعرفها عليه الصلاة والسلام بعض ما أفشت وترك بعضه، فقالت حفصة: من أخبرك يا رسول الله بهذا؟ قال رسول الله: أخبرني الله العليم الخبير في أحوال خلقه.

وقال تعالى مخاطبًا حفصة وعائشة: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ إن تتوبا إلى الله عن إفشاءكما سر رسول الله فقد مالت قلوبكما عن الخطأ، وإن تتعاونا بإفشاء سر رسول الله فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين، والملائكة بعد نصرة الله وجبريل عليه السلام وصالح المؤمنين أعوان لرسول الله، ولا يضره تعاونكما. وفي أول الآية أمر لهما بالتوبة إلى الله عن إفشاء سر رسول الله.

ثم أنزل الله منذرًا زوجات رسول الله: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ ﴾ عسى رب محمد عليه الصلاة والسلام إن طلقكن رسولي محمد أنه سبحانه وتعالى يعطي له أزوجًا خيرًا منكن، مستسلمات لأمر الله ورسوله مؤمنات،

صادقات في إيمانهن مطيعات على الدوام في طاعة الله، تائبات عما تقصرن في طاعة الله، عابدات حق العبادة لله، صائمات في الأيام المرغبة في صيامها مثل صوم يوم الاثنين والخميس وأيام البيض في كل شهر ويوم عشر محرم. وقيل: مهاجرات إلى الله، ثيبات جمع ثيبة، أي: كانت قد تزوجت سابقًا، وأبكارًا جمع بكر وهي التي لم تتزوج.

ثم أمر الله المؤمنين بأن يحموا أنفسهم وأهليهم من العذاب بالتأديب والنصيحة ويحذروهم عقاب الله قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ يا أيها المؤمنون احفظوا أنفسكم بتقوى الله وأولادكم ونساءكم ومن له القرابة بالنسب لكم بالتذكير والموعظة الحسنة وبالزواجر من عقاب الله في نار جهنم التي وقودها الناس العابدين لغير الله والحجارة هي أصنامهم التي نحتوا وصوروها على صورة إنسان وعبدوها، ويوم القيامة يرمى جميعهم في جهنم تتوقد بهم على تعذيبهم، والزبانية من الملائكة غلاظ شداد في القهر والغضب على أهل جهنم، لا يعصون الله بما أمرهم ويفعلون بأيّ شيء يؤمرون.

ثم يظهر الله الجواب الذي سيقال للكافرين يوم القيامة فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧ ﴾ يا أيها الكافرون بربكم في حياتكم الدنيا لا تعتذروا اليوم، لا ينفعكم اعتذاركم ولا إيمانكم، قد جاءتكم رسلي وبلغوكم أمري، فكفرتم وكذبتموهم، وإنما تجزون بما كنتم تعملون من الكفر والشرك بربكم.

ثم أمر الله المؤمنين بالتوبة الصادقة إلى الله عما قصروا فيه من

الأوامر وارتكبوا من الجرائم لكيلا يقنطوا من رحمة الله وعفوه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ يا أيها المؤمنون توبوا إلى الله توبة صادقة عما قصرتم فيه من أوامري واتباع سنة رسولي وتوبوا عن جريمة ارتكبتموها، وإني لغفار لمن تاب عن ذنوبه واستقام فيها، لعل ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم بأعمالكم الصالحات ويطهركم من ذنوبكم ويدخلكم جنات يجري ماء الأنهار تحت أشجارها وأمام قصورها، (يوم)، أي: يوم القيامة لا يخزي الله النبي والذين آمنوا بالله وحده يدخلون الجنة مع نبيهم، نورهم يسعى بين أيديهم، أي: أمامهم، وبإيمانهم وشمائلهم وهم يمشون في ضوء نور إيمانهم في العرصات والصراط المضروبة بين الجنة وجهنم، ولما يشاهدوا إطفاء نور المنافقين يقولون: يا ربنا أتمم لنا نورنا حتى نتجاوز الصراط وندخل جنتك، واغفر لنا ذنوبنا إنك على كل شيء قادر. وفي قولهم الأخير توسل بقدرة الله القادر على كل شيء.

ثم أمر الله نبيه صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم بجهاد الكفار والمنافقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف والقتال حتى يؤمنوا بالله وحده، وجاهد المنافقين بالوعظ والتذكير بعقاب الله حتى ينتهوا عن نفاقهم، وأغلظ عليهم بالحجة المرهبة، وإن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والكفار عن كفرهم فمأوى الجميع جهنم وبئس المرجع والمقر على الأبد.

ثم ضرب الله مثلاً للكافرين بعدم انتفاعهم بنسب القرابة والمصاهرة والزوجية للمؤمنين قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ ذكر الله مثلاً لحال الكافرين يوم القيامة وكيف أن القرابة لا تنفع الكافر في النجاة من النار، ضرب الله مثلاً لهم: امرأة نوح وامرأة لوط هما زوجتا نبيين ورسولين من الله كانتا في عصمة الزوجية تحتهما ولكن كانتا كافرتين برسالة زوجيهما نوحًا ولوطًا، فخانتا زوجيهما بإظهار الكفر والتكذيب لهما فأخذهما الله بالعذاب مع الهالكين فيه فلم يستطيعا دفع عذاب الله عنهما بعلة أنهما زوجتاهما ولم يغنيهما ذلك من عذاب الله شيئًا. ويقال لهما يوم القيامة: ادخلا نار جهنم مع الداخلين فيها.

ثم ضرب الله مثلاً آخر للمؤمنين قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ ذكر الله مثلاً للمؤمنين امرأة فرعون في الثبات على الإيمان ليقتدوا بها ويكونوا مثلها، حيث قالت: يا رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة أدخل فيه ونجني في حياتي من فرعون وعمله، ــ وكان فرعون يعذب من خالفه بالأوتاد الأربعة يشد عليها رجليه ويديه ــ ، وقالت: ونجني من القوم ــ القبط ــ الظالمين لبني إسرائيل حيث يكلفونهم بالأعمال الشاقة عليهم، وكانت آسية امرأة فرعون قد آمنت بالله وحده وبرسالة موسى عليه السلام حين شاهدت معجزات موسى عليه الصلاة والسلام وكتمت إيمانها، ولما أحس فرعون إيمانها عذبها، فأجاب الله دعاءها وكشف الله الحجاب عنها ونظرت بيتها في الجنة،

وقُبِضَتْ روحها. وقيل: ألقي جسدها تحت أشعة الشمس فأظلت جسدها الملائكة. وفي قصة آسية رضي الله عنها عبرة عظيمة وتذكير وموعظة للمؤمنين.

وضرب الله مثلاً للمؤمنين لينتفعوا ويتعظوا به فقال: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ وقصة مريم عليها السلام عطف على قصة آسية، أي: اسمعوا أيها المؤمنون قصة بنت عمران أم عيسى عليه السلام التي أحصنت فرجها من الفواحش فأرسل الله إليها جبريل عليه السلام لينفخ في جيبها روحًا لتحمل به وهو عيسى، وتقدم تفسير حملها بعيسى عليه السلام في سورة مريم وآل عمران، فصدقت بما وهب الله لها ابنها عيسى بغير فحل، وآمنت بكتب الله المنزلة على الرسل، وكانت مريم من عباد الله الطائعين لأمره.

الحمد لله، تمَّت سورة التحريم بعون الله.

* * *

سـورة الملـك

آياتها ثلاثون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ تفسير (تبارك الذي)، تقدم في أول سورة الفرقان. (بيده الملك) بيده كل شيء، كيف يشاء يصرفه، وهو سبحانه وتعالى على تصريف كل شيء قادر، لا يعجزه شيء في إيجاده ولا إفنائه.

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾ الله خلق الموت في كل ذي نسمة حية، والمراد ها هنا حياة الإنسان والجن، إنما قدم الموت بالذكر لأنه أفزع لقلوب الإنسان. والمعنى: خلق الإنسان والجن من العدم للوجود، وجعل فيهما حياة ليعيشا إلى تمام أجلهما، وكلفهما الإيمان بخالقهما والعبادات له تعالى، ولا يشركا بالله شيئًا في حياتهما، وتلك التكاليف بالأوامر وترك المناهي ليختبركم أيكم أحسن عملاً. وإنما خص الخطاب على الإنسان لأن الله بعث الرسل والأنبياء من الإنس، والأوامر تجري على الإنسان وعلى الجن، وهو الله القاهر فوق عباده الغفور لمن آمن به وتاب عن ذنوبه.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ الله الذي خلق سبع سموات طباقًا بعضها فوق بعض متباعدًا بينهن، ما ترى أيها المخاطب في خلق الرحمٰن من اختلاف، بل هي مستوية مستحكمة، فردد النظر. فيها وإليها، هل ترى فيها من شقوق وتناقض؟ الجواب: لا، ولن ترى فيها أي اختلال. ثم ردد النظر إليها مرتين ينقلب إليك بصرك خاسئًا ذليلاً وهو حسير، أي: كليلاً وفيه إعياء، إذ لم يحصل لك ما أردت.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ ولقد زينا السماء الدنيا التي هي أقرب إلى الأرض بالكواكب المضيئة، سماها الله مصابيح لإضاءة نورها كالمصابيح وجعلنا شهبها رجومًا: جمع رجم، لطرد الشياطين من استراق أخبار السماء. وبين الله في صورة الصافات: ﴿إلاَّ من استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب﴾ وأعتدنا للشياطين عذابًا مسعرًا في نار جهنم.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦﴾ وللكافرين بربهم من الإنس والجن أعد الله لهم عذاب جهنم، وبئس المرجع والمقر إلى الأبد.

ثم وصف الله جهنم بما فيها من العذاب والغيظ لأهل النار قال تعالى: ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِىَ فِيهَا فَوۡجٌ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٌ ۝٨﴾ إذا طرحوا، أي: إذا طرح الذين كفروا في جهنم سمعوا صوتًا فظيعًا لجهنم، كشهيق الحمار طلبًا للشعير، من شدة غليان النار وطلبها لأهل جهنم، وهي تغلي كغليان الماء في القدر. تكاد

جهنم تتقطع من شدة غضبها على أهل النار. كلما طرح في جهنم جماعة سألهم خزنتها من الملائكة توبيخًا وإهانة لهم: ألم يأتكم رسول الله يخوفكم من عقاب الله إن لم تؤمنوا به؟.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ فأجابوا على سؤال الخزنة: بلى، قد جاءنا رسول من الله يخوفنا من عذاب الله إن لم نؤمن به وحده، فكذبناهم وقلنا لهم: ما نزل الله من شيء للبشر، ليس أنتم إلاَّ في خطأ كبير تريدون أن تغوونا عما نحن فيه. ثم زادوا بالجواب: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ وقالوا: لو كنا نسمع كلام الرسل وإنذارهم أو نفهم إنذارهم ما كنا اليوم في جملة أصحاب الجحيم.

وقال تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ فاعترفوا بذنوبهم يوم لا ينفعهم الإيمان والاعتراف بالذنوب، فبعدًا من رحمة الله لأصحاب السعير.

وبعد ذكر أصحاب السعير ذكر الله أصحاب الجنة يتنعمون في دار النعيم، وهذه سنة الله في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ إن المؤمنين الذين يخافون عذاب ربهم ويصدقون بأخبار الغيب عن رؤية أعينهم وعلمهم كأخبار يوم القيامة والحساب والجنة والنار، أو المعنى: يخافون عذاب الله فيمتثلون لأوامر الله ويجتنبون نواهيه، لهم مغفرة لذنوبهم وثواب عظيم في جنات النعيم.

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ وأسروا قولكم أيها الناس أو اجهروا به سواء عند الله،

إنه تعالى عليم بما في صدوركم من خير أو شر، ثم قال بحرف التنبيه: ألا يعلم الخالق خلقه؟!! أو لا يعلم ما في الصدور من خلق الصدور؟ وهو يجيب بنفسه: هو الخالق كل شيء، اللطيف، أي: علمه نافذ بأحوال خلقه، الخبير بما يعملون.

ثم ذكر سبحانه وتعالى امتنانه على الإنسان ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ هو الله الذي جعل لكم الأرض ذلولاً سهلة لتسلكوا فيها، فامشوا على ظهرها لتكتسبوا في التجارة والزروع والصناعة، وكلوا مما رزقكم حلالاً طيبًا، وإليه نشوركم يوم الحساب والجزاء.

ثم يخاطب الله الكفار بالتهديد والتأنيب ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ هل أمنتم من عذاب الله وهو المتعالي على خلقه أن يخسف بكم الأرض كما خسف بقارون وصاحبيه فإذا الأرض تتحرك وتنشق وتعلوا عليكم حتى تغيبوا فيها، أم أمنتم أن يرسل عليكم حاصبًا، أي: حجارة كما أرسل على قوم لوط وأصحاب الفيل قوم أبرهة من اليمن، ثم توعد كفار قريش: فسوف تعلمون عذابي عليكم كيف ينزل عليكم هذا العذاب المنذر عنه، وعاقبة تكذيبكم، وقد حقق الله وعيده عليهم يوم بدر وغيره.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ ولقد كذبت الأمم الطاغية رسلهم من قبل كفار قريش فأهلكناهم بالعذاب المستأصل عن آخرهم، فكيف كان عذابي عليهم المنكر الفظيع؟ وفيها تخويف لكفار قريش.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ استفهام للتقريع: ألم ينظر هؤلاء المشركون بنظر الاعتبار إلى الطير فوقهم في الفضاء تطير بأجنحتها باسطات أجنحتها، ويقبضنها ما يمسكهن في الفضاء إلاَّ الرحمٰن؟ فهي تدل على قدرته، إنه تعالى بكل شيء من أحوال خلقه بصير.

﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ استفهام للتوبيخ والتبكيت: من هذا الذي تعبدونه من دون الله هو عون لكم ينصركم من عذاب الله؟ ليس الكافرون في شيء ينفعهم إن هم إلاَّ في غرور يغرهم الشيطان به، أنه لا حياة بعد الموت ولا حساب ولا جنة ولا نار!!.

وزاد الله بالتبكيت والتهديد ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾ هل أصنامكم هذه ترزقكم إن أمسك الله رزقه عنكم ولم تطيعوا بالتذكير والموعظة الحسنة؟ بل أصروا على كفرهم وشركهم في تكبر ونفور عن الحق.

ثم ضرب الله مثلاً بين المؤمنين والكافرين بالبصير والأعمى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ أفمن هو أعمى لا يبصر أمامه ويمشي متخبطًا ومنكبًا على وجهه في النار أهدى على الطريق ــ وهذا مثل الكافرين ــ أم الذي يمشي سويًّا على بصيرة على صراط مستقيم ــ وهذا مثل المؤمنين ــ؟ والجواب: المؤمنون الذين استقاموا في دين الله هم أهدى على طريق مستقيمة، وفي الآخرة يتجاوزون الصراط بسهولة إلى الجنة.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: الله الذي أوجدكم من العدم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لتتمتعوا بها للخطاب ولتبصروا بها أمامكم في طريقكم وتبصروا بها أعمالكم ولتعقلوا بها الحق من الباطل ولكنكم ضيعتموها وصرفتموها إلى الكفر والشرك والمعاصي، فشكركم قليل لأنه بلسانكم لا بالعمل. قل لهم يا محمد: الله خلقكم وبعثكم في الأرض تعيشون فيها في حياتكم الدنيا ويوم القيامة تحشرون إلى الله بأعمالكم وتحاسبون عن أعمالكم وتجازون عليها.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ ويقول كفار مكة متى يكون هذا الوعد الذي تعِدوننا به للحساب والجزاء، أعلمونا إن كنتم صادقين فيما أخبرتمونا عنه؟، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: إنما علم قيام الساعة للحساب والجزاء عند الله، وإنما أنا منذر ظاهر كما أمرني ربي.

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ فلما رأى الكفار الساعة للحساب والجزاء قريبة منهم تغيرت واسودت وجوه الذين كفروا بربهم، ويقال لهم هذا اليوم الذي كنتم توعدون في حياتكم الدنيا وتكفرونه. في هذه الآية إخبار عن حالهم يوم القيامة.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: أخبروني، إن أهلكني الله بقبض روحي ومن معي من المؤمنين أو رحمنا الله بتأخير آجالنا ونحن مؤمنون به وحده

خائفون منه، فمن يجير ويمنع الكافرين بربهم من عذاب أليم يوم القيامة؟.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: الذي أدعوكم إلى توحيده هو الرحمٰن بخلقه ونحن المؤمنون آمنا به وحده وعليه اعتمدنا في كل أمورنا، فسوف تعلمون أيها المشركون من هو في خطأ بيِّن، نحن أم أنتم.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾ ﴾ قل لهم أخبروني إن صارت مياه أبياركم غورًا في قعرها لا تستطيعون نزعه، فمن يأتيكم بماء غزير معين؟ ونحن المؤمنون نقول: الله ربنا ورب العالمين هو القادر على إغواره وعلى إجرائه ماء معينًا.

الحمد لله، تمَّت سورة الملك بعون الله.

* * *

سـورة ن

آياتها اثنتان وخمسون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ ﴾ ن حرف من حروف المعجم المقطعة في أوائل السور، أقسم الله بالقلم وما يكتب في اللوح المحفوظ من المقادير أو ما يكتب الحفظة من الأعمال. وبعضهم فسر القلم بالذي يكتب به الناس تسجيل معاملاتهم. والله أعلم بما هو الصواب. والأول أوجه.

والمقسم عليه: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ ﴾ ما أنت يا محمد بنعمة ربك بمجنون؛ النعمة هي الرسالة والنبوة. وهذا رد على قول المشركين إنك لمجنون. وإن لك يا محمد لأجرًا عظيمًا في أعلى المقام في الجنة وهذا الأجر غير مقطوع. أو المعنى: غير محسوب، كما صبرت على أذى قومك في تبليغ أمري إليهم، إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ ﴾ إن النبي ﷺ كان خُلُقُه عظيمًا، فخلقه القرآن، ومن خُلُقِه عليه السلام الصدق والإمانة والصبر والحلم والسخاء وكثرة العبادات والتواضع والزهد والرحمة والشفقة وحسن المعاشرة مع

أهله والأدب وغير ذلك، جمع الله له كل الفضائل المرضية عند الله وعند المؤمنين يقول ﷺ: «أدبني ربـي فأحسن تأديبـي».

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ۝٦﴾ اصبر يا محمد على أذى قومك، فسوف تبصر حالهم ويبصرون عندما ينزل عليهم العذاب بأي الفرقتين يكون المجنون، بالفرقة التي أنت فيها أم بفرقة الكفار؟ وقد أنزل الله عليهم الفتن والعذاب يوم بدر. المفتون بمعنى الذي فتن بالجنون أو فتنه الشيطان فكفر.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾ وفي الآية تسلية للنبـي ﷺ إن ربك يا محمد هو أعلم بمن ضل طريق الهداية إلى الإيمان بالله، واختار الكفر والضلالة، وهو أعلم بالمهتدين إلى دين الحق والمستقيمين فيها.

﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ فلا تطع يا محمد آراء المكذبين برسالتك، وهم يتمنون إن لاينت معهم بكلام فيلينون معك بالمجاملة وقلوبهم تشمئز منك.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠﴾ ولا تصدق على حلف كل حلاف كثير الحلف ضعف القلب كذاب فاجر حقير عند الله ولا يبال الحق ولا الباطل.

وقيل نزلت إلى قوله: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ في الوليد ابن المغيرة.

﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى الْخُرْطُومِ ۝١٦﴾ وتلك الصفات كلها صفات الوليد بن المغيرة: قوله هماز،

أي: عيّاب للناس، مشاء بنميم، أي: ينقل كلام الناس على ناس آخرين على وجه الإفساد، ويغتاب الناس بما يكرهون، مناع للخير، أي: بخيل بإنفاق المال للفقراء، معتد أثيم، أي: معتد على الناس بظلم كثير الإثم، عتل، أي: جافٍ قاسي القلب شديد الخصومة. وبعد تلك الأوصاف الذميمة هو زنيم، أي: لاصق بقريش ليس من أصلهم. والمغيرة تبناه وهو ابن عشر سنين، ولهذا سماه وليدًا، وقيل: الزنيم الظلوم ويعرف بالشر، وقيل: لما نزلت الآية في الوليد وقرأها رسول الله عليهم، وسمع الوليد جاء عند أمه فقال: يا أمي من أبـي؟ وإن لم تصدقيني ضربت بالسيف على عنقك. قالت: كان المغيرة غنيًّا ذا مال وخشيت على المال، والمغيرة ما عنده قوة الجماع للنساء، فمكنت نفسي من الراعي وحملت منه وأنت منه، فعرف الناس أن الوليد ابن زنى، وكان عصيانه وطغيانه بعدُ أن كان ذا مال وبنين ومعجبًا لنفسه، إذا تتلى عليه آيات كتابنا قال: أساطير الأولين، يقرأ علينا محمد لا نصدقه. وقال تعالى توعدًا له: سنسمه على الخرطوم، أي: سنجعل على أنفه علامة تبقى إلى موته. وقال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: ضرب على أنفه بالسيف يوم بدر فبقي أثر الضرب في أنفه إلى موته، وبعد ذلك كني أبو خرطوم.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ نحن ابتلينا أهل مكة بالجوع والقحط كما ابتلينا أصحاب البستان في اليمن، وكان البستان لرجل صالح ويأكل من ثمراتها وزروعها ويطعم أهله والمساكين وله ثلاث بنين، ولما مات أبوهم ورث أولاده وبخلوا في إنفاق الثمرة للمساكين فتشاوروا بينهم أن لا يدخل المساكين إلى البستان وقت الجني وأقسموا على ذلك العهد.

قال تعالى: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن

﴿رَبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾ حيث حلفوا أنهم ليصرمن الثمرة صباحًا قبل أن ينتبه المساكين إلى جناء الثمرة، ولم يقولوا إن شاء الله فاعتمدوا رأيهم، فأنزل الله نارًا من السماء بالليل فأحرقت بستانهم ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ فصارت أشجار بستانهم سوداء كالليل المظلم من شدة الاحتراق أو كزرع محصود ساقط على الأرض.

﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ فنادى بعضهم بعضًا عند الصباح حتى اجتمعوا على الميعاد، قالوا: اذهبوا بنا إلى بستانكم إن كنتم صارمين ثماره. وعزموا الذهاب إلى البستان.

﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ فانطلقوا إلى بستانهم وهم يخفون الكلام ويقولون: لا يدخلنَّ المساكين اليوم البستان. ومضوا على جد وقدرة وقصد لصرم ثمار بستانهم قادرين عليهن.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ فلما رأوا بستانهم لا شجر ولا زرع قائم فيه وكلها محترقة سوداء، قالوا: إنا لضالون عن بستاننا، أي: لعلنا ضللناه. ثم قالوا: بل نحن قد حُرمنا منه.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ قال أعدلهم وأعقلهم، ألم أقل لكم حين قلتم: لتصرمنها مصبحين بدون المساكين: هلاَّ، أي: لو أنكم لا تستثنون الله فتقولوا: إن شاء الله وأنكرتم على الاستثناء؟ قالوا عند ذلك: سبحانك يا ربنا إنا كنا ظالمين على أنفسنا بمنع المساكين من نصيبهم. فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون حين لا تنفعهم الملامة.

﴿ قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ قالوا ترحمًا لأنفسهم: يا ويلنا، إنا كنا عاصين في منع المساكين من حقهم، فعاقبنا الله بإحراق بستاننا، عسى ربنا أن يرزقنا بستانًا خيرًا منها، وإنا إلى ربنا راجعون بالتوبة والإنابة.

قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ مثل ذلك العذاب بالحرمان لأصحاب البستان ينزل العذاب على كفار قريش، وقد نزل عليهم يوم بدر فقتلوا وأسروا، ولعذاب الآخرة أعظم وأدوم من عذاب الدنيا لو كانوا يعلمون، لأن عذاب الدنيا محدود الزمان وعذاب الآخرة غير محدود، بل على الأبد، وأشد ألمًا.

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾ إن المؤمنين الذين وقوا أنفسهم من الشرك والمعاصي فَوَقَوا بذلك أنفسهم من عذاب الله، لهم عند ربهم جنات النعيم سيدخلونها ويتنعمون فيها على الأبد.

ولما نزلت الآية، وقال مشركو مكة: إنا نعطى في الآخرة أفضل مما تعطون. فأنزل الله ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ استفهام للتوبيخ والتكذيب لزعمهم: هل نجعل مقام المسلمين في الآخرة مثل مقام المشركين والمجرمين؟! إن مقام المسلمين في الآخرة في دار النعيم، ومقام المشركين في الآخرة في دار الجحيم فأيّ حجة لكم تحكمون وتستدلون بها أنكم أفضل مقامًا في الآخرة من المسلمين؟! ثم زاد من التبكيت والتوبيخ والإنكار ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ هل لكم أيها المشركون كتاب منزل من الله فيه تدرسون وتذكرون وحجة لكم إن لكم فيه من الأمر

ما تختارونه هل لكم عهود ومواثيق علينا هي بالغة إلى يوم القيامة، فلا تنقض بأن لكم الذي تحكمون به.

ثم أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ اسأل يا محمد هؤلاء المشركين: أيّهم كفيل بما ادعوا أن لهم مقامًا في الآخرة مثل مقام المسلمين؟ هل لهم شركاء فيما زعموا؟ وقيل: معنى شركاء: شهداء. فليأتوا بشهداءهم إن كانوا صادقين في دعواهم.

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يوم يكشف عن ساق وهو يوم القيامة، وكشف الساق كناية عن شدة الأهوال والكرب على الكافرين يوم القيامة. فمن يجد للعمل كشف ساقه بتشمير الإزار. ويدعى الكفار إلى السجود يوم القيامة إهانة وتوبيخًا لهم فلا يستطيعون أن ينحنوا للسجود؛ لأن ظهرهم مثل طبقة الحديد، خاشعة أبصارهم وتغشاهم الذلة والهوانة، وقد كانوا يكلفون بالسجود لربهم في الدنيا وهم سالمون في أبدانهم أصحاء فامتنعوا عن السجود لربهم.

وقال الله تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ فدعني يا محمد والذين يكذبون بهذا القرآن الكريم فقريبًا آخذهم بالعذاب بالتدريج من حيث لا يشعرون، وهم مغرورون بتمتعهم في العيشة، وأمدُّ لهم حياتهم بالتنعم والرفاهة ليزدادوا إثمًا. إن أخذي لهم قوي، لا يفوت أحد من بطشي.

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ هل تسأل يا محمد أجرًا على تبليغ الرسالة إليهم، حتى أثقلهم ذلك الذي

تطلبه منهم من حمل فمنعهم عن الإسلام فهم لا يؤمنون بربهم وبالقرآن الكريم ولا يصدقون رسالتك؟! هل عندهم علم اللوح المحفوظ وعلم الغيب فهم يكتبون منه وينقلون إلى الناس ويحكمون؟؟

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾ فاصبر يا محمد لقضاء ربك وما حكم به عليك من تبليغ الرسالة، وما يصيبك منهم، فإنك منصور، فانتظر حكم ربك في نصرك عليهم فلا تستعجل، ولا تكن في الضجر والعجلة مثل يونس بن متى عليهما السلام وهو صاحب الحوت لما تأخر العذاب على قومه، ولم يؤمنوا به، غضب عليهم، وخرج من بينهم بغير أمر الله إلى البحر، وركب السفينة، فوقفت السفينة وقال الملاح في السفينة: رجل أبق من سيده، فقرع بينهم فخرج السهم على يونس عليه السلام، فألقاه في البحر فالتقمه الحوت، وإذ هو في بطن الحوت نادى ربه وهو مملوء غمًّا وكربًا إني مبلوع في بطن الحوت، لا إلـه إلاَّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فاستجاب الله دعاءه ورحمه، قال تعالى: (لولا أن تداركه رحمة من ربه) وجواب (لو) محذوف تقديره: للبث في بطن الحوت إلى يوم فناء الدنيا. فأمرنا الحوت أن يلقيه بالساحل، فألقاه، ولولا إدراك رحمة الله له لبقي بعد إلقاء الحوت له على الشاطىء في العراء، وهو مذموم، أي: يلوم نفسه وفي سورة الصافات وصفه أنه سقيم، ومعنى العبارتين: فألقاه الحوت إلى ساحل البحر وهو سقيم يلوم نفسه بما خالف أمر الله وهو الخروج من قومه بغير أمر الله.

﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ اصطفاه ربه للنبوة فجعله من عباده الصالحين.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ وإن الكفار يَقْرُبُ أن يزيلوك عن مكانك ويصرعونك بإصابة نظرهم إليك يا محمد وذلك من شدة بغضهم وعنادهم وعداوتهم لك لما سمعوا تذكير القرآن ومواعظه منك، ويقولون: إن محمدًا لمجنون. ورد الله عليهم: وما القرآن الذي أنزلناه على محمد وما فيه من الآيات إلَّا تذكير وموعظة، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر لعالم الإنس والجن. وفي الآية دليل أن إصابة العين حق. وقيل: إن من أصابته عين فليقرأ هذه الآية.

الحمد لله، تمَّت سورة ن بعون الله.

* * *

سـورة الحاقـة

آياتها اثنتان وخمسون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ ﴾ سميت القيامة الحاقة لتحقق وقوعها، وفيها يحق الحق ويبطل الباطل، وتكرارها مع الاستفهام تفخيمًا لشأنها. أيّ شيء أعلمك يا محمد ما هي فإنك لم ترها رأي العين، وأمرها عظيم فظيع لم تدر ما فيها من الأهوال.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ ﴾ كذب قوم صالح عليه السلام وقوم هود عليه السلام بالقارعة، سميت القيامة قارعة لأن شأنها وأهوالها تقرع القلوب بالخشية والفزع من أهوالها ثم ذكر نوع عذابهما ويقرع الله الكافرين بالعذاب فيها.

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ ﴾ فأما ثمود قوم صالح عليه السلام فأهلكوا بسبب طغيانهم وكفرهم، وبسبب الطاغية عاقر الناقة. أهلكوا بصيحة طاغية متجاوزة الحد فماتوا جاثمين في ديارهم فما استطاعوا أن يتحركوا عن أماكنهم. ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ

﴿تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ وأما عاد وهم قوم هود عليه السلام، فأهلكوا بريح عاصفة شديدة الهبوب ذات الصوت، عاتية، أي: متجاوزة الحد بالعصف والبرد، سلطها الله عليهم: واستمرت سبع ليال وثمانية أيام كاملة متتابعات فأهلكتهم فلم تبق منهم أحدًا، عن آخرهم، فترى القوم فيها صرعى على الأرض ميتين كأنهم أعجاز، أي: أصول نخل ساقطة على الأرض بالية، فهل ترى لهم من نفس باقية في ديارهم؟!

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠﴾ وجاء فرعون وقومه ومن قبله من الأمم الطاغية والمؤتفكات بالخاطئة، والمؤتفكات: قرى قوم لوط، وسميت مؤتفكة، أي: منقلبة، إذ رفعها جبريل عليه السلام إلى عنان السماء فقلبها بأهلها إلى الأرض بسبب فعلتهم الخاطئة الخبيثة، وهؤلاء الأقوام كلهم عصوا رسل ربهم، إنما جاء ذكرهم بصيغة المفرد لأن دعوة جميع الرسل واحدة، وفيه معنى الجمع، فعلوا الخاطئة، من الكفر والمعاصي، فأخذهم الله بالعقوبة الزائدة على عقابهم في الآخرة لتكون زجرة وعبرة لمن بعدهم.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢﴾ وفي الآية إشارة إلى قوم نوح عليه السلام: لما طغى وارتفع ماء الطوفان على الجبال حملناكم، أي: حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم في السفينة الجارية فوق ماء الطوفان، لنجعل قصة السفينة ونجاتكم لكم أيها المخاطبون تذكرة وعبرة لمن سمع ويعتبر تحفظها أذن حافظة.

وبعد أن ذكر الله قصة الطاغين وإهلاكهم في الدنيا أتبعها بأهوال يوم القيامة ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤

فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ فإذا نفخ إسرافيل عليه السلام نفخة واحدة في الصور لإفناء الدنيا وما فيها من كل ذي نسمة فماتوا كلهم في الحال، ورفعت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، اندكت الأرض والجبال وصارت مستوية لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، فحينئذ قامت القيامة الكبرى وانشقت السماء وانفطرت فتشققت وتساقطت فهي حينئذ ضعيفة بعد أن كانت محكمة شديدة.

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ والملائكة في ذلك اليوم تحيط بأطراف أرض المحشر أو على أطراف السماء والأرض ويحمل عرش ربك يا محمد فوق رؤوسهم ثمانية صفوف من الملائكة وقيل غير ذلك، والله أعلم بالعدد. فحينئذ تعرضون، أي: تحاسبون أيها المخاطبون بأعمالكم إلى ربكم لفصل الحكم والجزاء لا تخفى على الله سريرتكم ولا ما أخفيتم من أعمالكم الخافية.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ يخبر سبحانه وتعالى عن شأن أصحاب اليمين: فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول لأصحابه: هاؤم، أي: خذوه اقرؤوا كتابي، والهاء في كتابيه للسكت. وما بعدها: إني أيقنت أني ملاقٍ حساب أعمالي، فبشره الله تعالى: فهو في عيشة راضية، في جنة عالية، قطوف أثمارها قريبة تتدلى له ولأمثاله وإذا أكلوا ترتفع عنهم، ويقال لهم تشريفًا وتكريمًا: كلوا واشربوا من ثمارها وشرابها هنيئًا مريئًا

لا مغص ولا ضرر في أكل ثمارها وطعامها وشرب شرابها بما قدمتم في حياتكم الدنيا من الأعمال الصالحات.

وبعد ذلك يخبر سبحانه وتعالى عن أحوال أصحاب الشمال ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ وأما من أوتي كتاب أعماله بشماله فيقول: يا ليتني لم أوت كتابيه، الهاء للسكت، وما بعدها: ولم أدر أيّ شيء حسابي في كتابي. يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت قاضية، فلم أبعث. ما نفعني المال الذي جمعته من عذاب الله شيئًا، هلك، أي: زال وفارق عني جاهي ونسبي ومالي.

يقول الله تعالى لخزنة جهنم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ خذوا هذا المجرم الأثيم فغلوه في سلسلة طولها سبعون ذراعًا، فاربطوه بها ثم أدخلوه في عذاب الجحيم.

ثم ذكر سبب ذلك العذاب ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ إن هذا المجرم كان في الدنيا لا يصدق بوحدانية الله في ذاته وصفاته، ولا يصدق بالبعث والحساب، ولا يحث نفسه وأهله على إطعام المساكين؛ وذلك من شدة بخله. فليس له اليوم عند الحساب والجزاء صديق يحميه من عذاب الله، ولا طعام ولا شراب يسد جوعه وعطشه إلاّ من غسلين وهو طعام أهل النار، أي: القيح والصديد السائل من أبدان أهل النار وقيل: إنه شجر، وقيل: غسالة أجوافهم، ولا يأكل هذا ولا شجرة الزقوم ولا الضريع أحد إلاّ الخاطؤون في سيرتهم، الكافرون

بربهم، إذا أكلوا منه يصهر ويذيب ما في بطونهم حتى الجلود من شدة مرارته وحرارته.

وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩﴾ لا مزيدة لتأكيد القسم، أقسم الله بما يشاهد الناس في الكون وبما لا يشاهدونه فيه من أهل السماء وغيرهم. والمقسم عليه ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٣﴾ إن القرآن أنزله الله بالوحي إلى محمد رسوله الكريم، إنما أضاف القول إلى رسوله لأنه يقرأه لأصحابه، ويبين أحكامه وتذكيره ومواعظه، ويبلغ أمره ونهيه. ثم رد على مزاعم المشركين بأن محمدًا شاعر وكاهن وساحر فقال: (وما هو بقول شاعر)، أي: ليس القرآن بقول شاعر، ولا في عباراته وزن الشعر، ولكنكم قليلاً ما تؤمنون. فنفى الإيمان عنهم، والإيمان ببعض القرآن باطل. ثم قال: (ولا هو بقول كاهن) كما تزعمون، قليلاً ما تتذكرون، ولا تؤمنون به، وهذا القرآن ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٣﴾، أي: منزل إلى الرسول محمد عليه الصلاة والسلام بالوحي من رب العالمين.

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ وفي الآية دليل على أن رسول الله لم يقل شيئًا من عند نفسه، إذ لو كان محمد تكلف أن يقول بعض الأقاويل ـ جمع قول ـ فَرَضًا لعاقبناه بالقوة، ثم لقطعنا منه الوتين، هو العرق الذي يتصل إلى القلب، إذا قطع مات الإنسان في الحال. فلا يقدر أحد منكم أن يمنع محمدًا من عذابنا لو فعل ذلك ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾ وإن هذا القرآن فيه تذكرة وموعظة للمؤمنين الخائفين عقاب الله.

ثم وجه الخطاب على المشركين ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾، أي: مكذبين بهما، أي: بالرسول محمد ﷺ وبالقرآن الكريم ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ وإن التكذيب بالقرآن لحسرة وندامة في الآخرة على الكافرين بالقرآن ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ وإن القرآن لحق من كلام الله اليقين، لا شبهة ولا ريب فيه ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ أمر الله رسوله بأن يداوم على تسبيح الله باسمه العظيم. فسبحان الله العظيم.

الحمد لله، تمَّت سورة الحاقة بعون الله.

* * *

سورة المعارج

آياتها أربع وأربعون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣﴾ سبب نزول الآية: لما أنذر رسول الله ﷺ كفار مكة بعذاب الله إن لم يؤمنوا بالله وحده، قال النضر ابن الحرث: لمن هذا العذاب؟ وهل هو حق، ومتى يكون؟ سلوا محمدًا. فأنزل الله الآيات: سأل سائل بعذاب واقع... الآيات، فالجواب: هو (للكافرين)، أي: هذا عذاب من الله نازل على الكافرين بربهم، فإذا نزل هذا العذاب فليس له دافع عمن ينزل عليهم من الله مالك المصاعد إلى السماء.

ثم بين المعارج: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾ تصعد الملائكة الموكلون بشؤون الإنسان، وجبريل في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون. [وسئل رسول الله عن مقدار يوم طوله ألف سنة قال: والذي نفسي بيده، ليخِفّ على المؤمن حتى يكون عليه أخف من الصلاة المكتوبة يصليها وإنما طول اليوم على الكافرين]، فاصبر يا محمد على تبليغ أمري إلى قومك وأذاهم عليك وتكذيبهم لك، اصبر صبرًا

جميلاً، أي: حسنًا لا تجزع فيه ولا تشتكِ لغيري، إن هؤلاء المشركون يرون العذاب الموعود عليهم بعيدًا ونراه قريبًا لا محالة كائن.

وعذابهم ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يوم القيامة تكون السماء كالزيت السائل وقيل كالنحاس والرصاص المذاب، وتكون الجبال كالصوف المصبوغ المنفوش تلعب بها الرياح. ولا يسأل صاحب عن صاحبه ولا قريب عن قريبه من شدة أهوال اليوم، كل إنسان يقول: نفسي نفسي ولا يدري من الذي إلى جنبه. يبصّرونهم، أي: يُعَرَّف أو يُعَرِّف الله، بعضهم بعضًا، ومع ذلك لا يستطيعون أن يسألوا عن بعضهم لانشغالهم بأنفسهم عن السؤال.

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآ﴾ يحب الكافر المجرم ويتمنى أن يفتدي من عذاب يوم القيامة ببنيه وزوجته وأخيه وعشيرته التي تأويه، أي: تضمه إليها وتنصره وبجميع من في الأرض جميعًا من البشر، ثم يطمع أن ذلك الفداء ينجيه من عذاب الله. لكن كلا ــ حرف ردعٍ ــ؛ لطمعه إذ هو بعيد من النجاة.

﴿إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾ إن نار جهنم تتلظى بلهبها واشتعالها، تنزع حرارتها جلود الكافرين والمنافقين والمشركين، وتدعو جهنم ومن أعرض عن الإيمان بالله وبرسله بأسمائهم: هلموا إليّ، وكذلك من جمع المال لمحاربة الحق وكنز ولم يؤد حق الله وحق المساكين. وفي هذه الجملة وعيد على البخيل الذي لا يؤدي زكاة ماله وعلى من يحارب دين الله.

﴿ ۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ إن الإنسان خلق هلوعًا، أي: سريع الجزع وقليل الصبر، ثم فسر: إذا أصابه المرض أو الفقر أو فقد ولده أو خسر في تجارته أو أي مصيبة يحزن ولا يصبر، وإذا أصابه الغنى والمرابح في تجارته والصحة في بدنه نسي الشكر لله تعالى ويمنع حق الفقراء ولا يؤدي زكاة ماله.

ثم استثنى منهم ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ إلَّا المؤمنين الذين يداومون على أداء الصلاة المكتوبة والسنن الرواتب قبل الفريضة وبعدها، وهم في أموالهم حق واجب عليهم للسائل والمحروم الذي يتعفف عن السؤال، وهم الذين يصدِّقون بيوم الحساب والجزاء، وهم من عذاب ربهم خائفون؛ لأن عذاب ربهم غير مأمون، فهم يتحذرون من المعاصي خائفين من عقاب الله.

ثم تابع وصفهم ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ وهم الذين يحفظون فروجهم عن الزنا والحرام، إلَّا على زوجاتهم أو التي ملكت يمينهم من دار الحرب أو الشراء من رقيقات فإنهم غير معاتبين ولا مؤاخذين عند حاكم الشريعة ولا يوم القيامة، فمن ابتغى غير ما أحل الله له، فأولئك هم العادون، أي: المتجاوزون حدود شريعة الله والهاتكون لحرمة الله.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ۝٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ۝٣٥ ﴾ وهم المحافظون على أداء الأمانات والعهود ولا يخونون في حفظها وأدائها ويراعون حقها فلا يخلفونها، ويؤدون الشهادة بالحق ولو كان المشهود عليه آباءهم أو أبناءهم وأصحابهم. ثم وعد الله أولئك المؤمنين الموصوفين بتلك الصفات المحمودة أنهم في جنات مكرمون بالنعيم السرمدي.

ثم ذكر الله أحوال الكافرين في الآخرة، وهذه سنة الله في كتابه العزيز ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ۝٣٦ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ۝٣٧ ﴾ كان كفار قريش يجتمعون حول النبي ﷺ إذا قرأ قرآنًا يسمعون قراءته ويستهزؤون عليه، فأنزل الله الآية، والمعنى: ما بال الذين كفروا يسرعون إلى السماع منك ليعيبوك، عامدين، مدمني النظر إليك ويستهزؤون بك وهم جالسين حولك حِلقًا حِلقًا متفرقين يكذبونك ويستهزؤون بأصحابك. وكان الكفار يقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة ـ أي محمدًا وأصحابه ـ لندخلنها قبلهم ولئن أعطوا منها شيئًا لنعطين أكثر منه.

﴿ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ۝٣٨ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ۝٣٩ ﴾ الاستفهام للإنكار والتقريع: أيطمع كل شخص منهم أن يدخل جنة نعيم؟! كلا، ردع على طمعهم؛ فإنا خلقناهم، أي: خلقنا آدم من تراب ثم جعلناه يتناسل فكانوا هم من نطفة آبائهم وهم يعلمون ذلك، فليس لهم فضل لدخول الجنة ما داموا كافرين، فكيف يدّعون أنهم يدخلون الجنة قبل المؤمنين بدون إيمان وطاعة لربهم؟ فزعمهم باطل؛ لأن الجنة للمؤمنين الذين طهروا أنفسهم بالإيمان بربهم والطاعة لأمره.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾ أقسم الله بنفسه، فهو رب مشارق الشمس ومغاربها؛ فالشمس كل يوم لها مشرق ومغرب، ثم بين ــ أنه كما جعل المشارق والمغارب ــ إنا لقادرون على أن نهلكهم وننشىء بدلهم خلقًا خيرًا في سريرتهم وأطوع لأمر الله، وما نحن بفائتين أو عاجزين عن إهلاكهم وإنشاء غيرهم مكانهم.

﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ فاتركهم يا محمد على بغيهم وأباطيلهم يخوضون ويلعبون في الدنيا إلى يوم موتهم الذي وعدوا لقبض أرواحهم ومن ثم إلى يوم البعث حيث يخرجون من قبورهم مسرعين إلى الداعي كأنهم يسرعون إلى أصنامهم المنصوبة التي يعبدونها وأبصارهم ذليلة خاضعة، وتظهر على وجوههم وتغشاهم الذلة والهوان، ذلك اليوم الرهيب الذي كانوا يوعدون وهم يكذبون به ويستهزؤون.

الحمد لله، تمّت سورة المعارج بعون الله.

* * *

سورة نوح

آياتها ثمان وعشرون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾ إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه لأن يدعوهم إلى الإيمان بالله وحده ولا يشركوا به شيئًا، فيخوفهم من عقاب الله إن لم يؤمنوا به من قبل أن يأتيهم عذاب مؤلم. قيل: هو الإغراق بالطوفان في الدنيا وعذاب النار في الآخرة.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤﴾ قال نوح عليه السلام: يا قوم إني أُرسلت إليكم من ربكم لأدعوكم إلى الإيمان بالله وحده ولا تشركوا به شيئًا، إني منذر ومخوف، (مبين)، أي: مظهر لكم هذا لإنذار بلسانكم الذي تعرفونه، من عذاب الله إن لم تؤمنوا به، ثم بين الدعوة والإنذار (أن اعبدو الله) خصوا العبادة لله، وخافوه، وأطيعوني فيما بلغت إليكم من أمر الله، يغفر الله لكم ذنوبكم ويؤخركم إلى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم، إن أجل الله إذا جاء لقبض أرواحكم لا يؤخر عن الوقت المحدد (لو كنتم تعلمون) فيه عتاب وتجهيل لهم؛ إذ لو كنتم تعلمون لعلمتم أن أجل الله إذا جاءكم لم يؤخر.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَٱسْتَكْبَرُوا ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ﴾ قال نوح عليه الصلاة والسلام شاكيًا إلى الله: يا رب إني دعوت قومي إلى الإيمان بك وواصلت دعوتي لهم ليلاً ونهارًا، فلم تزدهم دعوتي إلاّ فرارًا وإعراضًا عن الإيمان بك يا رب، وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان بك لتغفر لهم ذنوبهم جعلوا أصابعهم في آذانهم حتى لا يدخل تذكيري ووعظي في آذانهم، وغطوا بثيابهم رؤوسهم ووجوههم كيلا يقع نظرهم عليّ ولا يسمعوا كلامي، واستمروا مصرين على كفرهم وعنادهم عليّ وتكبروا على الإيمان بك وقبول الحق تكبُّرًا عظيمًا.

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ ﴾ وبعد تلك الدعوة دعوتهم جهارًا في مجتمعاتهم معلنًا ومجاهرًا لهم بالدعوة. ثم إني صحت معلنًا وأظهرت لهم بما فيه سعادتهم، وأسررت لهم الدعوة منفردين في خاصتهم وفي منازلهم فقلت لهم: استغفروا ربكم عن كفركم وذنوبكم إنه كان غفارًا لمن تاب عن ذنوبه، ويرسل عليكم الغيث من السماء متواصلاً لمنافعكم، ويوسع لكم بأموال وبنين، ويجعل لكم بساتين ويجعل لكم فيها أنهارًا يجري ماؤها في أصول أشجارها وأمام قصورها. فأيّ شيء منعكم من أن لا ترون لله طاعة، ولا تخافون من عظمة الله وقد خلقكم في بطون أمهاتكم طورًا بعد طور، ثلاثة أطوار إلى نفخ الروح في بدنكم. وسبق تفسيرها في سورة المؤمنين.

﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ ألم تنظروا يا معشر الكفار بنظر العبرة إلى السماء كيف خلق الله سبع سموات طباقًا بعضها فوق بعض، وجعل القمر في طبقاتهن نورًا، وجعل الشمس فيهن مصباحًا يضيء لأهل الأرض. وللعلماء أقوال في معنى الآية.

﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ وفي هذه الآية تمثيل لخلق آدم أبي البشر أولاً ومن ثم ذريته من نطفته ثانيًا كخروج النباتات من الأرض، والمعنى والله جعلكم تنبتون نباتًا إذ خلق أباكم آدم من تراب الأرض خلقًا سويًا، وأنتم أيها الناس خلقكم من نطفته فيجعلكم في بطون أمهاتكم ثم تولدون وتعيشون في الأرض حياتكم الدنيا ثم تموتون بعد تمام آجالكم وتدفنون فيها ثم تبعثون من قبوركم أحياء للحساب والجزاء. وذكر المصدر (إخراجًا) لتأكيد البعث.

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ والله جعل لكم الأرض مبسوطة واسعة لتسلكوا منها، أي: تعملوا فيها طرقًا وفجاجًا تستعملونها في أسفاركم للتجارة وغيرها. والله سبحانه وتعالى ذكر امتنانه على بني آدم في هذه الآيات المتقدمة تنبيهًا لهم.

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ ﴾ قال نوح عليه السلام: إن قومي عصوني ولم يطيعوني، واتبعوا السفلة والكبراء من أغنيائهم ورؤسائهم الذين لم تزدهم أموالهم وأولادهم إلاَّ خسارًا في الدنيا والآخرة، ومكروا على نوح عليه السلام مكرًا عظيمًا، ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ وقال رؤساؤهم لأتباعهم: لا تتركوا عبادة آلهتكم لأجل قول

نوح، ثم ذكروا أسماء آلهتهم: ودًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا. جاء في التفسير: أن هذه أسماء قوم صالحين، كانوا بين آدم ونوح، فماتوا ونشأ قوم من بعدهم فسول لهم الشيطان أن يصوروا لهم تصاوير لتشوقهم للعبادة بزعمه، ففعلوا، ثم نشأ من بعدهم قوم، وسوس لهم الشيطان أن من كان قبلهم كانوا يعبدون تلك التصاوير والأصنام، فتركوا عبادة الله وعبدوا تلك التصاوير، فكان ابتداء عبادة الأوثان، ولما جاء الطوفان دفنت تلك الصور ثم أخرجها الشيطان للعرب فأشركوا بها.

وقال نوح عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ وقد أضلت تلك الأصنام والتصاوير وكذلك أضل الكبراء أممًا كثيرة، ومن أجل ذلك لا تزد يا رب على الظالمين إلاَّ ضلالاً على ضلالتهم. فأجاب الله دعاءه.

وقال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ من أجل كفرهم وطغيانهم وتكذيبهم بنوح عليه السلام أغرقوا في ماء الطوفان عن آخرهم، فلم يجدوا، أي: هؤلاء المجرمون لم يجدوا من دون الله أنصارًا حتى ينقذوهم من الغرق، ما نجا منهم إلاَّ أهل السفينة، وهم الذين آمنوا بربهم وصدقوا برسالة نوح عليه السلام. ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ ولما أيس نوح عليه السلام من إيمان قومه ومن إيمان كل كافر توجه إلى الله بالتضرع قال: يا رب لا تذر على وجه الأرض من الكافرين ديارًا، أي: ساعيًا، أي: أهلكهم كلهم. ثم علل، إنك إن تذر هؤلاء على حياتهم يضلوا عبادك الذين يأتون من نسلهم، ولا يلد أحد منهم ولدًا إلاَّ يصير فاجرًا كفارًا بالتقليد.

ثم دعا اللّٰهَ لنفسه وأبويه وللمؤمنين وعامتهم قال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ يا رب اغفر لي فيما قصرت به في تبليغ أمرك، واغفر لوالديّ، وكانا مؤمنين، ولمن دخل سفينتي مؤمنًا بك، وصدق برسالتي. ثم عمم دعاءه لجميع المؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة، وعاد بالدعاء على الكافرين الظالمين فقال: ولا تزد يا رب الكفارين والمجرمين إلاَّ هلاكًا ودمارًا. فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم عن آخرهم بماء الطوفان.

الحمد لله، تمَّت سورة نوح بعون الله.

* * *

سـورة الجـن

آياتها ثمان وعشرون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ قل يا محمد لقومك: أخبرني الله بالوحي أن جماعة من الجن استمعت لقراءتي القرآن، ولما رجعوا إلى قومهم قالوا لهم: إنا سمعنا قرآنًا عجيبًا في نظم عباراته وحسن معانيه وبلاغته وفصاحة كلماته، يهدي إلى الرشد وطريق الهداية إلى رضوان الله، فآمنا بما سمعنا من القرآن.

ثم عاهدوا أن يستقيموا بإيمانهم فقالوا: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٤﴾ ولن نشرك بربنا أحدًا من خلقه في ذاته وصفاته، وإنه تعالى جلّ جلاله وعظمته هو ربنا. ثم نزهوا الله عما وصفه المشركون بالزوجة والولد فقالوا: ما اتخذ الله صاحبة ولا ولدًا، لأنهما لا يناسبانه، هو الواحد الأحد في ذاته وصفاته ليس كمثله شيء من خلقه، وإن الشأن والحال أنه كان يقول سفيهنا وجهالنا من الجن على الله قولاً شططًا، أي: باطلاً كذبًا. وقيل: السفيه هو إبليس وأتباعه.

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ ﴾ وإنا كنا نظن أن لن تقول جماعة من الإنس والجن على الله كذبًا بأن يُنسب إليه صاحبة وولدًا، ولما سمعنا قراءة القرآن وعلمنا أن سفهاءنا كذبوا على الله كذبًا باطلاً.

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ ﴾ وإن الشأن أنه كان رجال من العرب إذا سافروا في الصحراء وباتوا في الليل تعوذوا بسيد الأرض من الجن من إصابة الشر عليهم، فزادهم استعاذتهم بسيد الجن في تلك الصحراء رهقًا، أي: طغيانًا وكبرًا.

﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ ﴾ وإن كفار الجن ظنوا كما ظننتم يا معشر الكفار بالبعث أن لن يبعث الله أحدًا بعد الموت.

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ وقال الجن المسترق للسمع لأخبار أهل السماء: وإنا طلبنا السماع من أخبار أهل السماء فوجدنا السماء ملئت ملائكة يحرسونها حرسًا شديدًا ويرمون الشهب على المسترقين السمع لأخبار أهل السماء، ما نستطيع أن نسمع أخبارها، وكنا قبل مجيء محمد بالرسالة نقعد المقاعد ننتظر لاستماع أخبار السماء ﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ ﴾ فمن يريد استراق السمع من أخبار السماء الآن يجد عليه شهابًا رصدًا من النار يُرمى به على المسترق للسمع ويحرقه.

﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ ﴾ وقال الجن: وإنا لا نعلم حقيقة أمر الشهب، أشرٌ أريد بأهل الأرض أو أراد الله بهم رشدًا وصلاحًا بإرسال الرسول إليهم يدعوهم إلى سعادة الدارين.

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١ ﴾ ونحن معشر الجن منا الصالحون في طاعتهم لربهم ومنا دون ذلك، أي: غير مستقيمين في

طاعة ربهم، كنا قبل مجيء محمد عليه الصلاة والسلام بالرسالة على طرق وفرق شتى مختلفة وعلى أهواء متباينة.

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ ﴾ وأنا معشر المؤمنون من الجن علمنا وأيقنا أنا في قبضة الله وسلطانه في الأرض لن نفوت عن قبضته ولن نستطيع منه هربًا ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ وأنا لما سمعنا هداية القرآن وتذكيره ومواعظه آمنا به وصدقنا برسالة من أنزل إليه القرآن من ربنا ﴿ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ ﴾ فمن يؤمن بربه وحده ويعمل عملاً صالحًا امتثالاً لأمر ربه فلا يخاف نقصًا من ثواب أعماله ولا يخاف رهقًا، أي: زيادة على سيئاته. والرهق: الظلم. وإن الله لا يظلم عباده مثقال ذرة.

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ ﴾ ونحن معشر الجن منا المسلمون لأمر الله والمتمسكون بسنة رسول الله ومنا الجائرون الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي، فمن أسلم لله وأطاع أمره فأولئك تحروا، أي: طلبوا الطريق إلى الرشد والهداية إلى رضوان الله وسعادة الدارين ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ وأما الكافرون الجائرون فصاروا لجهنم حطبًا، توقد نار جهنم بهم.

﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ هذا من قول الله تعالى. إن كفار الإنس وكفار الجن لو استقاموا، أي: أقاموا على الطريقة التي شرعها الله لعباده فآمنوا لأسقيناهم ماء كثيرًا يتوسعون به في الأرزاق، لنختبرهم في سعة الرزق أيشكرون أم يكفرون؟

﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ ومن يعرض عن تذكير الله ومواعظه في القرآن ويكره وتشمئز نفسه سيدخله الله في جهنم عذابًا صعدًا، أي: شاقًا شديدًا محيطًا يعلو عليه.

وأوحى الله إلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ وأن المساجد كلها لله تخص العبادة فيها لله فلا تعبدوا شيئًا غير الله. وقيل: اليهود والنصارى يدخلون كنائسهم وبيعهم ليصلوا فيها ويشركون في عبادتهم العزير والمسيح عليهما السلام، فأمر الله المؤمنين أن لا يتشبهوا بهم، ويخصوا العبادة لله تعالى.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ وأن الشأن، لما قام عبد الله محمد عليه الصلاة والسلام يصلي ويقرأ القرآن ليعبد ربه كاد المؤمنون من الجن يزدحمون على استماع قراءته لبدًا، أي: بعضهم فوق بعض من شدة حرصهم لاستماع قراءة كتاب الله.

وقال مشركو مكة: ارجع يا محمد إلى دين آبائك، فأنزل الله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ قل لهم: إنما أعبد ربي ولا أشرك بعبادته أحدًا. وقال المشركون: قد جئت بما يخالفنا ارجع عنه ننصرك ونجيرك. فأنزل الله ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ قل لهم في المحاجة: لا أملك أن أدفع عنكم ضرّ الغواية ولا أسوق لكم رشدًا وخيرًا. فالغواية والرشد من الله.

﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ وفي الآية رد على قولهم: ارجع يا محمد إلى دين آبائك ننصرك نجيرك. قل يا محمد لهؤلاء المشركين المحاجين لك: إني لن يجيرني أحد من عذاب الله إن أراد أن يعذبني ولن أجد غير الله ملتجئًا ونصيرًا ﴿إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ﴾ إلاّ إذا بلغت أمره ورسالته وأديت أمانته ونصحت عباده فهو ينجيني من عذابه.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا

يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ ومن يعص الله ورسوله ويخالف أمره وأمر رسوله بالتكذيب فإن له نار جهنم هو وأمثاله مقيمين فيها أبدًا حتى إذا شاهدوا العذاب الذي كانوا يوعدونه في حياتهم الدنيا فسيعلمون من هو أقل ناصرًا وأقل عددًا، الكافرون بربهم أم المؤمنون بربهم؟؟.

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: لا أدري زمن العذاب الذي وعدتم، أقريب؟ أم يجعل له ربي زمنًا بعيدًا؟.

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ هو سبحانه وتعالى عالم ما غاب عن علم الناس وأنظارهم، وما كان سابقًا وما سيكون إلى يوم القيامة، فلا يطلع أحدًا على ما أخفى عن علم الناس وأنظارهم إلاَّ الذي ارتضى الله سيرته من رسول، فإن الذين اصطفى الله بالرسالة تحفظه الملائكة من جوانبه، حافظينه من إصابة الشر من الكافرين حتى يتمكن من تبليغ أمر الله إلى أمته، وذلك ليعلم الله، ــ أي: ظهور معلومه ــ أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم إلى أممهم وأحاط علمه بما عنده من تبليغ أمر الله والقيام بطاعة الله، وأحصى كل شيء من أمور خلقه عددًا، أي: معدودًا في علم الله.

الحمد لله، تمّت سورة الجن بعون الله.

* * *

سورة المزمل

آياتها عشرون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ اختلفت أقوال المفسرين في حالة تزمله عليه الصلاة والسلام، والحاصل أنه عليه الصلاة والسلام كان نائمًا متلففًا بثيابه فجاء جبريل عليه السلام بالوحي من أمر الله: يا أيها المزمل قم الليل للصلاة ثم استثنى منه إلاَّ قليلاً تنام فيه فصل نصف الليل أو انقص من النصف إلى الثلث، أو زد على النصف وصل على قدر نشاطك، واقرأ القرآن في صلاتك وغيرها، مرتلاً، أي: على تؤدة، واحذر من إدماج كلمة بكلمة. وكانت صلاة التهجد واجبة على رسول الله وعلى الأمة، ثم نسخت وجوبيتها على الأمة بصلوات المكتوبة وبقي حكمها نافلة للأمة.

﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾ في الآية تنبيه للنبي ﷺ ليستعد لما سيكلفه الله من الأوامر. والمعنى: أنا سنُنَزِّل عليك يا محمد قولاً، أي: أوامر ثقيلة تثقل على العباد وعلى أمتك بالوعد والوعيد والحلال والحرام ليعملوا بها أو يتركوها.

ثم ذكر فضيلة قيام الليل بالعبادات ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ إن ساعات الليل أو قيام الليل ــ وقد يراد بها ما بين المغرب والعشاء، وقيل: هي ما بعد العشاء الآخرة إلى الصبح ــ هي أشد وأثقل حملاً على المصلي من ساعات النهار؛ لأن الليل وقت منام. أو هي أشد موافقة بين القلب والسمع واللسان للعبادات والناس نائمون والعبادات فيه أسلم من التسمع والرياء، وأقوم لقراءة القرآن بالحضور والخشوع لانقطاع الأصوات والحركات. وفيه أحسن قراءة وأشد استقامة.

قال عكرمة: عبادة الليل أتم نشاطًا وأتم إخلاصًا وأكثر بركة.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ إن لك يا محمد في النهار وقتًا طويلاً لسعيك لحوائجك.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ واذكر يا محمد اسم ربك في كل حالك وأوقاتك، وانقطع بعبادتك إليه من كل ما يشغلك عن عبادته انقطاعًا تامًا.

﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾ هو الله رب ومالك مشارق الأرض ومغاربها لا إلـه يعبد إلاّ هو الله المعبود الحق، فاتخذ ربك حفيظًا لك يحفظك من شر أعدائك، واصبر على ما يقولون في شأنك، واتركهم تركًا جميلاً فلا تتعرض لهم ولا تشتغل بمقابلتهم بالانتقام منهم، وهذا الأمر قبل الأمر بالقتال.

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١﴾ واتركني يا محمد والمكذبين برسالتك وهم أصحاب النعمة والمال، غرتهم أموالهم

وقوتهم، ومهل لحياتهم زمنًا قليلاً. حتى يأتي وقت الانتقام عليهم، وقد أنجز الله عقابه لهم يوم بدر، وسلط عليهم القحط والجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيفة والجلود.

ثم توعدهم بعذاب الآخرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ ﴾ إن عندنا لهم في الآخرة قيودًا من الحديد يقيدون بها، ونارَ جحيم يلقون فيها بالقيد، وطعامًا لهم ذا غصة غير سائغ، وعذابًا مؤلمًا.

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ ذلك اليوم الذي تتزلزل فيه الأرض زلزالاً شديدًا وتندق الجبال، فصارت الجبال رملاً سائلاً تستوي على الأرض لا يرى فيها عوجًا ولا أمتًا.

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ إنا أرسلنا إليكم يا كفار قريش رسولاً منكم شاهدًا على أعمالكم يوم الأشهاد، كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً، هو موسى عليه السلام، فعصى فرعون الرسول ولم يصدق برسالته، فأهلكناه وقومه في ماء البحر إهلاكًا تامًا عن آخرهم. وفي الآية تقريع لكفار مكة.

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾ يعاتب الله كفار قريش: كيف تتحذرون وتسلمون من أهوال يوم القيامة إذا كفرتم بربكم ويوم القيامة وأهوالها؟ ذلك اليوم الذي يجعل الولدان شيبًا؛ السماء تتفطر وتنشق لأهوال يوم القيامة!! وكان وعد الله لقيام يوم القيامة كائنًا لا محالة.

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩﴾ إن هذه الآيات التي ذكرناها فيها تذكرة وموعظة، فمن تذكر واتعظ وأراد الإيمان بربه اتخذ إلى رضاه طريقًا موصلاً هو طريق دين الإسلام. وغيره باطل.

﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ إن ربك يا محمد يعلم أنك تقوم لصلاة التهجد أقل من ثلثي الليل وتارة نصفه وتارة ثلثه، وجماعة من المؤمنين يقومون لصلاة التهجد، والله يقدر ويعلم ساعات الليل والنهار، وفي قوله دلالة على أن العبادة في الليل أفضل وأكثر ثوابًا.

﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ علم الله أنكم لن تستطيعوا قيام الليل كله فرحمكم الله وخفف عليكم، فاقرؤا ما تيسر من القرآن، لا يكلفكم بطول القيام والقراءة، اختصروا القراءة في صلاتكم إن عجزتم. ومن هو شاب قوي الجسم فطول القيام والقراءة أفضل له.

﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ علم الله أنه يكون منكم مرضى، جمع مريض، وأناس آخرون يسافرون في البلاد للتجارة يبتغون من فضل الله، وأناس آخرون يقاتلون في سبيل الله لنصرة دينه، فخفف الله لهم في هذه الحالات، فينامون في الليل ويقومون لأعمالهم في النهار، وأما المرضى الذين يزداد مرضهم فلهم رخصة بالراحة. فاقرؤوا ما تيسر لكم واستطعتم عليه من قراءة من القرآن في صلاتكم.

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾ وصلوا الصلاة

المكتوبة في أوقاتها على الوجه الأكمل، وأدوا زكاة أموالكم إلى مستحقيها، وتصدقوا على ذوي الأرحام والفقراء، وأنفقوا ذلك لله فيكون ثواب صدقاتكم عند الله قرضًا حسنًا يعطيكم بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، وأيّ شيء قدمتم من أعمال الخير فثوابه لأنفسكم، تجدوا ثوابه عند الله هو خير لكم لآخرتكم وأعظم ثوابًا، واستغفروا الله عن ذنوبكم وعما قصرتم في أمره ونهيه، إن الله غفور لذنوبكم رحيم بعباده المؤمنين.

الحمد لله، تمَّت سورة المزمل بعون الله.

* * *

سورة المدثر

آياتها ست وخمسون آية، وهي مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ ورد في الحديث: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسًا على كرسي بين السماء والأرض»، قال رسول الله ﷺ: «فَجُئِثْتُ منه فرقًا فرجعت. فقلت: زملوني. فدثروني، فأنزل الله ﴿يا أيها المدثر﴾ إلى قوله ﴿فاصبر﴾. وقوله: «فجئثت منه فرقًا»، أي: ضقت منه وفزعت خوفًا.

ومعنى الآيات: (يا أيها المتدثر)، أي: المتلفف بثيابه، قم من مضجعك لتبلغ أمري إلى قومك، وادعهم إلى الإيمان بوحدانيتي، فإن لم يؤمنوا فأنذرهم عذابي عليهم، واخصص ربك بالكبرياء والعظمة والتكبير، وثيابك، أي: أعمالك وقلبك وجسمك، وأهلك، ودينك، ولباسك، ونفسك، وخُلُقك فأصلح وطهر من الإثم والذنوب والأنجاس

والدناءات وأعمال المشركين، أي: احذر منهم وأعمالهم. والرجز فاترك. والمعنى: لا تقرب يا محمد أعمال المشركين فإن أعمالهم نجس، ولا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها أو تطمع فتستكثر من حطام الدنيا وتجمع فإنها فانية، واصبر في تبليغ أمر ربك فإنك على الحق ومأجور.

وقيل: أول ما نزل من القرآن ﴿اقرأ باسم ربك﴾ إلى قوله ﴿ما لم يعلم﴾، ثم فتر الوحي أي احتبس الوحي، وطعن المشركون واستهزؤوا برسول الله قائلين: أن ربك تركك، فأنزل الله سورة الضحى وفيها ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾، أي: وما غفل ربك عنك، ثم تتابع الوحي بالإنذار والأوامر والنواهي.

ثم يخبر سبحانه وتعالى عن أحوال يوم القيامة ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ فإذا نفخ في الصور لبعث الناس من قبورهم أحياء للحساب والجزاء، فذلك اليوم يوم عسير على الكافرين، ثم أكد: غير يسير.

وقال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ هذه الآيات إلى قوله (سأصليه سقر) أنزلت في الوليد بن المغيرة، وتقدمت قصته في سورة (ن). والمعنى: اتركني يا محمد مع من خلقت وحيدًا لا مالُ ولا أولاد له، وأعطيت له مالاً واسعًا كثيرًا وأولادًا شاهدين، أي: حاضرين في خدمته، ووسعت له من المال والجاه والعزة في قريش. وكان الوليد أكثر الناس أموالاً وأكثرهم أولادًا وعزة حتى سموه ريحانة قريش. ثم لا يقنع بذلك فيطمع أن أزيده! كلا، ردع على

طمعه، إن الوليد كان لآياتنا عنيدًا، أي: معاندًا جاحدًا عليها. ثم توعد عليه: سأرهقه صعودًا، أي: سألجئه وأكلفه صعودًا صعبًا في نار جهنم، أي: عذابًا ومشقة لا راحة له فيه.

ثم ذكر سبحانه وتعالى من أسرار هذا الشقي وتدبره في إبطال الحق والطعن في رسالة رسول الله ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ إن الوليد فكر فيما يقول في حق النبي ﷺ وفي القرآن الكريم، وقدر كلامه وهيأه فلُعِنَ كيف قدر، ثم قتل كيف قدر، ـ تكرار اللعن للتأكيد ـ ثم نظر على ما قدر وهيأ في الطعن برسول الله والقرآن الكريم، ثم عبس وجهه وكلح ضيقًا في صدره، ثم أعرض متكبرًا عن الإيمان بالله وحده والتصديق برسالة رسول الله، فقال: ما هذا القرآن إلاَّ سحر يؤثر، أي: يروى عن السحرة، ليس هذا إلاَّ قول البشر، فقال تعالى: سأصليه سقر، أي: سأدخله نار جهنم، وسقر اسم من أسماء جهنم.

ثم يخاطب الله رسوله محمدًا ﷺ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ وأي شيء أعلمك يا محمد ما هي السقر؟ والسقر هو الإذابة والإحراق. إنها لا تترك لهم عظمًا ولا لحمًا ولا دمًا إلاَّ أحرقته. والتأكيد بلا تذر لتكرار الإحراق. ثم فسر: لواحة، أي: نار لواحة، أي: مغيِّرة لأصحاب جهنم بسبب الإحراق. وقال ابن عباس: تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام، عليها الملائكة الزبانية وعددهم تسعة عشر.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وما جعلنا الزبانية لجهنم إلاَّ من الملائكة، وما جعلنا قلة عددهم إلاَّ امتحانًا للذين كفروا، إذ قال كفار قريش: لِمَ لم يجعل الله عددهم عشرين؟ وقولهم هذا اعتراض على حكم الله، وقيل في سبب نزولها غير ذلك. وحكمته في ذلك: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ﴾ بعد أن ذكر الله إنكار الكافرين على قلة عدد الزبانية وذكر إيقان أهل الكتاب لأن في كتبهم مذكور ذلك، أي: ليتقين مؤمنو أهل التوراة والإنجيل بنبوة محمد فيؤمنوا ويزداد الذين آمنوا بالقرآن إيمانًا يقينًا، ولا يشك أهل التوراة والإنجيل والمؤمنون، وهذا تأكيد لما قبله.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ﴾ وليقول المنافقون وكفار مكة: أيّ شيء أراد الله بهذا العدد مثلاً؟ وقال تعالى ردًّا عليهم ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ مثل ذلك المثل يضل الله به من شاء فيكفر ويهدي به من شاء إيمانه فيهديه، وما يعلم عدد جنود ربك يا محمد إلاَّ هو جلّ جلاله وأحاط علمه كل شيء، وما ذكرنا ذكر نار جهنم وخزنتها إلاَّ تذكرة وموعظة للبشر.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ حقًّا بما قلنا من ذكر نار جهنم وعدد خزنتها، ثم أقسم الله بالقمر، وبالليل، وبالصبح، والمقسم عليه أن نار جهنم لإحدى الدواهي والمهالك الكبرى، مخوفًا وزجرًا للإنسان عن الكفر والمعاصي، لمن شاء منكم أيها المؤمنون أن يتقدم بالطاعة إلى رضوان الله فليتقدم، ومن شاء أن يتأخر بالمعاصي يتأخر، وكِلا الفريقين

يحاسب بأعماله فيجازى، والله سبحانه وتعالى أرشد إلى طريق السعادة ونهى عن طريق الضلالة.

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ ﴾ كل نفس مرهونة بعملها عند الله ومأخوذةٌ به، فإما خلّصها وإما أوبقها، فكل نفس رهن بكسبها عند الله، غير مفكوك، (إلّا أصحاب اليمين) هم الذين آمنوا بربهم واستقاموا في دين الله وسبقت لهم الحسنى من الله، وأعطوا كتاب أعمالهم بيمينهم، ولا يرتهنون بذنوبهم وهم في الآخرة ﴿ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

وأهل الجنة يسأل بعضهم بعضًا ويتحدثون عن أحوالهم في الدنيا ويسألون عن المجرمين الذين عرفوهم في الدنيا: أيّ شيء أدخلكم في سقر ــ سقر اسم لجهنم ــ وكان سؤال أهل الجنة عن أهل النار توبيخًا لهم، والله سبحانه وتعالى كشف الحجاب بينهم لأجل سؤالهم عن ذلك، أو أنهم سألوا الملائكة والملائكة سألوا المشركين فقال أصحاب جهنم مجيبين لهم: ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾ لم نك في حياتنا الدنيا من المصلين لربنا، ولم نك نطعم المساكين الجائعين، وكنا نتحدث في الباطل والمعاصي مع الخائضين في الباطل، وكنا نكذب بيوم الحساب والجزاء ونحن في تلك الحالة مغرورين في نعيم الدنيا حتى أتانا الموت.

وقال تعالى: ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾ فيها دليل على الشفاعة للمذنبين من المؤمنين، وليس للكفار شفاعة ولا شفيع، فهم يبقون في سقر، إذ ورد

في الحديث أنه يوم القيامة يأذن الله للنبيين والملائكة والمؤمنين الصالحين أن يشفعوا للمؤمنين العاصين في نار جهنم، فيشفعوا لهم ويخرجون من نار جهنم ويبقى في جهنم الكافرون بربهم والمكذبون بيوم الدين.

فأيّ مانع لأهل مكة يمنعهم عن تذكير القرآن ومواعظه؟! وما لهم قد أعرضوا وولوا عنه معرضين؟ ثم شبه إعراضهم بالحمر الهاربة من الأسد أو الرماة (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة).

وقال تعالى بحرف الإضراب ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾ بل يريد كل إنسان من هؤلاء المشركين أن يؤتى له صحفًا منشرة، أي: مفتوحة ليقرأها كما أعطي محمد، (كلا) ردع على طمعهم واقتراحهم: لا أعطيهم ما يريدون لأنهم لا يخافون عذاب الله يوم القيامة، ولهذا يكفرون ويشركون بربهم، ويكذبون برسالة محمد عليه الصلاة والسلام.

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ كلا، أي: حقًّا إن القرآن فيه تذكرة وموعظة لمن يؤمن به ويتذكر ويتعظ، فمن شاء أن يتعظ وينتفع به ويتدبر في معانيه قرأه واتعظ به، وما يذكرون ويتعظون من تذكير القرآن ومواعظه وزواجره إلاّ أن يشاء الله اتعاظهم، إذ لا يقدر على الاتعاظ والتذكير إلاّ بمشيئة الله لمن شاء. وفي قوله دليل أن التوفيق والهداية بمشيئة الله، هو سبحانه أهل لمن اتقى الله في كل شأنه، وأهل لمن استغفر عن ذنوبه بالغفران والمغفرة.

الحمد لله، تمّت سورة المدثر بعون الله.

* * *

سـورة القيامـة

آياتها أربعون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ (لا) مزيدة لتأكيد القسم. ويجري في الكلام العرب زيادة لا، كما قال الله تعالى: ﴿ما منعك أن لا تسجد﴾، أي: أن تسجد، ومعنى الآية: أقسم بيوم الحساب والجزاء، وأقسم بالنفس المؤمنة اللوامة التي تلوم صاحبها إذا وقعت في الجريمة فيستغفر الله في الحال.

﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ أيحسب الإنسان المنكر للبعث أنه لن نجمع عظامه بعد أن صار رفاتًا وترابًا؟ ثم أجاب الله بلى قادرين على أن نسوي بنانه، أي: أن نعيد حتى رؤوس أصابعه كما كانت في الدنيا. وجواب القسم يؤخذ من السؤال، أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوّامة: لأجمعن العظام للبعث، أو لتبعثن للحساب.

وقال تعالى ردًا على المنكر البعث بحرف الإضراب ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦﴾ بل يريد الإنسان الكافر بربه وبالبعث أن يدوم على فجوره وعصيانه فيما بقي من عمره وذلك بسؤاله مستهزئًا ومنكرًا: متى يقع ومتى ويكون يوم القيامة؟!

فرد الله عليهم وذكر علامات يوم القيامة: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠﴾ فإذا برق البصر، أي: تحير ودهش لما رأى من أهوال يوم القيامة، فتراه لا يطرف، وقال البعض: هو عند الموت، وقال غيرهم: هو يوم القيامة، وإذا زال نور القمر وأظلم، وجمع الشمس والقمر فلا شعاع للشمس ولا نور للقمر! يقول الإنسان الكافر حينئذ: أين المهرب والملجأ لنهرب ونلتجىء إليه؟ فرد الله عليه ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾ ردع ومنع لطلبهم المهرب والملجأ إذ لا ملجأ لهم ولا نجاة من عذاب الله، اليوم استقراركم إلى ربك للحساب وفصل الحكم بين العباد فإما للجنة وإما لنار جهنم.

﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾ يخبر كل إنسان برًّا كان أو فاجرًا بما عمل من عمل صالح أو سيء أو أخر من عبادة الله ولم يعمل بها أو أخر عملاً حسنًا أو سيئًا وقد عمل الناس به بعد موته فمحسوب له أو عليه.

وقال تعالى بحرف الإضراب: بل نفس كل إنسان على أعماله بصيرة، وهو عالم بما عمل من خير أو شر، وهو يشهد، ولو ألقى عليه معاذيره، جمع معذر، أي: لو اعتذر فقال لم أفعل شيئًا، وقيل: في لغة أهل اليمن الستر، أي: ولو ألقى عليه الستر ليختفي وراء الستر تشهد عليه جوارحه، وهذا في حق الكافر بربه وبيوم القيامة، وحاصل المعنى: أن الإنسان إذا جاء يوم القيامة لا ينفعه عذره ولا احتجاجه إلاَّ الإيمان بربه والأعمال الصالحات.

وقال تعالى مخاطبًا لنبيه ﷺ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ روي عن

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه رسول الله ﷺ كان إذا نزل جبريل عليه السلام بالوحي بالقرآن حرك ﷺ به لسانه يقرأ معه حرصًا لقراءته يريد أن يحفظه وخوفًا من فوات قراءة جبريل فأنزل الله الآية، والمعنى: لا تحرك لسانك يا محمد بالقراءة مع جبريل، لتعجل بقراءته، إن جمعه في صدرك علينا، ونثبت قراءته على لسانك، فإذا قرأه جبريل عليك فاستمع له وأنصت لقراءته، (ثم إن علينا بيانه)، أي: بيان فهم معانيه وأحكامه وتفسيره. والآية معترضة بين قوله (ولو ألقى معاذيره)، وقوله: (كلا بل تحبون العاجلة).

ثم أوصل العبارة بحرف الردع: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ كلا ردع على زعم المشركين أن لا بعث ولا حساب ولا جزاء، بل تحبون يا كفار مكة الدنيا، ونعيمها العاجل، وتتركون الأعمال التي تنفعكم في الآخرة، وهذا من كفرهم وشركهم بالله.

ثم ذكر الله أحوال الفريقين وعلاماتهما يوم القيامة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ وجوه المؤمنين يوم القيامة ناضرة، أي: مشرقة مضيئة بالنور الرباني، إلى ربها ناظرة، ذلك النظر إلى ربهم أعظم وأفضل من نعيم الجنة، ووجوه الكفار والمنافقين يوم القيامة باسرة، أي: عابسة متغيرة سوداء من شدة الحزن، تعلم وتتيقن أن يفعل بها فاقرة، والفاقرة هي التي تكسر عظام الظهر، والمراد: الداهية العظمى من العذاب والهلاك بدخول النار.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ حقًّا ثابتًا أن المساق إلى الله، إذا بلغت النفس التراقي، وهي العظام في أعلى الصدر عند الحلقوم وأشفى على الموت،

ويقول أهل المحتضر: هل من راق يرقيه، وأيقن أهله أن المحتضر له الموت والفراق من الدنيا وأهله. وبعضهم فسر فاعل الظن المحتضر للموت، وحينئذ لا شعور له للظن من شدة الحزن والكرب.

واختلفت أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق﴾ والله أعلم بما هو الصواب، يظهر لي أن المراد منها حين التفت ساقا الرجل الميت في الكفن، يشد بعضه بعضًا، ويصلى عليه ويرفع نعشه بأمر ربك لدفنه، فإلى أمر ربك المساق، إلى قضاء ربك، إما إلى الجنة وأما إلى النار. وفي الحديث قال رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «القبر أول منزل من منازل الآخرة إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من النار»، وهذا عام في كل إنسان مؤمن صالح أو عاص.

ثم ذكر سبحانه وتعالى الوعيد للكافر المجرم بربه ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ وقيل: نزلت في أبي جهل، والمعنى: فلا صدق برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، ولا صلَّى صلاة قط، ولكن كذب بتذكير القرآن ومواعظه وزواجره ووعده ووعيده، وأعرض عنه كافرًا به، ثم ذهب إلى أهله يتبختر في مشيته تكبرًا وتعاظمًا على الناس. فأولى لك يا أبا جهل عذاب الله، ثم أكد الوعيد: فأولى، تهديد بعد تهديد ووعيد بعد وعيد، وهذا الوعيد عليه في الدنيا قد حققه الله عليه وأحزابه في يوم بدر، ثم أولى لك يا أبا جهل عذاب الآخرة فأولى، أي: أحق.

ثم ذكر سبحانه وتعالى تقريعًا لعامة الناس المكلفين بالأوامر

والنواهي ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ أيظن الإنسان أن يترك مهملاً كالبهائم لا يؤمر بالأوامر اختيارًا لطاعته لربه، ولا ينهى عن الكفر بربه ومعاصيه اختبارًا لانتهائه؟ أو يظنوا أنه لا حساب لإعمالهم ولا جزاء عليها؟

ثم نبه على بداية خلقتهم ونشأتهم ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ قيل الآية في العتاب لأبـي جهل تقريعًا على تكبره وتعاظمه: ألم يكن نطفة قذرة في صلب أبيه فخلق من مني يمنى في رحم أمه، ثم صار المني بعد أربعين يوم علقة ثم مضغة فخلقه خلقًا آخر فسوى، أي: ركب أعضاءه وصور صورته على أحسن تقويم، فتبارك الله أحسن الخالقين. فخلق من ماء الآباء الزوجين الذكر والأنثى.

وبعد هذا التذكير والبيان رد على المنكرين للبعث بالتقريع: أليس ذلك الله الخالق للخلائق من العدم إلى الوجود، ثم أفناهم، بقادر على أن يحيـي الموتى من قبورهم أحياء للحساب والجزاء؟ ونحن المؤمنون نجيب: بلى، الله قادر على ذلك.

الحمد لله، تمّت سورة القيامة بعون الله.

* * *

سورة الدهر، وسميت الإنسان

آياتها إحدى وثلاثون آية، وهي مكية وقيل مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ قيل: المراد من الإنسان آدم أبو البشر، وقيل: كل إنسان، أي: قد أتى على الإنسان زمن من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا، حتى وهو في رحم أمه لا تعرف أمه علم يقين إن كان الذي في بطنها قد يتم خلقه أم لا؟ وذكرًا أو أنثى؟؟

ثم بين النشأة الأولى لكل إنسان من ذرية آدم عليه السلام ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ إنا خلقنا الإنسان من ماء يقطر وهو المني، من ماء الأب، وماء الأم (أمشاج)، أي: أخلاط، في رحم أمه، ينتقل ذلك الخلق بقدرة الله من حالة إلى حالة، في ثلاثة أطوار سبق بيانها في سورة القيامة، لنختبره بالأوامر والنواهي الشرعية. فجعلنا الإنسان لأجل القيام بالتكاليف الشرعية سميعًا ليسمع التذكير والمواعظ والأوامر والنواهي، بصيرًا ليبصر آيات الله الدالة على كمال قدرة الله.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ إنا هدينا الإنسان إلى سبيل دين الحق وبينا له بإرسال الرسل طريق الهداية والضلالة فإما يكون

مؤمنًا بربه شاكرًا بنعماء الله، وإما يكون كافرًا بربه وكفورًا بنعم الله، وذلك بقدر الله، وإرسال الرسل إلى الناس ليبينوا لأممهم طريق الهداية والضلالة لإلزام الحجة على الكافرين والعاصين. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾ إن هيئنا وأرصدنا للكافرين بربهم والمكذبين رسلهم سلاسلاً يشد بها أرجلهم وأغلالاً تشد بها أيديهم وعلى أعناقهم، ونارًا مسعرة في جهنم لتعذيبهم.

ثم ذكر سبحانه وتعالى أحوال المؤمنين الأبرار في الجنة وهذه سنة الله في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ إن المؤمنين الصادقين في إيمانهم وطاعة ربهم، سماهم الله أبرارًا جمع بار لأنهم استقاموا في طاعة الله واجتنبوا المعاصي وأبروا وأخلصوا أنفسهم لله تعالى في طاعته فهم يشربون في الجنة شراب كأس، كان شرابها وخلطها مخالطًا فيه من ماء عين كافورٍ طيبة، ثم وصف الشراب ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ (عينًا): نصب بدل من (كافورًا)، وقيل: المراد: يشربون من عين في الجنة، ويُجرون شراب العين حيث شاؤوا أمام قصورهم ومجالسهم جريًا و (تفجيرًا) للتأكيد.

ثم وصفهم أنهم كانوا في الدنيا ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ هؤلاء الأبرار كانوا في الدنيا إذا نذروا لله نذرًا من العبادات البدنية أو المالية يوفون بنذورهم ولا يهملونها ويخافون أهوال يوم القيامة الذي كان شره منتشرًا لعامة أهل الموقف. ويطعمون الطعام على حاجتهم له مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا، وهم محتاجون له، ويقدمون هؤلاء المحتاجين على أنفسهم يريدون بذلك وجه الله ورضاه.

ثم يقولون ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ ﴾ إنما نطعمكم ابتغاء مرضاة الله لا نريد منكم عوضًا ولا تثنوا علينا، إنا نخاف من عذاب ربنا في يوم القيامة يوم تعبس وتسوّد فيه وجوه الكافرين والمنافقين والعاصين من أهواله وكربه، قمطريرًا، أي: يومًا طويلاً شديدًا.

وقال تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ ﴾ فحماهم الله من شدائد يوم القيامة وشره وألقى على وجوههم نورًا ذا ضوء، وفي قلوبهم فرحًا وسرورًا، وأثابهم بما صبروا جنة، وألبسهم لباسًا حريرًا، مضطجعين على الآرائك: جمع أريكة وهي السرر المحجلة مثل الخيمة، يرون من داخلها خارجها لأنها رقيقة ولا يرون في الجنة شمسًا تؤذيهم بحرها ولا بردًا مفرطًا يزعجهم، فهواها مناسب لطبيعة الإنسان.

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤ ﴾ وقريبة ودائمة ظلالها وذللت لهم ثمار أشجارها تذليلاً، أي: تسخيرًا قريبًا لهم يتناولها القائم والقاعد لأجل أن لا يتعبوا في التناول منها فمتى شاؤوا يقطفون منها ويأكلون.

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ ﴾ ويطوف على أهل الجنة الخدم بالأواني المصنوعة من فضة بيضاء صافية فيها طعام، وأكواب: جمع كوب لا عروة لها، فيها شراب. متى شاؤوا يوضع الطعام والشراب أمامهم يأكلون ويشربون. وكانت تلك الأواني في الصفاء مثل صفاء القوارير خاصة قوارير من الفضة صفاؤها صفاء الزجاج قدروا تلك الأواني على عدد أهل الجنة تقديرًا تمامًا لا يزيد ولا ينقص.

﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ ويسقى الأبرار في الجنة شرابًا من كأس كان طعم الشراب ممزوجًا بطعم زنجبيل طيبة الرائحة، إن في الجنة عينًا تسمى سلسبيلاً، شرابها سلس، طيب الطعم لذيذ، لمساغة مائها تسيل في الحلق بسهولة.

﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ ويدور حول أهل الجنة منتظرين لأمرهم غلمان دائمون لخدمة أهل الجنة، وذكر وصفهم: إذا رأيتهم حسبتهم كأنهم مثل لؤلؤ منثور على البساط، وهذا تشبيه لانتشارهم في خدمة أهل الجنة.

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ وإذا رأيت يا محمد الجنة هناك رأيت نعيمًا لأهل الجنة وملكًا واسعًا. عاليهم، أي: على ظهرهم ثياب من حرير رقيق خضر ومن حرير غليظ، وحلوا بأيديهم أساور من فضة وذهب للزينة، وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا صافيًا من الدنس والكدر، لا يسكر، ولا يبوّل، بل يترشح من بدنهم مسكًا، ويقال لهم: ﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ إن هذه النعم معدة لكم وكانت جزاءً لأعمالكم الصالحات، وكان سعيكم في طاعة الله مقبولاً محمودًا.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ إنا نحن نزلنا عليك القرآن بالوحي ما افتريته ولا جئت به من عند نفسك كما يدعي المشركون، وأنزلناه منجّمًا متفرقًا لنثبته في قلبك، وعلى حسب الوقائع في أمتك، لتبين لهم أحكامه الشرعية والأوامر والنواهي والوعد والوعيد.

ثم أمر الله رسوله الكريم بالصبر قال: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ

ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ فاصبر يا محمد لحكم ربك وقضائه واصبر على أذى المشركين وانتظر نصر الله بالانتقام من أعدائك الفجرة، ولا تطع ذا إثمٍ منغمس في العصيان، أو كفورًا، أي: الكفار.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ والمراد من هذه الآية الصلوات المكتوبة وصلاة التهجد، أي: صل لربك أول النهار وآخره، ففي أوله صلاة الفجر بكرة وفي آخره صلاة الظهر والعصر أصيلاً، يعني بعد زوال الشمس إلى قبيل غروبها، ومن الليل فاسجد له، أي: وصل صلاة المغرب والعشاء في الليل وكل صلاة على وقتها وتأخيرها إلى آخر وقتها تهاونًا مكروه، (وسبحه ليلاً طويلاً) وصل صلاة التهجد ليلاً طويلاً على قدر استطاعتك.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ توبيخ وتقريع للكفار والمنافقين: إن هؤلاء المشركون يحبون العاجلة، أي: الدنيا ونعيمها العاجل ــ وزوالها سريع ــ ويتركون الأعمال التي كلفوا بها ولم يلتفتوا إليها، وانهمكوا بلذات الدنيا واغتروا بها ونسوا أن أمامهم يومًا ثقيلاً عسيرًا وشديدًا هو يوم القيامة، فيه أمر عظيم على الكافرين ثقيل، ثم تمنن الله على الكفار: نحن خلقناهم من العدم للوجود كسائر الناس وربطنا مفاصل عظامهم بالأعصاب والعروق واللحم، فلم يشكروا تلك النعم وكفروا وطغوا علينا، وإذا شئنا أهلكناهم وأنشأنا بدلهم خلقًا آخر أمثالهم أطوع لأمرنا. وقوله: (تبديلاً) مصدر للتأكيد.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا

تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ إن في هذه السورة تذكرة وموعظة وبيان لما في الآخرة من الحساب والجزاء والجنة والنار، فمن شاء اتخذ مسلكًا إلى رضا ربه، وذلك لا يحصل إلاَّ بالإيمان بربه والامتثال بأمره. ثم نبه الله عباده إلى أنه ما تشاؤون شيئًا إلاَّ أن يشاء الله، أي: لا تقدرون أيها الناس على شيء تعملونه إلاَّ بمشيئة الله وبإذنه. وفي قوله تعالى نفي القدرة من خلقه على طاعة الله إلاَّ بمشيئته جلت قدرته. إن الله كان عليمًا بأحوال خلقه حكيمًا في صنعه وتدبير أمر خلقه فهو يدخل من يشاء بالهداية إلى الإيمان والأعمال الصالحات في جنته، والظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي أعد لهم عذابًا في نار جهنم مؤلمًا شديدًا.

الحمد لله، تمّت سورة الدهر بعون الله.

* * *

سورة المرسلات

آياتها خمسون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ ﴾ أقسم الله بالرياح المرسلات المتتابعات كعرف الخيل يتبع بعضها بعضًا. وقيل: المراد بهم الملائكة والرسل (فالعاصفات عصفًا)، أي: الرياح تعصف وهبوبها شديد، تفسد الأشجار والزروع. وأقسم بالملائكة الناشرات لكتب أعمال العباد، أو الناشرة للسحب. فالفارقات بين الحق والباطل والمحق والمبطل والحلال والحرام. (فرقًا) مصدر للتأكيد، فالملائكة الملقيات ذكرًا، أي: التي تلقي وحيًا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإنما ذكر بصيغ الجمع تشريفًا لجبريل عليه السلام واختلفت أقوال المفسرين في معنى المقسَم بها. والله أعلم بما هو الصواب. كل ذلك كان عذرًا من الله لعباده لكيلا تكون حجة لهم عند الحساب والجزاء، أو نذرًا، أي: منذرًا عن عقاب الله إن لم يؤمنوا بربهم ولم يمتثلوا بأوامره ولم يجتنبوا نواهيه. والمقسَمُ عليه: (إنما توعدون به لواقع) هو يوم القيامة، لا شك في وقوعها.

ثم ذكر العلامات لقيامها ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠ ﴾ فإذا النجوم ذهب ضوؤها ومُحي نورها، وإذا السماء فتحت وشقت فكانت أبوابًا لنزول الملائكة من السماء إلى الأرض تكون سبع صفوف حول الموقف، وإذا الجبال أُخذت عن أماكنها بسرعة وسويت الأرض فتكون الأرض قاعًا صفصفًا مستوية لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا.

﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤ ﴾ وإذا الرسل جُمعت يوم القيامة أو وُعِدت وأحلت لوقتها، يوم يقفون أمام ربهم ليشهدوا على أممهم. لأيِّ يوم أخرت شهادتهم؟ ليوم الفصل بالحكم العدل بين الخلائق. وقال تعالى تعظيمًا وتهويلاً لشأن يوم القيامة: وأيّ شيء أعلمك يا محمد ما هو يوم الفصل؟ والجواب: هو يوم القضاء بين الخلائق بالحكم العدل.

ثم توعّد على من كفر وكذب بأخبار يوم القيامة أو أنه بين ما هو يوم الفصل، وأنه ﴿ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥ ﴾ عذاب شديد في جهنم يوم القيامة للمكذبين بيوم الدين. وهذه الآية تكرر ذكرها عشر مرات في هذه السورة تقريعًا ومعناها واحد.

ثم زاد بالتقريع على كفار قريش محذِّرًا لهم ومُذكِّرًا بما حصل بالسابقين: ﴿ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٨ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٩ ﴾ ألم نهلك الأمم الماضية بالعذاب المستأصل عن آخرهم بكفرهم بربهم وتكذيبهم؟؟ وآثار ديارهم باقية، وكفار قريش يمرون عليها، ولم يعتبروا بها! ثم نتبع هؤلاء الهالكين بالعذاب المجرمين

الآخرين مثل كفار قريش. مثل ذلك العذاب على الأمم الطاغية نفعل بالمصرين على إجرامهم. إذ ويل يومئذ للمكذبين.

ثم يعاتب الله كفار قريش بذكر أصل خلقتهم تقريعًا لهم ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤﴾ ألم نخلقكم يا كفار قريش من ماء آبائكم المهين الضعيف الحقير الذي يخرج من مسلك حقير، والحال أنتم تعلمون ذلك، فجعلنا ذلك الماء الضعيف في أرحام أمهاتكم وأنتم محروزون فيها إلى أجل معلوم، إلى يوم الولادة من بطون أمهاتكم، فقدرنا على إيجادكم من نطفة آبائكم فنعم القادرون على إعادتكم بالبعث من قبوركم أحياء للحساب والجزاء. ويل يومئذ للمكذبين.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۝٢٧ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٨﴾ ألم نجعل الأرض كفاتًا، أي: ضامَّة لكم ولغيركم من الإنس تعيشون على ظهرها في حياتكم وتقبرون فيها أمواتًا وتبعثون منها يوم القيامة أحياء وتحشرون إلى موقف الحساب والجزاء، وجعلنا في الأرض جبالاً رواسي عاليات كيلا تضطرب الأرض عليكم، وأسقيناكم ماء عذبًا لا ملوحة فيه، وتشربون وتسقون زروعكم وبساتينكم، أما تشكرون نعم الله؟ ويل يومئذ للمكذبين.

ثم يخبر الله لهم عما يقال لهم يوم القيامة ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٩ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ۝٣١ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ۝٣٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٤﴾ يقال لأهل النار: اذهبوا إلى العذاب الذي كنتم في حياتكم تكذبون به، اذهبوا إلى

ظل ذي ثلاث شعب إذا تصاعد وارتفعت لهبها تصير ثلاث فرق تتظلوا تحتها، لا ظليل يغني من حرارة النار ولا يغني من لهبها، إن نار جهنم ترمي بشرارها الذي هو كالقصر، أي: عظم شرارها مثل الجبل والحصن في العِظَم، مثل جمالة، هي الإبل السود في العظم واللون، وكل شيء عظيم مجموع. ويل يومئذ للمكذبين.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾﴾ هذا اليوم يوم لا يستطيع الكفار التكلم، ولا يؤذن لهم فيعتذرون عن جريمتهم، ويل يومئذ للمكذبين ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ هذا اليوم يوم الفصل بالحكم العدل بين المحق والمبطل وبين المحسن والمسيء وبين الظالم والمظلوم، وجمعناكم أيها المشركون وأمثالكم الأولين في هذا الموقف العظيم، فإن كان لكم كيد وحيل لتخلصوا به أنفسكم من عذابنا فكيدون. الأمر للتهكم والتعجيز. ويل يومئذ للمكذبين.

ثم ذكر سبحانه وتعالى أحوال المؤمنين المتقين في الجنة، وهذا سنة الله في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ إن المتقين الأبرار في الآخرة في الجنة، في ظلال أشجار بساتينهم، وماء العيون يجري تحت أشجار جنتهم وأمام قصورهم، ولهم فواكه بأصنافها متى شاؤوا يأكلون مما يشتهون منها، ثم قال تشريفًا لهم: كلوا واشربوا هنيئًا لا مغص لكم بكثرة أكلها بسبب ما كنتم تعملون في حياتكم من صالح الأعمال لله تعالى. إنا نجزي مثل ذلك الجزاء ونثيب المحسنين في طاعة ربهم. ويل يومئذ للمكذبين. وبعد ذلك وجّه الخطاب

بالتهديد للكافرين ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ كلوا بما شئتم وتمتعوا في حياتكم الدنيا زمنًا قليلاً إنكم مجرمون بكفركم في قضاء الله وقدره.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ وإذا قيل لهم في الدنيا: صلُّوا لربكم، لا يصلُّون، ويجحدون، ويل يومئذ للمكذبين، إن لم يؤمنوا بهذا القرآن وكذبوه، فبأيّ كلام بعد القرآن يؤمنوا؟ لأن الإيمان بغير القرآن باطل وكفر بجميع الكتب السماوية.

الحمد لله، تمَّت سورة المرسلات بعون الله.

* * *

سورة النبأ

آياتها أربعون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣﴾ أصله (عن ما) حذف الألف والنون للتخفيف. وسبب نزولها: أنه كان المشركون يتساءلون بينهم عن البعث وقيام الساعة، فمنهم من ينكر ويجحد ومنهم من يشك، فأنزلت السورة، والمعنى: عن أيِّ شيء يتساءل هؤلاء المشركون ويخوضون في الإنكار والجحود؟ ويأتي الجواب: يتساءلون عن الخبر العظيم الذي هم فيه مختلفون. ويرد الله عليهم بحرف الردع ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥﴾ ردع وزجر على المكذبين أنهم سيعلمون عاقبة كفرهم بربهم وتكذيبهم بالبعث. وتكرار كلمة الردع والوعيد للتأكيد.

ثم ذكر سبحانه وتعالى امتنانه على خلقه مقرعًا لهؤلاء المشركين ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ۝٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ۝٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ۝١١﴾ ألم نجعل الأرض ممهدة بسطة لتسكنوا على ظهرها. وخلقنا الجبال مثل أوتاد على ظهرها، حتى لا تميد بكم الأرض ولا تضطرب، وخلقناكم أزواجًا ذكرًا وأنثى لتتناكحوا وتتناسلوا وتتكاثروا في الأولاد في حياتكم الدنيا، وهذا التنظيم الرباني من

لدن آدم عليه السلام إلى يوم فناء الدنيا. وجعلنا نومكم راحة لأبدانكم ليزول التعب من أبدانكم، وجعلنا الليل لباسًا تستتروا فيه عن العيون وترتاحوا بنوم طويل، وجعلنا النهار لسعيكم في طلب معاشكم بالتجارة والصناعة أو في الزروع.

ثم ذكر سبحانه وتعالى المخلوقات العظيمة يشاهدها كل إنسان تدل على كمال قدرة الله ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ وبنينا فوقكم أيها الناس السموات السبع قوية محكمة بديعة في صنعها، وجعلنا في سماء الدنيا شمسًا مضيئة لأهل الأرض مثل السراج الوهاج، متلألئة، وأنزلنا من السحاب المتراكم الذي ينعصر بالرياح ماء صبابًا غزيرًا، لنخرج به حبًّا، أي: حبوب الزروع والنباتات فتخضر وتنمو ونخرج به أشجار البساتين التي تلتف أغصانها وتزداد البساتين بهجة ونضارة به.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ إن يوم الحساب والجزاء وفصل الحكم بين الناس كان وقتًا محددًا في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر. ثم ذكر علامات قيام ذلك اليوم وأنها: حين ينفخ في الصور لبعث الناس من قبورهم أحياء، فتأتون أيها الناس جماعة جماعة لموقف الحساب وفصل الحكم للجزاء، وفتحت السماء لنزول الملائكة فصارت أبوابًا، وقيل: وانشقت السماء وانصدعت، وسيرت الجبال عن أماكنها فصارت مثل السراب هباء منثورًا.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾

وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ إن جهنم كانت معدة قد رصدت طريقًا مرتقبًا للكافرين بربهم، وللمتجاوزين عن حد العبودية بالظلم والمعاصي مرجعًا ومقرًّا، مقيمين فيها أحقابًا، جمع حقب: هو الدهر لا غاية له، لا يذوقون في جهنم بردًا ولا شرابًا باردًا إلَّا شرابًا حارًّا من حميم جهنم، وغساقًا، أي: صديدًا سائلاً من قروح أهل النار، وكان ذلك العذاب عليهم جزاء موافقًا لأعمالهم وكفرهم بربهم، إذ كانوا في حياتهم الدنيا لا يخافون عذاب الله ولا يؤمنون بالبعث، وكذبوا بآيات كتابنا تكذيبًا، وكل شيء من أعمال الخلق أحصيناه مكتوبًا في ديوان الملائكة لإلزام الحجة عليهم، فيقال لهم توبيخًا وتهديدًا لهم: ذوقوا عذاب كفركم وعصيانكم فلن نزيدكم فوق عذابكم إلَّا عذابًا أشد من الأول.

ثم ذكر سبحانه وتعالى النعيم الذي أعده لعباده المؤمنين المتقين في مخالفة أمر الله، وهذا سنته في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ إن للمؤمنين المتقين من عذاب الله مفازًا، أي: محل الفوز والنجاة لراحتهم واستقرارهم، ثم بين: حدائق، جمع حديقة: هي البستان ذات البهجة وأصناف الأثمار والأعناب بأنواعها، وزوجات ذات الكواعب: هي الثدي المرتفع، أترابًا، أي: سواء بالسن، وشراب من خمر لذيذ في كأس مملوءة، لا يسمع أهل الجنة في الجنة كلامًا لغوًا لا فائدة فيه ولا كلامًا كذبًا، وكان ذلك النعيم والأمان جزاء لهم من ربك يا محمد، عطاء محسوبًا لإيمانهم وأعمالهم الصالحات من رب السموات والأرض وما

بينهما من المخلوقات هو الرحمٰن الذي لا يملكون أن يسألوه إلاَّ فيما أذن لهم فيه.

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ يوم القيامة يقوم جبريل والملائكة مصطفين أمام الله خاشعين ومنتظرين لأمر الله لا يستطيعون أن يتكلموا، خائفين من الله، إلاَّ لمن أذن له الرحمٰن بالكلام، وقال كلامًا صوابًا حقًّا.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ ﴾ ذلك اليوم، يوم يقوم فيه الحق ويبطل الباطل، فمن شاء اتخذ إلى رضوان ربه مسلكًا واستقام فيه حتى يأتيه اليقين.

﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ يخاطب الله كفار قريش: إنا خوفناكم بالتذكير والزواجر في القرآن وعلى لسان الرسول محمد عليه الصلاة والسلام عذابًا قريبًا وقوعه، حين ينظر الإنسان في صحيفته بما قد عملت يداه فيجد مثبت فيها ما عمل، ويقول الكافر متمنِّيًا: يا ليتني كنت ترابًا مثل هذه الحيوانات؛ لأنَّ الحيوانات بعد ما يقتص الله من المتعدي منها على بعضها يأمر فتصير ترابًا. فالكافر يتمنى لو يصير كالحيوانات، ولا يتعذَّب بنار جهنَّم.

الحمد لله، تمَّت سورة النبأ بعون الله.

* * *

سورة النازعات

آياتها ست وأربعون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥﴾ أقسم الله بالملائكة النازعات أرواح الكافرين بالشدة والصعوبة وتنزع أرواح المؤمنين بالسهل والنشاط فلا يرون ألم الموت، وبالملائكة السابحات سبحًا بأمر الله تنزل إلى الأرض سريعًا، فالملائكة السابقات بأرواح المؤمنين إلى الجنة سبقًا، أي: سريعًا، وبالملائكة المدبرات شؤون أهل الأرض بأمر الله أمرًا حاكمًا عليهم. والمقسم عليه محذوف تقديره: لتبعثن أيها الناس من قبوركم أحياء.

﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩﴾ قيل يوم ينفخ بالصور لإماتة كل ذي نسمة فتموت في الحال ثم تتبع النفخة الثانية للإحياء فيقوم كل الناس من قبورهم أحياء، وقلوب الكافرين يومئذ خائفة وأبصارهم خاشعة ذليلة.

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ إذا قيل لمنكري البعث

إنكم لمبعوثون من قبوركم. يقولون منكرين: هل إنا مردون إلى حالتنا الأولى؟ وقولهم الحافرة، أي: النشأة الأولى، هل نعود بعد أن كنا عظامًا فتاتًا بالية؟ قالوا: تلك الرجعة إلى حالتنا الأولى بعد الموت إذًا رجعة خاسرة لا خير فيها، وقال تعالى عن سرعة قيام الموتى من قبورهم: فإنما هي، أي: النفخة صيحة واحدة، تزجر من في القبور في الحال، فإذا أهل القبور على وجه الأرض أحياء ساهرين. وسميت أرض المحشر ساهرة؛ لأن فيها يسهر كل أهل الموقف من شدة الكرب والخوف.

وقال تعالى تذكيرًا ومسليًا للنبي ﷺ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾ قد بلغك يا محمد خبر موسى نبي الله حيث ناداه ربه بالود المقوس طوى، اسم للوادي وهو المعروف بطور سينا، قال تعالى: اذهب يا موسى إلى فرعون إنه طغى وتجبّر على خلقي وكفر بي، فقل له: هل لك رغبة يا فرعون إلى أن تتطهر من معاصيك وكفرك بربك، فأرشدك إلى الطريق الموصلة إلى رضا ربك بالتذكير والموعظة الحسنة، فتخشى من عقاب ربك؟ فامتنع فرعون ولم يطع دعوة موسى عليه السلام فألقى موسى عليه السلام عصاه أمام فرعون وقومه فصارت حية عظيمة بأمر الله، وأخرج يده من جيبه بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس ليرى فرعون وملأه المعجزات الكبرى، فلم يصدق، وكذب فرعون وعصى رسول الله موسى عليه السلام.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ وبعد أن شاهد فرعون معجزات موسى عليه السلام أعرض عن الإيمان بالله وسعى لجمع أصحابه وقومه والسحرة فجمعهم، فقام فيهم فقال: أنا ربكم الأعلى،

وقيل كان فرعون يعبد الأصنام ويأمر قومه بعبادة الأصنام، والمعنى: أنا أعلا من أصنامكم.

﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾ فأخذ الله فرعون بالعقاب تنكيلاً له بالآخرة والأولى بالغرق في ماء البحر، وقيل: فعاقبه الله عقابًا بمقالتيه الخبيثتين أنا ربكم الأعلى، وقوله: ما علمت لكم من إلـه غيري، والنكال هو العذاب.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ إن في ذلك الخبر من قصة فرعون وطغيانه وهلاكه مع قومه في الغرق لعبرة لمن يتذكر ويخشى عاقبة أمره.

ثم وجه الخطاب لكفار قريش ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾ استفهام للتوبيخ والتبكيت: هل أنتم أصعب خلقًا لإيجادكم أم السماء؟؟ فقد بناها ورفع سقفها فوقكم بغير عمد من تحتها فسواها مستوية بغير شقوق ولا فطور، وأظلم ليلها جعله مظلمًا بغير نور لتسكنوا فيه، وأظهر نهارها ضياء بضوء الشمس لتسعوا لأعمالكم فيه، وخلق الأرض مبسوطة واسعة بعد خلق السماء لتسكنوا فيها.

﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ أخرج الله من الأرض ماء يتفجر من العيون، فأنبت به الزروع والعشب ليكون مرعى تأكلون وتأكل أنعامكم. وجعل الجبال كالمرساة لتستقر بها الأرض، وكل ذلك فيه منفعة لكم ولأنعامكم.

ثم ذكر سبحانه وتعالى قيام الساعة تذكيرًا للعباد قال: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾ سميت يوم القيامة الطامة، أي:

الداهية التي تعلو على الدواهي كلها، حينئذ يتذكر الإنسان ما عمل من خير أو شر ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝٣٦﴾ وأُظهرت الجحيم، وكشف الحجاب عنها لمن ينظر إليها.

ثم ذكر الفريقين ومقامهما: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩﴾ فأما من كفر بربه وتجاوز حد العبودية وظلم واختار ملذات الحياة في الدنيا فإن الجحيم هي مأواه ومصيره ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ وأما من خاف مقام وقوفه بين يدي ربه للحساب والجزاء ونهى نفسه عن هواها فإن الجنة هي مأواه ومصيره.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ يسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن الساعة، أين وقوعها؟ ومتى تقوم هي؟ وسؤالهم سؤال استهزاء، فجاء الجواب: في أي شيء أنت يا محمد من القيامة والسؤال عنها؟ وليس لك سؤال عنها، إنما أنت تخبر عنها كما أخبرنا لك، وتخوف من يؤمن ويخاف منها. كأنَّ هؤلاء المشركون يوم يرون وقوعها وأهوالها فيذهلون فيحسبون أنفسهم لم يقيموا في الدنيا إلاَّ ساعة من عشية أو ضحاها من النهار.

الحمد لله، تمّت سورة النازعات بعون الله.

* * *

سورة عبس

آياتها اثنتان وأربعون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ نزلت إلى قوله: ﴿وأنت عنه تلهى﴾ في عبد الله ابن أم مكتوم. عبس، أي: كلح وتغير وجهه وأعرض عندما جاءه رجل أعمى يسأل عن أمور دينه، وكان عليه الصلاة والسلام يذكِّر صناديد قريش رجاء إسلامهم وقد جاؤوا عنده، وجاء عبد الله ابن مكتوم وهو لا يدري أن رسول الله مشغول مع هؤلاء، وقال: علمني وأقرئني مما علمك الله. ولم يلتفت إليه عليه الصلاة والسلام، وهو يكرر سؤاله، وكره رسول الله ذلك وتغيَّر وجهه، فأنزل الله ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ سبق تفسيرها.

وفي الآية عتاب. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾ وأيّ شيء أعلمك في شأن هذا الرجل الأعمى، وأنت يا محمد لا تسمع سؤاله ولا تجيب له؛ لعله يريد أن يتزكى من ذنوبه بالأعمال الصالحات؟ أو يتذكر بتذكيرك ويتعظ به فتنفعه الذكرى.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ أما من استغنى عن تذكيرك ولا يصغي سمعه إليك فأنت له تستقبل وتصدى له؟!

﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ ﴾ وما عليك حرج أن لا يتزكى بتذكيرك وموعظتك إذ لا يهتدي هذا الكافر ولا يؤمن، وما عليك إلاَّ إبلاغ أمري إليهم، وأما من جاءك من المؤمنين يمشي سريعًا ليستفيد منك وهو يخاف عقاب الله فأنت عن إجابة سؤاله تغفل ولا تلتفت إليه؟!

وقال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ ﴾ ردع وزجر على ما فعلت للأعمى، إن آيات القرآن تذكرة وموعظة، فمن شاء ذكره واتعظ به، وإن القرآن ﴿ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦ ﴾ إن القرآن في اللوح المحفوظ في صحف مكرمة عند الله ومطهرة من مس الشياطين، ومرفوعة في السماء، ومحفوظة من التحريف والتبديل، منسوخة من اللوح المحفوظ بأيدي سفرة كرام بررة، السفرة هم الملائكة الأبرار.

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣ ﴾ لعن الإنسان الكافر وطرد من رحمة الله، ما أعظم كفره بربه وأعجب شأنه؟! من أيّ شيء خلقه الله؟! خلقه من نطفة أبيه نقطة ماء صغيرة تخرج من مسلك البول، فقدر خلقته في بطن أمه وصوره كما شاء، وإذا حان وقت الولادة سهل خروجه من بطن أمه سالمًا لا يشعر شيئًا ويتربى في حجر أمه ويفطم من الرضاع ويحيا إلى تمام أجله، ثم أماته الله فأقبره في بطن الأرض ولم يجعل جسده يلقى لتأكله السباع، وهذه النعمة العظيمة لبني آدم، ثم إذا شاء أحياه من قبره، (كلا) ردع وزجر، ليس الأمر كما يدعي الكافر فهو لم يقض الأوامر الذي أمر الله بها بأن يعمل به ولم يف بعهده فاستحق عقابه.

وقيل: نزلت في عتبة ابن أبـي جهل وأمية بن خلف. وسياق الآية تدل أنها عامة على كل كافر بربه.

ثم ذكر الله النعمة التي خلقها للإنسان لحياته ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ فلينظر الإنسان الكافر بربه الجاحد بنعم ربه بنظر الاعتبار والتفكر إلى الزروع وطعامه منه، كيف صببنا الماء من السحاب إلى الأرض صبًّا على قدر الكفاية للزرع، ثم شققنا الأرض اليابسة شقًّا لخروج الحب منها، فأنبتنا فيها حبًّا من كل أنواع الحبوب كالبر والأرز والشعير وغيرها مما يزرع في الأرض، وأنبتنا شجر عنب وغيره، فأخرجنا منه عنبًا وقضبًا. قيل: هو الفصفصة الرديئة من التمر تأكله الأنعام، وشجر الزيتون يستخرج منه الزيت، ويُأكل حبه، ونخلاً يأكل من ثمره زهوًا ورطبًا وتمرًا، يقتاته أهل النخل ويدخرونه للشتاء، وأنبتنا أشجار البساتين وجعلنا شجرها غلبًا، أي: كثيرة الأغصان عظيمة متلففة من ريّ الماء، وفاكهة بأصنافها كالرمان والمشمش والخوخ وأصنافها كثيرة، وأبًا، أي: عشبًا ينبت بغير زرع، من ريّ الماء تأكله البهائم، وتلك النعم كلها طعامًا لكم ولأنعامكم.

ثم ذكر سبحانه وتعالى أهوال يوم القيامة وشدائدها تقريعًا ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ فإذا جاءت الصيحة للبعث الصاخة صفة الصيحة، أي: قوية تصم الآذان، حينئذ يفر الإنسان من أخيه وأمه وأبيه وزوجته التي يحبها في حياته في الدنيا وبنيه، وذكر الله الأدنى في الأول والأقرب في المحبة في الآخر وهذا لا يدل على الترتيب في المحبة، إنما جاء بالذكر

هكذا، ونحن نؤمن به. لكل امرىء من هؤلاء شأن حينئذ يغنيه عن غيره ولا يستطيع الإنسان أن ينظر إلى من بجنبه لشدة الهول والكرب.

ثم ذكر سبحانه العلامات التي تظهر في وجوه السعداء والأشقياء ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ وجوه المؤمنين الأبرار يوم القيامة مسفرة، أي: مضيئة بنور الإيمان، ضاحكة مستبشرة بما رأوا من نعيم الآخرة ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ ووجوه الكافرين بربهم يوم القيامة عليها غبرة، أي: عليها سواد، تعلو ظلمة سوداء أولئك الكفرة الفجرة.

والله أعلم بأسرار أخباره في كتابه العزيز، وعلينا الإيمان بما أخبر، آمنا يا ربنا وصدقنا فأجِرْنا من عذابك وأدخلنا جنتك مع الأبرار.

الحمد لله، تمّت سورة عبس بعون الله.

* * *

سـورة التكويـر

آياتها تسع وعشرون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ ﴾ ذكر سبحانه وتعالى في هذه السورة أهوال يوم القيامة وما يكون من علاماتها، «إذا» ظرف لظهور تلك العلامات، أي: حينئذ الشمس لفت ومحي ضوءها والنجوم تساقطت عن أماكنها وغابت، والجبال سيرت عن أماكنها وفتت فصارت هباء منثورًا.

﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ ﴾ العشار هي النوق، جمع الناقة، وهي الأنثى من الإبل وهي الحاملة والواحدة عشراء تمت مدة حملها عشرة أشهر، لتترك عن العمل والمعنى أنه بحال كان للرجل ناقة عشراء، يعتني بها لعطلها واشتغل بنفسه، وإذا البهائم البرية تجمع يوم القيامة ليقتص بعضها من بعض، وكذا سائر الحيوانات، وبعد الاقتصاص يقول الله لها كونوا ترابًا فتكون ترابًا، ولما يشاهد الكافر ذلك يقول: يا ليتني كنت ترابًا. وإذا البحار أوقدت نارًا والنفوس قرنت بأمثالها، المؤمن الصالح مع المؤمنين

الصالحين، والفاجر مع الفاجرين، والكافر مع الكافرين، واليهود مع اليهود، والنصارى مع النصارى، وكذا كل فرق شتى.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ ويوم الحساب يسأل عن الموؤدة بأي ذنب قتلت؟ وكانت العرب في الجاهلية إذا ولدت المرأة بنتًا تدفنها حية خشية الاسترقاق أو الفقر أو حياء من الناس. وإذا صحائف أعمال العباد نشرت للحساب، والسماء نزعت وأزيلت وطويت، ونار الجحيم سعرت لأهل النار، والجنة قربت للمؤمنين المتقين، فحينئذ علمت كل نفس ما عملت في الدنيا من خير أو شر.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾ أقسم الله بالنجوم الخنس، أي: التي تختفي في النهار بضوء الشمس، وتظهر في الليل، وتكنس، أي: تتأخر عن البصر لخفائها. وأقسم بالليل المقبل والمدبر، والعسعس من كلمات الأضداد في المعنى، والصبح إذا طلع وانتشر ضوؤه.

وجواب القسم: إن القرآن لقول رسول كريم وهو جبريل عليه السلام، ذي قوة عند ذي العرش له مكانة ومنزلة، تطيعه الملائكة بما أمرهم، عند الله أمين بإنزال الوحي إلى الرسل من البشر.

والجواب الثاني للقسم: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢﴾ فيهما رد على مشركي مكة حين اتهموا محمدًا ﷺ بالجنون. والمعنى: ليس محمد بمجنون كما تزعمون.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ ولقد رأى محمد جبريل على صورته التي خلقه الله عليها بالأفق الأعلى البين في مطلع الشمس. وفي هذه العبارة كلام طويل عند الخازن.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ وما محمد بتبليغ خبر الغيب ببخيل، أي: لا يبخل عليكم بما يعلم، ولا هو بمتهم أو ضعيف، وكلما جاء الخبر من الله يبلغكم ولا يقصر في تبليغ أمر ربه، وليس القرآن بقول شيطان مطرود من رحمة الله، فإلى أين تسلكون بزعمكم إن القرآن شعر افتراه محمد وأساطير الأولين؟!

ثم رد الله عليهم ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ما القرآن إلاَّ تذكرة وموعظة لعالم الإنس والجن، لمن شاء منكم يا كفار قريش أن يؤمن به ويستقيم بالعمل بما فيه من الأوامر. ولا تقدرون على شيء من الهداية والتوفيق إلاَّ أن يشاء الله هدايتكم له فهو رب العالمين، ولا تقدرون على عمل فيه خير إلا بتوفيق الله ولا شرٍّ إلا بخذلانه.

الحمد لله، تمَّت سورة التكوير بعون الله.

* * *

سـورة الانفطـار
آياتها تسع عشرة آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥ ﴾ إذا السماء انشقت وفتحت لنزول الملائكة إلى الأرض، والكواكب انتشرت وتساقطت، والبحار فجر بعضها ببعض واختلط ماؤها بعضه ببعض فصارت بحرًا واحدًا، والقبور قلبت وأخرج ما فيها من أهلها أحياء، حينئذ علمت نفس ما قدمت من خير أو شر وأخرت من الأوامر وتركت، أو سنت سنة حسنة أو سيئة وتركتها لمن بعدها.

وبعد ذكر العلامات لقيام الساعة وجه الخطاب إلى الإنسان الكافر موبخًا معاتبًا قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ والآية عامة على كل كافر وعاص يعاتب بها الكافرين والعاصين يوم القيامة. والمعنى: يا أيها الإنسان المغرور بشهوات الدنيا ولذاتها حتى كفرت، أيّ شيء أوقعك في الغرور والغفلة عن إحسان ربك الكريم عليك؟! ثم ذكَّره بنعمته التي في ذات الإنسان دون نعمته الخارجة: ربك الذي أوجدك من العدم فجعلك سالم

الأعضاء، وأسمعك وأبصرك فعدل خلقك وجعلك معتدلاً على أحسن تقويم، وصورك في أيّ حالة وصورة أراد وكما شاء ركّبك، وهذا الوصف ظاهر في الإنسان. وإذا نظر العاقل بنظر العبرة يرى كل إنسان له لون وصورة خاصة في وجهه لا يشبه بعضها بعضًا، سبحانه جلت حكمته وقدرته. فما الذي غرّك أيها الإنسان وجعلك تكفر بالذي خلقك؟! ويُروى أنها نزلت في الوليد بن المغيرة.

ثم عاتب الله المشركين المنكرين للبعث بحرف الردع ومنكرًا عليهم غرورهم وكفرهم: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ (كلا) ردع وزجر على كفركم بإحسان ربكم وإنكاركم للبعث. بل تكذبون بالحساب والجزاء، وإن على أعمالكم لحافظين من الملائكة مكرمين عند الله، يكتبون أعمالكم وأقوالكم ويثبتون في ديوان الأعمال ما تعملون وهم يعلمون ويحفظون ما تفعلون من خير أو شر.

ثم ذكر سبحانه وتعالى غاية حالة السعداء والأشقياء ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ إن المؤمنين الأبرار في طاعة ربهم لفي جنات النعيم يوم القيامة يتنعمون بنعيمها السرمدي، وإن الكفار بربهم والفجار بأعمالهم لفي عذاب الجحيم يوم القيامة في نار جهنم، يدخلون في عذاب جهنم يوم الحساب والجزاء، وما هم عن عذاب جهنم بفائتين، يخلدون فيها على الأبد.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ أيّ شيء أعلمك يا محمد ما هو

يوم الحساب والخبر؟ ثم كرر السؤال تفخيمًا وتهويل لشأن اليوم، ثم ما أدراك ما يوم الدين؟ معناهما واحد، ثم بين سبحانه وتعالى: في ذلك اليوم لا تملك نفس لنفس أخرى شيئًا من المنافع ولا الشفاعة، والأمر كله لله.

الحمد لله، تمَّت سورة الانفطار بعون الله.

* * *

سورة المطففين

آياتها ست وثلاثون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ ﴾ عذاب شديد للمطففين الذين ينقصون مكاييلهم وموازينهم، ثم بين: الذين إذا أخذوا شيئًا بالكيل أو الميزان من الناس أخذوه وافيًا، وإذا باعوا لغيرهم بالكيل أو الميزان بخسوا الموزون للمشتري، فيخسرونه.

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ ألا يعلم ويتيقن أولئك المطففون حقوق الناس أنهم مبعوثون من قبورهم أحياء للحساب والجزاء ليوم شأنه عظيم، ثم بين اليوم: يوم يقوم الناس من قبورهم عراة حفاة غرلاً، ويحشرون لموقف الحساب والجزاء أمام رب العالمين.

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ ﴾ ردع وزجر للمطففين حقوق الناس، أي: ليس الأمر على ما هم عليه؛ إن كتاب أعمال الفجار لفي سجين، حبس تحت الأرض السابعة مع جنود إبليس، ويقال: إنه صخرة، وأيّ شيء أعلمك يا محمد ما هو سجين،

فهو ليس مما كنت تعلمه أنت ولا قومك. إنه كتاب مكتوب في ديوان الأعمال لا ينسخ ولا يغير ولا ينسى، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾﴾ وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين.

﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ هؤلاء الذين يكذبون بيوم الحساب، ولا يكذب ولا يجحد بيوم الحساب والجزاء إلاَّ كل كفَّار بربه متجاوز عن حد العبودية دائم في الإثم والطغيان والمعاصي، إذا تتلى عليه آيات كتابنا قال: أساطير الأولين كتبها محمد يقرأها علينا.

ورد الله عليهم بحرف الردع والزجر ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ ردع وزجر لتكذيبهم بيوم الدين ومقالتهم في القرآن إنه أساطير الأولين: كلا ليس الأمر كما يدعون، ولكن غلب على قلوبهم آثام كسبهم وحجبتها فلا يدخل الخير في قلوبهم، حقًّا، إنهم عن رحمة ربهم لمحجوبون في حياتهم الدنيا، ثم إنهم يوم القيامة لداخلون في نار الجحيم مقيمين فيها على الأبد، ثم يقال بالتهديد: هذا العذاب الذي كنتم به تكذبون في حياتكم الدنيا فذوقوه.

وبعد ذكر أحوال الفجار يوم القيامة ذكر أحوال الأبرار، وهذه سنَّة الله في كتابه العزيز ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ حقًّا ثابتًا، إن كتاب أعمال المؤمنين الأبرار لفي عليين في جنات عالية. ثم سأل تفخيمًا لعلوِّ المقام: وأيّ شيء أعلمك يا محمد ما هو علِّيون؟ ثم أجاب بنفسه: إنه كتاب مكتوب فيه أعمال الأبرار يشهدها الملائكة المقربون.

ثم ذكر مقام الأبرار ووصفهم في جنات النعيم ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ إن المؤمنين الأبرار في الآخرة هم في الجنة، لفي نعيم يتنعمون ويتكؤون على سرر محجلة، ينظرون إلى ما أعد الله لهم من النعم، أو ينظر بعضهم بعضًا بالمحبة والاستئناس، وإذا نظرت يا محمد إلى وجوههم تعرف أن في وجوههم نضارة وسرورًا وبشاشة وفرحًا من أجل نعمة الجنة، ويُسقى هؤلاء من شراب مختوم لا يشربه غيرهم، ختام آنية الشراب من مسك، إذا فتحت الآنية تفوح منها رائحة المسك، وإلى تلك النعم فليبادر المبادرون بالأعمال الصالحات في الدنيا الفانية، ومزاج الشراب من تسنيم، أي: انصباب الشراب من تسنيم هي عين جارية، وتصب العين في الحال يشرب منها المؤمنون المقرَّبون إلى الله بحسن طاعتهم وإخلاص أعمالهم لله.

وبعد ذلك ذكر سبحانه وتعالى سبب تعذيب المجرمين في الآخرة، فذكر كيف كانت حالهم في الدنيا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ إن الكافرين المجرمين كانوا في حياتهم الدنيا يضحكون استهزاءً وسخرية من الذين آمنوا بربهم واستقاموا في طاعة ربهم، وإذا مر هؤلاء المجرمون بالمؤمنين يتغامزون بأعينهم احتقارًا للمؤمنين، وإذا رجع المجرمون إلى أصحابهم رجعوا مسرورين بسخريتهم من المؤمنين ﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ وإذا رأى المجرمون المؤمنين قالوا: إن هؤلاء لضالون في إيمانهم بمحمد.

فردَّ الله عليهم: ﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣﴾ وما أرسل المجرمون على أعمال المؤمنين بحافظين، ينظرون على أحوالهم ويضحكون على إيمانهم بربهم وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام!!

ثم بيَّن الله حال المؤمنين والكافرين يوم القيامة: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ في هذا اليوم، أي: يوم القيامة، المؤمنون بربهم والذين استقاموا في إيمانهم مع مقتضيات الإيمان هم يضحكون من حالة الكفار في نار جهنم، جزاء ما ضحكوا من المؤمنين في الدنيا، والمؤمنون في الجنة على سرر محجلة مضطجعين عليها ينظرون إلى نعيم الجنة حامدين لله تعالى أو ينظرون أحوال أهل النار، يتساءلون: هل جُوْزِيَ الكفار على الأعمال التي عملوها بسخريتهم في الدنيا من المؤمنين؟! إذا فعل بهم ذلك فالمؤمنون في الجنة والكفار في الجحيم، أو المعنى: قد جوزي الكفار بعذاب جهنم مزيدًا على عذابهم باستهزائهم من المؤمنين. والله أعلم بما هو الصواب.

الحمد لله، تمَّت سورة المطففين بعون الله.

* * *

سورة الانشقاق

آياتها خمس وعشرون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥ ﴾ ذكر سبحانه وتعالى العلامات التي تكون عند قيام الساعة، ومنها: إذا انشقت السماء وتصدَّعت وفتحت لنزول الملائكة لموقف الخلائق من أهل الأرض، يحيطون عليهم، وسمعت وأطاعت لأمر ربها وحق عليها بأن تسمع وتطيع، وحينئذ الأرض توسعت بزوال جبالها وآكامها لوقوف الخلائق فيها، وألقت ما في بطنها من الموتى والكنوز والمعادن وصارت خالية عما كان في جوفها فيحشرون على وجهها، وقد سَمِعتْ وأطاعت لأمر ربها بإخراج موتاها، وحق لها أن تسمع لأمره. وقد اختلف المفسِّرون في جواب (إذا)، فمنهم من قال: إنه مقدَّر محذوف دلَّ عليه قوله الآتي: (فملاقيه)، يعني: إذا انشقت السماء... وإذا مدَّت الأرض... لاقى الإنسان كدحه في عمله. وقيل: علمت كل نفس ما قدَّمت وأخَّرت من خير أو شرّ. وقيل غير هذا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ ﴾ والخطاب عام لجنس الإنسان: يا أيها الإنسان إنك جاهد وتاعب بأعمالك إلى أن

تلقى أمر ربك بالموت تعبًا شديدًا، فأنت تلاقي جزاء أعمالك ثوابًا أو عقابًا.

ثم بين جزاء العمل ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ ﴾ فأما من أوتي كتاب أعماله بيمينه فيحاسب حسابًا سهلاً بغير مناقشة، ويعفىٰ عن سيئاته، ويرجع من موقف الحساب إلى أزواجه في الجنة من الحور العين مسرورًا وفرحًا.

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾ وأما من أوتي كتاب أعماله بشماله، من وراء ظهره، فعلم أنه من أهل النار، فيدعو ثبورًا: يا ويلي ويا هلكي، ويدخل نارًا مسعرة في جهنم يصلى حرّها، لأن هذا المجرم في الدنيا كان في أهله مسرورًا لاهيًا عن طاعة الله وغافلاً عاقبة أمره، إن هذا المجرم العاصي ربه ظن أن لن يرجع إلى ربه بأعماله، وأيقن أن لا حساب ولا جزاء! بلى، ليس الأمر كما ظن وقدّر، فإنه سيرجع إلينا ونحاسبه على أعماله ونجازيه. إن ربه كان بصيرًا بأعماله قبل خلقه، عالمًا بأنه مرجعه إليه وبما سبق له من الشقاء والسعادة.

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾ لا لتأكيد القسم، أقسم الله بالشفق وهو الحمرة بعد غروب الشمس وأقسم بالليل وما جمع إليه وضم ولف من كل ذي نسمة؛ لأن كل ذي نفس تسكن وتأوي إلى مأواها في الليل، فالليل يجمع ويضم، وقيل: ما جنّ وستر، ثم أقسم بالقمر إذا تكامل نوره وجرمه وصار بدرًا. وجواب القسم: لتركبن حالاً بعد حال، أوله الموت ثم الحساب في القبر ثم البعث والحشر للحساب والجزاء وأهوال يوم القيامة، وقيل غير ذلك. ﴿ فَمَا لَهُمْ

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ استفهام فيه إنكار وتعجُّب: فأيّ شيء مانعٍ لهؤلاء المشركين بالله وحده والمصرين على شركهم أن لا يؤمنوا بالله، وهم يرون الآيات الدالة عليه؟!!

﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ ﴾ وإذا قرىء عليهم القرآن لا يخضعون لأوامر الله ولا يطيعون ولا يسجدون لربهم ولا يصلُّون؟ ثم وبَّخ الله عليهم بحرف الإضراب ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ لكن الذين كفروا بربهم يكذبون القرآن ولا يخضعون لأوامر الله، والله أعلم بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعناد والتكذيب لرسول الله والمؤمنين. ثم توعدهم بتهكُّم: فأخبرهم تبشيرًا لهم بعذاب أليم موجع في نار جهنم على تكذيبهم.

ثم استثنى الله منهم ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ إلاَّ الذين آمنوا بالله وحده وصدقوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله فلهم ثواب في الجنة غير محسوب بعملهم ولا مقطوع ولا منقوص أبدًا.

الحمد لله، تمَّت سورة الانشقاق بعون الله.

❋ ❋ ❋

سـورة البـروج

آياتها اثنتان وعشرون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ أقسم الله بالسماء ذات النجوم، وقيل: ذات المنازل، وهي اثنا عشر منزلاً، للشمس والقمر والكواكب السيارة، وقيل غير ذلك. وأقسم باليوم الموعود، يوم القيامة وصفه بالموعود لأنه لا خُلْفَ في وقوعه، وشاهد: هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمشهود هم أممهم، وقيل: الشاهد أمة محمد عليه الصلاة والسلام والمشهود الأمم السابقة، لقوله تعالى: ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا﴾، أي: مزكيًا لصدق شهادتكم، وقيل غير ذلك.

والمقسم عليه: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ لعن أصحاب الأخدود، جمع خد، وهو الشق الطويل في الأرض كالخندق، وذكر الخازن قصة طويلة في سبب الأخدود، وهم أصحاب النار ذات الوقود، أي: الذين أوقدوا النار في أخدود بالحطب ليلقى فيها المؤمنون. وحين ألقي المؤمنون في الحفرة التي أوقدت بالنار كان الكفار قاعدون حول الحفرة، شاهدون على ما يفعلون بالمؤمنين من التعذيب في النار.

ثم ذكر الله سبب تعذيبهم المؤمنين ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾ وما عتب أو كره الكفار من المؤمنين حتى قاموا بإحراقهم في النار إلاَّ لأنهم آمنوا وصدقوا بالله العزيز، أي: القاهر الغالب فوق عباده، المحمود في كل حال بإنعامه على المخلوقين؛ فهو المستحق بأن يحمد له، ثم مجد نفسه بما يليق بذاته: الذي له ملك السموات والأرض، لا أحد يشاركه في ملكه، والله شاهد على كل شيء عالم بأعمال خلقه، ولا يخفى عليه شيء مما صنع المجرمون بالمؤمنين.

وقال تعالى مخبرًا عن عاقبة المجرمين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠﴾ إن الكافرين الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات وحرَّقوهم في النار بسبب إيمانهم بالله وحده ثم لم يرجعوا عن كفرهم وعنادهم وقبيح صنيعهم بالمؤمنين، فلهم عذاب جهنم في الآخرة لكفرهم بالله، ولهم العذاب المحرق مزيدًا على عذابهم في نار جهنم، وقيل: لما ألقوا المؤمنين في النار انقلبت النار على الكافرين فأحرقتهم. وقيل: الأول عذاب ببردها، والثاني عذاب بحرِّها.

ثم ذكر سبحانه وتعالى ما أعد للمؤمنين في الآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١﴾ إن المؤمنين الذين صبروا على نار الأخدود، وقيل: هو عام لكل المؤمنين الصادقين في إيمانهم، وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر ربهم، لهم جنات يجري ماء الأنهار فيها من تحت أشجار بساتينهم، وأمام قصورهم، يتنعمون ويتنزهون فيها. ذلك الدخول في الجنة والتنعم بالنعيم السرمدي هو الفوز العظيم.

ثم ذكر سبحانه وتعالى أخذه وانتقامه لأعدائه الكافرين ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ إن أخذ ربك يا محمد أعداءه الكافرين الظالمين بالعقاب لقوي، لا ناصر لهم ولا ملجأ، إنه جلَّ وعلا هو ينشىء الخلق من العدم فيخلقهم ابتداء ويحييهم إلى تمام آجالهم، ويموتون، ويعيدهم بالبعث من قبورهم أحياء للحساب والجزاء، وهو سبحانه وتعالى الغفور لذنوب عباده المؤمنين التائبين عن ذنوبهم، الودود، أي: المحب لمغفرة ذنوب عباده المؤمنين وأوليائه وهو سبحانه وتعالى ذو الملك والسلطان مالك العرش العظيم، هو أعظم مخلوقاته، ووصف نفسه بالمجد، وهو النهاية في الكرم والفضل، فهو سبحانه وتعالى متَّصف بصفات الكمال والجلال، فعَّال لما يريد، لا رادّ لقضائه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ ﴾ قد أتاك يا محمد أخبار الجموع الكافرة الذين تجندوا وعاندوا وكذَّبوا أنبياءهم، ثم بين لهم: خبر فرعون وقومه وثمود، الذين أخذهم الله بالعذاب المستأصل عن آخرهم، وفي ذكر فرعون وثمود تقريع لكفار مكة.

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ بل الذين كفروا بربهم، أي: من هؤلاء الذين لا يؤمنون بك مصرِّين على تكذيب رسالتك يا محمد وتكذيب القرآن الكريم. ولكن الله من وراء كفرهم وتكذيبهم محيط، أي: عالم بهم وسيجازيهم. بل إن الذي أنزلنا إليك بالوحي هو قرآن عظيم من كلام الله، مكتوب في اللوح المحفوظ، لا يمسه إلاَّ المطهرون من الكفر والشرك.

الحمد لله، تمَّت سورة البروج بعون الله.

سورة الطارق

آياتها سبع عشرة آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ ﴾ أقسم الله بالسماء والنجم، أو الكواكب، ثم بيّن: وأيّ شيء أعلمك يا محمد ما هو الطارق؟ ففسّره بقوله: النجم الثاقب، النجم الذي يُرمىٰ به وتطرد الشياطين الذين يسترقون أخبار السماء. فيلقونها على الكهنة، يرجمهم ويثقبهم.

والمقسم عليه ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ ﴾ كل نفس، على أعمالها حافظ من الملائكة يكتب في صحيفتها. والمراد منها ذات الإنسان، وقيل يحفظها من الآفات. . . وقيل غير ذلك، وقيل إن المقصود هو الله الذي خلق الحفظة.

قال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝٨ ﴾ فلينظر الإنسان وكل بني آدم، بنظر التفكر والاعتبار: من أيّ شيء خُلِق؟ ثم أجاب بنفسه: خلقه من ماء مندفق هو المني، يخرج من الصلب وهو عظم ظهر الرجل، والترائب وهو

عظم صدر المرأة، فيجتمع كلا الماءين في رحم الأم حتى يصير علقة ثم مضغة ثم عظامًا، فيكسوه الله لحمًا، ثم يصوره كيف شاء، وينفخ الروح فيه، ثم يولد عند تمام مدة حمله بأمر الله ويحيا إلى نهاية أجله ثم يموت، إن الذي قدر بداية خلقه من ماء لقادر على إعادته كما كان في حياته الدنيا.

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ يوم القيامة تمتحن وتختبر سرائر الإنسان من عقائد ونيّات، أو المعنى: تظهر أعماله من خير أو شر، وتعرف ويحاسب عليها، وعند محاسبته على أعماله وحكم الجزاء عليه ليس له من قوة تدفع عنه عقاب الله عن نفسه ولا ناصر ينصره ويخلصه من عذاب الله. وفي الآية رد على المنكرين للبعث ووعيد لهم.

ثم ذكر سبحانه وتعالى قسمًا آخر لصدق كتابه العزيز، وفيه رد على من كذب بكتاب الله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ أقسم الله بالسماء ذات الأمطار، تمطر حينًا بإذن الله على خلق الله وتمسك حينًا، وسُمِّي رجعًا لرجوعه كل حين، وأقسم بالأرض التي تنشق عن النبات والزروع والعشب، وجواب القسم: إن القرآن لقول فصل، أي: يفصل بين الحق والباطل والمحق والمبطل ويحكم بالحكم العدل بين مختلفين، وما هذا الذي أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام بالعبث والباطل واللعب، فهو كلام رب العالمين.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾ إن هؤلاء المشركون يمكرون بك يا محمد، وبأصحابك مكرًا

لزوال دعوتك وإطفاء نور شريعتك. وأنا أجازيهم جزاء مكرهم من حيث لا يشعرون، فمهّل، أي: أخّر الكافرين بـي وبرسالتك ولا تستعجل إهلاكهم والانتقام منهم، أمهلهم وأنظرهم إمهالاً زمنًا قليلاً وقريبًا غير مستعجل لهم العذاب. وهذا لحكمة من الله عزّ وجلّ.

الحمد لله، تمّت سورة الطارق بعون الله.

* * *

سورة الأعلى

آياتها تسع عشرة آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾﴾ سبح يا محمد باسم ربك الأعلى، قيل معناه: نزه ربك بذكر اسمه الأعلى عما لا يليق بجلاله وكبريائه ووحدانيته، وقيل غير ذلك. وروي: لما أنزل الله ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ قال النبي ﷺ اجعلوها في ركوعكم، ولما نزلت ﴿سبح باسم ربك الأعلى﴾ قال اجعلوها في سجودكم.

فسبح باسم ربك الذي خلق الإنسان فسوى خلقه مستوي القامة والشكل، فكان أحسن ما خلق بصفات لا توجد في غيره، وهو الذي قدر ووفق لكل شكل شكله، ثم أرشده، وقيل: قدر أرزاقه، فهداه للاكتساب وألهمه معرفة الصناعة والزراعة والتجارة، وقيل غير ذلك، وهو الذي أخرج الزروع والأثمار لأرزاقكم والعشب والعلف لأنعامكم، وجعل العشب والزروع غثاء، أي: يابسة جافة سوداء، بعد أن صارت خضراء ذات بهجة ومنظرة، تحصدون الزروع وترعون أنعامكم في العشب.

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ ﴾ سنقرئك يا محمد قراءة القرآن فنعلمك إياه بالوحي، فتحفظه فلا تنسى، إلاّ ما شاء الله نسيانك منه فتنساه، إنه تعالى يعلم الجهر من القول والفعل وما يخفى عن سمع الناس ونظرهم. وفي قوله تعالى تحذير من الغفلة عن مراقبة الله، ثم عطف على سنقرئك: ونيسّر لك الأوامر وتكاليف الشريعة وأن تعمل خيرًا على طريقة ميسرّة للجنة، أي: سهلة لا تصعب عليك ولا على أمتك.

﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ ﴾ فذكر يا محمد بتذكير القرآن ومواعظه وزواجره إن نفع التذكير والموعظة، وإن لم ينفعهم التذكير فعليك إبلاغ أمري إذ سيتذكر ويتعظ من يخاف عقاب الله.

﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ ﴾ ويتجنب ويبتعد عن استماع التذكير بآيات القرآن ومواعظه الأشقى الذي ختم بالكفر والضلالة على قلبه، وهو الذي يدخل نار جهنم الكبرى السفلى، والصغرى نار الدنيا ثم لا يموت في نار جهنم، ولا يحيى كحياته في الدنيا يتمنى الموت، لا موت فيها.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ ﴾ قد فاز بالجنة ونجا من نار جهنم الذي طهر نفسه بالإيمان بربه وذكر اسم ربه في كل أوقاته فصلى الصلوات المكتوبة امتثالاً لأمر ربه، والسنّة الراتبة اتباعًا لسنّة رسول الله.

وقال تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ ﴾ إنكم تختارون أيها الناس من جهلكم نعيم الدنيا الفانية، وإن نعيم الآخرة خير وأفضل من نعيم الدنيا وأبقى لا يفنى.

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ إن هـذا التذكير لفي الصحف الأولى، ثم بين: صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

الحمد لله، تمَّت سورة الأعلى بعون الله.

* * *

سورة الغاشية

آياتها ستة وعشرون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ قد أتاك يا محمد خبر يوم القيامة، وسُمِّيت بالغاشية لأنها تغشى أهوالُها وشدائدُها وجوهَ الكافرين، ووجوه الكافرين يومئذ خاشعة ذليلة بالعذاب، وجوه كانت عاملة ناصبة تعبة في الدنيا، فهي حاملة الأغلال في أعناقها متعبة، تدخل فتصطلي نارًا حامية شديدة الحر في جهنم، (تسقى من عين آنية) بلغت حرارة السقيا فيها منتهاها من شدة حرِّها، ليس لأهل النار فيها طعام إلاَّ من نبات له شوك لاصق يهلك، وقيل غير ذلك. وهذ الطعام لا يسمن أكله، ولا يشبع من جوع، وهذا نوع من التعذيب شديد.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾ ووجوه المؤمنين يوم القيامة ناضرة ذات نعمة حسنة من الأمن والسرور لثواب أعمالهم في الدنيا راضين، ومقرهم في جنة عالية مرتفعة، لا يُسمع في الجنة كلام اللغو، وفي جنتهم عين جارية تحت أشجار جنتهم

وأمام قصورهم، وفي جنتهم سرر، جمع سرير، مرفوعة بالفرش العالية الناعمة، وأكواب موضوعة على حافتي العين لشرابهم، ونمارق، أي: وسائد مصفوفة بعضها جنب بعض متى شاؤوا جلسوا واتكأوا عليها، وزرابي مبسوطة في غرفهم ومجالسهم.

ثم ذكر الله المخلوقات الدالة على كمال قدرته: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ استفهام للتقريع: أفلا ينظر هؤلاء المشركون بنظر الاعتبار والتفكر إلى الإبل كيف خلقها الله خلقة عجيبة، وإلى السماء كيف رفعها الله بغير عمد من تحتها، وإلى الجبال الشامخات كيف نصبها الله فوق الأرض نصبًا ثابتًا، كيلا تضطرب الأرض على من فوقها من الإنس وسائر حيوانات، وإلى الأرض كيف بسطها الله ووسعها لأهلها.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ فذكر يا محمد قومك وخوفهم بآيات القرآن ومواعظه، إنما أنت مذكر وواعظ بتبليغ أمري إليهم، لست بمسَلَّط عليهم فتجبرهم على الإيمان، وقيل: هذه منسوخة بآية الأمر للقتال، ولكن من أعرض عن استماع الذكر وكذب وكفر فيعذبه الله بالعذاب الأكبر في نار جهنم. وقد عذبهم الله في الدنيا بالقحط سبع سنين حتى أكلوا الجيفة والجلود وقتلوا وأسروا في يوم بدر، إنَّ إلينا رجوعهم بعد الموت ثم إنَّ علينا حسابهم وجزاءهم في جهنم.

الحمد لله، تمَّت سورة الغاشية بعون الله.

* * *

سورة الفجر

آياتها ثلاثون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾ أقسم الله بالفجر وهو فلق الصبح وانفجاره من ظلمة الليل، وأقسم بليال عشر، وهي عشر الأول من ذي الحجة؛ لأن فيها اشتغال بالأعمال الصالحة، وقيل: العشر الأخير من رمضان، وقيل عشر الأول من محرم، (والشفع والوتر) وأقسم بكل زوج وفرد من خلقه، واختلفت أقوال المفسرين فيه. والليل إذا يسري ويذهب ظلامه بطلوع صبح النهار هل في ذلك المذكور قسم حق لصاحب عقل سليم؟ وجواب القسم: إنَّ ربك لبالمرصاد، واعترض بين القسم وجوابه بأمثلة على المقْسَم عليه ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ إلى قوله: ﴿فصب عليهم سوط عذاب﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ استفهام للتشويق بما يذكر من قصة عاد وثمود وفرعون، ألم تنظر يا محمد كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد؟ وقيل: إرم اسم بلادهم ووصفهم بذات العماد، يعني: قامتهم كالعماد طويلة، وقيل: طول بعضهم اثني عشر ذراعًا، وتلك القامة لم يخلق مثلها في أهل بلاد

غيرهم، وقيل: إنهم بَنَوا عمارة طويلة مشيدة على أعمدة وعلى هذا القول تكون صفة بلادهم، أي: المبنية على أعمدة. وكانوا أول من عمل ذلك.

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾﴾ وكذا قوم ثمود نحتوا الجبال وجعلوا بيوتًا في بطنها ليسكنوا في أيام الشتاء، وديارهم بوادي القرى تبعد من المدينة المنورة سبعة مراحل على سير الإبل، وإلى الآن موجودة آثار بيوتهم في الحجر.

وكذا ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾﴾ وصفه الله ذا أوتاد إذا عذب أحدًا يشد رجليه ويديه على أربع أوتدة، وقيل: كثير الجنود والقوة. ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾﴾ أولئك الذين طغوا على خلق الله وعصوا ربهم وأنبياءهم فأكثروا في بلادهم الفساد بالظلم والمعاصي والعناد على أنبيائهم والمؤمنين فاستحقوا عقاب الله.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ فأنزل الله أشد عذاب عليهم فأهلك الله عادًا بالريح العاتية، وأهلك قوم ثمود بالصيحة، وأهلك فرعون وجنوده بالغرق، وكل هؤلاء أهلكهم الله بإجرامهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ إن ربك يا محمد يرصد أعمال العباد ويحصيها عليهم ثم يحاسبهم عليها يوم القيامة، لا يفوته شيء من أعمالهم.

ثم ذكر سبحانه وتعالى طبيعة الإنسان وأنه غير صابر على تغيير رزقه وعلى المحن: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ فأما الإنسان الكافر المفتخر إذا ما امتحنه الله واختبره فوسع الله له من الرزق والمال فأكرمه في عشيرته وجعله متنعمًا بسعة الرزق فيقول فرحًا: ربي أكرمني بسعة الرزق والمال ويفتخر، ولا يؤد حق المال للفقراء والأيتام ولا يشكر الله حق الشكر،

فكان ذلك المال له اختبارًا وامتحانًا أيشكر أم يكفر؟؟ وأما من إذا ابتلاه وامتحنه بالفقر فضيَّق عليه العيش والرزق واختبره بالهوان في نظر الناس، ولم يصبر على تلك الحال إذ يقول: ربـي أهانني في الرزق وضيق الحال، وأولاني هوانًا عند الناس، وهذه صفة الكافر. فكان ذلك الفقر والهوان اختبارًا وابتلاء له أيصبر ويحمد الله أم يشكوا للناس عن فقره ولا يصبر؟!

وقال تعالى منكرًا على مقالتهما بحرف الردع: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ ليس الأمر كما تزعمون، فليس الغنى بالمال للفضل، ولا الفقر بالمال للهوان، وحقيقة إكرام الله توفيقه العبدَ لطاعته وشكر نعمته، والصبر على فقره، ولا يشكو أحدًا إلاَّ إلى الله حتى يلقى الله ويجازيه بجزاء أوفى، ثم قال تعالى بحرف الإضرب تقريعًا لهم وتوبيخًا على سوء تدبيرهم: بل لا تكرمون اليتيم والفقراء بالعطاء من مال الله. تتوسَّعون بالرزق وتسدُّون حاجتكم وتبخلون بالمال على المحتاجين، ولا تحثُّون بعضكم بعضًا على إطعام المساكين، بل تتعاونون على البخل، وتأكلون المال الذي ورثتم من أقاربكم بالعصبية أو الشقيقية أو حتى أموال اليتامى أكلاً شديدًا جميعًا، ولا تسألون أمن حلال أو من حرام حصل هو، وتحبون جمع المال حبًّا كثيرًا حلاله وحرامه.

وردَّ الله على انكبابهم على الدنيا بحرف الردع ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ كلا، ما هكذا يكون الأمر، ولكن ارتدعوا أيها الغافلون واحذروا من البخل وجمع المال بغير أداء حقه، فإن من فعل ذلك يندم يوم تدكّ الأرض دكًّا وذلك إذا زلزلت زلزالاً شديدًا وألقت ما في بطنها من الكنوز والمعادن، وجاء أمر ربك يا محمد وقضاؤه

لفصل الحكم بين الخلق، وتكون الملائكة صفوفًا كل سماء صفًّا محدقين حول الخلق من أهل الأرض. وقال المفسرون يجب الإيمان بالآية بغير تكييف ولا تأويل.

﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ وتحضر جهنّم يوم القيامة ليراها المجرمون فيزداد حزنهم، حينئذ يتذكر الإنسان الكافر بربه وبيوم القيامة أن يتوب ويؤمن بربه، ولكن كيف تنفعه ذكراه؟ وقد فرط بالتوبة في الدنيا وقد فات الأمر عليه، فحينئذ يقول الكافر بربه ندامة وحسرة: يا ليتني قدَّمت في دنياي من الأعمال الصالحات لحياتي هذه فتنفعني بالنجاة من النار.

وقال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ فيوم القيامة لا يستطيع أحد أن يعذب مثل عذاب الله في الدنيا، مهما بلغ في التعذيب، فعذاب الله أشد وأبقى، ولا يستطيع أحد أن يوثق مثل وثاق الله أحدًا في الدنيا مهما بلغ في التوثيق والأغلال، فوثاق الله أشد وأوثق لا ينفك عن الكافرين أبدًا.

ويقال لأنفس المؤمنين ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ والمراد من النفس ذات الإنسان، يا أيتها النفس الموقنة بأنَّ الله ربها وبما وعد الله للمؤمنين في الجنة والنفس الثابتة في طاعة ربها وراضية بقضائه، ارجعي إلى رضوان ربك راضية بما وهب الله لك وأنت مرضية عند الله، فادخلي في جملة عبادي الصالحين وادخلي معهم في جنتي، دار كرامتي لعبادي المؤمنين. وقيل غير هذا.

الحمد لله، تمّت سورة الفجر بعون الله.

سورة البلد

آياتها عشرون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ أقسم الله بالبلد الحرام مكة، وجواب القسم وأنت يا محمد تحل بهذا البلد مكة فيفتحها الله لك.

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ وأقسم الله بآدم أبي البشر والأولاد الذين ولدوا منه. وجواب القسم: لقد خلقنا الإنسان ليعيش في حياته في شدة وعناء وتعب ومصائب منذ أن كان في رحم أمه يعاني شدَّة الحمل والولادة والرضاعة وبعد ذلك. أحيانًا هو في سعة بالصحة والمال وأحيانًا بالمرض والفقر، حتى مماته، وذلك لحكمة منه جلت قدرته.

﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥﴾ قيل نزلت في أبي الأشد ابن كلدة وكان شديد القوة، وهو مغرور بقوة بدنه وكثرة ماله يستضعف المؤمنين ويؤذيهم، وقيل: كان من قوته يقف على الأديم ــ وهو جِلْد البعير ــ ويقول من يزيلني عنها فله كذا وكذا من الجائزة. ويقوم عليه عشرة من الرجال لا يستطيعون أن يزيلونه حتى تتقطع الأديم ولا يبقى إلاَّ موضع قدميه. والمعنى: هل يظن هذا المجرم المغتر بقوته أن لن يقدر على

انتقامه وتعذيبه أحد؟! ونحن المؤمنون نقول: إن الله قادر على الانتقام منه وتعذيبه. وهذا ينطلق على كل جاحد بخيل فاسد كافر.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان كثير المال والأولاد وكان مغترًّا بماله وأولاده، ويقول مفتخرًا: صرفت وبذلت مالاً كثيرًا لعداوة محمد، ورد الله عليه بالإنكار على زعمه: هل يظن هذا المجرم أنه لم ير إنفاق ماله في عداوة محمد عليه الصلاة والسلام أحد؟ بلى إن الله عالم بسره وعلانيته.

ثم ذكر سبحانه وتعالى إنعامه عليه في جسمه: ألم نجعل له عينين ليبصر بها آيات الله الدالة على كمال قدرة الله، ولسانًا ينطق به، وشفتين لميزانية الكلام جعلنا له شفتين سالمتين يخرج الكلام منه فصيحًا يفهم منه غيره. وأريناه طريق الهداية والضلالة والخير والشر، وأمرناه بالهداية والخير ونهيناه عن الضلالة والشر.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ فهلا أنفق ماله في اجتياز العقبة الصعبة فيأمن، ولكنه لم ينفق لذلك، بل أنفق ماله لعداوة محمد عليه الصلاة والسلام لأجل دعوته إلى الإيمان بربه، ثم بيَّن: أيّ شيء أعلمك ما هي العقبة أو كيف يكون اقتحامها أو بماذا، ثم بيَّن طرق سلوك العقبة في الآخرة: فك رقبة إنسان من العبودية، أو إطعام مسكين في يوم ذي مجاعة وقحط أو إطعام مسكين ذا متربة، أي: لاصق بالتراب من شدة الفقر.

وقال المفسرون: لا تنفع تلك الأعمال الخيرية إلاَّ بالإيمان بالله وحده، وإن عملها مع الكفر بالله فأعماله باطلة وهي خسران عليه، والإيمان شرط لقبول الأعمال.

وقد أكَّد الله تعالى أهمِّية الإيمان مع هذه الأعمال، فقال: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾، أي: أنه لا يقتحم العقبة مَنْ فعل الأعمال السابق ذكرها، إلاَّ إذا كان من الذين آمنوا، أي: صدَّقوا، فيجب أن تكون الطاعة مصحوبة بالإيمان، فإذا كان المنفق من الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله وأوصى بعضهم بعضًا بالصبر على طاعة الله والمصائب من مرض وفقد مال وولد وغير ذلك مما يصيب الإنسان، وأوصى بعضهم بعضًا بالرحمة والشفقة على الأقارب واليتامى والمساكين، أولئك الموصوفون بتلك الصفات المحمودة أصحاب الميمنة، أي: يأخذون كتاب أعمالهم بيمينهم ويدخلون الجنة ويتنعمون بنعيم الجنة أبدًا.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ أما الذين كفروا وجحدوا بتذكير آيات القرآن وزواجره فهم أصحاب الشؤم، ويأخذون كتابهم بشمالهم، ويدخلون نار جهنم، تطبق عليهم أبواب جهنم فلا خروج لهم منها أبدًا.

الحمد لله، تمَّت سورة البلد بعون الله.

* * *

سـورة الشـمس

آياتها خمس وعشرة آية، وهي مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾
وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾
قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ أقسم الله بالشمس وضحاها، أي: ضوؤها وإشراقها، وقيل: الضحى هو أول النهار إلى قيام الشمس، وأقسم بالقمر إذا تبعها فطلع عند غروبها، وذلك في ليلة الهلال، وقيل: وذلك في ليلة خمس عشرة من الشهر، إذ يأخذ ضوءه من الشمس، وأقسم بالنهار إذا ظهر ضوؤه بضياء الشمس أغشى على ظلمة الليل، وأقسم بالليل إذا يغشى ظلامه على ضوء الشمس عند غروبها، وأقسم بالسماء ومن بناها وأقسم بالأرض ومن طحاها وبسطها، وأقسم بالنفس ومن خلقها. وذكر (ما) في ثلاث مواضع بمعنى (من)، والمراد منه ذات الله جلت قدرته، أي: أقسم بذاته، (فألهما)، أي: ألهم هذا النفس الإنسانية (فجورها وتقواها)، أي: عرّفها طريق المعصية والفجور والشر وطريق التقوى والطاعة والخير. ونهى الله عن الأعمال الفاسدة والفجور وأمر بالأعمال الصالحات تتقي بها من عذاب جهنم. وهذا جواب القسم:

قد أفلح وفاز بالجنة من طهر نفسه بالإيمان بربه وبالأعمال الصالحات، وقد خاب وخسر من (دساها) أخفى نفسه بالكفر والمعاصي.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾، أي: كذب قوم ثمود بسبب طغيانهم وعصيانهم نبيهم صالحًا عليه الصلاة والسلام، وعن ابن عباس: كذبت بعذابها الذي وُعدت به، إذ انبعث، أي: نهض وأسرع لقتل الناقة أشقاهم، وكان صالح عليه السلام حذَّرهم من قتلها، وعدم التعرُّض لها في سقياها، فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام: احذروا ناقة الله لا تقتلوها، واتركوها لشربها ومرعاها. وأراد القوم أن يمنعوها عن الشراب والكلأ حاسدين لها ومكذبين، فكذبوا صالحًا عليه السلام وقتلوا الناقة فأهلكهم الله وأطبق عليهم بالصيحة العاتية فلم يبق أحد منهم، بسبب ذنوبهم، إلاَّ الذين آمنوا بصالح عليه السلام، فكان العذاب على عامة من كفر بالله وكذب بنبّيه صالح عليه السلام. ولا يخاف الله بإهلاكهم عاقبة ذلك، أي: تبعة ذلك الهلاك، وقيل: لا يخاف صالح عليه السلام عاقبة إهلاك قومه، ولا يخشى ضررًا يعود عليه من عذابهم؛ لأنه قد أنذرهم، وقد نجّاه الله وأهلكهم. وقيل غير ذلك.

الحمد لله، تمّت سورة الشمس بعون الله.

* * *

سورة الليل

آياتها إحدى وعشرون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ ﴾

أقسم الله بالليل إذا يغشى ويغطي ظلامه الأرض ويسكن كل ذي روح في مأواه، وأقسم بالنهار إذا تجلى ضياؤه بضوء الشمس، وأقسم بذاته جلَّ وعلا: والذي خلق الذكر والأنثى في كل ذي نسمة من الإنسان والجن والحيوانات والطيور والحشرات البرية والبحرية، والمقسم عليه: إن سعيكم أيها الناس لمختلف، فمنكم كافر بربه ومنكم مؤمن بربه، فمنكم صالح ومنكم فاسق.

﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ ﴾ فأما من أدى حقوق ماله من زكاة وصدقة للفقراء وصلة الرحم للأقارب واتقى مخالفة ما أمر الله به وما نهى عنه وصدق بالمثوبة في الجنة وأيقن أن وعد الله حق للمؤمنين في الجنة فسنيسر له طريق أعماله الخيرية ونرشده لأسباب الخير والصلاح ويوفَّق بالخصلة اليسرى وهي الاستقامة بما فيه رضىٰ الله حتى الموت.

﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ ﴾ وأما من بخل بإنفاق ماله للفقراء وصلة الرحم واستغنى عن ثواب الله حبًّا لماله، وكذب المثوبة في الجنة، فسنيسر له طريق العسرة والشر بالبخل والشقاوة يتعسر ويتعب في حياته وبعد موته، وما يغني عنه المال الذي جمعه وكنزه إذا تردى وسقط في عذاب جهنم.

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣ ﴾ إن علينا الإرشاد إلى طريق الهداية ونبين لهم طريق الحق من طريق الضلالة، وإن لنا ملك ما في الآخرة والدنيا، فمن سأل غيري فقد أخطأ وخسر.

قال تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ ﴾ فأنذرتكم يا كفار قريش من نار جهنم التي تلتهب من شدة حرارتها واشتعالها، لا يدخلها في العذاب السرمدي إلاَّ الأشقى الذي كذب بأخبار رسل الله عنها وأعرض عن الإيمان بربه.

وقال تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١ ﴾ قال المفسرون: الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يشتري من عذب في الإسلام من مواليهم ويعتق، ومن جملتهم بلال بن رباح رضي الله عنه مؤذن رسول الله، وقال المشركون لا يفعل ذلك إلا ليد تنفعه ويكافئه، فأنزل الله: وسيجنبها الأتقى إلى آخرها. والمعنى وسيبعد الله عن نار جهنم الذي اتقى الله وأعطى ماله في سبيل الله يتطهر من الذنوب بالصدقات، وما أراد بإنفاقه

من أحد مكافأة في الدنيا إلاَّ ابتغاء وجه ربّه الأعلى، ولا يريد سمعة ولا رياء، إلاَّ خالصًا لله تعالى يريد مرضاته وما يقرِّب منه ولسوف يعطيه الله جزاء إنفاقه في الجنة حتى يرضى عن ما وهب الله له من الجزاء أضعافًا على جزائه.

الحمد لله، تمَّت سورة الليل بعون الله.

* * *

سورة الضحى
آياتها إحدى عشرة آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾ أقسم الله بالضحى وهو أول النهار إلى قيام الشمس، وبالليل إذا أظلم وسكن فيه كل ذي نسمة، وجواب القسم: ما تركك ولا قلاك ربك وما أبغضك منذ اختارك للرسالة، فاصبر على أذى المشركين لتبليغ أمري إليهم، ولَثَواب الآخرة خير لك من الدنيا، ولسوف يعطيك ربك من النصرة على أعدائك الكافرين حتى تطمئن منهم، ويعطيك المقام المحمود والحوض المورود حتى ترضى. وسبب نزولها أنه فتر الوحي أيامًا عن رسول الله ﷺ، وقال المشركون: ترك محمدًا ربُّه وقلاه. فحزن رسول الله لذلك فأنزل الله السورة وسلى بها رسوله ﷺ.

ثم ذكر سبحانه وتعالى امتنانه له: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾ استفهام لإظهار المِنَّة من الله والتذكير. والوجود هنا بمعنى العلم والكون: ألم يجدك، ألم تكن يتيمًا فآواك على حجر جدك ثم عمك أبي طالب وأحسن تربيتك وحَضَنَك من

أذى اليهود حتى بلغت سن الرشد؟. وكنت غافلاً عما يراد بك من أمر النبوة فهداك وأرشدك بالإلهام والوحي عندما بلغت من عمرك أربعين سنة، فهداك إلى دين الإسلام وعلمك علم الإيمان بالله وحده وعلمك العبادات له، وأرسلك الله بالرسالة إلى قومك وكافة الثقلين لتدعوهم إلى توحيد الله وعبادته وتعلمهم معالم دينهم الذي شرع الله لهم، وشرفك بها على عالم الإنس والجن. وكنت في قومك عائلاً، أي: فقيرًا لا مال لك لأنك لم ترث شيئًا من والديك فأغناك بمال زوجتك خديجة بنت خويلد وما بخلت عليك بمالها أبدًا، وهي راضية عن صرف مالها للنبي ﷺ، وأرضاك بما أعطاك من الرزق.

ثم نهى الله عن إيصال الأذى لليتيم والسائل، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ فأما اليتيم فلا تغضب عليه وتقهره وتظلمه، فإنك قد ذقت ألم اليتم فادفع إليه حقه واذكر يتمك، وأما السائل عن حاجة في أمر دينه أو دنياه أو من فقره أو قضاء مشكلاته فلا تزجره، بل تسمع كلامه وتقضي حاجته.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾، أي: انشر وحدث بما أنعم الله عليك من نعم، كالإيواء بعد اليتم، والوحي والعلم والغنى، وذلك بالشكر والثناء على الله، والاعتراف بها لله. وتبليغ الرسالة، وتعليمها للناس. وذكر النعمة أمام الناس. ومنها أن تظهر النعمة على الإنسان بثوبه وصحته ومسكنه وغير ذلك. والله أعلم.

الحمد لله، تمّت سورة الضحى بعون الله.

❋ ❋ ❋

سورة الشرح

آياتها ثماني آيات، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾ وهذه من جملة ذكر امتنانه جلَّ وعلا في سورة الضحى: الاستفهام للمنَّة من الله والتذكير: ألم نشرح لك صدرك يا محمد للرسالة إلى قومك وكافة الإنس والجن، وحططنا عنك ذنبك الذي انقض ظهرك لثقله حتى سمع له صوت فيما قصرت في العبودية قبل الرسالة، ورفعنا لك ذكرك حيث قرن الله ذكره بذكر اسمه بالشهادتين، ورفعنا ذكرك بالرسالة، لا يَذْكُرِ المؤمن اسمه إلاَّ صلَّى وسلَّم عليه. وقيل: رفعه بالتأذين.

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ في الآية تسلية ووعد لرسول الله وأصحابه، وكان رسول الله وأصحابه في ضيق من أذى المشركين: فإن مع العسر يسرًا، أي: إنَّ مع الضيق والشدَّة يسرًا، سعة وغنى، فرجًا من الكرب. إن مع العسر يسرًا، تكرارها لتأكيد حصول اليسر والفرج من الكرب وفي الحديث: «لن يغلب عسر يسرين» لأن لفظ العسر ذكر بالألف واللام للعهد في موضعين وهو

شيء واحد، واليسر ذكر بالنكرة في موضعين هو متعدد، فإذا فرغت من تبليغ أمري إلى قومك فقم في عبادة ربك واستغفر لذنبك وللمؤمنين وللمؤمنات. أو فرغت من صلاتك، فبالغ في الدعاء لله وسله حاجتك أو إذا فرغت من الفرائض فانصب للنوافل وقيام الليل. وقيل غير ذلك. ثم إلى ربك فارغب بالدعاء والاستغفار أو إلى لقاء ربك فارغب.

الحمد لله، تمّت سورة الشرح بعون الله.

* * *

سورة التين

آياتها ثمانية آيات، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ أقسم الله بشجر التين والزيتون. وطور سينين، اسم جبل في سيناء مصر، كلم الله فيه موسى عليه الصلاة والسلام، وهذا البلد الأمين، مكة المكرمة شرفها الله وجعلها أمنًا لأهلها ولمن جاء إليها لآداء نسك الحج أو العمرة.

وجواب القسم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ لقد خلقنا جنس الإنسان في أحسن هيئة، في قامته وأعضائه المستوية، وأجمل منظر في وجهه ولونه، وأعطاه الله عقلاً وبصرًا وسمعًا ومنطقًا وقوة في بدنه، وتوجب تلك النعم عليه الإيمان بخالقه والطاعة له.

فإن لم يؤمن بخالقه ولم يشكر بنعمائه وكفر بها وارتكب المعاصي رددناه أسفل سافلين في دركات جهنم، وقيل: رددناه إلى أرذل العمر، وهذا قول ضعيف، ونحن نشاهد كم من ذي هرم قائم في طاعة الله، وحياته محمودة، ولهذا استثنى الله منهم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ إلاّ الذين آمنوا بربهم، وصدقوا برسالة رسلهم، وعملوا

الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر ربهم لهم ثواب في الجنة غير منقطع، ونعيمها سرمدي يتنعمون فيها أبدًا.

ثم خاطب الله الإنسان الكافر موبخًا وملزمًا له بالحجة ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ فأيّ شيء حملك على التكذيب بيوم الحساب والجزاء بعد ظهور هذه النعم في ذات نفسك؟ أفأنت تنسى نفسك وعاقبة أمرك؟ ثم نبه الله الإنسان وقال: (أليس الله بأحكم)، أي: بأعدل (الحاكمين) في فصل القضاء بين الخلق وأعمالهم ليوم الحساب؟ بلى يا ربنا، ونحن المؤمنون على ذلك من الشاهدين. وفي الحديث: «من قرأها فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين».

الحمد لله، تمَّت سورة التين بعون الله.

* * *

سورة العلق

آياتها تسع عشرة آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ هذه الآيات الخمس هي أول ما نزل من القرآن على رسول الله بغار حراء، وقصتها مذكورة في أول صحيح البخاري. اقرأ، أي: ابدأ قراءة ما أنزل إليك من القرآن باسم ربك الذي خلقك، خلق عامة الإنسان من علق، أي: من دم جامد رطب، والعلق يكون بعد النطفة، فالمقصود: من نطفة آبائهم. اقرأ القرآن لأمتك تعليمًا لهم وبيِّن معانيه وأحكامه، وربّك يا محمد هو أكرم الأكرمين بحلمه، لا يعجل العقوبة على عباده، وقيل: اقرأ يا محمد وربّك يعينك ويفهمك وإن كنت غير قارىء، فهو أكرم من أن يعاقبك على ذلك، فهو المتجاوز عن جهل العباد قبل التعلم. هو الله الذي علم الخط والكتابة بالقلم ليثبت الناس معاملاتهم بالتسجيل، والكتابة في التسجيل أحفظ للحقوق، فلا يضيع منها شيء، علم، أي: ألهم الإنسان، أي: أبو البشر آدم عليه السلام علَّمه أسماء كل شيء كما ورد في التنزيل، ثم توارثت ذرِّيَّته ذلك خلفًا بعد سلف يتعلَّمون لشؤون حياتهم بأمر الله بعد أن كانوا لا يعلمون شيئًا في بطون أمهاتهم.

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ ﴾ قيل نزلت الآية في أبـي جهل، والعبرة بعموم اللفظ، وحكمها عام على كل إنسان طاغي. والمعنى: حقًّا إن مـن طبيعة بعض الناس الطغيان، فمنهم من طغى بعد أن رأى مالاً كثيرًا استغنى وبطر. ثم توعد الله الإنسان الطاغي: إن إلى ربك أيها الطاغي المرجـع بأعمالك وطغيانك فيحاسبك ويجازيك.

ثـم التفت بالخطاب ليظهر شناعـة أبـي جهل في طغيانه على رسول الله فقال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ ﴾ وسبب نزول هذه الآيات، أن أبا جهـل المجرم قـال: إذا رأيت محمدًا يصـلي لأطأن قدمي على عنقه. فبلغت رسول الله مقالته الخبيثة، وقال رسول الله: «لو فعل هذا لأخذته الملائكة بالعقاب»، وحصل أن وكان رسول الله يصلي عند البيت فجاء أبو جهل ليطأ قدمه على عنقه الشريف فلم يصل إلى رسول الله ﷺ ونكص عـلى عقبيه يتقي وجـهـه بيده، قالوا: ما لك ترجع على ورائك فقال: رأيت بيني وبينه خندقًا من نار وهول وأجنحة، فقال رسول الله: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا. ومعنى الآيات التي نزلت في أبـي جهل اللعين: أرأيت يا محمد الذي ينهى عبدًا إذا صلى لربه؟! أرأيت إن كان المصلي على الهداية في طاعة ربه أو أمر الناس بالأمر بالمعروف والتقوى في طاعة الله؟! أرأيت هذا الناهي عن الصلاة، إنه كذب بالقرآن وأعرض عن الإيمان به!! ويله: ألم يعلم هذا المجرم بأن الله يرى أعماله وما في ضميره من العناد والكفر على المصلي؟. قيل: في الكلام حذف، والمعنى: هل أَمِن هذا الناهي عن الصلاة والمكذب

بالقرآن من العقوبة؟ والآمر بالتقوى هو محمد ﷺ، والناهي عن الصلاة والمعرض عن الإيمان بالقرآن هو أبو جهل اللعين.

ثم توعد عليه بحرف الردع ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝١٨ ﴾ ردع عليه، لئن لم ينته عن كفره وأذاه لرسول الله والمؤمنين وتكذيبه بالقرآن لنأخذنه بناصيته، مقدم شعر الرأس، إنها ناصية رجل ذو نفس كاذبة في قولها خاطئة في فعلها، والخاطىء مأخوذ بفعله. فليدع جلساءه في ناديه ينصرونه من عقوبة الله سندع زبانية جهنم لتجره إلى جهنم فيخلد فيها.

﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ۝١٩ ﴾ كلا ليس الأمر على ما يظن أبو جهل، ولا تخف يا محمد من وصول أبـي جهل إليك بأذى، فلا تطع يا محمد آراء هذا الطاغي وغيره من المفسدين، إنما اسجد لله، في صلاتك، وعند سجود التلاوة، واقترب، أي: تقرب إلى الله بالدعاء حالة السجود أو بالطاعة في كل أمرك والعبادة لله حتى يأتيك اليقين.

الحمد لله، تمّت سورة العلق بعون الله.

* * *

سورة القدر

آياتها خمس آيات، وهي مكية وقيل مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ نحن أنزلنا القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر وضع في بيت العزة ثم أنزله الله بالوحي منجمًا مع جبريل عليه السلام، أي: متفرقًا على حسب الوقائع في أمته صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم في ثلاث وعشرين سنة. ومن أعلمك وعرفك يا محمد ما هي ليلة القدر؟ قال مجاهد: ليلة الحكم، ليلة التقدير، ثم عرَّفها وبيَّن فضلها وعظمها: ليلة القدر، ثواب قيامها والعمل فيها بطاعة الله خير من العمل أو حمل السلاح في الجهاد في سبيل الله في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر. وسبب ذكر فضيلة الليلة أنه كان رجل في بني إسرائيل لبس السلاح مجاهدًا في سبيل الله ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك، وتمنَّى رسول الله ليكون مثل هذا الرجل في أمته، فأعطاه الله ليلة القدر، والعبادة فيها أكثر ثوابًا من حمل السلاح في الجهاد في سبيل الله ألف شهر، وكذا صيام نهارها.

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ تتنزل الملائكة متتابعات، وجبريل عليه السلام في ليلة القدر بأمر الله إلى الأرض، بكل أمر قضاه الله في تلك السنة إلى السنة القابلة، سلام، أي: سلامة من كل شر لأهل الأرض، تلك السلامة من غروب الشمس إلى مطلع فجر الصبح.

الحمد لله، تمّت سورة القدر بعون الله.

* * *

سورة البيِّنة

آياتها ثماني آيات، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ يخبر سبحانه وتعالى عن شأن اليهود والنصارى والمشركين، وكان اليهود يزعمون أن عزيرًا عليه السلام ابن الله، والنصارى يزعمون أن عيسى عليه السلام ابن الله، والمشركون يعبدون الأصنام: لم يكن هؤلاء منتهين عن كفرهم بالله، مائلين عنه ولا يزالون حتى أتتهم حجة واضحة لبطلان ما يدعون، أي: اليهود والنصارى، ودعواهم في العزير وعيسى وعبادة المشركين للأصنام. وقيل في المعنى غير ذلك.

ثم أوضح البينة بقوله: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ هو محمد عليه الصلاة والسلام، جاءهم بالرسالة يقرأ لهم عن ظهر قلبه كما سمع من جبريل عليه السلام صحفًا، جمع صحيفة، والمراد منها القرآن الكريم لا زيغ ولا الباطل فيه، مطهر عن الزور والشك والباطل، إنه كلام الله. وفيها، أي في القرآن آيات الأحكام التشريعية لأهل دين الإسلام مستقيمة، مستوية، محكمة، صحيحة، ذات قيمة.

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾

ولكن ما اختلف اليهود والنصارى في رسالة محمد عليه الصلاة والسلام إلاّ من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة، أي: القرآن، موافقًا لما في كتبهم على بعثة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان بنعته وصفته، وهو خاتم الأنبياء والرسل وهم منتظرون بعثته، فلما جاء بالرسالة، حسدوا وجحدوا به فمنهم من آمن ومنهم من كفر وجحد، فاختلفوا، وقد خصَّ أهل الكتاب هنا لمظنة العلم فيهم فإذا تفرقوا كان غيرهم أدخل في هذا الوصف.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل إلاّ ليعبدوا الله فيوحّدوه بالعبودية؛ ولا يشركوا به شيئًا مخلصين له العبادة، لا سمعة ولا رياء، مائلين عن الأديان الباطلة إلى دين الحق وهو دين الإسلام، وأمروا بإقامة الصلاة المكتوبة على الوجه المشروع عليهم بأوقاتها وحدودها وأمروا بأن يعطوا زكاة أموالهم للفقراء والمساكين بغير بخس ويضعوها في محلها. وذلك الذي أمرنا لهم هو دين القيمة، أي: الدين المستقيم، دين الملّة المستقيمة إلى رضوان الله القائمة بالحق.

ثم ذكر سبحانه وتعالى عاقبة الكافرين والمؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦﴾ إن الذين جحدوا رسالة محمد عليه الصلاة والسلام وجحدوا القرآن الكريم من اليهود والنصارى والمشركين الذين عبدوا الأوثان، جميعهم يوم القيامة في نار جهنم، مقيمين فيها لا خروج لهم منها، أولئك هم شر الخلق في العذاب الدائم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾ إن الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر ربهم واتباعًا لسنة نبيهم، أولئك هم خير الخلق في نعيم الجنة.

قال تعالى: ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ ثواب إيمانهم بالله وأعمالهم الصالحات عند ربهم، وخالقهم ومالكهم، جنات إقامة، تجري مياه الأنهار تحت أصول أشجارها وأمام قصورهم، مقيمين فيها أبدًا، لا يظعنون ولا يموتون. رضي الله عن إيمانهم وأعمالهم الصالحات، ورضوا هم بما أثابهم الله في الجنة، ذلك الجزاء الحسن في الجنة هو لمن خاف الله بالغيب قبل رؤية عقابه فترك المعاصي.

الحمد لله، تمّت سورة البينة بعون الله.

* * *

سورة الزلزلة

آياتها ثماني آيات، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ ﴾ إذا زلزلت الأرض، أي: تحركت واضطربت اضطرابًا شديدًا من أصلها، وذكر المصدر (زلزالها) للتأكيد. وتتابعت الزلزلة حتى ألقت الأرض ما عليها من جبال وقصور وأشجار، وأخرجت ما في بطنها من أموات. حينئذ قال الإنسان الكافر بقيام الساعة ما لها؟ أي: ما لها زلزلت؟ وأما المؤمن بقيام الساعة فيقر أنها من قيام الساعة.

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ ﴾ يومئذ تخبر بما عمل الناس على ظهرها من خير أو شر فتشهد لهم أو عليهم ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ ﴾، أي: وتحدث أخبارها لأن الله أمر لها وسخَّرها بأن تشهد بأعمال الخلق.

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ يوم القيامة يخرج الناس من قبورهم أحياء متفرقين فرقًا فرقًا يُبعثون من أقطار الأرض، ويحشرون إلى موقف الحساب وفصل الحكم بالجزاء، وقيل يخرج الناس

من موقف الحساب متفرقين فريق إلى الجنة وفريق إلى جهنم، ليروا جزاء أعمالهم، فالمؤمنون يروا جزاء أعمالهم وثوابها في الجنة يتنعمون فيها أبدًا، والكافرون يرون جزاء أعمالهم في جهنم فيخلدون فيها أبدًا، فمن يعمل زنة ذرَّة خيرًا من الأعمال يرى جزاءه من الخير ويقبل منه ومن يعمل زنة ذرَّة شرًّا من الأعمال يرى جزاءه شرًّا ويعذَّب عليه.

الحمد لله، تمَّت سورة الزلزلة بعون الله.

* * *

سـورة العاديـات

آياتها إحدى عشرة آية، وهي مكية
وعند البعض مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ أقسم الله بخيل المجاهدين إذا عدون بسرعة يسمع منها ضبحًا، أي: صوتًا من بطنها. وقيل من أنفاسها. [الأول قد شاهدنا وسمعنا منها والثاني إذا تعبت يسمع منها سرعة التنفس متتابعة]، فالموريات قدحًا، أي: الخيل التي توري نارًا إذا أصابت حوافرها، أي: سنابكها حجرًا، فتقدح نارًا، فالخيل المغيرات صبحًا براكبها على العدو، فأثارت هذه الخيل التي ضبحت من شدَّة عدوها وقدحت سنابكها نارًا وهي مغيرة عند الصباح، أثارت أيضًا الغبار بشدة عدوها وركضها حتى بلغت براكبيها وسط جمع من العدُوّ، أي: الذي أغاروا عليه. توسطن بسرعة عدوها جمعًا من العدو ففرقتهم. وعند البعض: يراد بجمع: مزدلفة.

والمقسم عليه ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾، أي: لَجَحُود كافر على نعماء الله يذكر المصائب وينسى النعم ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ

لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ وإن الإنسان الجاحد بنعماء الله لشاهد على نفسه وإنه لحب جمع المال لحريص أشد الحرص.

﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ استفهام للتقريع والتخويف، أفلا يعلم هذا الجاحد بنعماء الله البخيل بماله إذا أثير وقلب وبحث ما في القبور حتى أخرج وأبرز على وجه الأرض، ومُيِّز وأظهر وأبرز ما في صدور الإنسان من الخفايا التي كانوا يضمرونها من خير أو شر إن ربهم بأعمالهم لخبير عليم لا يخفى عليه خافية في ذلك اليوم وغيره، ولكن المراد أنه يوم القيامة خبير وعليم بهم فيحاسبهم على أعمالهم ويجازيهم جزاء وافيًا.

الحمد لله، تمَّت سورة العاديات بعون الله.

* * *

سورة القارعة

آياتها إحدى عشرة آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ ﴾

القارعة: القيامة والساعة، وسُمِّيت يوم القيامة بالقارعة لأهوالها وشدائدها فإنها تقرع القلوب وتفزعها. ثم استفهم على جهة التعظيم أيّ شيء القارعة؟ ثم أعاد الاستفهام للتفخيم وأيّ شيء أعلمك يا محمد ما هي القارعة؟ كل ما تقدم للفت الانتباه إلى أهمية القضية وعظمها. ثم وصفها: يوم القارعة يوم يبعث الناس من قبورهم أحياء فينتشرون كالفراش المبثوث حول السراج يتهافتون عليها، فالناس منتشرون في غوغاء من هول المبعث. وتكون الجبال الشامخات الراسيات كالصوف المندوف.

ثم ذكر سبحانه وتعالى حالة الناس على قسمين ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾ فأما من ثقلت موازين أعماله فهو في الجنة في عيشة مرضية على الأبد، وأما من خفت موازين

أعماله فمقره ومأواه الهاوية وهي اسم من أسماء جهنم. وأيّ شيء أعلمك يا محمد ما هي الهاوية؟ قال تعالى: (نار حامية) قد انتهت حرارتها في شدة الحرارة.

الحمد لله، تمّت سورة القارعة بعون الله.

* * *

سورة التكاثر

آياتها ثماني آيات، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ ألهاكم أيها الناس التكاثر بالمال والأولاد والتفاخر، وشغلكم عن طاعة الله، وأوقعكم في الغفلة عما فيه سعادتكم في الدنيا والآخرة، حتى متم وزرتم المقابر ودفنتم فيها. وقيل: كانت قبيلتان تتفاخران بكثرة نفوسهما، يدفنون موتاهم كل واحد في قبر خاص حتى زاروا المقابر يعدون موتاهم، فأنزل الله ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ ردع على تكاثرهم وتفاخرهم، ليس الأمر على ما أنتم عليه من التفاخر والتكاثر فإنكم سوف تعلمون عاقبة أمركم، (ثم كلا سوف تعلمون)، تكرارها لتأكيد الوعيد أو أنه وعيد بعد وعيد.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾ (كلا) زجر وتنبيه، حقًّا لو تعلمون عاقبة اشتغالكم لجمع الأموال والتفاخر عن طاعة الله علم يقين، أو لو تعلمون اليوم من البعث ما تعلمونه من التفاخر لاشتغلتم به عن التفاخر وجمع المال، وجواب لو محذوف وتقديره: لما اشتغلتم بجمع الأموال والتفاخر، وقيل: لو تعلمون علم الموت.

﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ﴾ هذا وعيد آخر، أي: لترون الجحيم في الآخرة، وقيل: تحشرون إليها فترونها، أي: ترونها بأبصاركم على البعد.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ﴾ وبعد الموت لترونها عين اليقين بالمشاهدة، وإخبار عن دوام مقامهم فيها، والخطاب هنا للكفار. أما المؤمنون فيمرُّون بها مرورًا دون حرق ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ ثم لتسألن أيها الناس مؤمنون وكافرون عما تنعمتم بنعيم الدنيا فهل شكرتم أم كفرتم؟!

وقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، في حديث طويل: أن النبي ﷺ ومعه أبو بكر وعمر خرجوا ذات ليلة من جوع، فاستضافهم صاحب بستان، فأكلوا وشربوا حتى شبعوا، فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لتسألُنَّ عن نعيم هذا اليوم، يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم».

الحمد لله، تمَّت سورة التكاثر بعون الله.

* * *

سورة العصر

آياتها ثلاث آيات، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ أقسم الله بالعصر: هو الدهر والزمان، إن الإنسان في اتباع هوى نفسه وشهواتها لفي خسران وضياع ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ إلاّ الذين آمنوا بربهم وصدقوا برسالة رسول الله وبالقرآن الكريم وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله واتباعًا لسنة رسول الله، وتواصوا، أي: وصى بعضهم بعضًا بالأمر بالمعروف في الشريعة الإسلامية، وتواصوا بالصبر في طاعة الله، وعلى المصائب، وبترك المحرمات.

الحمد لله، تمّت سورة العصر بعون الله.

* * *

سورة الهمزة

آياتها تسع آيات، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ ﴾
ويل، أي: عذاب شديد لكل عيّاب ومغتاب لخلق الله، لمّاز وساخر من الناس، الذي جمع مالاً كثيرًا وأحصاه، وحافظ على عدده كيلا ينقص عدده، فمنعه من التصدق للفقراء وذوي الحاجة، يحسب أن ماله أخلده في الدنيا لا يموت. وقيل: نزلت في أخنس بن شريق، وقيل: في الوليد بن المغيرة، هما كثيرا الأذى والعيب والطعن برسول الله والمؤمنين، فتوعد الله عليه:

﴿ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩ ﴾ حقًّا ليُطرحن هذا العياب الطعان في الحطمة، وأي شيء أعلمك ما هي الحطمة؟ ثم فسّرها: نار الله الموقدة، أي: مسعرة شديدة الحرارة، حرارتها وإيلامها تطلع على الأفئدة: جمع فؤاد، وهو القلب، إن نار جهنم على أهل جهنم مطبقة أبوابها، في عمد ممددة، في زمن ممددة، لا نهاية لها، وقيل: في أغلال ممددة مشدودة عليهم.

الحمد لله، تمّت سورة الهمزة بعون الله.

سـورة الفيـل

آياتها خمسة آيات، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾﴾ ألم تعلم يا محمد كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، وقال المفسرون: إن أبرهة الأشرم ملك اليمن بنى بيتًا في اليمن ليرد الحجاج إليه عن الكعبة، وسمع رجل من كنانة به فأتى اليمن ودخل ذلك البيت ليلاً فتغوط فيه ولطخ القذرة على جدار البيت، ورأى أبرهة ذلك فحلف أنه يهدم الكعبة المشرَّفة، وجهَّز جيشًا وأفيال ليأتي مكة لهدم البيت، ولما دنا من مكة وفر أهلها إلى الجبال وأرسل أمير الجيش إلى مكة أنهم جاؤوا لهدم البيت لا يصيب أهل مكة شيئًا إن هم لم يمنعوهم. وكان عبد المطلب رئيس أهل مكة قال: إنَّ للبيت ربًّا هو يحميه، ولما قرب الجيش من مكة في وادي المحسر أرسلوا الفيل الكبير من الأفيال لهدم الكعبة المشرَّفة، فلم يمش أبدًا، وكلما وجهوه إلى اليمن مشى وهم متعجبين من حالة الفيل، ثم أرسل الله طيورًا، وكل طير معه ثلاث أحجار مثل الحمص، واحد في منقارها واثنين في رجليها، ورمت عليهم، وكان الحجر يصيب رؤوسهم، ويخرج من دبرهم، فأهلكتهم جميعًا إلاَّ رجلاً واحدًا هرب إلى اليمن، وطير واحد فوقه حتى وصل إلى

أبرهة فحكى الحادثة لأبرهة، ولما انتهى من ذكر الحادثة رمت عليه فمات. وذكر الخازن القصة كاملة.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ ألم يجعل الله مكرهم في تخريب الكعبة المشرفة في خسران؟ لم يبلغوا مقاصدهم، وأرسل الله لإهلاكهم طيرًا مثل أبابيل ترمي على رؤوسهم بحجارة من طين مطبوخ في نار جهنم فجعل رؤوسهم كقشر الحب المأكول، أي: جلد من غير جسد.

الحمد لله، تمّت سورة الفيل بعون الله.

* * *

سورة قريش

آياتها أربعة آيات، وهي مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾ اختلفت أقوال المفسرين في لام (إيلاف) بعضهم قال: متعلقة بالسورة التي قبلها، والقائلون هذا القول جعلوا السورتين سورة واحدة ولم يكتبوا البسملة بينهما، والمعنى: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، أي: أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش...

وبعضهم قال: إنها لام التعجب، أي: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، ثم بعد ذلك تركوا عبادة رب هذا البيت...

وبعضهم قال: اللام متعلقة بما بعده، والمعنى: فليعبدوا ربَّ هذا البيت الذي أكرمهم بإيلافهم رحلة الشتاء والصيف آمنين مطمئنين بأنهم أهل الحرم، أي: جعلنا مكة بلدًا آمنًا عن اعتداء الناس عليهم والناس يتخطفون من حول مكة وأهل مكة آمنون من ذلك، وكل الناس يحترمون أنهم سكان بيت الله الحرام. وكان أهل مكة عيشتهم بالتجارة يرتحلون إلى الشام صيفًا وإلى اليمن شتاء آمنين من الغارات وذلك الامتنان لهم.

﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ﴾ شاكرين له، لا يعبدوا الأصنام والأوثان، فالله ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾ المعبود الحق، هو الله واحد لا غيره، أطعمهم في حالة جوعهم ووسع لهم أرزاقهم بالتجارة وآمنهم من خوف الغارات والاعتداء عليهم وهم يسكنون في بلدهم مكة مطمئنين.

الحمد لله، تمَّت سورة قريش بعون الله.

* * *

سورة الماعون

آياتها سبع آيات، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ قيل: نزلت في العاص ابن وائل السهمي، وقيل: في الوليد بن المغيرة، وقيل: في المنافقين، وقيل غير ذلك. هل تعلم يا محمد الذي يكذب بالقرآن وبيوم الحساب والجزاء منكرًا البعث؟! فذلك الطاغي الذي يدفع اليتيم عن حقّه دفعًا شديدًا ليأخذ ماله، ولا يرحمهم كراهية لهم ولا يطعمهم، ولا يأمر غيره بإطعام المسكين، وذلك من شدة بخله على ماله ومال غيره.

ثم توعد الله المنافقين ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ عذاب شديد للمنافقين الذين من صفاتهم أنَّهم عن صلاتهم غافلون، لا يصلُّون الصلاة على أوقاتها، وإذا صلوا يراؤون في صلاتهم على الناس، ليقال: فلان صلى، ويمنعون الماعون: أدوات البيت كالقدر والإناء والفأس والقدُّوم والسكاكين فلا يعيرونها لجيرانهم أو لطالبها، وقيل: الزكاة، وقيل:

الطاعة، وقيل: كل أنواع المعاونة والمعروف، وقيل غير ذلك، وذلك المنع من بخلهم، وعلى هذا المعنى كما قال بعض المفسرين نصفها الأول مكية وآخرها أربع آيات مدنيّة.

الحمد لله، تمَّت سورة الماعون بعون الله.

* * *

سورة الكوثر

آياتها ثلاث آيات، وهي مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ إنا أعطيناك يا محمد ماء الكوثر وهو في الجنة، ترد به أمتك، ومن شرب منه لا يظمأ أبدًا، وأورد الخازن في تفسيره عددًا من الأحاديث في فضله، فهو أعظم الأنهر في الجنة، وماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وحافتي النهر من زبرجد، وكيزانه من فضة، على قدر أهل الجنة.

ثم أمر الله رسوله محمدًا ﷺ شكر الله والإدامة على الصلاة فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾، أي: داوم على الصلاة لربك يا محمد، وقال البعض: هي صلاة العيد، وإذا أردت أن تذبح انحر باسم ربك. وفي قوله تعالى تحذير عن التشبه بالمشركين إنهم يذبحون ذبيحتهم باسم أصنامه.

والمعنى: إذا صلّيت فصلِّ لله الذي لا إله غيره، وإذا نحرت فانحر لله الذي لا إله غيره، والخطاب موجّه إلى أمة الإسلام أيضًا.

وعندما طعن المشركون رسول الله بقولهم: لا عقب له من ولد ذكر فهو أبتر، أنزل الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ إن عايبك ومبغضك هو الأبتر، لا يذكر بعد موته أبدًا. فهو المقطوع من الذرِّيَّة ومن رحمة الله.

الحمد لله، تمَّت سورة الكوثر بعون الله.

* * *

سورة الكافرون

آياتها ست آيات، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

كانت قريش قد قالت للعباس بن عبد المطلب: لو أنَّ ابن أخيك أسلم لبعض آلهتنا لصدَّقناه بما يقول ولآمنّا بالإلـه، فأتاه العباس فأخبره، فنزلت السورة، وقيل في سبب نزولها غير هذا، ومعنى السورة: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين طالبوك أن ترجع إلى دينهم: يا أيها الكافرون لا أعبد الأصنام التي تعبدونها في أي حال من الأحوال، لا في الماضي ولا الآن ولا في المستقبل، ولا أراكم تعبدون الذي أعبده، ثم أعاد للتأكيد: ولا أنا عابد الذي عبدتموه في أي حال، ولا أنتم عابدون الإلـه الذي أعبده، فلذا: لكم دين شرككم وكفركم، ولي ديني الذي شرع الله لعباده المؤمنين.

وقال الخازن: لكم دينكم ولي ديني منسوخة بآية القتال.

الحمد لله، تمَّت سورة الكافرون بعون الله.

سورة النصر

آياتها ثلاث آيات، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ
أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣ ﴾ .

في السورة بشارة للنبي ﷺ بفتح مكة وبإسلام قبائل العرب طائعين بغير قتال، والمعنى: إذا فتح الله لكم مكة ونصرك على أهلها ورأيت القبائل يدخلون في دين الإسلام جماعة جماعة بغير قتال. وكانوا ينتظرون فتح مكة لرسول الله، فسبح ملتبسًا بحمد ربك، شاكرًا لربك، واستغفر عما قصرت في تبليغ أمري ولذنوب أمتك، إنه جلّ وعلا كان توابًا، أي: قابلاً توبة عباده المؤمنين.

الحمد لله، تمّت سورة النصر بعون الله.

* * *

سورة المسد

آياتها خمس آيات، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ
نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥ ﴾.

سبب نزول السورة: دعا رسول الله أقاربه بعد أن جمعهم إلى الإيمان بالله وحده فلا يشركوا به شيئًا، فقال أبو لهب اسمه ــ عبد العزى ابن عبد المطلب ــ ألهذا تدعونا؟ تبًّا لك. وأشار بيده إلى رسول الله. فنزلت الآيات: والمعنى: تبت، أي: هلكت يدا أبـي لهب، وهلك وخسر في عمله وعناده على رسول الله والمؤمنين. ما أغنى وما نفع ماله حين أصابه الله بمرض في معدته كالطاعون، وما نفعه الذي اكتسبه من جمع المال والأولاد، سيدخل نار جهنم ذات الاشتعال، وامرأته حمالة الحطب التي كانت تؤذي رسوله الله بوضع الحطب عليه حين سجوده سيكون لها في نار جهنم حبل من نار فُتِلَتْ تلتف حول عنقها ورأسها كما كانت تفعل وهي تحمل الشوك وترمي به على طريق رسول الله.

الحمد لله، تمّت سورة المسد بعون الله.

* * *

سورة الإخلاص

آياتها أربعة آيات، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

سأل المشركون رسول الله ﷺ: صف لنا ربك يا محمد، فأنزل الله السورة. والمعنى: قل لهم يا محمد هو الذي تسألونه، هو الله الواحد الأحد في ذاته وصفاته، وفي ألوهيته وربوبيته، هو المعبود الحق، لا معبود سواه، وهو الخالق لكل شيء من العدم للوجود، (الله الصمد)، أي: المقصود في قضاء الحاجات لا أحد يقضي حوائج الخلق إلاَّ هو، الغني عن كل شيء، لا يزال يعطي لمن شاء ويقضي حاجة من شاء.

ثم رد على من زعم أن له ابنًا كاليهود الذين ادعوا أن العزير عليه السلام ابن الله وكالنصارى الذين ادعوا أن عيسى عليه السلام ابن الله، ومشركو مكة الذين ادعوا أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عما يصفون علوًّا كبيرًا، فذكر إنه تعالى لم يلد من أبوين، هو الأول قبل كل شيء، هو كان ولم يكن شيء، وكل شيء يفنى وهو الحي الدائم لا يفنى، ولم يولد

له، لأن الولد من جنس أبويه، ولم يكن له صاحبة، ولا يجانسه شيء من خلقه، ليس كمثله شيء ولم يكن له أحد من خلقه كفوًا، هو الواحد، أي: لا يماثله في ذاته وألوهيته وربوبيته شيء، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. والله أعلم بما هو الصواب.

الحمد لله، تمَّت سورة الإخلاص بعون الله.

* * *

سورة الفلق

آياتها خمس آيات، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ .

سبب نزول سورتي المعوذتين (الفلق والناس): «أنه كان غلامٌ من اليهود يدخل في حجرته عليه الصلاة والسلام ليخدم له، فدسَّت عليه اليهود، ولم يزالوا به حتى أخذ مشاطة شعره عليه الصلاة والسلام وسنانًا من مشطه وأعطاها للبيد بن الأعصم اليهودي، فسحر عليها وعقد إحدى عشرة عقدة وغرز الإبر عليها فانتشر السحر على النبي ﷺ، ومرض أيامًا، فجاءه ملكان وهو نائم، فشعر بهما رسول الله ﷺ، وقال أحدهما: ما شأن الرجل؟ قال الآخر: مطبوب، أي: مسحور، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي ــ قال: في ماذا؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر ــ أي: في مشاطة شعره في جف طلعة ــ تحت راعوفة في بئر ذي أروان. فانتبه رسول الله من نومه، وأرسل عليًّا والزبير وعمار ابن ياسر رضي الله عنهم إلى البئر التي وصفها الملك، وجاؤوا عندها وإذ ماءها احمرت من أثر السحر فأخرجوا الجف اليابس من قشر الطلعة، وجاؤوا

بها إلى النبي ﷺ، وإذ بها مشاطة شعره عليه الصلاة والسلام وسنان مشطه والشعر معقدة إحدى عشر عقدة مغروزة عليها الإبر فأنزل الله السورتين، فقرأ رسول الله عليها فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى في تمام السورتين انحلت كل العقد، ووجد رسول الله ﷺ خفة ونشاطًا، فقام صحيحًا نشيطًا. وجعل جبريل يرقيه ويقول: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك من شر حاسد وعين، والله يشفيك». وفيها دليل على جواز الرقية بكتاب الله وبما ثبت عن رسول الله، ــ وأما ما لا تجوز الرقية به فهو مشعوذات الساحرين والكهانين ــ .

ومعنى سورة الفلق: قل يا محمد: ﴿أعوذ برب الفلق﴾ الفلق: الصبح، هو أول بداية النهار ﴿من شر ما خلق﴾، أي: من الإصابة بشر كل الخلق من حيوانات كالسباع والحشرات، ومن الناس والجن، ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾، أي: أستعيذ بالله من الليل إذا أظلم، والقمر إذا غاب؛ لأن في الليل تنتشر السباع والهوام والسارق وقاطع الطريق، من كل إنسان يريد الفساد، وأعوذ بالله من شر النفاثات في العقد اللواتي يسحرن بها عباد الله، وأعوذ بالله من شر حاسد إذا حسد، الحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن غيره.

الحمد لله، تمّت سورة الفلق بعون الله.

* * *

سورة الناس

آياتها ست آيات، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾.

المعنى: قل يا محمد: أعوذ برب الناس، أي: خالق الناس من العدم ومربيهم ومالك الناس وحاكمهم ومصرف أمورهم، فهو إله الناس، أي: معبودهم لا إله غيره يُعبد، وعبادة غير الله كفر وشرك، فأعوذ به من شر الوسواس الخناس ــ اسم الشيطان ــ الذي يوسوس للإنسان إذا غفل عن ذكر الله، وإذا ذُكِر الله خنس، أي: تأخر رجع عنه ثم فسره: الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس، وقيل: وسوسة الإنسان على الإنسان أشد من وسوسة الجن، لأن الجن يهرب بالتعوذ بالله منه، والإنسان لا يهرب حتى يوقع صاحبه بالكلام الفاحش وتزينه للمعاصي. نعوذ بالله من جلساء السوء.

الحمد لله تمت السورتان المعوذتان بعون الله، والله أعلم بأسرار معاني كتابه.

* * *

Abdülkadir TURAN

خاتمة

الحمد لله، هذا التفسير بعنوان فتح الرحمٰن ملخص من تفاسير القرآن، قد تمت كتابته في شهر رمضان المبارك في ثالث عشر ١٤١٥ هجرية، أحمد الله بما وفقني لكتابة هذا التفسير، وألهم رشدي والصواب على كتابته، وأرجو أن يجعله ذخيرة لآخرتي، وأرجو من القراء الكرام إذا اطلعوا على خطأ مني فيه فعليهم أن ينبهوني إليه أو يكتبوا على هامش الصفحة، ويصححوا وأجزاهم الله عني خير الجزاء. وما كتبت تفسير الآية إلاَّ بعد مراجعة التفاسير الموجودة عندي، وهي: الخازن، والنسفي، ومختصر ابن كثير، وتفسير ابن عباس، وأيسر التفاسير، وصفوة التفاسير. [وتمّت مراجعة بعض المواضيع عند التحضير للطبع على التفاسير التالية: الطبري، والقرطبي، وزاد المسير لابن الجوزي، والتسهيل لابن جزي].

* * *

وكتبه قاري محمد ابن نياز قاري المقرىء في تحفيظ القرآن وتعليم القراءة في ديار بالياركند من ولاية التركستان الشرقية، وكان رحمه الله بذل جهده في خدمة تعليم القرآن خمسين عامًا حتى توفي إلى رحمة الله، وله من العمر ٧٣ عامًا، وكان مخلصًا في خدمته لله تعالى ولكتابه الكريم، وكان رحمه الله ذا وقار وهيبة، وكان يحفظ لسانه عن الغيبة وأعراض الناس. وكان دأبه أن ينصح جلساءه من الطلاب وغيرهم، ويذكر المشايخ الذين شاهدهم بصفاتهم الحسنة، جزاه الله عني خير الجزاء.

وكانت كتابة هذا التفسير في المدينة المنورة، والحمد لله رب العالمين.

● ● ●

الـفـهـــرس

رقم واسم السورة	الصفحة

فهرس المجلد الأول

المقدمة	٥
١ ـ سورة الفَاتِحَة	٧
٢ ـ سورة البَقَرَة	١٠
٣ ـ سورة آل عِمْرَان	١١٥
٤ ـ سورة النِّسَاء	١٧٩
٥ ـ سورة المَائدة	٢٤٣
٦ ـ سورة الأنعَام	٢٩٠
٧ ـ سورة الأعرَاف	٣٤١
٨ ـ سورة الأنفال	٣٩٧
٩ ـ سورة التّوبَة	٤٢١
١٠ ـ سورة يُونس	٤٦٥
١١ ـ سورة هُود	٤٩٦
١٢ ـ سورة يُوسُف	٥٢٩
١٣ ـ سورة الرّعد	٥٥٨
١٤ ـ سورة إبراهيم	٥٧٤
١٥ ـ سورة الحِجر	٥٨٨
١٦ ـ سورة النّحل	٦٠١
١٧ ـ سورة الإسرَاء	٦٣٢
١٨ ـ سورة الكهف	٦٥٩
١٩ ـ سورة مَريَم	٦٨٥
٢٠ ـ سورة طه	٧٠٢

فهرس المجلد الثاني

٢١ ـ سورة الأنبيَاء	٧٢٧
٢٢ ـ سورة الحَجّ	٧٥٢
٢٣ ـ سورة المؤمنون	٧٧٦
٢٤ ـ سورة النُّور	٧٩٦
٢٥ ـ سورة الفُرقان	٨٢٠
٢٦ ـ سورة الشُّعَرَاء	٨٣٦
٢٧ ـ سورة النّمل	٨٥٩
٢٨ ـ سورة القَصَص	٨٧٩
٢٩ ـ سورة العَنكبوت	٩٠٣

رقم واسم السورة	الصفحة
٣٠ ــ سورة الرُّوم	٩٢٢
٣١ ــ سورة لقمَان	٩٣٦
٣٢ ــ سورة السَّجدَة	٩٤٥
٣٣ ــ سورة الأحزَاب	٩٥٢
٣٤ ــ سورة سَبَأ	٩٧٣
٣٥ ــ سورة فَاطِر	٩٨٧
٣٦ ــ سورة يس	١٠٠٠
٣٧ ــ سورة الصَّافات	١٠١٤
٣٨ ــ سورة صَ	١٠٣١
٣٩ ــ سورة الزُّمَر	١٠٤٥
٤٠ ــ سورة غَافِر	١٠٦٤
٤١ ــ سورة فُصِّلَت	١٠٨٣
٤٢ ــ سورة الشّورىٰ	١٠٩٧
٤٣ ــ سورة الزّخرُف	١١١١
٤٤ ــ سورة الدّخـان	١١٢٧
٤٥ ــ سورة الجَاثيَة	١١٣٥
٤٦ ــ سورة الأحقاف	١١٤٤
٤٧ ــ سورة محَمَّد	١١٥٦
٤٨ ــ سورة الفَتْح	١١٦٧
٤٩ ــ سورة الحُجرَات	١١٧٨
٥٠ ــ سورة قَ	١١٨٥
٥١ ــ سورة الذّاريَات	١١٩٤
٥٢ ــ سورة الطُّور	١٢٠٢
٥٣ ــ سورة النّجْم	١٢٠٩
٥٤ ــ سورة القَمَر	١٢١٧

رقم واسم السورة	الصفحة
٥٥ ــ سورة الرَّحمٰن	١٢٢٤
٥٦ ــ سورة الواقِعَة	١٢٣١
٥٧ ــ سورة الحَديد	١٢٤٠
٥٨ ــ سورة المجَادلة	١٢٥٨
٥٩ ــ سورة الحَشر	١٢٥٩
٦٠ ــ سورة المُمْتَحنَة	١٢٦٧
٦١ ــ سورة الصَّف	١٢٧٥
٦٢ ــ سورة الجُمُعَة	١٢٨٠
٦٣ ــ سورة المنَافِقون	١٢٨٤
٦٤ ــ سورة التّغَابُن	١٢٨٨
٦٥ ــ سورة الطّلَاق	١٢٩٤
٦٦ ــ سورة التّحْريم	١٢٩٩
٦٧ ــ سورة المُلك	١٣٠٥
٦٨ ــ سورة القَلَم	١٣١٢
٦٩ ــ سورة الحَاقَّة	١٣٢٠
٧٠ ــ سورة المعَارج	١٣٢٦
٧١ ــ سورة نُوح	١٣٣١
٧٢ ــ سورة الجنّ	١٣٣٦
٧٣ ــ سورة المُزّمل	١٣٤١
٧٤ ــ سورة المدَّثِّر	١٣٤٦
٧٥ ــ سورة القِيَامَة	١٣٥٢
٧٦ ــ سورة الإنسَان	١٣٥٧
٧٧ ــ سورة المُرسَلات	١٣٦٣
٧٨ ــ سورة النّبَإ	١٣٦٨
٧٩ ــ سورة النّازعَات	١٣٧٢

رقم واسم السورة	الصفحة
٨٠ ــ سورة عَبَسَ	١٣٧٦
٨١ ــ سورة التّكوير	١٣٨٠
٨٢ ــ سورة الانفطار	١٣٨٣
٨٣ ــ سورة المطفّفِين	١٣٨٦
٨٤ ــ سورة الانشقاق	١٣٩٠
٨٥ ــ سورة البُرُوج	١٣٩٣
٨٦ ــ سورة الطّارق	١٣٩٦
٨٧ ــ سورة الأعلىٰ	١٣٩٩
٨٨ ــ سورة الغَاشِيَة	١٤٠٢
٨٩ ــ سورة الفَجر	١٤٠٤
٩٠ ــ سورة البَلَد	١٤٠٨
٩١ ــ سورة الشّمس	١٤١١
٩٢ ــ سورة الليْل	١٤١٣
٩٣ ــ١٤١٦٢ الضّحىٰ	١٤١٦
٩٤ ــ سورة الشَّرح	١٤١٨
٩٥ ــ سورة التّين	١٤٢٠
٩٦ ــ سورة العَلق	١٤٢٢
٩٧ ــ سورة القَدر	١٤٢٥

رقم واسم السورة	الصفحة
٩٨ ــ سورة البيّنَة	١٤٢٧
٩٩ ــ سورة الزّلزَلة	١٤٣٠
١٠٠ ــ سورة العَاديَات	١٤٣٢
١٠١ ــ سورة القَارعَة	١٤٣٤
١٠٢ ــ سورة التّكاثُر	١٤٣٦
١٠٣ ــ سورة العَصر	١٤٣٨
١٠٤ ــ سورة الهُمَزة	١٤٣٩
١٠٥ ــ سورة الفِيل	١٤٤٠
١٠٦ ــ سورة قُريش	١٤٤٢
١٠٧ ــ سورة المَاعون	١٤٤٤
١٠٨ ــ سورة الكَوثَر	١٤٤٦
١٠٩ ــ سورة الكافِرون	١٤٤٨
١٠٠ ــ سورة النّصر	١٤٤٩
١١١ ــ سورة المَسَد	١٤٥٠
١١٢ ــ سورة الإخلاص	١٤٥١
١١٣ ــ سورة الفَلَق	١٤٥٣
١١٤ ــ سورة النّاس	١٤٥٥
الخاتمة	١٤٥٦

● ● ●